الأصولية اليهودية

العقيدة والقوة



ديڤيد لانداو

مكتبة مدبولى - القاهرة

الأصولية اليهودية

الأصولية اليهودية

تأليف ديفيد لاندو

ترجمة : مجدي عبد الكريم

مكتبة مدبولي - القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

MADBOULI BOOKSHOP **مكتبة مدبولى**

6 Talat Harb SQ. Tel:756421 ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٧٥٦٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

مـلك إسـرائيـل

نبدأ حيث يجلس ملايين من الإسرائيليين بانجذاب أمام شاشات التليفزيون علاوة على حشود الجماهير التى احدثت نوع من الهياج داخل الإستاد بسبب قيامهم بالغناء والتصفيق الإيقاعى. لم يحدث ابداً ولاحتى فى اللحظات الحرجة أثناء الألعاب الخطيرة أن يسيطر مثل ذلك الهياج على قاعة كرة السلة بجنوب تل أبيب لدرجة تجعل الفوضى تعم البلاد كلها. ولم يحدث أن يتجمع الهواة التعصبيين كما هم الآن متحمسين ومنفعلين داخل قاعة المسرح. وها نحن نرى الصفوف بعضها فوق بعض مليئة بالملتحين وذوى القلنسوات السوداء من الرجال والشباب حيث كانوا يغنون بنشوة غامرة وفى نغمة موحدة: «فليضيف الله أيام أخرى إلى أيام الملك، وليجعل أعوامه تعادل أعمار الكثير من الأجيال» .

وفى الواقع فإن قاعة الملعب قد تم تغطيتها بألواح خشبية واقية؛ استعداداً لذلك المؤتمر القـومى الأول من نوعـه، مـؤتمر «ديجل هاتورا» وهو يعـتبـر أحـداث مـؤتمر للأحزاب الإسرائيلية الهاريدية (haredi) التى تمثل اليهود الأرثوذكس فى دولة اليـهود. (وتعتبر كلمة haredi مصطلح عبرى لكل من «الخوف والإهتزاز» ، أما كلمـة haredi فتطلق على هؤلاء الذين يخشون الله) ،

وفى أقصى الملعب تم وضع منصة مزودة بصفوف من المقاعد المخصصة لأحبار الحزب وكذلك لكبار السن، وفى الجهة الأخرى كان المكان مخصص للصحافة نظراً إلى أن مئات المصورين والمراسلين الصحفيين سواء من إسرائيل أو من الخارج قد تزاحموا من أجل الفوز بالنظر لأول مرة «للملك» .

وببطء يشرع فى الخروج ولكن من خلال طريق جانبى وإذا يشخص صغير البنية منحنى، ومحاطاً برجال الأمن المرتدين الزى الرسمى، كذلك كان الرجال التابعين مرتدين ملابس داكنة. ثم تسطع أضواء التليفزيون تفحص وتدقق بشغف بحثاً عنه واخيراً يصل إلى منتصف المنصة وإذا به يغوص فى مقعده، حينئذ قام أحد الضباط بسرعة بوضع كتاب أمامه على المنضدة، ولكنه أخذ يتأمل فيه وهو منكباً عليه كما لو كان قد نسى الكورس الذى يدوى من حوله نظراً لآلاف الأصوات المنبعثه من الحاضرين، ثم يأتى دور رئيس التشريفات الذى يطالب جموع الحاضرين بالغناء بصوت مرتفع وكان يقودهم بكلا ذراعيه، وتتعالى وتتعالى الأصوات وهى تتغنى بنفس الثراينم: إمنحه أيام وامنحة أعوام بل وامنحه أكثر من أعوام .

وقد قام بعض الحاضرية بدفع عشرة شيكل (عملة إسرائيلية) على عشر دفعات وقاما كذلك بوضع علامات على التذاكر الخاصة بهم من أجل اختبار تلك البقعة. ويقول المراسلون الرياضيون المتمرسون إنه لم يتم على الإطلاق عقد قمة هامه كهذه خارج ذلك الإستاد، كذلك هاج المئات من تلاميذ «Yeshiwa» طوال الليل الماضى من أجل اغتنام فرصة الحصول على تذكرة دخول. أما الذين قد فشلوا فى الحصول على أى منها، وبالرغم من ذلك فقد حضروا، وقد آووا إلى باب خارجى مجاور لمدرج الإستاد حيث كانت شاشة ضخمة تقوم بنقل الإجراءات عبر دائرة التليفزيون. أما بالنسبة للسيدات- ونظراً لأنه غير مصرح لهم -من جانب العرف والتقاليد- فلقد استأجر ديجل هاتورا أكبر قاعة احتفالات فى القدس وقامت مجموعة من الأتوبيسات بنقل السيدات من مدينة الهاريديين التابعة لبن براك وكذلك من مراكز أخرى لتلك الطائفه فى كل انحاء البلاد .

وبالأختلاف مع معظم الإسرائيليين فإن أتباع ديجل هاتورا ليس باستطاعهم

البقاء بمنازلهم لمشاهدة زعيمهم، نظراً إلى أن اتجاهات التليفزيون تعتبر بالنسبة لهم محرمة تماماً فهى تضلل الشباب وتفسدهم وتبث فيهم اجنبية كما إنها تسمم طهارة الأسرة اليهودية المتمسكة بالتقاليد، أما البقية الباقية فيشاهدون ويترقبون دون التقيد بذلك الإلتزام. فمصير الأمة وبمعنى اللقط على (كف عفريت)، فمنذ إحدى عشر يوماً سقطت حكومة رئيس الوزراء أسحاق شامير زعيم الحزب اليمينى «ليكود» وكان ذلك فى ١٥ مارس ١٩٩٠ بناء على صدور مبادئ السياسة الخاصة بالتفاوض مع الفلسطينيين، ومن ثم فإن الحزب العمالى برئاسة شيمون بيريز يحاول جاهداً خلق «حكومة تهتم بالسلام». أما أعضاء الكنيست البالغ عددهم مائه وعشرين والمقسمين على خمسين حزباً فإنهم موزعون بالتساوى بين hawks (الصقور) و doves (الحمائم). ويمكن لكلا عضوى ديجل هاتورا أن يؤيدوا الغالبية التى تتبع بيريز. وببطئ ينهض السيد اليزر مناجم شاس كى يتحدث وهو يبلغ من العمر أثنان وتسعون عاماً ويعتبر الزعيم الروحى للملك ديجل هاتورا الذى تعتبر أيامه وسنواته موضوع التغنى. وعلى الفور توقف دوى الأصوات، وإذا بصمت يسيطر على القاعة كلها وأصبح الأفراد مشدودين كى يسمعوا كل لفظ. وفى الماضى لم يكن ذلك «الحبر» يلقى خطاباً إلا لإحداث تهدئة سياسية وكان يلقى دروسه مبيناً أن تجنب الحرب والحفاظ على الحياة الإنسانية يعتبران من أنبل الأهداف. إن مذهب الهاريديين «haredism» كان يتخذ فى الواقع موقفاً معادياً، أو مناقضاً للحركة الصهيونية، وكذلك تجاه دولة يهودية، لذا فإن هذا المذهب لايساند بالطبع سياسة التوسع الاستعمارى التى يتم الدفاع عنها من جانب ذلك الحزب الداهية، حزب ليكود، وبالرغم من تلك الأزمات السياسية المعاصرة فإن السيد شاس كان يتصرف دون أن يعزى كلامه لأحد وبدأ كلامه بلغه عبرية ظريفة ولكنها ليست باللغة الدراجة حيث يقول: «دعونى أخبركم بالحقيقة» ويواصل قائلاً: «إننى لم أكن أنوى أن أخاطب ذلك الجمع الهائل هنا اليوم... لكننى أشعر بسعادة

بالغة حيثما أرى ذلك التعطش العظيم للتوراة... لهذا فلقد أتى العديد من الناس، ونشكر الله على ذلك، لسماع الكلمات التى تعبر عن القوة الروحية وكلمات الحقيقة والصدق دون خوضى فى السياسات بل ودون أى دوافع خفية، فقط من أجل الحقيقة الخالصة الصادقة...».

هذا وقد انتهى كل شىء خلال عشرة دقائق ثم أخذ الساسة والعلماء يوضحون لماذا قضى الحبر شاش على آمال الحزب العمالى ولماذا أشاد فى كلامه بحزب ليكود، بالرغم من شقة الخلاف الواضحة بين وجهات نظره السياسية ،وتلك الخاصة باسحاق شامير. وقد تقهقر بيريز زعيم الحزب العمالى بقدر إستطاعته محاولاً أن يتشبث بحكومة معتدلة بالرغم من خيانه ديجل، وفى تلك الحالة يعتبر حبر مبجل يخش الله ذلك الذى يتعامل تجاه اتفاقات الحزب العمالى من خلال Coup de grace . وقبل بدء اجتماع الكنيست فى ١١ إبريل بساعات، وقد كان الاجتماع مقرراً للتصديق على مشروع الحكومة المقدم من قبل الحزب العمالى، قام الحبر مناجم شنيرسون البالغ من العمر ثمانون عاماً ويعتبر حبر أو زعيم روحى لطائفة الهاسيديك بلوباڤيتش قام بإرسال تعليمات لإثنين من أعضاء حزب هاريدى آخر وهم أجودات ويسرائيل حتى يحولوا خط سيرهم ويساندون شامير. ونظراً لإنهم اتباعه الموالين له فلقد اطاعة كلا الرجلان.

---

* تعتبر لوباڤيتش مدينة صغيرة فى روسيا البيضاء وقد نشأت بها تلك الطائفة. أما الطوائف والجماعات المختلفة بما فيها مذهب الهاريدى فمن المعتاد أن يعرفوا أنفسهم من خلال اسم مدينتهم أو قربتهم نظراً لتلك المذبحة البشرية السابقة التى حدثت بأوربا. فهناك شخص معاصر من أنجلترا وينتمى إلى طائفة هاسيديك والذى سوف نتعرض له فيما بعض فهو يلقب نفسه باسم «البوستونرى». فاينما يتفرغ منزل أو طائفة تابعيين لمذهب هاسيسك إلى أكثر من مجموعة، حينئذ يتم أطلاق تعريفان ثانيان من أجل الدلالة على كل فرع على حدة: لذلك نجد ڤيشنتز- مونس (ڤيشنتز هى قرية منشأها فى شرق أوربا) أما مونس فتقع فى المنطقة العليا بنيويورك) ونجد كذلك ڤيشنتيز- حيفا (الميناء الثانى باسرائيل) .

فعلى الأقل نجد أن الحبر شنيرسون ذلك اللوبا فيتشرى* قد ظل متماسكاً. فطالما كان يدافع عن وضع «دولة إسرائيل العظمى»، حتى حينما خاضت إسرائيل حرباً لمدة سته أيام في الأراض المحتلة عام ١٩٦٧. وفى الحال ثم توجية سؤالاً إليه من أحد المراسلين الأسرائيليين بعد سقوط الحكومية فى مارس وإذا به يقول أنه على ثقة من أن المسيح سيأتى قريباً جداً لذلك فاننا نحتاج خلال تلك الدقائق لقليلة التى تسبق ذلك أن ننهج سياسة شامير التى توصف بانها سياسة الإنسحاب دون التقهقر لأى مسافة ولو بسيطه، تلك السياسة التى ستجلب السلام على البلاد بل وعلى المنطقة بأكملها .

وبين كل منهما يظهر الحبر شاش والحبر شنبرسون حيث سيقرران المنهاج الخاص بالتاريخ الإسرائيلى من خلال تحديد سياسة تطبيقيه على الارهاصات الرئيسية التى تواجه الدولة اليهودية. وقد فعلوا ذلك من خلال انذار القوة السياسية بأن عملية الإحياء القوية الموجهة لصالح المذهب (الأرثوذكسية الهاريدية) سواء فى إسرائيل أو فى المناطق التى تعيش بها الأقليات اليهودية تكمن فى ايديهم ومما يثير السخرية أن كلا الرجلين الكهلين يدخلون سنوياً فى تحالف سياسى فى حين يبغض كل منهما الأخر ويحمل كل منهما للآخر رغبة فى الانتقام.

★ تعتبر لوبافيتش مدينة صغيرة فى روسيا البيضاء وقد نشأت بها تلك الطائفة أما الطوائف والجماعات المختلفة بما فيها مذهب الهاريدى فمن المعتاد أن يعرفوا أنفسهم من خلال إسم مدينتهم أو قريتهم نظرا لتلك المذبحة البشرية السابقة التى حدثت فى أوربا . فهناك شخص معاصر من إنجلترا وينتمى لطائفة هاسيديك والذى سوف نتعرض له فيما بعد فهو يلقب نفسه باسم «البوستونرى»، وأينما يتفرع شخص أو طائفة تابعين لمذهب هاسيديك إلى أكثر من مجموعة حينئذ يتم إطلاق تعريفان ثنائيان من أجل الدلالة على كل فرع على حدة؛ لذلك نجد فيشنتز مونس (فيشتنز هى قرية منشأها فى شرق أوربا) أما مونس فتقع فى المنطقة العليا بنيويورك، ونجد كذلك فيشينز—حيفا (الميناء الثانى بإسرائيل.

فلقد وجه شاش اتهاما لشنيرسون بالهرطقة (الضلال الدينى) وكذلك تساءل بجدية عما إذا كان مذهب الهاريدية بمدينة لوباڤيتش برئاسة شنيرسون يمكن اعتباره كمذهب يهودى يمكن الوثوق به بصورة عامة. ويرى البعض تلك الضغينه بينهما على إنها استئناف للعداوة القديمة بين مذهب الهاسيدية hasidic (النقوى والورع) ويعتبر ذلك المذهب هو المتسبب فى انعاش الحركة التى امتدت عبر حى اليهود بأوربا الشرقية منذ أواخر القرن الثامن عشر، وبين الساخطين المعادين لذلك المذهب ويطلق عليهم «ميتناجد» (أى المعارضين) الذين يعتبرون أنفسهم هم الحراس الحقيقيون للقانون والتقاليد التلمودية (أى شرائع وتقاليد اليهود).

ومما يستدعى السخرية أيضاً وجود حبر ثالث هاريدى وكان مكروره من جانب كلا الرجلان وقد دبر ذلك الثالث لسقط حكومة شامير، ألا وهو الحبر «أوفاديا يوسف» ذلك الحكيم السيفاردى (اليهود الشرقيين) وهو يصغر كل من شاش و شنيرسون، بحوالى عشرون عاماً ولكن دون ارتباط بانحطاطهم فى الزمالة التلمودية، فلقد ذهب لمبنى التليفزيون كى يتيع إنه لايمكن أن يواجه الله أو ضميره أكثر من ذلك إذا ما استمر فى مساندة «حكومة متطرفة ومثيرة للحروب». وقد أخبر أعضاء الكنيست وهم الحزب السيفاردى الهاريدى بضرورة التصويت لصالح أقتراح عدم الثقة المدرج من جانب الحزب العمالى.

والآن وبعد ما تم تعذيبه وإذلاله من جانب شاش وبعد اخضاعه لطائفه أشكيناز (اليهود الغربيين) فلقد أمر يوسف أعضاء الكنيست. بالانضمام إلى الأحزاب اليمينية فى الحزب الجديد برئاسة شامير. وهاهو العالم باسره يراقب كل ذلك بارتياب، وكما كتبت مجلة التايم بخصوص «النفوز التام» الذى يشعر به اليهود الأمريكان أزاء «امكانيه مهاجمة النظام السياسى الإسرائيلى لاستفسارات وطلبات الطوائف

الأرثوذكسية القديمة المتعصبة. جدير بالذكر أن هذا النظام لم يرتكز على الأقاليم والدوائر الانتخابيه بل على التمثيل النسبى على المستوى لقومى، لذلك فهو يشجع الأحزاب الصغيرة على التنافس، وأى حزب يمكنه الحصول على نسبه ١,٥ ٪ من مجموع الأصوات المحلية يمكنه أن يصبح له عضواً يمثله فى الكنيست .

وغالباً ما تحدث موازنه متكافئه بين الشمال واليمين، وقد أثبتت الأحزاب الهاريدية مهارة فى أستغلال قدراتهم على تقطيع الروابط. وبمرور الوقت نجد أنهم يعذبون ضمائرهم بسبب حزب ليكود أو الحزب العمالى فهم يقومون بتمويل وبناء مشروعاتهم أو يشّرعون مراقبه أثناء احتفال العاشر بالسبق أو يقومون بتحديد وحصر مواطن الفشل كل ذلك فى مقابل مساندتهم .

والآن فلقد حولت دراما التوسط لدى كل من الحبر شاش وشينرسون الوعى المنتشر فى البلاد والذى يمكن وصفه بالضآلة أو الوهن إلى صدمة ورعب وكان ذلك بطريقة محموده احياناً وبطريقة غير مقبولة احياناً أخرى .

هذا وقد اخذت اللافتات تظهر على جدران البرلمان على مدار عامين مبكراً حينما فازت الأحزاب الهاريدية بنسبة ١١٪ من مجموعة الأصوات فى احدى الأنتخابات والأكثر من ذلك تضاعف ممثلى أحزابهم كنتيجة لذلك وعلى الفور تسببوا فى أحداث صراع حاد فى إسرائيلى وفى معظم مناطق الاقليات اليهودية، وكانوا يطالبوا بتغيير فى قانون العودة الذى يحدد من الذى يمكن اعتباره يهودى؟ (انظر الفصل ٣٣) كثمن لتحالفهم .

فهناك ملايين من اليهود المغالين (المتطرفين) فى مناطق الأقليات اليهودية -ويطلق ذلك اللفظ على اليهود المنتمون لحركات الإصلاح والمحافظة على القديم أو

الغير منتسبين لها- قد اصابهم الرعب وتم طردهم كل ذلك من خلال ماشاهدوه من محاولات الهاريديين للسيطرة بالقوة على دولة اليهود. وفى شهر مارس بدأ المذهب الهاريدى فى صورة أخرى من حيث امتهان الصيغ الأكثر اعتدالاً فى المذهب المستقيم وكذلك محاولات الشجار مع بقية القاطنين بحى اليهود وفى عام ١٩٩٢ اثبت الذين يخشون الله بإسرائيل (الهاريديين) أن نتيجة الأنتخابات الماضية لم تكن مجرد ومضة حيث أن قوتهم المتزايدة لم تكن حدث عابر. فبالرغم من الهجرة التى حدثت منذ عام ١٩٨٩ لما يقرب من ٤٠٠,٠٠٠ يهودى قادمين من الاتحاد السوفيتى فإن الأحزاب الهاريدية ظلت تفوز بما يقرب من ١٠٪ من الأصوات والآن نجد أن الحبر يوسف قد اتخذ طريقة وقام بقيادة حزبه « Shas» شاس من خلال تحالف حزبى مع الحزب العمالى برئاسة زعيمة الجديد اسحاق را بين .

جدير بالملاحظة أن المظهر الأنتخابى للأحزاب الهاريدية يحرص على تقديم صورة حسنه لأعضائها الحاليين، وحتى هناك بعض الأفراد الغير منتمين للمذهب الهاريدى- ومن بينهم آلاف المواطنين العرب- قاموا بالتصويت لصالح الأحزاب الهاريدية .

وبالرغم من موجات الفزع الناتجة عن الآراء السياسية لأحبار المذهب الهاريدى

فإن تاكيد قوة الهاريديين لاتعتبر تطور مفاجئ سواء أكان فى إسرائيل أو فى مناطق الأقليات اليهودية وكثيراً ماشعر الهاريديون أنفسهم بأن تيار التاريخ اليهودى يحول مسارهم خاصة بعد مرور قرنين من العزلة والتقلص أثناء مجابهة التقدم العصرى، كما أن الأسلوب القديم فى إستقامة الرأى قد سادت السلطة مرة ثانية معلنة عن الأستحواذ على أراض جديدة. أما الشئ الفجائى فهو تأثير ذلك الانتصار الذى حققه الهاريديون على وعى البقية الباقية من اليهود بمشاهدة أم العالم لهم .

فثروات الهاريديين المعزولة فى نيويورك، ومراكز استخراج الماس، وفى القدس ولندن لايمكن أن تظل بعيدة طويلاً كما لو كانت محولة أو مهربة. فهى تظهر فى صورة طفح على الجلد المجروح ويتزايد عددها بصورة ضخمة وتزيد من الثقة بالنفس وكذلك تقوى عزمهم على التأثير على العالم من حولهم .

وتدريجياً أخذ اليهود يتسللون إلى داخل المدينة فلقد تم تسجيل مشروع ذلك الوسيط العقارى الكندى باول رايشمان وهو مشروع ضخم، حينما قام باستضافة الرؤساء ورؤساء الوزراء وتقديم الطعام اليهودى (Canape's) لهم وكان ذلك بالقرب من موقع المشروع الممتد الذى انشأه هو واخوته (هاريديين) قبل سقوط مستعمرة ممتلكاتهم أوليمبيا-يورك ضحية للتدهور الأقتصادى عام ١٩٩٢، كذلك أصبحت حياة البليونيرات اليهود محط أهتمام العامة. وقد أغدق رجال الأعمال الهارديين رؤوس الأموال على المدارس و yeshivas فى كل انحاء العالم حيث تعول المعرفة والإلمام بتقاليد التوراة إلى قوة عصر الإصلاح الهاريدى .

وفى الولايات المتحدة نجد أن النظام المحرك الهاريدى يناوء نظام الحياة اليهودية المقرر. وفيما مضى قامت أقليات ومن بينهم الأقلية اليهودية المعتدلة (الأثوذكسية) بأمريكا ومن بعدهم قام الهاريديون الأن بنهج ذلك المذهب المستقيم الرأى

اللوحة (١): تقدير لتعداد السكان اليهود فى الغارات واهم الاقاليم (المناطق) الجغرافيه ١٩٣٩- ١٩٩٢ :

	١٩٣٩	٤٧	٦٩	٨٩
الولايات المتحدة، كندا	٤,٩٦٥,٦٢٠	٥,١٧٦,٥٠٠	٦,١٨٦,٠٠٠	٥,٨٢٥,٠٠٠
جنوب ووسط أمريكا	٥٢٤,٠٠٠	٥٧٨,٠٠٠	٧٨٢,٢٥٠	٤٣٦,٧٠٠
أوربا[١]	٩,٧٣٩,٠٠٠	٣,٩٢٠,٠٠٠[٢]	٤,٠٣٠,٩٥٠	٢,٥٥٨,٤٠٠
آسيا (بما فيها اسرائيل)	٧٧١,٥٠٠	٩١٧,٠٠٠	٢,٦٠٥,٥٠٠	٣,٧٥٠,٧٠٠
استراليا	٣٣,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٧٧,٠٠٠	٨٩,٦٠٠
أفريقيا	٦٠٩,٠٠٠	٦٣٩,٥٠٠	١٩٣,٩٥٠	١٤٩,٩٠٠
	١٦,٦٤٣,١٢٠	١١,٢٦٦,٠٠٠	١٣,٨٧٥,٦٥٠	١٢,٨١٠,٣٠٠

(١) مشتملة على الاتحاد السوفيتى .

(٢) استناداً على التقارير التى أخذت عن لجنه التوزيع المشترك نقلاً عن مصادر أوربية .

اللوحة (٢): تقدير توزيع السكان اليهود على اسرائيل والأتحاد اللسوفيتى وفرنسا والمملكة المتحدة ١٩٨٩ :

اسرائيل	٣,٧١٧,١٠٠
روسيا الأتحادية[1]	١,٣٧٠,٠٠٠
فرنسا	٥٣٠,٠٠٠
المملكة المتحدة	٣٢٠,٠٠٠

(١) بما فى ذلك الأقاليم الآسيوية

اللوحة (٣) تقدير للهجرة الى إسرائيل ١٩٨٩-١٩٩٢ :

	٨٩	٩٠	٩١	٩٢ حتى ٦/٣٠
إجمالى	٢٤,٠٥٠	١٩٩,٥١٦	١٧٠,٥٠٠	٣٣,٣٠٩
الأتحاد السوفيتى	١٢,٩٢٤	١٨٥,٢٢٧	١٤٤,٨٠٠	٢٧,٣٣٠
أثيوبيا	١,٢٨٩	٤,١٣٧	١٤,١٩٤	–

المصـادر: الكتـاب السنوى لليهـود الأمـريكان، ١٩٤٧– ٤٨, ١٩٧٠، ١٩٩١ (نيويورك/ ڤيلادفيا: لجنة اليهود الأمريكان ومجتمع الأعلان اليهودى ١٩٤٨، ١٩٧٠، ١٩٩١) .

وزارة الأدماج، إسرائيل .

الوكالة اليهودية الإسرائيل .

الإدارة المركزية الإسرائيلة للإحصاء .

(الأرثوذكس) وكان ذلك من خلال نماذجهم الدينية الصارمة والمستمرة فى الزيادة وكذلك من خلال نبذهم للأغلبية الغير مستقيمة الرأى (الغير معتدلة). هذا وتتنبأ الشخصيات الأثوذكسية البارزة بالولايات المتحدة بحدوث إنشقاق دينى كلى فى المجتمع اليهودى فى خلال جيل واحد .

وكما يعتقدون فسوف يكف الغير معتدلين عن اعتبار أنفسهم من اليهود وكذلك المعتدلين (الأثوذكسيون) بزعامة الهاريديون سيكفون عن اعتبار تلك النخبة كيهود .

فإذا ما تم معرفة معدل نمو الهاريدية وكذلك كفاحهم الفردى الدؤوب والتسليم بذلك كله فإن مثل تلك التحذيرات لاتبدو شاذه أو مبالغ فيها مثلما كانوا يزعمون منذ عدة سنوات قليلة. ثم قام الزعماء الهاريديين بالمجاهرة بالدعوة وكذلك عملوا على اغراء الناس لتأييد الكونجرس مقدميين ضمانات من جانبهم على الشئون السياسية القومية كالفشل، والحقوق المنتهكة، والأعمال الايجابية، والمبالغ التى تدفعها الحكومة لصالح المدارس المحدودة. علاوة على ذلك فلقد أيدوا (ناحروا) الجماعات المسيحية المتطرفة واتخذوا مواقف بعيده كل البعد عن مذهب الأحرار المؤيد من جانب معظم المنظمات اليهودية. ويعتبر الأمر جد خطير حيثما تكون مواقفهم تلك قريبة جداً من خط سير الروح الحافظه التى يقوم كل من رونالد ريجان وجورج بوش بدفعها بكل قوة .

وعلى خلاف معظم اليهود فلقد منحوا أصواتهم بإفاضة لهؤلاء الرؤساء الجمهوريين .

منذ عام ١٩٨٨ ثم ولأول مرة انتخاب يهود أرثوذكس فى مجلس الشيوخ

الأمريكي. فبالرغم من أن يوسف ليبرمان يعتبر (ارثوذكسى عصرى) بالقياس للهارديين إلا أن كل اليهـود الأرثوذكس بأمريكا وخاصة الهاراديه يرون فيه الرمز والمثل الأعلى لإرتقاءهم الخاص من السفح إلى قمة المجتمع. وعلى الفور اعترف بإدراكه لذلك الدور

وكذلك الحال ايضاً فى بريطانيا بقيادة السيدة تاتشر، فلقد كان يُنظر إلى كبير الأحبار السابق اللورد جاكوبوڤيتس على أنه الكاهن الأقرب من حيث نظرته السياسية إلى رئيس الوزراء وإلى جانب كونه رئيس لاتحاد مجمع اليهود فلقد كان زعيم روحى للأغلبيه اليهودية الانجليزية ولكن إذا مانظرت إلى موقفه تجاه الانحلال الدينى فلقد كـان أقـرب مـا يكون إلى المذهب الهـارادى نظراً لرئاسته الطويلة لمجتمع اليهود البريطانيين (١٩٦٤- ٩١). وقبل أن يتولى منصبة فقلما كان يوجد ربان (حبر) ذو لحية طويلة تلك التى تعتبر بالنسبة للأحبار الهاريديين وكذلك الحال ايضاً de riguewr بالنسبة لبعض العاطلين فى الطوائف الهارادية. فالقليلون يهتمون بأن يكون لهم لحية صغيرة أما الآن فلا نكاد نرى رجل محلوقة ذقنه على رأس منصه الخطابة اليهودية فى جميع انحاء الجزر البريطانيه .

وبالنظر إلى المذهب الهـارادى الآن فى كل انحاء العالم فنجد إنه واثق بنفسه وكذلك عدوانى، فهم يؤمنون بحقهم الإلهى فى أن يظفروا بمراكز ويستميلوا اليهود والدولة اليهودية. وقد قام زعمائه بغرس أعتقاد راسخ فى نفوس اتباعهم وهو ضرورة مجابهة الأفكار التى دوماً ما تصبح ضعيفه وضئيلة التأثير مثل- الصهيونية، الارثوذكسيه الحديثة، الديانه اليهودية التى تدعو للإصلاح والحفاظ على القديم وكذلك العصرية الدنيوية بصورة عامة. فلقد أستشهدوا بالأزمات والمساوئ التى تثير حزن وألم المجتمعات الأخرى. أما الشيوعية التى كانت إحدى الأفكار المتحدة الصادرة

عن جيل من الشبان اليهود فلقد تقلصت فى معظم أنحاء العالم ولكن الهاريديون قد أشاروا إلى ذلك على إنه فى مواجهة الدين المنبعث، أما الصهيونية فتقاسى من أزمات مؤلمة من حيث الغرض والهوية وهذا ما يقوله الهاريديون وشهادة على ذلك نجد الانقسامات العميقة فى المجتمع الإسرائيلى. وغالباً ما يتم الاستناد على بعض المصطلحات مثل التطرف والمذهب الخومينى حينما يقوم الناس بالبحث عن النظائر والمشابهات من اجل ايجاد تفسير لإحياء المذهب الهاردى. (ومما يثير السخرية إن مثل تلك المصطلحات احياناً ما يتم تطبيقها على المستوطنين الأصليين فى الأراض المحتلة، هؤلاء الذين يعتقدون انهم يمهدون الطريق من أجل قدوم المسيح) .

على العكس من ذلك فإن المذهب الهارادى يعتقد فى قدوم من نوع أخر وهو القدوم الذى به وحى) .

ومع ذلك فإن الحيرة والارتباك والاذى وقبل أى شئ ايضاً الجهل، كل ذلك يعمل على عرقلة الجهود المبذولة لفهم تلك الحركة اليهودية الهامة والفعالة .

ويعتبر هذا الكتاب بمثابه محاولة على الأقل لتبديد ظلمات الجهل، علاوة على ذلك فهو يحاول وصف العالم الهارادى وكذلك الفكر الهارادى، وهو الأكثر أهمية، سواء لليهود أو لغير اليهود المنتشرين فى العالم الخارجى. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب لايتباحث لصالح أو ضد الهاراديين ولكنه يناشد ببحث المذهب الهارادى ضد انهيار اليهود جميعاً. كذلك فهو ينقب فى الأشتباكات الموجودة فى السياسات والمجتمع الإسرائيلى لكى يبين كيف يمكن للهاراديين، بالرغم من تحفظاتهم اللاهوتيه على وجود دولة يهودية غير مسيحية، أن يديروا النظام ببراعة وحذق لصالحهم .

ومما يثير الجدل أكثر من ذلك؛ أن الكتاب يشير إلى قنبلة زمنيه تدق تحت سطح

الوحدة اليهودية المنتشرة فى العالم كله وتهدد بصورة خاصة ترابط اليهود الأمريكان. اما السؤال المطروح: «من يعتبر يهودى؟» فلقد هيج العديد من موجات الفزع فى الماضى. والآن ونظراً إلى وصية الأحبار الهاراديين، المعروفين بالصلابة؛ بضرورة انشاد مذهب دينى فى كل المعسكر الارثوذكس وكذلك بالنظر إلى الاستقطاب المعاصر (نحو اليسار) على الجانب الغير أرثوذكسى، كل ذلك يؤدى إلى وجود خطر حقيقى يهدد بحدوث انفجار لامحالة؛ ذلك الذى سيؤدى إلى انقسام اليهود إلى قسمين. كذلك فإن الهاريديون لايفشلون بسبب تلك الصورة ولكن العديد من الأخرين لايدركون قرب حدوثها .

وقبل التعرض لذلك السيناريو المفزع فإن الكتاب يعمل على اخذ القارئ إلى داخل المجتمع الهاريدى haredi وكذلك داخل المدارس المذهبية التى تعتبر قلب المجتمع، داخل ساحات رجال الطائفه الهاريدية haredic وداخل المنزل الهاريدى لنرى الحياة العائلية الدافئة والقوانين الجنسيه الماجنة، وكذلك ايضاً داخل الهيكل العالمى فى اطار البذل فى سبيل الانسانية وتقديم المعونة المشتركة لساندة ودعم مجتمع من المتعلمين لينمو بسرعة وفيه يكون الشباب على استعداد أن يفنوا عشرات السنوات من عمرهم ويكونوا كدارس للقانون التلمودى. وفى إسرائيل نجد أن لديهم القدرة على الحصول على حصانة من الخدمات القومية من خلال عمل مثل ذلك الانقسام الرجعى فى مجتمع يتم حكمه بتكليف من الخدمة العسكرية .

وقبل أى شئ فإن هذا الكتاب يتباحث لتفسير مسار الطائفه الهارادية haredim . فحياتهم قد تم تنظيمها من خلال «التوراة» التى تعتبر بالنسبة لهم بمثابة فكرة مجردة أو تصور ذلك الذى يشمل على الله نفسه وجميع انبياته ورسله، وكذلك مجموعة من الآداب الأخلاقية والقانونية إلى جانب سلسلة من الزعماء الروحيين يمكن مقارنتهم

بالأحبار الموجودين الآن مثل الرجال دارسى العلوم الاجتماعية مثل الحبر شاس، وشينرسون، واوقاديا يوسف، الذين يجسدن استعمال السلطه الزمنيه العالمية مثلما يحسنون استعمال السلطة الروحية .

وبالنسبة للهاريديه haredim انفسهم فإن تونيقهم الحالى وكذلك انحدارهم الماضى كل ذلك من صنع الله. وإذا ما أمكن تباحث تلك التفسيرات والشروح فإنهم يقولون بانهم معتنقون ديانه قاسية خاصة بطوائف قليلة من الأحياء الهاريديين الذين نجوا من تلك المجزرة البشرية والذين كُتب لهم أن يعيشوا ويشقوا طريقهم فى الحياة العصرية، ولكن بشروطهم .

الجزء الأول

الفزع والخشية

الفصل الأول

الفزع والخشية

«لقى خمسمائة جندى من قياصرة الروس مصرعهم»، يا الهى... وكذلك خمسمائة آخرون من قياصرة الروس لقوا مصرعهم...» ومع كل مصيبة كهذه كان أحد رجال الطائفه الحاسيدية «مناحم مندل» يقوم بعمل كريات من العجين ويقوم بتسويتها وفردها داخل القرن .

وفى أواخر شتاء عام ١٨١٣ ، فلقد تراجع عُشر الجنود الباقيين من جيش نابليون العظيم قادمين من موسكو، فكانوا يحاربون وكانت قطرات دمائهم تترك علاماتها على كل خطوة من خطوات الطريق. وفى قرية ريمانوف، تلك القرية المبهمة بجاليسيا، كان هناك جدل شديد ومثير للهياج كما لو كان ذلك قد حدث بين اليهود، أو فى حاراتهم المنتشرة فى أوربا الشرقية، ويتردد ذلك السؤال القديم على ألسنه ضعفاء الناس: هل ذلك لصالح اليهود أم نقمة عليهم؟

وقد نشأ تلميذ بارز فى ذلك الحبر الحاسيدى «نافتالى» باضطراب كلما شاهد عملية الخبز، إلى أن قفز وشب وأمسك بمجراف سيده مناحم مندل. «وصياح»: توقف إيها الرجل! إن نابليون دنس، وتسود بعد ذلك لحظة من الصمت والوجوم وإذا بكلا الرجلين يحملن كليهما فى الآخر. وتستمر بعد ذلك القصة الحاسيدية ولكن نافتالى استدار وفر من المكان. فلقد لجأ إلى شيخ وقور (واعظ فى كوزينيس) واختبأ هناك خوفاً من سخط أهالى ريمانوف .

أما الزعماء الحاسيديون فكانوا آنذاك وقد علمتهم التجارب، المغزى التاريخى المتغير الذى تدل عليه الأحداث المعاصرة. فلقد كانوا ينظرون لغزو نابليون لروسيا على

إنه بمثابة «حرب يأجوج ومأجوج» جدير بالذكر أن اليهود الروس كانو يعيشون فى معظم المناطق وهم يعانون من الفقر والتمييز، لذلك لآن التقديرات الخاصة بعملية التحرير التى قام بها نابليون، لبعض الزعماء اليهود الروس على إنها تزيد شؤم كما تقول التوراة. ونجد أن مواطن ضعف اليهود فى كل أنحاء أوربا الغربية قد تم التخلص منها. ففى أثناء اقامته فى المخيم الفلسطينى عام ١٧٩٩ قام نابليون بتوجيه نداء غير صريح لليهود فى آسيا وأفريقيا للإنضمام إليه وفى مقابل ذلك ينالون الأرض المقدسة .

وبالرغم من ذلك فلقد نظرت مجموعة من الحاسيدين إلى غزو نابليون لروسيا على إنه تهديد، على المدى البعيد، فهم يدركون جيداً أن حياة اليهود فى الغرب قد تغيرت أثناء النصف قرن الماضى وكان ذلك بفضل الأفكار الجديدة والأجنبية التى عمل التلاميذ الذين تربوا «فى بيئات أجنبية» على نشرها. أما هؤلاء الرجال فلقد اشتغلوا بدراسة الفلسفه غير اليهودية وكذلك العلوم والآداب، ومن ثم فلقد اقترحوا إجراء تحليلات جديدة لنصوص التوراة وأعلنوا تحديهم الصريح لسلطة الأحبار اليهود .

وتعتبر مطالب اليهود الخاصة بالمساواة والحقوق المدنية- تلك التى منحها نابليون بسهولة- على أنها طفرة وسط تلك المتغيرات، ولكن ذلك كان بمثابة رعونه وإحتقار وقح تجاه التشريعات المقدسة وتقاليد الدين، وبدأت الدوائر اليهودية التقدمية فى برلين وباريس وفيينا تنعم بعصر التنوير وكذلك بالحريات السياسية -التى اكتسبوها مؤخرا- ولم ينبذوا الزى اليهودى التقليدى فحسب؛ بل وكذلك اللغة اليدشيه (لغة الحيتو اليهودى)؛ فقط بل أنهم قد تخلصوا أيضاً من التربيه التقليدية والطقوس والشعائر القديمة وقيود الدين نفسها وقد حدث ذلك بالفعل نظراً لقيام العناصر الرجعيه بمظاهرة احتجاج على ذلك.

هذا وقد تحول البعض واعتنقوا المسيحية وقد اتخذوا من ذلك وسيلة للتشبة

السريع والسهل بمن يعيشون فى المجتمع المسيحى. وإذا ما نظرنا إلى عمليات التحرير والتنوير ومبادئ الثورة الفرنسية فيمكننا أن نقول أن الأحبار فى روسيا ربما لم يستطيعوا إدراك أهمية تلك التطورات المفاجئه ولكن كل ما أمكنهم منهمه هو أنهم لايميلون إلى ذلك ولايريدون تطبيقة على رعاياهم. وكمادوّن الريان شنيور زلمان مؤسس الحاسيدية فى لورباڤيتش: «إذا انتصر نابليون فسوف تتمتع أمة إسرائيل بالثراء والمكانة ولكن ذلك سيؤدى إلى عدم الثبات فالمسافة سوف تبعد بين الرب فى السماء وقلوب الناس. على إنه إذا انتصر رئيسنا الإسكندر فسوف يعم الفقر وتكثر المعاناة ولكن قلوب الناس سوف تقترب من الرب فى السماء» ولقد عُرض عليه كل ذلك فى رؤيه دونها أثناء عيد رأس الغه اليهود «Rosh Hashana» ولم يظهر شنبور زلمان أى تصورات بخصوص «رئيسنا الاسكندر» فلقد رأى مرتين ما بداخل سجون القياصرة الروس فى شارع بيتر سبورج وبها المتهم فى المؤامرات التى دبرها المعارضين له «mitnaged» ومع ذلك فهو يصلى ويدعو من اجل انتصار قياصرة الروس على نابليون ثم يلوذ بالفرار هو وأسرته قبل تقدم القوات الفرنسية، وقد تذكر ابنه ووريثه وخليفته من بعده «السيد دوف بير» مايختص بوجود نقطة تحول فى الحرب: «فلقد دعانا أبونا ذات يوم سوياً وتحدث بكلمات تعبر عن الراحة والسرور، قائلاً «اليوم قد رأيت فى صلواتى أن ثمة تغيراً للأفضل قد حدث؛ بالرغم من ذلك فإن العدو ربما يسيطر على موسكو ولكنه لن يجد خلاصاً منها، أما نحن فسوف يتم إنقاذنا» .

وفى مدينة نيويورك الحالية حيثما نجد الخليفه السابع لشنيور زلمان يقوم باصدار أوامر وتعليمات سياسية أكثر من اهتمامه بالوعظ فقط حتى يسيطر على الأحداث الجارية لذا فإن غالبية سكان المدينه من اليهود البالغ عددهم مليونين يعيشون حياة بعيدة كل البعد عن الأستقامة والتقوى التى كانت تميز مجتمعات اليهود فى أوروبا الشرقية فى بداية القرن التاسع عشر، ومع ذلك فهم جميعاً ورغم اتساع العالم

اليهودى؛ يعتبرون ابناء المذهب الأرثوذكسى نظراً إلى أن كل اليهود ينتمون إلى ذلك المذهب قبل أن يقوم عصر التنوير والحرية بغزو الكيان المتكامل لليهودية. وقد جاء المصطلح «الأرثوذكسية» إلى الوجود، وظهر علانية فقط حينما بدأ اليهود يحيدون عن التقاليد والديانه الأرثوذكسية ديانه آبائهم. ويظهور اتجاهات أخرى يمكن وصفها بإنها ليست أرثوذكسية فى الديانه اليهودية خلال القرن التاسع عشر، لاسيما حركات اليهودية والاصلاحية والمحافظة، وأصبحت «الأرثوذكسية» تُعرّف عبر التناقض مع تلك المذاهب .

ومع ذلك فإن المذهب الأرثوذكسى نفسه قد عانى من الانشقاق نظراً إلى أن بعض الأحبار قد تباحثوا مِن أحل مزج التقاليد بالحضارة والثقافة الحديثه التى دخل فيها اليهود بعد تأخر وقد سُمح لهم بالدخول فيها ولكن بغضب ونفوز .

وأحيانا يُشار إلى أصحاب المذهب الهاريدى على إنهم «الأرثوذكس الأوائل» أو «الأرثوذكس المتشددين» من أجل التمييز بينهم وبين أصحاب الأرثوذكسية الحديثه. ودائماً ما يظهر هؤلاء غضبهم تجاه «الحواشي التفسيرية»؛ فكما يرون فإن مذهبهم يعتبر الشكل الوحيد المعترف به فى الأرثوذكسية اليهودية، لذا فيجب أن يشار اليهم علي إنهم «أرتوذكس» في حين أن الأشكال والصيغ الخاصة بالآخرين– لاتستحق بجدارة أن يطلق عليها: «الأرثوذكس المعاصرة» أو «الأرثوذكس المعتدله» أو «الأرثوذكس الصهيونية». قد شجعت تلك الحساسية الأشتقاقية للالفاظ على استخدام المصطلح العبرى الإسرائيلى «هاريدى haredi» الذى بدأ يشق طريقه الآن أيضاً فى اللغه الانجليزية. أما المصطلح الموجود فى التوراه الأساس فيعنى «الخوف» أو «والخشية» والوارد فى سفر أشعيا * من خلال التعبير الاستعارى والذى يعنى «خشية الله» .

* ويرى أشعيا وهو أهم أنبياء اليهود أن الشفقه والرحمة والبر أهم من تقديم القرابين وكان يؤمن بخصوصيه الشعب اليهودى، وهو شعب يلحق به العذاب ولكن لايفنى تماماً فيوجد دائما قطاع يعود إلى فلسطين ليصل بين الأرض المقدسة والرب .

وبالتناقض مع المذهب الأرثوذكسى الدال على الاستقامة فإن التنوير السابق لم يكن مطلقاً أحد المقاييس، فعلى مر العصور دائماً ما يوجد جدال أو نزاع لاهوتى ومن خلاله يرمى كل جانب الآخر بالهرطقة. ولكن هؤلاء الأخرين عادة ما يدفعون ذلك عن أنفسهم ويصر كل منهما على أنهم مازالوا متمسكين بالعقيدة القديمة. وكان دائماً ما يوجد إرتداد أيضاً وبالطبع كان ذلك يحدث فى ممارسة الدين. وبمجرد ما تلقى موس نفسه العصايا العشر فلقد قام بتعنيف الناس بسبب عبادتهم للعجل الذهبى كذلك ثم منع الاجيال التتابعة من التعدى للأنبياء والرسل .

أما عصر التنوير فلقد أصطحب معه بعض التحديات ولكن بشكل جدير تماماً ظهرت من خلال تحدى سلطه الدين نفسها، وبالنظر إلى تحرير اليهود فإن ذلك كان يعنى تعرض اليهودية وكذلك المسيحية العواصف الباردة الناشئه عن التيار العصرى. وكما كتب أحد المؤرخين اليهود الأرثوذكس «إن الواقع الجديد يعتبر مضاداً تماماً لأقوال الرب، فبالنظر إلى كلام الله فجد أن الشخصية الفردية ليست منحه أو نعمة بل إنها فريضة، وتعتبر الانسانية مجرد حالة أو هدف اسمى لخدمة الرب... أما العلم فهو وسيلة للإنسان كى يغزو الطبيعة ولكنه بالتأكيد لايعد العلم مصدراً للحقيقة»* .

إن حركة الأصلاح فى الديانه اليهودية والتى بدأت أولاً فى المانيا فى بداية عام ١٨٠٠ وانتشرت بعد ذلك فى أمريكا تعتبر طفرة أو نتيجة للحريات، فلقد كانت محاولة لصياغة الدين من خلال روح العصر .

وقد تم النظر إلى تلك الحركة التى تزعمها رجال كانوا قد تعمقوا فى التعاليم القدسية وكذلك اليهودية حيث إنها تعمل على خلق فهم عصرى ونقدى للنصوص

---

* د. اسحاق بريور، مقدمة للمجلد ٢ عن تغيرات العام من خلال العبر سامسون آر. هيرش (بين براك: نيزا ١٩٦٦) (اللغة العبرية) .

اليهودية القديمة. أما الأختلافات الأولى التى تظهر بين حركات الاصلاح والمعايير الأرثوذكسية فكانت فى نطاق الطقوس والشعائر فلقد كانت الصلوات تؤدى باللغة الألمانيه أكثر منها باللغه العبرية، كذلك مظاهر الحنين والاشتياق إلى أورشليم أو تقديم القربان للمعبد قد تم حذفها واهمالها، أما بالنسبة للنساد فقد تم السماح لهم بالغناء فى الكورس مع الرجال وتشبهاً بهم. وبسرعة شديدة تتابعت انتهاكات أكثر خلاعة للشريعة والقوانين (halacha) مثل استخدام آلة أثناء صلاة السبت وبعد ذلك انقطع الأحبار علناً عن التعاليم العرفية التقليدية ومجموعة القوانين (halacha)؛ وأعتبروها خطأ فى تسلسل التاريخ والحوادث.

وقد كان تحويل العبادة والصلاة من يوم السبت إلى يوم الأحد بمثابة سمة متطرفة تعبر عن عقيدة المصلحين، ولم يتم تبنى ذلك الوضع وتطبيقه بتوسع (ولكن ذلك قد تم الغائه بين معظم الطوائف الأمريكية التى كانت قد طبقته)، ولكن وإلى أن أثير اهتمام الأحبار الأرثوذكس وخاصة الأحبار الهاريديين فى أوروبا الشرقية فلقد كانت حركة الاصلاح باكملها بمثابة تبرير لإعتراضهم المبدأى على اغراءات التحرير، كذلك تبريراً لمعارضتهم لأى مصبوغ بصبغة العصر. وقد كان عزم حركة الأصلاح على تحطيم الصور والتماثيل الدينية فعالاً جداً بالنسبة للمعتدلين غير الأرثوذكس وكذلك بالنسبة للذين أرادوا التغيير ولكن دون إحداث اضطراب. وقد تم إعداد ذلك فى المبادئ الأساسية عند تكوين للحركات الأحيائيه والمحافظة بالولايات المتحدة فى القرن العشرين (جدير بالذكر أن بعض أفراد القوة المحركة الأوائل لتلك لحركة قد نشأوا فى ألمانيا).

ويضاف إلى ذلك التيارات المختلفة التى حملت التطور فى طياتها التى تنتمى إلى الدبائه اليهودية فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فلقد كان هناك العديد من شباب اليهود فى شرق أوروبا وغربها الذين نبذوا البدع الدينية باكملها

لصالح الاشتراكية، أو الصهيونية أو الأفكار والتصدرات الحديثه الاخرى، فلم يكونوا قد اهتموا بصورة خاصة باى تحول جديد عن الدين .

ومن بين السفاريين (Sephardim) وهم اليهود الشرقيون فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط، نجد أن الإنقسامات التى حدثت بين المذهب الأرتوذكس والمذهب المخالف له لم يتحدث أحد عنها من قبل، ولا عن نزاع حاد كهذا، وبالنسبة للتنوير فلقد جلب مجموعة من المتغيرات على المجتمعات السفاردية أيضاً ولكن الاصلاح لم يجلب معه تحديات خطيرة هامة ضد مجلس الأحبار الأرثوذكس ولا ضد غالبية الناس الذين قد كبروا بتهاون فيما يخص القوانين اليهودية (halachic) بل إنه ظل قريباً من الطقوس والشعائر المتعارف عليها سواء فى المجتمع اليهود أو فى المنزل ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، حينما توقفت الهجرة الجماعية من أوروبا الشرقية بسبب قوانين الهجرة الجديدة الصارمة، فإن ذلك التيار فى شمال أمريكا كان جلياً لاتخطئه العين؛ فهؤلاء المهاجرون اليهود الذين لم يتركوا دينهم بعد لديهم نيه التحرك تجاه المذهب الأرثوذكسى والمحافظ ومن بعدهم يتجه أبناءهم وأحفادهم إلى الاصلاح. وفى بحر عام ١٩٥٠ أمكن لنسبة ١٠ ٪ من اليهود الأمريكان بالكاد أنه يعرفوا أنفسهم كارثوذكس، وقد أدرك علماء الإجتماع ذلك الميل على إنه الأسلوب العنيد الخاص بالتاريخ اليهودى أو على الأقل فى أمريكا، فلقد أشاروا إلى المظاهر الأجتماعية الراهنه وعلى ما يبدو فلقد أخذوا يفسرون تلك الحركة بعيداً عن الديانة والعرف: «والميل إلى التثقف والاستقرار فى النواحى المختلفة.

وفى بريطانيا وبالرغم من وجود تلك الظاهرة فلقد ظلت القيادة اليهودية بيد المذهب الأرثوذكس رسمياً، أما الحركات غير الأرثوذكسية فلم تحقق أى دور بارز كالذى حققته فى أمريكا، وفى أسرائيل حيث كان مجلس «أحبار الدولة» أرثوذكسيا

وكان نصف تعداد السكان سفارديين فلقد حققت المجهودات المبذولة من خلال فروع حركات الاصلاح والمحافظة الأمريكية من أجل بناء أصل ثابت وقاعدة قوية، حققت نجاحاً قليلاً لايعتد به؛ وبالرغم من تأسيس مجلس الأحبار الأرثوذكس المكروه من الشعب فإن الإسرائيليين لم يظهروا أنهم انضموا إلى السكان التابعين للطائفه غير الأرثوذكسية .

وقد حدث ما يلى فقط فى السنوات الحالية حيث بدأ التلاميذ والطلاب اليهود فى كتابة مذكرات حول الأحياء الأرثوذكس وخاصة وبين الهاريديين، وفى حين أن ذلك لاينفى وجود المذهب الآخر إلا أنه قد كان هناك انحرافاً عن المذهب الأرثوذكسى .

أما بين اليهود السفارديين فلقد حدث إرتباك إقتصادى وثقافى بسبب الهجرة الجماعية فى عامى ١٩٥٠ و ١٩٦٠. ولكننا نرى فى السنوات الحالية حركة هامة هى «العودة إلى الجذور» تحدث بين شباب اليهود فى كل من إسرائيل ويهود الشتات «الدياسبورا» .

وإذا ما إعتبر غرض هذا التدفق على أنه حافز للإنحراف عن المذهب

الأرثوذكسى؛ فإن تحقيق ذلك التدفق قد تم ادراكه الآن على أنه سبب لحركة البعث والأحياء، وقد تحاور المؤرخون اليهود بشأن جماعات المهاجرون اليهود القادمين من أوربا الشرقية إلى الولايات المتحدة أثناء ذلك القرن حيث ألقوا بالاحرزه التى يرتدونها أثناء الصلاة (tefillin) فى المحيط فى اليوم السابق لوصولهم لجزيرة اليس أو فى اليوم التالى له حينما ادركوا انهم لابد وأن يتنازلوا عن المذهب الأرثوذكس من أجل أن تكون لهم حياة فى العالم الجديد. وبمرور قرن واحد تغير كل ذلك. واليوم نجد أنه شئ لا يستحق الفزع ولايستحق الذكر حينما نرى مواطنين يهود ارثوذكس من بين معظم سكان نيويورك أو لوس انجلوس وهم يسيرون إلى داخل معابدهم أثناء الجليد أو الحرارة الشديدة. ولكنهم يذهبون سيراً على الأقدام لأنه محظور شرعاً قيادة السيارات فى يوم الراحة .

الفصل الثانى

التقيــد بالحــلال

«الشابات» أن السبت، أحد الثلاثة مفاهيم الأجتماعية الرئيسية للديانة اليهودية، والتى يستشهد دائما بها المفكرون الأصوليون لتعريف اليهودية والتمييز بينها وبين المعتقدات التوحيدية الأخرى. والمبدأان الآخران هما (قواعد الطعام «كشروط») و«وطهارة العائلة-القواعد الجنسية»: «طهارات هاميش باشا».

وإذا سألت أحد الحاخامات الأصوليين أو أحد العلمانيين الأصوليين عن تعريف «جوهر الديانة اليهودية»، فسيجيب بصورة آلية ذاكرا ثلاثة مجالات عريضة فى حيانه ينظمها دينه بدقة. وعلى أى حال، فإنه بالنسبة لأغلبية اليهود، غير أصوليين، وتعتبر هذه «الميتزفوت» المفاهيم الثلاثة، أى التعاليم الثلاثة، تصف طريقة حياة اليهودى التقليدى ولا تُعَرِّفْ اليهودية كديانة، وإذا سألت أحد «الحاخامات» الأصوليين أو أحد العلمانيين عن تعريفه لجوهر الديانة اليهودية، فسيجيب بصورة آلية ذاكرا ثلاثة مجالات عريضة فى حياته ينظمها دينه بدقة وعلى أى حال فإن غالبية اليهود غير أصوليين وتعتبر هذه التعاليم الثلاث «الميتزفوت» وصفاً لطريقة حياة اليهودى الأصولى لكنها لاتعرف الديانة اليهودية

وإذا سئل أحد الحاخامات غير الأصوليين عن تعريفه «الخاص» لليهودية فإنه سوف يفضل الإستشهاد بأحد الحكماء الواردين فى التلمود وهو (هلال) الذى تحداه أحد المسيحيين قائلا: «علمنى التوراة بينما أقف على قدم واحدة»، فأجابه: «لاتعامل الغير بما لاترضاه لنفسك، وما بقى مجرد تفسير لهذا المبدأ»، وقد أعلن حكيم آخر، رابى اكيفا، أن النص التوراتى «حب لجارك ما تحب لنفسك» (١٩:١٨) هى أعظم مبدأ

للتوراة» وبالفعل فإن هذه الآيه منقوشة على حجر بمداخل كل من اتحاد الطوائف اليهودية الأمريكية، وحركة الأصلاح اليهودية، فى الحى الخامس فى نيويورك. وبدون الدخول فى متاهات اللاهوتية، فإن السبل المختلفة التى يرى بها كل يهودى على حدة أو يتجاهل بها المبادئ الرئيسية الثلاثة لليهودية «شابات، كشروط، وطهارات هامشباشا» تعد أداة نافعة فى وصف -وليس تعريف- الصورة الشاملة للعهد الحديث لليهود وتناول قضية الهارديم داخل إطار هذه الصورة المركبة.

شابات Shabbat

جميع اليهود مدركين وفخورين بحقيقة وهى أن اليهودية أعطت العالم فكرة اليوم السابع للراحة. وخلف هذا الأجماع، فإن هناك تباين شديد فى الطرق التى يختارها اليهودى لتمييز الشابات (يوم السبت). بالنسبة للأصوليين، فإن (الراحة) يوم السبت تترجم إلى مجموعة ضخمة من النصوص تحتوى ما يجب فعله وما لا يجب فعله. وليس من المفيد أن نناقش كون الضغط على مفاتيح الإضائة لايتضمن مفهوم كلمة «عمل» ولا يتعارض مع مفهوم يوم الراحة، مثلما ينطبق ذلك على «أشعال النار»، حيث أمرت تعاليم التوراة بمنع ذلك أيام السبت. والهلاشا، وهى قواعد القوانين اليهودية، شئ ثابت لايمكن تغيرة. فالنار هى النار، وأشعالها أمر محرم، بصرف النظر عن كيفية الجهد الذى تختصره التكنولجيا الحديثة للقيام بهذا العمل كذلك القيادة، التى تستلزم أشعال محرك إحتراق داخلى، وبالمثل، ليس من المجدى إدعاء أن ركوب أتوبيس أو قطار أمر مماثل لركوب جواد، والذى يحرمه التلمود فى حال جزبه لغصن شجرة. (لأن تعاليم التوراه تحرم الحصاد فى هذا اليوم). وهو أمر يختلف عن مجرد ركوب الخيل.

وفى التحليلات اليهودية من «اليسار» إلى «اليمين»، هناك مبدئيا بعض اليهود بأنحاء العالم لا يفعلون أى شىء للاحتفال أو تمييز يوم الراحة اليهودى. وهناك ملايين آخرون، لا يتمسكون بالدين بمعنى الذهاب إلى المعابد، إلا أنهم يقومون باشعال الشمعتين التقليديتين فى مساء الجمعة ويتناولون طعام أسرى، وكلاهما فى الوقت الراهن نشاطات أجتماعية ذات أصل دينى واضح. كما أن المحافظين الملتزمين والمصلحين من اليهود، فى الوقت الذى يقودون فيها سياراتهم ويقومون بإضاءة الأنوار- حيث يعتقدون أن قواعد القانون اليهودية «الهلاشا» يجب أن تتقدم مع مرور الزمن- يقومون بتلاوة صلوات الطهارة «كيدوس»وهم يشربون النبيذ فى عشاء ليلة الجمعة، وهذا متطلب أخر «للهلاشا» فى أيام السبت.

وهكذا فإنه بصفة عامه يقوم اليهود الغير أصوليين فى احتفالهم الدينى بيوم السبت بأبراز ما يجب عمله طبقاً لتقاليد «هلاشا» ويغضون النظر عما لايجب فعله إذا تدخل مع المستجدات التقنية .

والأصوليين يلتزمون مذهبياً بجزئية تعاليم الـ«هلاشا». إلا أنهم، يريدون قليل من وسائل الراحة الحديثه ضمن تلك الحدود، وهكذا، على سبيل المثال، يكون لدى الأصولى الإعتدال فى قبول المزايا الحديثة، فى منازلهم ومعابدهم والتى، يتم ضبها قبل يوم السبت، ويمكنهم التتحكم فى أدواتهم الكهربائية المختلفة كما يحلو لهم . أو يستخدمون «مصاعد السبت» التى يتم ضبطها مسبقاً لتقف فى كل دور أو كل دورين، دون الإضطرار لضغط مفاتيح المصعد، والتى تعد ممنوعة، والسماح بهذه الأجهزه يثبت، فى نظرهم، أن «الهلاشا» تتطور مع الزمن، وليست متحجره أو مهجورة كما هى قناعة الحركات الغير أصولية. وبالفعل فإن التلمود نفسه يقدم مثل هذه الاجهزه. على سبيل المثال: من الممنوع حمل أى شئ، حتى كتاب الصلوات

أو المنديل فى الميادين العامه أيام السبت، ولكن التلمود يوضح كيف يمكن باستخدام بعض العواميد وقطع من الأسلاك اغلاق ميدان عام بصوره رمزيه وتحويله مؤقتا إلى ميدان خاص، حيث يتم فيه السماح بحمل الأشياء. والترتيبات، التى يطلق عليها إيروف، يتم العمل بها فى أغلب المدن الإسرائيلية وفى العديد من المدن فى الولايات المتحدة وأوربا. وبالتعاون مع السلطات المحلية، يبدخل الحاخام على شواطئ البحار، الأنهار، الطرق السريعه وكابلات التليفون الموجودة أو محطات الطاقة، فى إطار سياجهم الرمزى، مضيفين بعد ذلك أعمدتهم واسلاكهم الخاصة عندما لايوجدأى نوع من الفواصل .

والهارديم، على الجانب اليمينى للتخيل، لايستطيعون استنكار استخدام وسائل الراحة الحديثه يوم السبت، والتى تضمنتها قواعد القانون اليهود (الهلاشا) ومع ذلك فإن بعضهم يحرم استخدام «مصاعد السبت» والبعض يفضل ألا يعتمد على «ايروف» (احدى ترتيبات التلمود)، حتى لايسقط جزء منها أثناء يوم السبت. ويمتنعون عن حمل أى شئ خارج منازلهم بالرغم من أنهم يضطرون للجوء إلى أجهزة الهلاشا، فهم يضعون مفاتيح أبوابهم الخارجية فى أحزمتهم أو فى مشبك رباط العنق حتى يعتبرون أنهم يرتدونها ولا يحملونها .

بعض أتباع الـ«هارديم» فى إسرائيل يرفض إستخدام الطاقة الكهربائية فى يوم السبت، حيث أنها تولد من قبل يهود يقومون بحرق مبادئ الهلاشا. ويقومون بدلاً من ذلك باستخدام أدوات تعمل بالغاز أو البطريات. أتباع «هاردى يشيفاس» لديهم مولدات كهربائية خاصة بهم تدار بالبترول وبعضهم لايستخدم حتى المياه الجارية يوم السبت، لأن ضخها يتم بالطاقة الكهربائية. وهم يقومون بملأ بعض الدلاء بالماء قبل يوم السبت. والأصوليين الحديثين، على أى حال، وبعض انصار «هارديم»، يستخدمون

الكهرباء، على أثاث انه يجب أستخدامها على أى حال فى المستشفيات لانقاذ حياة الناس. وانقاذ الحياة، فى عرف الهلاشا، له الأولوية على الأحتفال بالسبت.

وطقوس «هاردى» الخاصة بيوم السبت مركزة فقط على طاعة جميع تعاليم «هلاشا»، (وهذا شئ مسلم به)، ولكن أيضاً على المحافظة على الأنماط التقليدية لهذا اليوم المقدس كما ورثت، فأنصار «هارديم» يقومون بطبخ نفس اطعمة يوم السبت التى كانت تطهوها جداتهم فى غابر الأزمان وخاصة اكلة «شولنت» وهو طعام يغلى ببطء طوال الليل ويؤكل فى غداء يوم السبت. ويرتدون نفس الملابس التى كان يرتديها أجدادهم قديماً: القفطان الساتان الأسود والقبعة الفرو (شترايمل). ويقومون بآداء نفس الترانيم الخاصة بالطعام، بنفس اللحن، حول مائده السبت، وبإيمان يقومون باعادة خلق نفس الطقوس بدقة فى معابدهم أو فى إجتماعاتهم الخاصة التى كانت منتشرة بين طائفتهم الخاصة «أن ديرهايم» فى وطنهم السابق أوروبا الشرقيه .

وبالرغم من أن قراءة صحيفة أو ضرب كرة خلف المنزل ليس ممنوعات فى تعاليم «هلاشا» فى يوم السبت، إلا أن تعاليم الـ«هارديم» لاتشجع مثل هذه الأشياء الدنيوية فى اليوم المقدس. فالغرض من السبت هو الصلاة، الدراسة، والإسترخاء الوقور الملائم لذلك اليوم. وفى حين أن التجول بعد الظهيرة شئ ملائم، إلا أن أتباع «هارديم» الجادين يعانون للمحافظة على آحاديث السبت، حتى فى وقت الفراغ، فى صورة وقورة ودينيه. ومع تزايد طوائف «هارديم» فى العدد وفى الثقة بالنفس، أصبحوا أكثر صرامة فى مراقبة هذه التعاليم «الهلاشية» والإضافية، والقيود المختلفة الخاصة بها، ويقومون بأقلمتها مع الوضع «الهلاشى الحديث». وهكذا، فإنه بالرغم من سياسة الهلاشة الجامدة، فإن الهلاشا تتغير بالنسبة للهارديم أيضا. ولكنها تتغير بتبنى متطلبات جديدة، والمطالبة بصرامة أشد فى آداء المتطلبات القديمة .

وجزئيا، فإن أسباب زيادة الصرامة وعدم التسامح بين الـ«هارديم» يمكن أن نجدها فى التسامح المتزايد فى العالم المحيط بهم. على سبيل المثال، هناك «هارديم» مازالوا يعيشون إلى اليوم، خاصة النساء، ومازالوا يتذكرون وجوب الذهاب إلى مدارس غير اليهود، فى حين يذهب أباؤهم إلى المعابد. وفى بعض الدول الأوروبية، كانت المدارس يوم السبت إلزاميه. فكانوا يسيرون إلى المدارس، ويجلسون فى الفصول، ولكنهم يمتنعون عن الكتابة، التى تعد إثم فى الـ«هلاشا». واليوم لا يمكن تخيل مثل هذا السلوك على الإطلاق فضمن أى عائلة من طائفة هارديم فى العالم. والحقيقه أن جميع أطفال «هارديم» يحضرون مدارس خاصة بطائفة «هاردى»، أو على الأقل مدارس يهودية. حتى الأعداد القليلة التى لاتفعل تبعد فوراً من المدارس غير اليهودية من قبل عائلاتهم إذا تطلب وجودهم بهذه المدارس حضور أيام السبت. والبداءل موجودة بالفعل. وعائلات «هاردى» اليوم ترسل أبنائهم إلى المدرسة يوم السبت، رغم عدم إرتكاب إثم بحق قواعد الهلاشا، إلا أنها تصبح منبوذة من قبل الطائفة .

كاشروط

إن التحسن المتماثل فى الأحوال الموضوعية الخاصة بالوفرة والغنى، خاصة فى الدول الغربية، مكن الـ«هارديم» من تطوير المعايير الصارمة الخاصة بالطرق التى يتبعونها فى تطبيق قوانين كاشروط بصورة متزايدة، وهو ثانى أهم التعاليم الأجتماعية. وقد تحولت بعض القيود سريعاً إلى مبادئ مقبولة داخل طائفتهم، وبدت كعلامات إضافية تفرق بينهم وبين اليهود الآخرين. والكتاب المقدس «العهد القديم» نفسه يحدد أى الحيوانات التى يمكن أكلها وأيها غير مُباح لدى اليهود. وتتطوى ضمناً على المتطلب الأساس الثانى لـ «كاشروط» وهو أن الحيوانات يجب أن يتم ذبحها بطريقة معينه. ولكن هناك قليل من الوضوح فيما يلى، ففى حين أنه فى القاعدة الأساسية

الثالثة، والخاصة بفصل اللبن واللحم، فإن التوراة تدعوا فقط إلى «أنه لا يجب سلق لحم الجدى فى لبن أمه» (سفر ١٩:٢٣) . هنا أيضاً، مثله مثل قوانين السبت، ترك الأمر للقانون الشفوى لتفسير الطريقة «الهلاشية» للذبح- عن طريق شق القصبه الهوائية والمرىء- وإخراج الدم عن طريق التمليح والغسل، وعن المحافظة على أن يكون اللحم ومنتجات الألبان منصلين. ومثلما حدث مع السبت «شابات»، فإن الإصلاحات الكلاسيكية التى سادت الصرح الكلى كذرة من القواعد الأولية الخاصة بالصحة والعادات الصحية، فى حين أن اليهود الغير متدينين ينبذون ببساطه القيود الخاصة بالطعام ويعتبرونها مرهقة، وعبء لامعنى له .

ومع ذلك، ومع ذلك، بعد قرنين، مازالت بعض المعتقدات القديمة، سواء كانت بدائية أم لا، باقية بتكيف ملحوظ حتى بين الأكثر بعداً عن الأصوليين وملايين من اليهود الذين لايتقيدون بالحلال سوف يمتنعون عن أكل لحم الخنزير والماكولات البحرية، الكثير منهم لايستطيعون تفسير سلوكهم بصورة منطقية، حتى لأنفسهم .

وبالتقدم فى التحليل الطيفى، نجد أن هناك بعض اليهود الذين يتقيدون أسريا بالحلال على الأقل، وإذا مضينا قدماً فى تحليل الصورة الكلية؛ بمعنى شراء اللحم الحلال فقط لحاجاتهم الشخصية. وعلى أى حال، فإنهم عندما يأكلون فى الخارج، لايكونوا شاذين، ويأكلون اللحوم الأخرى هذه المجموعة الأخيره متمثلة فى كل من الطائفتين الإصلاحية والمحافظة بين اليهود المشتتين فى أرجاء العالم «دياسبورة»، وبين الإسرائيلين الغير أصوليين .

وهناك من يأكلون اللحم الحلال فقط- وهو لحم من حيوان حلال ومذبوح حسب قواعد «الهلاشا» عن طريق جزار مؤهل لذلك. وهذا يستلزم تضحيه فى المال والتذوق، حيث آن لحم «كوشر» يكون عادة أكثر غلاء وهذا يرجع إلى إضافه سعر

الإشراف الدينى. وعلى أى حال فإن هذه المجموعة لاتصر على أن يكون كل منتج غذائى مصدق عليه بأنه حلال من قبل أحد الحاخامات. فإذا كانت المكونات حلالاً، هذا إن لم يكن يحتوى على مواد حيوانية، فإن هؤلاء اليهود يمكنهم أكل هذا المنتج.

ويراعى عدد بسيط من المصلحين اليهود، وعدد كبير من المحافظين، وكثير من الأصوليين الحديثين أن شروط الحلال فى مشترواتهم (كاشروط)، خاصة أولئك الذين يعيشون فى بلاد أخرى غير الولايات المتحدة، حيث لا تحمل المنتجات تصديق الحاخامات وليست متوفرة أو متاحة كما هو الحال فى أمريكا .

وحتى جيل مضى، كان كثير من الـ«هارديم» يشعرون بالرضاء للعيش فى هذا المستوى أيضاً. ولكن الخط الذى يفصل «الهارديم» عن «الأصوليين الخالصين» يجرى على قدر طول مسأله «هشيشريم»، أى التصديق الحاخامى بصلاحية المنتج. فـ«هارديم» لا يمكن أن يأكل أى منتج غذائى مصنع لا يحمل تصديق بالحلال «هيشر». والسبب أنه حتى إذا كانت المكونات حلالة، فإن من الممكن أن يكون قد تسللت بعض الكميات البسيطة من المكونات المحرمة خلال عملية الإنتاج. وتصديق الإباحة؛ يعنى أن مشرف حاخامى قد قام بالتأكد لمنع حدوث ذلك .

ولكن الأمر لاينتهى هنا. ففى أمريكا وإسرائيل، توجد آلاف المنتجات التى تحمل التصديق الحاخامى. ويمكن لاى يهودى يراعى تعاليم الحلال أن يقوم بالدخول إلى أى سوبر ماركت فى أى مكان بالولايات المتحدة، ويخرج ويديه مليئة بالسلع الرائجة وجميعها تحمل علامة OU أو «الاتحاد الأرثوذكس» أو علامة «K» على الغلاف. (والعميل العادى لايلاحظ حتى هذه العلامات، ولايعلم مغزاها). ولكن بالنسبة لأتباع «هارديم» فإن ذلك جيداً بصورة كافيه. فهم يصرون على وجود تصريح حاخامى ومن قبل حاخامات معينين، رافضين السلع التى صدق عليها حاخامات آخرون على أساسى

أنها غير موثوق فيها وعلى سبيل المثال، فإن سيدة بريطانيه شابه من أتباع «هاردى» كانت تطير من إسرائيل على الخطوط الجوية البريطانية ولكنها رفضت أن تأكل الإفطار الحلال «كوشر» الخاص الذى تم تقديمه لها فى الطائرة،كما شرحت للمضيفة الأنجليزية، أنها تحمل تصديق الصلاحية لرئيس الحاخامات الإسرائيلى فقط، وغير مقرون بتصديق الطائفه «الهاردية» فى القدس .

وطائفة القدس واحدة من طوائف «هاردى haredi» العديدة والتى تتبع أنظمة خاصة بها فى تصديقات الحلال «كاشروط»، ويتم الاشراف عليها من قبل «المحاكم الحاخامية» الخاصة بهم «batei dim». وعودة للسيدة البريطانية نجد أنها فى النهاية أذعنت بسبب جوع إبنتها الصغيرة وسمحت لإبنتها بتناول الطعام) .

وعملية التصديق بالإباحة، والتى تعد من العمليات الكبرى لجمع الأموال ، تواجهها منافسات داخلية من الـ «هاردى». بالاضافه إلى أنها مشحونه، مثل كل شئ فى حياة الـ «هاردى»، بالعقيدة والسياسة؛ فطائفة هاردى بالقدس وحاخاماتها مناهضين للصهيونية. فرفض المرأه على الخطوط الجوية البريطانية لتصديق الإباحة لحاخامات الدولة كان يعنى أنها تدلى بتصريح سياسى بالإضافة إلى أخر دينى .

وتظهر مشكلة الصهيونية كل سبعة أعوام، عندما يشهد التقويم اليهودى الشميتة «Shemitta»، وهو العام الذى يجب فيه ترك الأرض المقدسة للراحة بعد حرثها (إصحاح ٢٥) . ففى بداية هذا القرن، عندما بدأ أول المزراعين الصهاينة فى الإستيطان فى فلسطين، قرر رجال «الرابى» المتعاطفين بأن هذا القانون، الذى كان يمكن أن يكون عائقاً أمام عملية بناء المنازل والمزارع الجماعية اليهودية، يمكن التحايل عليه عن طريق بيع الأرض إلى شخص غير يهودى. وبالتالى أصبحت تلك السياسة «الهلاشيه» لرئيس الحاخامات الإسرائيلى. ولكنها كانت مرفوضاً كمبدأ من قبل قيادة حاخامات

«الهاردى» المناهضة للصهيونية، وهكذا فإن الـ «هارديم» فى إسرائيل اليوم يقومون باكل ما يتم انتاجه لدى غير اليهود، والتى تربى فى المزارع العربية خلال عام «Shemitta» ، ويتجنب الـ «هارديم» المشتتين «الديسابورة» فى البلاد أى صادرات إسرائيلية لايتم التصديق عليها من قبل حاخامات الـ «هاردى» بانها مزروعة خلال عام الشميت «Shemitta» .

والكشروط تم تعقدها أكثر بالإختلافات الموجودة فى التقاليد «الهلاشية» بين اغلبية الـ(أشكينازيين) «Ashlenayic» ، واقلية من السفرديم «Sephardic» فى اليهودية. فـ «الهاردى» من الـ«Ashlenayic» (الأشكينازيين)، وهم يهود ألمانيا وبولندا وروسيا، لايمكن أن يأكلوا لحم تم ذبحه تحت إشراف حاخام من السفرديم «Sephardic» ، والعكس صحيح. وتظهر الإختلافات بصفة خاصة فى عيد الفصح، عندما يأكل السفرديم «Sephardic» الأرز، الفاصوليا، والخضروات الأخرى والتى تعتبر ممنوعة للأشكيناز «Ashlenayic» . ومجموعة قواعد(أصولحان اروش) «Shulhan Aruch» تسمح بتناول هذه الأطعمة، ولكن الـ «Shulhan Aruch» التى كتبها رجل الدين الحكيم السفرديمى «Sephardic» «يوسف كارو» فى فلسطين فى القرن السادس عشر، تم نقضها بالنسبة للأشكيناز فى بعض التفاصيل الهلاشيه، بواسطة الحاخام «موش ايسرلى» الذى نشر فى بولندا فى القرن السابع عشر. وهذا يعنى عملياً أن أياً من أفراد الأشكيناز لن يتناول الطعام فى بيت أى سفرديم خلال عيد الفصح، لأن الأطمعه وأوانى المائدة الفضية ينظر لها على أنها ملوثة .

تاهارة العائلة – القوانين الجنسية

"طهارة هاميشباشا"

تعد «تاهارة هاميشباشا» ، من التعاليم الإجتماعية الثلاثه الهامة، وهى قواعد للنقاء الجنسى، وهى تمدنا بأوضح الفروق، بالايدع مجالا للشك، بين الإقليمة الأصوليجة والأغلبية الغير أصولية بين اليهود. فالأغلبية الغير– أصولية، بإستثناء عدد قليل من زوجات الحاخامات المحافظين وعدد صغير من أتباعهن، ببساطه ترفض أو تتجاهل قواعد القانون اليهودى فى هذا المصطلح، الذى يتطلب من المرأة أن تغطى فى حوض الطقوس الخاصة بعد القاعدة انقضاء فترة الطمث ولاتوجد طائفة محافظة أو إصلاحة لديها هذا الحوض الشعائرى أو الـ (متلقى) لهذا الغرض، فى حين أن أغلب رعايا الأصولية لديهم واحدا منها أو تشترك فى حوض الشعائر الخاص بناحيتهم، (ميكف) بالرغم أن نسائهم لايذهبنى جميعهن، وبالنسبة اليهود الديسابورا غير الملتزمين تعد هذه القوانين غريبة أو لم يسمع بها كلية. ومع هذا، فإن جميع الإسرائيليين، يواجهون موقفاً واحداً محددا ولايمكن تجنبه مع قواعد (الهلاشا) الخاصة بالجنس. فالزواج بين اليهود يتم فى إطار القوانين التشريعيه لحاخامات الدولة «من الأصوليين» ، والحاخامات يطلبون من كل «عروس» أن تغطى فى حوض الشعائر قبل ليله زفافها .

وقوانين التحريم الأصلية الواردة فى أسفار موسى الخمسة الأولى تنص بإحكام تقول: «لن تقترب من إمراة لتعرى جسدها خلال بخاستها بالطمث «(سفر ١٨ :١٩) الأسفار الخمسة الأولى نفسها كثيراً ماتشير إلى الإنغماس فى حوض الشعائر كوسيلة للحفاظ على أواستعادتها الطهارة. وطبقاً لذلك فإن قواعد الـ «هلاشا» تأمر بأن المرأة المحيضه يجب أن تمر بهذه الطقوس قبل أن تحل لزوجها بمعنى والسماح لها يالمعاشرة ثانياً .

وهناك قواعد كثيرة ومعقدة لتوقيت الانغماس (وهو على الاقل بعد مرور سبعة أيام من نهاية المحيض، تاركين بالكاد إسبوعين كفترة سماح للمعاشرة فى كل دورة)، طريقته، حجم الحوض، نوعية المياه الخ... ولكن الفقرة الشرطية الأساسية أن المرأه تبقى حائضاً فى نظر قواعد «الهلاشا»، اللهم إلا أو حتى تغمر نفسها كما ينبغى، ولا يغير من هذا الوضع، المحرم مرور الزمن أن أو الحمل أو حتى إنقطاع الطمث فى سن اليأس. والتشريعات المعقدة التحريمية لاتصف فقط عملية الجماع نفسها، ولكن السلسلة الكاملة للتصرفات والاوضاع التى تؤدى إلى الرغبة فى الجماع. بين الزوجين خلال فترة حيض المرأة والتى تمتد حتى اداء طقوس الغطس بعضها واضح بما فيه الكفاية، كالتقبيل أو النوم على نفس الفراش. والبعض الآخر نابع من المجتمع الحديث مثل الشرب بصورة متتابعة من نفس الكوب، أو الجلوس على نفس الأريكه، وعلاوة على ذلك فإن هذه التحريمات تطبق بصرامة أكبر- وبعضها تبدو للعقل الحديث أكثر انتماء لزمن بعيد- كالعلاقة بين الرجل والمرأة غير المتزوجين فأى شخصين من جنسين مختلفين وغير مرتبطين غير مسموح لهما الا نفراد ببعضهما فى نفس الغرفة. والمجتمع «الهاردى» بادئ فى الفصل الصارم بين الجنسين فى دور الحضانة .

فإن الأصولية الحديثة- تلتزم على الورق حرفياً بقواعد الهلاشا بمثل إيمان الـ«هارديم»، وهى بذلك تشعر بالالتزام بهذه القيود. إلا أنهم فإنه عند التطبيق قاموا بعمل بموازنة جوهرية مع الحواثة فى هذا المجال. وبالنسبه ليسار الأصولية فى الواقع الحديث، حيث يتلقى الأطفال تعليمهم فى مدارس مشتركة والحركات الشبابية، ويختليطون بحرية فى الميط الاجتماعى وبالنسبة لممارسة الجنس قبل الزواج فإن للشباب بالأصولى لايعترف به صراحة، إلا أنه منتشر بصورة واضحة فى الحلقات التى تلتزم الشعائر الخاصة بالمبدئين الرئيسين الاجتماعيين الآخرين، (السبت) و (قواعد الطعام) بشكل أكبر من التزامهما بلقيود الجنسين لقواعد الهلاشا .

وبالمثل، فإن بعض المتزوجين من الأصوليين الحديثه، الذين يتقيدون بالقاعدة الرئيسيه الخاصة بالغوص للطهارة متساهلين بالنسبه لتحريمات كبح الرغبات .

وعلى أى حال، فإن «يمين الوسط» الأصوليين الحديثين، المتأثرين بالطهارة «الهارديمية»، يمارسون الأن سلوكا جنسياً أكثر تشدداً. والتعليم المشترك الأن مرفوض من قبل الآباء الأصوليين الحديثين فى كل من أمريكا وإسرائيل، وهم والذين تلقوا تعليمهم فى مدارس مشتركة كما أن السباحة المشتركة تم منعها حيث كان يتم الاستمتاع بها كمسألة طبيعيه. أصبح كثير من السيدات الأصوليات الحديثات يقمن بتغطيةرؤوسهن بقبعة أو وشاح أو شعر مستعار، لأن قواعد القانون اليهودى «الهلاشا» تقرر أن شعر المرأة مثير للشهوة، وأحد نتائج هذا التغير فى القيم هو زيادة الضغوط الإجتماعية على شباب الأصولية الحديثة للزواج المبكر، كما يفعل الـ «الهارديم» .

ومازالت، الفجوة بين «الهارديم» والأصوليين الحديثين فى مجال الأعراف الأجتماعية والجنسية عميقة. وهنا أيضاً، تجعل القواعد الجنسية، الفروقات بين الجماعات المختلفة جلية للنظر- ولكن هنا، فى اليمين المتطرف من الصورة المتكاملة لليهودية، فإن التغيرات الإسمية- من طهارة هاميشباشا، بمعنى الغطس بعد الحيض، والذى يؤخذ بأنه شئ مسلم به وليس مسألة حديث مهذب بين الهارديم، إلى تنسيون «Taniwt» أو الاحتشام، وهو مصطلح يشتمل على مجموعة واسعة من القواعد القانون اليهودى للقانون الهلاش وما يشبه تلك القواعد. كما يشتمل، أيضاً، على مجموعة عريقة من والعادات والاختلافات الدقيقه بين طوائف «الهارديم» المختلفه. وفى حين أن بعض نساء «الهارديم» يلتفين بتغطية رؤوسهن بقبعة، أو وشاح أو شعر مستعار فإن، هناك آخريات مثل بلزر حاسيديم، يرتدين نوعين من الغطاء معاً: باروكة تعلوها قبعة صغيرة إلا أن تحكم السفارديمى «أوفاديا يوسف» يحرم الشعر المستعار أيضاً لأنها

يمكن أن تبدو. كالشعر طبيعى. وفى حين أن أغلب نساء «الهارديم» يقصرن من طول الشعر فإن بعضهن كنساء مياشاديم القدس يقمين بحلاقة كامل شعر الرأس عندما يتزوجن، ويبقينه كذلك، تحت الوشاح الأسود، طيلة الحياة .

والجوارب، وهى شئ أساس لحشمة النساء (تنسيون)، تختلف أيضاً بصورة كبيرة داخل «الهارديم». فبعض نساء الحاسيديم يرتدين فقط جوارب سميكة سوداء، وفى وسط النساء الهارديم الأكثر ويعتقدن أن الجوارب السوداء أو الملونه مثيرة، جداً ويرضين فقط بإستخدام الجوارب المماثله للون الجلد، وكل مجموعة لديها الفرعى بمقدار السمك الذى يجب أن تكون عليه الجوارب ولكن الـ «tsniut» تهتمون بما هو أكثر من الملابس. أنه قاعدة للسلوك اتجاهات عقلية وقواعد حشمة النساء تؤثر على كل جانب فى الحياة، الأكثر عمومية إلى الأشد خصوصية ففى بعض جماعات «الهارديم»، لايشير إلى زوجته علناً (وبالتأكيد لا يفعل ذلك مع زوجة الغير) باسمها الأول، والجيريرها سيديم، الذين ينظرون من الـ إلى قواعد حشمة النساء Tsniut بتعصب، تذهبون فى تشديم إلى أبعد من ذلك، فالرجل لايجب أن يشيروا إلى زوجاتهم ولـ«زوجة» حتى فى الحديث العابر مع الرجال الأخرين، ولكنهم يجب أن تستخدموا عبارة ملطيفة إيجازية. وأتباع «جرير» متشددين حتى بين «الهارديم». ويتذكر أحد الأنجليز ويعتبر من «الهارديم» أنه كان يرشيه أحد أصدقاءه من طائفة الحرير، والذى يتحدث الأنجليزية أيضاً، والذى ظل يسأله بالألمانية قائلا «هل هناك من يعمل فى بيتك؟» فأجابة بصورة ماكرة علما بأنه من غير طائفة الحاسيديم.....» بصورة ماكرة. فعاود سؤاله بالألمانية «لا، لا- فى منزلك...؟) ولكن الثانى استمر فى ادعاءه بعدم الفهم حتى خرج الحاسيديمى بالإنجليزية: «أنا أعنى، هل زوجتك تعمل؟».

ومن الواضح، أن قواعد حشمة النساء Tsniwt تتضمن حظر صريح لأى تعبير

بدنى أو صوتى عن العاطفة بين الزوج والزوجة فى المجتمع. فالإمساك بالايدى، أو حتى اللمسة الحاينة للذراع، ممنوع أمام الغرباء خشيه تهيج الأفكار الفاسقة (التى بدورها يمكن أن تؤدى إلى إنطلاق شهوانى للحيوانات المنوية، التى تعد إثم «هلاش» ونكبة روحية وميتافيزقية) طبقاً لـ «القبلانية» المعارف السرية الدينية. فإن أتباع «الجيرير» يتطرفون ثانية: فى أن فالازواج والزوجات لايتوقع منهم أيسيروا معاً فى الشارع على الاقل حتى يبلغوا لا منتصف العمر. والأنتقال من نقطة «أ» إلى نقطه «ب» بالنسبة لأسرة من طائفة الجرير، عندئذ تتطلب التخطيط الدقيق وشئ من المنطق الرمزى. وهذا أيضاً وأدى ذلك الأمر لزيادة النكات بين طوائف «الهاريديم». (فقد سأل احد اللذين لاينتمونلطائفة الهاسيد» من هى تلك المرأة التى رأيتك معها ليلة أمس؟» فأجاب الجرير هاسيد: «ليست زوجتى! ليست زوجتى!) .

على أن مبالغة الجرير فى الاحتشام تمتد إلى مخدع الزوجية أيضاً ، وقد أصبحت موضوعاً لجدل أقل مايوصف به أن عنيف، داخل مجتمع «هارديين». وقد بدأ أتباع «الجرير» وهو تحت قيادة الرابان للناطق رابى «إسرائيل آلتر» (١٨٩٥-١٩٧٧) حملة ضد «الإفراط فى ممارسة الجنس» فى الزواج. ولكن ماهو مقياس الإفراط إلى الكنيس؟ وقد واظب «الجرير حاسيديم» على مناداة بعضهم البعض للاسيتعاض والتناصح بالذهاب الكنيسه بدلاً من الاسترخاء بجواد زوجاتهم. شيوخ الطائفة، يقودهم «رابان»، بتعليم بتلقين الشباب حديثى الزواج أن يقوم أعضاء الطائفة الأكبر سناً بممارسة الجنس مرة واحدة فى الأسبوع كافية، وأنه ليس من واجبهم إطالة الممارسة الجنسية أو جعلها مصدر لذه لزوجاتهم. ولقد تم تثقيف المرأة بما يجب أن تتوقع، لا تتوقع ويبدو أنهن أيضاً «قبلن» هذا المنظور الخاص بالزواج كغاية دينية. والمقرهم الرئيسى للجيرير فى إسرائيل وفروعه فى أمريكا وأوروبا، ويعتبر الجرير تجمع كبير مؤثر داخل «الهارديم»، وكات لأفكارهم تأثيرها، خلال الأعوام الماضية، على

الطوائف الأخرى أيضاً، مما أثار خنق الشخصيات القيادية التى لاتنتمى «لحاسيدى».
والذى أثاروا الجدل مؤخراً حول تلك الحجج، بطبيعة الحال بتحفظ- مشيرين إلى أن الأصولية اليهوديةستكون، كل قيادها الإجتماعية واشتراطات الحشمةل، يعد بصورة أساسية ايجابية تجاه الحياة الجنسيه للبشر، وتشجع على الممارسات المتكررة الجنسية والممتعة فى إطار الحياة الزوجية، والتعاليم الخاصة بذلك فى فنشر. فالاف الاستشهادات من التوراة والتلمود تدعو إلى ذلك. أنه توجد رهبانيه فى اليهودية، وعلى العكس، فإن لحبر الأعظم نفسه، فى زمن الهيكل كان المفروض عليه أن يكون متزوجاً، وعلى أى حال، لم تكن لتعاليم «هاريدى» المعروفة الخاصة بالـ «Taniut» ولاتعاليم «الجرير» أية أثار سلبيه على الخصوبة فمعدلات الولادة ضمن طوائف الهاريدى غالبة بطل المقاييس. وهذا يمكن تفسيره جزئياً بعدم موافقه رجال الدين على إستخدام العوازل الطبيه (موانع الحمل عامة)، والأجهاض، والحقيقة؛ أنه فى حين أن العازل الطب مرفوض دائماً، إلا أن حاخامات «هاردى» يسمحون للمرأة بإستخدام IUO أو الحبوب إذا كان هناك سبب طبى أو نفس لتجنب الإنجاب. وهذه الأسباب ليست بحاجة للإقناع الكامل طالما حقق الثنائى الـ Mityna الخاصة «كن مثمراً وتكاثر» (عهد ١ : ٢٨)، وذلك يعنى طبقاً لتفسير قواعد القانون اليهودى الزوجين الوصية الخاصة بالإنجاب، إنجاب ولد وبنت على الأقل .

ولكن مثل هذه العلائلات الصغيرة تعد أستثناء، إلى حد بعيد وستدعم الأقاويل بإن «هناك خطأ». وكقاعدة، فإن عائلات «الهاردى» عائلات كبيرة العدد، ومن الطبيعى أن تضم هناك سبعه أو ثمانيه طفلاً، ومن وكثيراً مايبلغ عددهم لإحدى عشر أو الإثنى عشر. لايعد طفلاً وينظر «الهارديم» بعين الرأس للأسرة الحديثه المكونة من طفلين أو ثلاثة أطفال. فالبيت الذى يحج بالأطفال الصغار هى خلاصة الحياة السعيدة كما يميل معدل المواليد بين الأصوليين الحديثين فى أمريكا وإسرائيل للارتفاع عن نظيرة بين باقى اليهودى .

الفصل الثالث

"لم أذهب أبداً إلى بروكلين!"

يعتقد القادة الأصوليون، خاصة فى الولايات المتحدة، من أن النمو الجياش فى الحركة السكانية الديمقراطى والإقتصادية لجماعتهم لا يؤخذ الحسبان بشكل كاف، سواء قصداً أو الاسقاط بتهاون، فى المسح الذى تجربة المنظمات اليهودية الوطنيه من وقت لآخر، ويقول الحاخام «إسرائيل سنجر» المدير الأصولى للكونجرس اليهودى الدولى، «أنهم جميعاً كذابون! «مشيرا» إلى الأحصاءات التى مازالت تقدر عدد الأصوليين إلى اليوم بنسبه ١٠٪ فقط من يهود أمريكا. ويقول أن الاتحادات تقوم برشوة دراساتهم.. [وهو يلمح بذلك إلى أن الاتحادات الخيرية اليهودية القوية فى المدن الكبرى بطبيعتها مناهض للأصولية]. والعدد الذى يمكن تقديمه ذلك هو نمو الطفل. حيث يتجاهلون معدل نمو الطفل الأصولى ويحصون عين ملاك المنازل ويجروا التقديرات الأستقرائيه. إنظر إلى إننى لدى خمسة أطفال، وأفى لديها سته، وأبناء عمى ليس لديهم أقل من ذلك» .

مالكو لم هولين، مدير تنفيذى لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى، وهو أصولى أيضاً؛ وهو عادة أقل عنفاً من «سنجر»، ولكنه أيضاً عبر عن إمتعاضه من ذلك الأمر قائلاً: «التبجح والهراء هو ينطيف فى رأبى ما يسمى على النتائج الإحصائية إذا نظرت إلى الجيل القادم من اليهود الملتزمين- فسوف تحصل على رقم مختلف جداً عن العشرة فى المائه للأصوليين» وقد ذكر «هولين» الجمعيات الخيرية وخاصة الخيرية الثقافيه، كمؤشر ذى دلالة. حيث قال، «أنه فى شهر واحد تلقى ٢٦ دعوة عشاء ضخم- ضم كل منهما أربعمائه ضيف أو أكثر- وجميع الدعوات بتمويل من بعض الأصوليين من أجل مساعدة المدارس الأصولية. وقد دفع

الناس من ٢٠٠ إلى ٥٠٠ دولار عن كل طبعه .

الحاخام «بنهاس ستولير»، مدير منذ فترة طويلة لأتحاد الطوائف اليهودية الأصولية فى أمريكا (المنظمة المسئولة عن (OU) للإشراف الغذائى الخاص «بكوشر»)، أكد أيضاً أن «الإحصاءات تكذب. فالمسح يتم أخذة من قبل يهود علمانيين فى مناطق علمانية لالطعام الحلال)، وبالتقديرات الأستقرائيه. و٩٠٪ منهم لايعملون فى المناطق الأصولية. وأنا أعلم ما يحدث. فقط إنظر إلى وضح الأسكان فى «فلات باش»، أو فى «بوروابارك» [أكبر قطاعات أصولية فى بروكلين، والتى يسيطر عليها «الهاردى»]. اليوم فى «فلات باش»، يقوم سبعة «YESHIVAS» من طائفة اليشيڤا بإقامة مبانى جديدة، بتكلفة من اثنين مليون إلى سبعة مليون دولار. للمبنى الواحد إنها هذه جماعة تنفذ بقوة من خلال الشقوق. ومعدل الوفيات منخفض جداً وهي نسبه ضئيلة قد تصل إلى ١٪.

ولكن الحاخام «إلكسندر شندلر»، رئيس إتحاد الطوائف العبرية الأمريكية (مصلح)، مستعد لأن يثبت أن الأصوليين فى أحسن الأحوال ثابتين بعد.... ويبدو أنهم مستقرين حول نسبة ١٢٪ وأضاف أن هذا رائع. ليست لدى مشكلة مع الأصوليين. فحمى لإسرائيل يشمل الطاغين فى شخص! على أنه يتوجب على القول أن الأصولية التى أحترامتها اشتملت على التواضع .

ولدى بالفعل مشاكل مع الأصولية السياسية المسيسة، والأصولية التى يهيمن عليها حاخامات يبشرون أن على اليهودى قريباً أن يلجأ إلى أحد الكنائس هرباً من الكنيس الإصلاحيين «ويقول شندلر «أنه يتمنى أن يرى الأصوليين يتزايدون» لكن ذلك لايحدث. وأنا أعلم ما يقوله علماء الإجتماع لنا، بأن هناك فئات من الأصوليين، وأن الجيل الرابع والخامس من اليهود الأمريكيين يختارون التيار

«الاصلاحى». وهذه الصور جسدتها لدراسات الطوائف. فلدينا ٨٥٠ تجمع، وملفاتنا زادت بنسبه ٢٥٪ فى عشرة أعوام. لايوجد شئ مشابه لهذا النمو فى الأوساط الأصولية فى أى مكان. قد يكون هناك نمو فى مراكز المدن ، المراكز الحضرية. ولكن دعنا نتحدث عن وسط أمريكا. فمثلاً «ورسستر»، ماسا شوستس. حيث اختفت الأصولية حقيقة» «جارى روزنبلات»، رئيس تحرير صحيفة» بالتيمور جويس تايمز»، وهى أحد الصحف الأمريكية اليهودية الكبرى، قال عن هذا الأختلاف الملحوظ فى الرؤية: «إن المصلحين يشعرون أن الأصوليين resurgence يحرزون بعض النمو. ولكن إلى متى يمكن أن يستمر هذا داخل أمريكا فى القرن العشرين والحادى والعشرين؟ أن نوعية الأشخاص داخل الاتحاد ليست لديها أى إدراك حقيقى بما يحدث داخل الأصولية، وبما يتم تعليمه فى المدارس. خذ مثال عن ذلك فى «LUBAVITCH». فأغلب الأشخاص الذين أغلب نقودها لايعلمون الكثير عنها حولها. والأصوليون من جانبهم يشعرون ببساطه أن الآخرين يموتون، يتبرعون لها بمعظم تقودهم وبالتالى سيتلاشون». مع الوقت مراقب Shrewd أخر لحياة يهود أمريكا، وهو الحاخام ولف كلمان، الذى رأس «الجمعية الحاخامية الربانيه» (محافظ) لعدة أعوام، إذ يقول أن إنبعاث الأصولية ليست بالضبط ما يريدو الأصوليون، ولكنه موجود فلا بأس. منذ أربعين عام، عندما بدأت فى الجمعية الحاخامية الربانيه، كانت الأصولية ضعيفة وتعتمد على الغير لم يكن لديها ملاك منازل Philanthrafic ولا مساندين ذوى نفوذ]. والأن، أصبحوا أغنى الأصوليون أفراد الطوائف بين يهود أمريكا. ووالد «كلمان» كان حاخام «هاسيدى» فى ثورنتو ويقول: «إننى أتذكر كيف كان الناس يحضرون مساء كل سبت، يلفون أيديهم حول أطفالهم الذين كانوا يتحولون عن الأصولية. ولكن أمر لا يحدث الآن فإن اتسرب قد إنتهى، فهم يتمسكون بصغارهم. وأى تسرب حادث فى الجهة الأخرى؛ لقد بدأت الأصولية المعاصرة تفقد مكانها لـ«هارديم» تفقدأرضيتها

التى يزحف عليها الهارديون .

بين الأصوليين ويمد الأصولين فى التصورات بشأن نمو الأصولية، وخاصة فيما يتصل بنمو «الهارديين» الأصولية، هو سبب ونتيجة معاً للتباعد المتزايد بين «الهارديين» والأغلبية الغير أصولية من اليهود. «توم داين» الرئيس التنفيذى للوبى المناحر لإسرائيلى فى واشنطن، لجنة الشئون العامة الإسرائيلية- الأمريكية (AIPAC)، وهو لاعب أساسى أخر فى المؤسسة اليهودية الوطنية، Confids أشار إلى «أنه خلال تسعه أعوام فى هذا العمل لم أيذهب أبداً إلى بروكلين.... إن رجال الكونجرس من هناك موالين جداً لإسرائيل على أى حال، فليست هناك حاجة للتركيز عليهم «وأضاف!» أنا لا أظن أن اليهود الرئيسيين يشعرون بالارتياح من علاة الأصولية. أنه مسألة طائفة Class كما أعتقد. وصورتهم كريهة. هذا ما يمكن أن أقولة الأن فيما جعلتونى أفكر فيه. إن أفراد «البذاء اليهودى الموجد (UJA) أخبرونى عدة مرات أنهم لايريدون الطيران على شركة «العال» بسبب هؤلاء الأشخاص. وحقيقة، إننى أفضل السفر على شركة السويسرية أو لوفتهانزا. ولكننى أصير على طائرات «العال» لأنها مباشرة إلى إسرائيل. وشركة TWA تطير مباشرة أيضاً. ولكن مستواها أقل، مثل الأصوليين. نعم مازالت هذه هى الصورة. صورة المهاجرين الفقراء. هذه هى وجهة نظر كثير من التماس الذين اختلط بهم .

على الجانب «الهاردى» يمكن للشخص أن يسمع تعبيرات مشابهة عن النفور. «فهارديم» عادة تعنى إلى اليهود غير الأصولين مستخدماً مصطلح «يديس» dsparay الذى كان اليهود الروس يستخدمونه لوصف الفلاحين المحليين الغير محبو بين. وقد تربى الأطفال على الفرار من الغير أصوليين وفى نفس الوقت النظر اليهم بشفقه وبكراهية وعلى الصعيدين السياسى والتنظيمى، يقوم قادة «هاردى» فى الولايات المتحدة ببناء هياكل مستقله خارج هذه الطائفه اليهودية العامه. فلديهم مناسباتهم

المصورة فيمقرهم البيضاوى، والممثلين الخاصين بهم فى لوبيات واشنطن لخدماتهم الأجتماعية، ومكتب العمالة المدعم فيدراليا والخاص بهم وبرامج تدريب خاصة. وحملتهم لصالح المساندة الفيدراليه ومسانده الدولة للمدارس الأبتدائية الدينية- والتى حاربوا من أجلها إلى جانب الجماعات المسيحية وتمت معارضتها من قبل المنظمات اليهودية الليبراليه الرئيسية وكسبت أرضية ثابته خلال فترة حكم ريجان وبوش إن. والنقل، الوجبات والفروض أصبحت ممكنة الأن لطالب yeshiwa» نتيجة لهذه الحملة المكثفه، ولوبيات هاردى تأمل فى كسب تسهيلات ضريبية من أجل مصاريف الدراسة .

يقول الحاخام «موش شرير» «لقد قمنا ببناء جديد من اليهود الأصولين لقد زرعنا فيه تقدير الذات. رئيس حزب حوداث إسرائيل نمط فى أمريكا ويذكر أنه فيما كان الشاب «الهاردى» الذى يتحدث عن الطائفه بلكنة بإنجليزية طلقة قرب مايكون لصورة البطل فى «الجيتو». «إنه بإمكانه الحديث لرجل البوليس»، وكان الجميع يتحدثون من يتهمون خلق تقديراً له .

ويعتقد «شيرير» أن النفور الهلاش والإجتماعى بين الأصوليين وغير الأصوليين سوف يؤدى بصورة حتميه إلى تمزق كامل فى اليهودية. وهو وكالات الطوائف البديلة التى يقوم ببنائها، بالرغم من أنها أساساً لا تستهدف هذا الغرض، قد تخدم كأساس تنظيمى سابق الإعداد للأصوليه فى حالة انقسام Token ونفتش السبب«ويرد شيرير» يجب أن نفعل ذلك وإلا سنموت؟ نحن نرى ماسيحدث. تدعيم أنفسنا، لإنقاذ أرواحنا» هل تفضلون موتنا؟ إننا نرى ماسيحدث ومهتمنا وذلك على الرغم من قوة تأثير ونجاح جهود الانفصاليين الهارديين فى إحداث الأنقسام.

الفصل الرابع

راحة ومتعة

فى أغلب الأحيان تُستخدم كلمة «حاسيديك hasidie» فى عناوين الصحف كمصطلح لوصف الهارديين ويشمل كلا من الحاسيديين وخصومهم، والمينتاجديميين «mitnagdim» وبالنسبة لمعظم اليهود هذه الأيام، المنحدرين من أصل أحدى الأطراف الفئات أو الأخرى من أطراف هذا النزاع القديم، فإنه من الطريف أن الفرق بين الطائفتين غير مفهوم لفئة إلا لعدد محدود من الناس ولا علاقة له البتة بحياتهم الخاصة. ومع هذا، فبالنسبة للهاريديم الملتزمين يجعل الماضى حياً . يعتبر الانقسام بين الحاسيديك والمتيتاجديك مازال مسألة ذات مغزى ودلالة عملية.

هذا ومازالت أصول الحاسيدية تطويها الأساطير والألغاز فالخرافات والأضحية، فالحقائق الأساسية والأحدث المحودية غير واضحة، رغم القرب النسبى لزمن حدوثها. ومؤسس تلك الحركة، الحاخام يسرائيل بآل شيم طوف، «المعلم ذو الاسم الطيب» (١٦٩٨ - ١٧٦٠)، وخليفته الحاخام دوف بير ماجيد الميزرتش Maggid of Mezritch (توفى عام ١٧٧٢) بشر بمتعة جديد وتلقائية فى اليهودية ونفذا إلى قلب الجموع، يعلمان أن العبادة البسطية، إذا ما تم تاديتها باخلاص وحماس، يمكن أن تصل بالمؤمن إلى السمو الروحى. وقد أكدا على أهمية الصلاة والترانيم، والصداقة، والألفة، ودراسة لمذهب القباله السرى * . وقد ظهر أنهما يقللان من قيمة نظام القيم التقليدى، المبنى على تعاليم التلمود والتحايل الشرعى وفتاوى الهالاشيك (قواعد القانون اليهودى، بشأن الخير والشر فى المسلك والضمير) .

* القبالة: علم التاملات الباطنيه والصوفية عند اليهود.. ويؤمن أصحاب المذهب بأن الله قد خلق العالم عن طريق العنقين الإلهى.... وهى تجسيد للفكرى الأسطورى فى اليهودية .

ومع هذا فإن قصة حياتهما مليئة بالثغرات، ورغم جهود المؤرخين فليس لدينا صورة واضحة عن شخصيتهما ولا فهما كاملاً لأنشطتهما والنجاح الخاطف لثورتهما الدينية. بجانب هذا فإن الحركة المبكرة، فى مايعرف الآن باسم أوكرانيا لم تتأثر بالتحرر اليهودى فى الغرب. ومن ثم فلم يكن هناك علمانى ومتجرد للأحداث المتعاصرة من الداخل، ومثل تلك الأحداث التاريخية المعاصرة المسجلة فاضت بها أقلام الأعداء المتيناجيد الخبثاء لبال شيم كوف وماجيد الميزريتش، أو من الزيارات المختصرة العارضة من جانب الماسكيليم Maskilim (دعاة الاستنارة اليهودية)، الذين كان لهم أهداف شخصية يسعون إلى تحقيقها .

وقد كتب الحاسيديون أنفسهم سرداً للسيرة الذاتية التى نزعت لأن تكون مطولة حول صنع المعجزات، والتنبؤ والتخاطر، لكنها قصيرة مما يثير الشفقة حول المجالات الأكثر دنيوية للتطور الشخصى والمهنة العامة للتابع. ومازالت تلك هى الأسلوب الأدبى المفضل فى عالم الهاردى haredi، كما أنها شائعة على حد سواء بين الحاسيدين والميتناجيد. وفى سرد السيرة الذاتية الهاردى، فإن الحاخام أو البطل الحاخامى يظهر بشكل ثابت نبوغا أكاديميا فى سن الثالثة، حيث أنه كان موهوبا بسمات شخصية طيبة وعطوفة، وعادة ما كان ذو قوة خارقة للطبيعة أو على الأقل قوى ذات حساسية مفرطة.

هذا وقد بحث العلماء فى ضوء علم الاجتماع عن جذور الحاسيدية بانهيار ادعاءات شاباتى زيفى فى القرن الماضى وجاكوب فرانك فى منتصف القرن الثامن عشر بأن كل منهما «المخلّص المنتظر»، فضلا عن هذا فقد جذب كلا الرجلان، وعلى الأخص شاباتى زيفى، عددا كبيرا من الأتباع من كل الشتات اليهودى وأثار آمالا عريضة وكبيرة والتى، عندما اصيبت بالخيبة بعد إعتناق زيفى الإسلام فى آخر الأمر،

أو حدث فترة من الكآبة والقنوط .

وبالتأكيد فإن الأعداء المعاصرين للحاسيدية المبكرة، بقيادة أكثر كتاب التلمود البارزين فى ذلك العصر، الحاخام اليشع، جاعون فيلنا، أوجد العلاقة بين بال شيم طوف والمدعين بأنهم «المخلص المنتظر». وهكذا يمكن فقط فهم عنف وتعصب معارضيهم- والذى إنتهى يحرق الكتب والاتهامات الزائفة لسلطات القيصر أعتقدوا أنهم يتعاملون مع منشقين عن العقيدة ومن المحتمل، إذا ما تركوا دون أن يُكبحوا، أن يُحدثوا كارثة تاريخية أخرى من الخيانة والردة فى صفوف الشعب اليهودى علاوة على ذلك فإن الواشين من متيناجيد الذين دبروا عملية سجن الحاخام شنيور زالمان من لوبافيتش بسانت بطرسيرج لابد وأن يكونوا قد افترضوا أنه لن يعود حيا. وبعد ذلك فقد اندحرت تقريباً الاتهامات بالخلاص المنتظر الكاذب- حتى بعثها من جديد مؤخراً الحاخام شاس ضد حاخامات لوبافيتش الحاليين .

ويرى المؤرخون أيضاً فى بال شيم توف وحركته عصيانا ضد ضيق افق علم الحاخامات فى ذلك الوقت، والتى نزعت إلى التسلطيه المتعجرفة، مع وضيق المجال أمام «غير الدارسين» لتطوير طاقته الروحية، ومن ناحية أخرى، وفى «القاعة» الحاخامية، التى كانت تتناول بسرعة خاطفة حماس وسحر التجربة الروحية الجماعية، تكمن الحاسيدى من أن نسيان السعى اليومى المطلوب للمعيشة، وقد أمكنه أن ينسى، أيضاً إحساسه بالتذمر وعدم التكيف فى مواجهة النصوص التلمودية المبهمة والمعقدة. بجانب ذلك فان بإمكان روحة أن تسمو بالعظات الدينية النبيلة والصوفية الحاخامية، وتلك على أية حال هى الصورة الرومانسية- والتى تدعو إلى الازدراء ولقد عززت تأييد اتهام المتيناجيد بان القادة الحاسيدين الأوائل، وأيضاً الحاخامات فيما بعد، كانوا من الرجال الجهلة الذين استخفوا بالتعليم.

وهكذا أصبحت الإشاعة الكاذبة بالجهل من أقوى البواعث للمنافسه بين الحاسيدى والمتيناجيد وقد برهنت على أنها سهلة التكيف على نحو لافت للنظر، بافتراض أن البعض من كتاب التلمود والأكثر إكتساباً للشهرة فى المائتى عام الماضية كانوا من الحاسيدية، وفى بعض الأحوال من حاخامات الحاسيدية. وهكذا فإن بال شيم نفسه جذب العديد من الحاخامات القيادميين ليصبحوا من أتباعه، كما لوحظ أن العديد من المشاغبين للماجيد كانوا من مؤلفى الهالشيك halachic، ومن بينهم شينيور زالمان من لوباڤيتش. ومع هذا، فان التعميم الذى كان يتكرر فى أغلب الأحيان من أن الحاسيدين غير متعلمين لازال حتى هذه الأيام ليصبح أكثر من طالب وخريج جامعة من يهود المتيناجيد بإحساس معتد بنفسه من التفوق، ولغزى شعوراً بالدفاعية والاستياء بين الحاسيدى.

ويقول الحاسيدى أن سوء الفهم بدأ مع بال شيم نفسه، فهو الذى «حجب» مواهبه العظيمة، وعاش لسنوات،كحراجى بسيط وفيما بعد كمدرس بالمدارس الأولية قبل أن «يكشف عن نفسه» فى النهاية لأسرته ومؤيديه المقربين. وكما جاء فى تعليلهم، فإن هدفه كان مقاومة الكبرياء الخبيث الذى يجئ مع الإعتراف العام بالانجازات العلمية أو الإنتماء للأسرة والأفضل من ذلك– بالنسبة للروح، بمعناها، الاعتقاد بأنها ساذجة وجهولة، وربما تكون القصة مشكوك فى صحتها، أو أنها تجافى العقلانية وتجسد الجنوح المعادى للمذهب العقلى والموجود بين الحاسيدين، والذى يكبل النضال الدائم الحاسيدية الأولى لكى تهزأ بالسلوكيات والضغوط الاجتماعية التى تكبح التحليق الحر للروح.

وبصراحة كان هنالك إسراف وإستفزاز على كلا الجانبين. ولقد أسس أحد جوارى الماجيد، وهو الحاخام چاييم هابك من أمدور، جماعة من الرجال، ولقد أسس أحد المتشابهة الذين (إذا ما كان هنالك تصديق للغضب المتفجر العنيف المفاجئ

للميتناجيدية) كانوا متعودين على القفز والتخطى والوقوف على رءوسهم أثناء الصلاة. كما أنهم من المحتمل أن يصلون بشكل ثابت فى وقت متأخر عما يسمح به وقت الهاليك، فضلاً عن هذا فانهم يرتدون ملابس شاذه وعن عمد، ويضعون أحذيتهم ذات السيقان العالية فى الاقدام الخطأ وقبعاتهم داخلها إلى الخارج- ويبذلون كل جهدهم لتحطيم الرغبة البشرية الطبيعية للحصول على إجلال واحترام المجتمع. وبهذه الطريقة فقد نجحوا كما ينبغى. ولقد حرمهم حاخامات المنتاجين كنسيا وطردوهم من المدينة.

ولقد كشف مؤلفو المنتياجين الذين صاحبوا تلك المعارك الأولى أن «السر الجديد» فعل شيئا آخر ضئيلاً لكنهم مع هذا وقفوا على رؤسهم، ورغم هذا فإن حاييم هايك نفسه كان مؤلفاً لأحد الكتب المعروف على نحو نادر، وقد تم نشره بعد فترة طويلة من وفاته، والذى كشف المؤلف باعتباره واعظًا دينياً ذا حساسية وبعد نظر مرهق.

ومن خلال الماجيد، انتشر الحاسيدية خلال أوكرانيا وإلى بولندا، وروسيا البيضاء، وهكذا أصبح الكثير من تلاميذه حاخامات بحكم أحقيتهم الشخصى بعد وفاته، مشيدين المبانى الكبيرة ومؤسسين للأسر، ولقد إحتفظ البعض ببساطة وروحانية الحركة الأولى، وفضل البعض الآخر الحياة الراقية، وصاروا أثرياء على حسب الهبات النقدية لاتباعهم. وتسبب هذا فى توجيه الاتهامات بالفساد، تلك من قبل المنتياجيد المستعدين للمعركة، والذين يظلوا أقوياء، وعلى الأخص فى ليتوانيا وأجزاء من روسيا البيضاء، ومن قبل علماء المذهب العقلانى «المتنور» فى الغرب، والذين كانوا يعيرون الحاسيدية تجسيداً للبدائية. ولقد وفاة المؤرخ الالمانى اليهودى فى القرن التاسع عشر، هيزين جرتيس «زادت البربرية والانحلال..».

ولقد وجه ناقدوا الحاسيدية إحتقارهم إلى الإفراط الذى له علاقة بالأسر الحاكمة لما أسموه باحتقار «الزاد بكيزم». ولم ينتقل التاج فحسب فى معظم قصور

الحاسيدية من الوالد إلى الابن، وفى بعض الاحيان بنظرة استخفاف لصلاحية الابن، بل فى كثير من الأحيان لكل ابن، وحتى كل زوج إبنه، لأحد الأحبار المتوفين أو القديس كان يبنى قصراً خاصاً به كان من المتوقع، ومطلوبا من الحاسيدية أن يحافظوا على هؤلاء الأمراء الذين يصبحون ملوكاً فى الدولة التى أصبح فيها سلفهم متعودون على ذلك الوضع.

فضلاً عن هذا فإن العداء بين النوعين من الحاسيدية يهدأ إلى حد ما من قتالهم المشترك ضد أصحاب المذهب العقلانى المتنورين فى العديد من مظاهره، وهكذا فقد كان ذلك هو الأساس المنطقى وراء إقامة اجودات إسرائيل عام ١٩١٢، وهى منظمة سياسية مشتركة من الحاسيدية والمنتياجين بقصد محاربة الصهيونية وضد تزايد الحركات غير الأرثوذكسية فى اليهودية، والتى كان يعتبرها الهارديم Haredim أنها ثمرة المذهب العقلانى المتنور.

ورغم هذا، كانت الحاسيدية بكل حماسها الدينى وجاذبيتها الشعبية، والتى ثبت أنها أكثر أذرع الحاسيدية مرونة فى المعارك ضد الغزوات المتعددة للعصرية. ومن بين اليهود الذين بقوا فى أوروبا الشرقية ولم يهاجروا إلى الغرب، كانت أسر الحاسيدية إلى حد ما أقل نزعة عن المينتاجيد إلى العلمانية، وهكذا كان عدد قليل ممن نجوا من الإبادة الكاملة، والمحتفظين بمقعدهم الهاريدى هم نواة صحوة الحاسيدية فى العقود الأخيرة.

وفى الواقع كانت تلك خاتمة لواحد من أكثر حاخامات المنتياجين البارزين فى هذا القرن، حزقيال أيرامسكى (١٨٨٦ - ١٩٧٦) لقد كان من الحاسيدية فى لوبافيتش الذين يعملون فى ظروف من الحرمان والخطر فى روسيا ما بعد الثورة، وقبل ان يفر بنفسه إلى أنجلترا، حيث أصبح رئيساً لبيت دين (الربانى). وفى أواخر سنواته

كأكبر الكهان المسئولين عن سلايودكا، وهى من اليهود منتياجين القياديين فى إسرائيل، كان يشجع طلبة الحاسيدية لقضاء عيد الحصاد مع أحبارهم، مفسراً بان المنافسة العتيقة لم تعد صالحة، وان تاريخ الهاريدى قد دافع عن الحاسيديين .

الفصـل الخامس

أطياف من السواد

لقد تشرب أعداء لحاسيدين بالأمس فى الحقيقة العديد من السمات التى سبق وأن ازدروها. وأهم تلك الحالات الواضحة ذات الأهمية مسألة الملبس. وفى هذه الأيام فإن الذكور- من الحاسيديك أو منتياجديين (السيفارديك الهارديم على وجه العموم يتبعون قيادة المنتياجديين)- قد شرعوا فى أن الظهور عن عمد لشكل مختلف عن غيرهم من الناس، ولم تكن تلك هى القاعدة الدائمة ففى الماضى، برر الحاسيدية نقطة اختلاف فى المظهر عن الآخرين حولهم، بينما حاول المنتياجد أن يظهروا بنفس المظهر.

هذا وقد شجع يهود المنتياجين العظام فى ليتوانيا طلبتهم فى وقت مبكر من هذا القرن على ارتداء الزى المساير لزمنهم، ملابس ذات ألوان وقدرة، وقمصان بيضاء بياقات منشاة، وأربطة عنق وقبعات حديثة، ووجنات ناعمة حليقة (تتم باستخدام بودرة ذات رائحة رديئة، دون استخدام الموسى، والذى يحرمه قواعد القوانين اليهودية الهاليك). أما هذا المظهر «العصرى» الأنيق الذى يتفق مع تعاليمهم الفلسفية "gadlut hadam" عظمة الأنسان. كان طالب التوراة يدرب على الشعور أنه بإمكانه رفع هامته عالياً فى المجتمع، وفى نفس الوقت فقد احتفظ الحاسيدية، بإخلاص لتعاليمهم الخاصة، غير عابئين باللحية غير المهذبة وخصل من الشعر الجانبى مجعدة، كما كانت سترتهم الطويلة تزرر بطريقة خاطئة لمجرد تجسيد الاختلاف، وكذلك سراويلهم القصيرة الواسعة وأحذيتهم غير الأنيقة، ولم تكن هناك أية محاولات للتغيير مع الزمن، بل على العكس تماماً.

وبعد قرن لم يتغير أى من المعسكرين بل ظلا كما هما من حيث المظهر الخارجي. لكن بالنسبة للمنتياجين فإن ما يعنيه ذلك هو التعديل الراديكالى لطريقة فهمهم السابقة، وقبول، فى الواقع للمعتقد الحاسيدى بأنه لابد وأن يبدوا الهاريديم مختلفاً عن بقية المجتمع، والأسلوب الوحيد الواضح لتحقيق ذلك هو إرتداء ملابس عتيقة أو متنافرة.

وهكذا لا يمكن أن نخطئ الشخص الهاريدى - منتياجين هذه الأيام، فمن ذلك هو الشخص الآخر الذى يرتدى بدلة سوداء، وقميصاً أبيض ورباط عنق فى وسط موجة الحر التى تجعله يتصبب عرقا فى نيويورك أو تل أبيب؟ ومع هذا فان يهود لثيوانيا يصرون على أن يحتفظ طلبتهم بتلك الملابس الطويلة غير المسايرة للزى الحديث كما أن عمداء اليشڤيا أنفسهم، وبعض حاخامات الوعظ والتبشير من الهاريدى، يرتدون الفراك (سترة رجالية تبلغ الركبتين) من عصر إدوارد. وهذا المظهر الجانبى الذى كان مطلوبا بالضرورة فى مجتمع مهذب منذ عقود مضت كان موقوفاً على الأهمية الدينية.

وفى المجتمع الحالى فإن بعض المنتياجين يبدون بتباه لخصلات الشعر الجانبية الطويلة مثل الحاسيديزم، كما أن العديد قد تعود على لبس السترات الطويلة بدلا من سترة البدلة الطويلة، وعلى الأخص فى عيد الحصاد. والفحص عن قرب مازال يشير إلى أنهم رغم هذا مستقلين عن الحاسيديزم. فخصلات شعره الجانبية ليست طويلة كخصلات شعر الحاسيدى عادة، كما أنهم يميلون إلى تثبيتها خلف أذانهم بدلا من تجيدها أو أن تكون مدلاة على أكتفاهم مثل بعض الحاسيديزم، أو تكون مجمعه تحت قبعاتهم مثل البعض الآخر، أو ملفوفة حول أذانهم فى اختلاف ثالث شائع للحاسيديزم. (وهذه الممارسة الأخيرة ينتج عنها مجموعات حاسيديك يكون فيها

للذكور آذانا صغيرة، أشبه بالصدفات)، وأكثر من هذا، فإن قبعاتهم السوداء، عادة ما تكون وفقا لاسلوب الفيدورا Fedora أو الهومبورج homburg حيث رفض الحاسيديزم أى فراغ فى التاج.

فضلاً عن هذا فان السترات الطويلة لمنتياجين يمكن تمييزها كذلك عن تلك التى يرتديها الحاسيدى أمام أعين الدارسين، على الأقل فى عيد الحصاد. وأكثر من هذا فأنها مصنوعة من نفس مادة الجوخ كسراويلهم، وليست من الجبردين الاسود اللامع، أو من قماش الحرير (أو الحرير الاصطناعى البديل)، وهذا هو عيد الحصاد الحاسيدى ومفخرة الأعياد.

ومهما كان طول سترتهم، فإن المنتياجين يتحاشون الحزام الأسود الشبيه بالحبل أو الرباط الذى بدونه لن يصلى الحاسيد، يقترب من الأحبار، أو يؤدى أى طقوس أو شعيرة، وتتطلب الهالاشا halacha «إنفصالاً بين القلب والأعضاء الجنسية». ويقول المنتياجين أنه يمكنه إنجاز ذلك بواسطة حزام السروال المعاصر، إلا أن الحاسيديم يذكرون نوعا آخر من الهالاشا ولاسباب فلسفية دينية سرية لدعم موقفهم. والانقسام فى الرأى بشأن ذلك التجهيز الصغير نسبياً يتسلل إلى الأعمال والحزام ، وأكثر عن أى شئ آخر، يُعتبر السمه المميزة للحاسيد.

ومن بين طوائف الحاسيد أنفسهم يُوجد اختلافات دقيقة فى الملبس، فالبعض يلبس بنطلونا قصيرا يُربط أسفل الركبه، حتى يمكن رؤية الساق بجوربها الأسود أو الأبيض (اعتماداً على الطائفة) أسفل ستراتهم الطويلة والبعض الآخر يرتدى بنطلونا قصيراً مزموماً عند الركبة أشبه بالبنطلون الرياضى، مجتمعا فوق الكاحل (رسغ القدم)، وبعض الطوائف قد اختاروا سراويل ذات أحجام عادية، والبعض الآخر يرتدى سراويل

ذات أحجام عادية فى منتصف الأسبوع، والأقصر، التقليدية يوم عيد الحصاد، وسراويل الحاسيديزم، من أى طول عادة من ماتكون من أقمشة داكنه اللون، لكن فى بعض الطوائف يرتدى الأحبار بنطلونات مرسوم عليها أنياب.

أما الجيررز Gerers وطوائف الحاسيد البولندية الأخرى فإنها لا ترتدى الشترايمل Shtreimels ، وهى مسطحة ومستديرة ومصنوعة من ثلاثه عشر قطعة من جلد الحيوان غير المدبوغ- وفى بعض الطوائف من ست وعشرين، وكل طريقة إعداد لها مغزى فلسفى، دينى، سرى- إلا أن السبوديكس Spodiks ، وهى أطول وأضيق، فأنها تكاد تشبه قلنسوة القوقاز، والنوعية الجيدة من جلد السيوديك القاتم من الممكن أن تكلف العريس الجديد (أو حماه) عده مئات من الدولارات، ومع ذلك فان الشتراميل الرقيق من الممكن أن يكلف الآلاف. واللوباڤيتشرين، وحدهم من بين الحاسيديزم، لا يلبسون القبعات الفرو كلية، لكن الترالبيس Trilbies الأسود ذات الحجم العادى فى وسط الأسبوع وعيد الحصاد.

وإذا ما شاهدت هذه الأيام واحدا من الهاريدى فى ملابسه الملونة والمريحة التى يفضلها معظم البشر، فمن الواضح الافتراض بأن يتحول تدريجيًا من الهاريديزم إلى الأرثوذكسية، أو ربما أبعد من ذلك إلا أن التأثير الأعم للحاسيديزم على أغلبية الهاريديزم هذه الأيام أبعد بكثير عن الملابس؛ فضلاً عن هذا فهناك استيعاب وتحول إلى الدولية مستمر بواسطة المنتياجين للقيم الرئيسية للحاسيد- التلقائية الروحية، الغناء والرقص، والاسترسال فى العاطفة دون خجل- والمنتاجينزم، تقريبًا رغمًا عن نفسها، ليست صارمة إلى حد كبير كما كانت فى ذروة معاركها ضد الحاسيديزم.

وهكذا فإن الاقتران بين الهاريدى- منتياجين فى هذه الأيام صاخب ومفعم بالحيوية كما هو الحال بين الحاسيديزم، ومن ثم فإن الشباب من الرجال والنساء

يدورون كالدوامة فى دوائر تجعلهم يتصببون عرقا، يرقصون بنفس الخطوات السريعة وعلى نفس الأنغام – أنغام الحاسيديك، وعادة ما ترتبط بخمس أو سبعة فرق من نفس النوع ومجهزة بأحدث أجهزة الإستريو.

وبالطبع فإن دوائر الراقصين تكون منفصلة كليه. فرجال ونساء الهاريدى لا يجلسون سويا فى حفلات الزفاف أو المناسبات العامة الأخرى، ومن النادر أن يرقصون سويا، حيث أن ذلك ممنوع وفقاً لمعتقدات الهالاشيكالى، وفى معظم حفلات الزفاف، يتم هذا الفصل عن طريق فصل الحجرات– ستائر– سلال نبات السرخس أو حواجز متحركة– وتوضع وسط القاعة. وفى بعض الأحيان، فان هذا الفصل الجسدى يتوقف لفترة قصيرة بالنسبة للعروس والعريس، حيث يُسمح لهما بالجلوس جنبا إلى جنب عند مقدمة المائدة، ولكن ليست تلك هى العادة، فبين معظم المتناجين، وكل الحاسيديم لابد وان يفترق العروس والعريس (اللذين يكونان بالكاد قد قضيا وقتا مع بعضهما قبل زفافهما) بعد الحفل، القبه huppa (القبه التى يقام تحتها الاحتفال)، ويقضيان بقية حفل الزفاف بعيدين عن بعضيهما، تتناول العروس الطعام وترقص مع النساء والعريس مع الرجال.

وفى الحقيقة فإن بعض حفلات زفاف الحاسيديك تتم فى قاعتين منفصلتين واحدة لكل جنس، وتقضى معتقدات الهلاشا بوجوب استماع العروس للبركات التى تتلى بعد تناول الطعام، وإحتساء الخمر، وعلى هذا ولتلك الأسباب، فانه يسمح لها على مضض الدخول والجلوس عند حافة «قاعة الرجال» ومع هذا، فان الحاسيديزم ينهون حفلات زفافهم بالعادات القديمة والجميلة للميتز ڤاتينسل، وذلك عندما ترقص العروس لفترة قصيرة مع أقاربها الذكور المختلفين ومع الحاخامات وغيرهم من ضيوف الشرف الذين يكونون مدعوون للبقاء لهذه اللحظة الودية والمتحررة.

ويتم الرقص باستخدام منديل أو حفاض طفل (وأحيانا يستخدم حزاما)، حيث أن أى اتصال جسمانى بين رجل وإمرأة محرم على نحو صارم وفقا لمعتقدات الهالاشا. وفى الوقت الذى تعزف فيه الفرقة الموسيقية موسيقى Klezmer (موسيقى تقليدية) لحنا بطيئاً ولطيفاً، تدور العروس ورفيقاتها فى ارتباك، بينما يرقص الرجال الآخرون حولهم وتراقبهن النسوة عن بعد، وبعد دورات قليلة، يلق العريس بطرفه المرتبط بالقماش إلى الراقصيين الآخرين. وأعلى درجة فى رقصه العروس هى رقصها مع العريس. وهنا يستغنى عن القماش، ويمسك الشابان بيديهما ويرقصان برزانة وبجر القدمين على الأرض مع الموسيقى.

وهنالك شئ آخر جوهرى للحاسيديك فى هذه المناسبة، خليط من المعتقدات الدينية العملية والسابقة التى تتبدد مع الحركة. (كان أساتذة الحاسيديك الأوائل مولعين بالفلسفة الدينية السرية وتخيلاتها الجنسية الصريحة، والتى يستشهد بها فى الشعر والنصوص الخفية، لتمثل الاتحاد الصوفى بين الرب وإسرائيل).

ولقد أوجدت الميتزفنتسل فى حفل زفاف «طبقة» الحاسيديل فى بناء براك Bnei Bark منذ بضع سنوات مضت صورة لأحد المشاهد الملونة. لقد كان العريس إبنا لأحد الأحبار المحليين من أصل رومانى، النادفورنر Nadvorner. بجانب ذلك فقد جاء جد الحبر الشيخ الجليل المبجل للعشيرة، من نيويورك لحضور تلك المناسبة، متألقا بسترته البيكيش bekeshe الزرقاء المتألقة (ستره حريرية) وأمتع الصحبة بالعزف على كمانه وواحدا فواحد، أعمام وأخوة العريس، جميعهم من أحبار إسرائيل أو أمريكا، كل منهم يرتدى بيكيش مطرزا بالوان مختلفة من خيوط الحرير المقصب، أخذوا دورهم فى الرقص مع العروس.

ومن المحتمل أن يجادل المنتياجين بانه كان هنالك الكثير والكثير من التحول الهام للتأثير على استيعابهم لثقافة ملابس الحاسيديك، بمعنى أن يتبنى جانب الحاسيديك لقيم المنتاجين الأساسية للدراسة النظامية للتلمود. وكانت حركة أوائل يهود الحاسيديك فى بولندا المستمرين وفقاً لخطوط يهود ليتوانيا، الهاشماى (الرجال الحكماء) لويبلين ، قد تكونت فى أقل من عقد قبل الإبادة الكاملة، وكانت تعتبر فكرة عظيمة وقبل ذلك، ثقافة التلمود فى مجتمعات الحاسيديك غير رسمية إلى حد كبير، عملية غير منظمة (رغم أن الحاسيديم من المحتمل أن يردوا بالحجة على أنها أفرخت العديد من العلماء الممتازين، وجمهور مثقف).

وفى هذه الأيام، فان كل فرع من الحاسيديك، والذى يحظى باحترام ذاتى، لابد وأن يؤمن بتعاليم شيڤيا، كما أن الأفرع الكبرى قد طورت شبكات تعليمية كاملة، بوجود معاهد للصبيان والبنات فى المقر الرئيسى للأحبار وفى المراكز الرئيسية للطائفة فى مكان آخر وهكذا فإنهم يوفورن التعليم منذ الطفولة إلى سن الزواج، وبالنسبة للرجال فهناك الكويليم Kollelim أيضاً– تعاليم يشيڤا المتقدمة حيث يمكنهم أن «يظلوا فى التعليم» فيما بعد الزواج. وفى الواقع، فان اقرار التكيف مع تركيبة يشيڤا «ليتڤيشر» (اليهودية ليتوانيا) قد أثبتت، ربما من المفارقات، أن الحاسيديزم المعاصرة تعتبر نجاحا خبيثا. ولم تفرخ «يشيڤيت الحاسيديك» الخريجين المدربين على التوراة فقط، بل أيضاً الحاسيديم.

ويقول الحاخام نافتالى (رب نافتولش) هالبرسقام، الإبن والوريث الاحتمالى لبوبوقرريى من بروكلين، نيونيورك: «إن سر إزدهارنا الذى يمكن ملاحظته، شكرا للرب، فى عالم واحد، لشيڤيا». ولقد وصف كيف أن أباه، سليل أسرة كبيرة من الحاسيديك فى جاليسيا Galicia، والتى محاها النازيون كلية، وصل أمريكا فى عام

١٩٤٦ ، وحيدا وناقما. وأقام الشول Shul (معهد يهودى) فى أعلى الجانب الغربى من مانهاتان، دون أن يعرف، ويستعيد الإبن الذاكرة، وعلى وجه تعبير عن الاستياء، «بالكاد لدينا مينيان minyan (مجموعة مصلين مختارة من عشرة رجال) فى الشابوس Shabbos» . وفى آخر الامر أنتقل إلى بيئة أكثر كرمًا فى بروكلين، أولا إلى قطاع مرتفعات كراون، وبعد ئذ إلى بورا بارك.

غير أنه كان يوجد العديد من مثل هؤلاء الأحبار اللاجئين فى نيويورك، فى ذلك الوقت، وكان البعض منهم من الرجال ذوى الكسور المتعذر إصلاحها، وآخرين، مثل الحاخام شلومو من بوبوف، قرروا إعادة الحياة التى تم تدميرها، وقد مد يد العون إلى البويوتر إحدى الشخصيات المليئة بالمحبة غير المتحفظين، والذى يبتسم ابتسامة ترحيب، وهى منحة نادرة لسرد القصص وذخيرة لا تنضب من قصص الحاسيديك التى جذبت الناس إلى مائدته، أو وجبات الأعياد. إلا أن مفتاح نجاحه كان فى اليشفيا التى أسسها بسرعة جنبا إلى جنب مع قصره المتواضع. بجانب هذا فقد استخدم أفضل المدرسين، بصرف النظر عن انتسابهم إلى الحاسيديك أو المنتياجيديك. وقد قبل أى شاب أرثوذكسى يتطلع إلى التعليم.

وهكذا دخل الطلبة دون أى تعصب طائفى ويزغو الحاسيد بويوفر، فى هذه الأيام، فى المعبد اليهودى لليوبوفر الضخم، المغطى بالرخام وفوق ذلك فانه يدل على حسن الذوق على نحو ما تقتضيه الحقيقة فى بوروبارك– وقد تم تشييده عام ١٩٨٨ ،إلا أنه بالفعل صغير جدا بالنسبة للمجموعة التى تنتشر بسرعة– وهنالك عدد قليل من الذين يمكنهم الإدعاء بانهم من سلالة يوبوفر «من المسقط» ، يعود إلى الوراء لبولندا ماقبل الحرب ، إلا أنهم قد أصبحوا جميعاً يوبوفرحاليا، جسدا وروحا، جزاء من طائفة تزدهر بسرعة بالاف المنتسبين إليها. بجانب هذا فإن الجماعات الفرعية فى

اسرائيل وانجلترا مازالت تحتفظ باليشيقا المزدهرة.

وبمعنى آخر، فان اليشيقا الحاسيدسك، لا تشبه الجامعة النظامية، ولا تهدف إلى إعداد الخريجين الذين يستمرون فى الإتصال الحينى فقط مع الكلية الأم ويقتربون فى الحياة من أجل العون المعتمد على الصدقات. فضلا عن هذا فان خريجى الكلية من الحاسيديك لا يرحلون فى الواقع؛ بل على الأصح، إذا ما نجح البرنامج الدارس، فانهم يتحولون إلى حياة أطول من «الخريجين الذين يحصلون على منحة لمواصلة الدراسة». وأكثر من هذا، فإن المنحه الجامعية تتجاوز الحدود. وبالنسبة للهاريديم، وعلى الأخص بالنسبة للهارسيديزم، فإن الجغرافية لا تتصل بالموضوع على تحولات النظر وتعليمات أحد العلماء السياسيين الإسرائيليين . «سواء فى القدس أو باناى براك، فى بروكلين أو أنتور، فانهم يشاركون فى مناقشات شائعة عالميا المعبد الهيودى وسلطة الحاخامات، الهالاشا والملاحظة، التوراة والدراسة... (أنهم) يحتفظون بشبكة أسرية محكمة وإخلاص «طائفى» للحاخامات والمدارس، وينطلقون عبر الحدود والبحار *.

تعتبر قاعة الأحبار مركزا لحياة الحاسيد، والبيت الوافد إليه، والذى يؤثر فى وجدانه بجانب هذا فان موقعه المحدد والواضح- فى إسرائيل، أمريكا، أو أوروبا- غير هام، كحادثه تاريخية، والتى فى كثير من الأحوال، بعد جروح وتمزق بسبب الإبادة الكاملة، ظل كما هو أما الاثرياء فلا يفكرون فى شئ لعبور الأطلنطى، أو البحر المتوسط، لأربع أو خمس مرات فى السنة لقضاء عيد الحصاد أو احتفال مع أحبارهم، لكن حتى البرسليڤرهاسديزم، ذوى الملابس الرثه، فى القدس ينجحون فى القيام برحلة روسن هاشانا لمدة أربعة أيام إلى أوكرانيا والعودة بعدة مئات من الدولارات، حيث يرقد جثمان حبرهم، الحاخام ناشمان من يرسليف فى مدينة أو مان منذ ١٨٠ عاما، وهؤلاء

* فراهام أفى رهاى، «الشعوب اليهودية الثلاث»، جريدة الجيردزاليم بوست ٥ فبراير ١٩٨٩.

البرسليڤر، والذين يطلق عليهم موتى الحاسيديم» يعتقدون فى أنفسهم أنهم مازالوا مرتبطين بروح حبر واحد فقط، وبعد عقود من الزمان، والتى خلالها تم تصنيف أومان كمنطقة عسكرية سوڤيتية مغلقه، فقد أصبح لتركيز أفكارهم ولرغبتهم الصوفية الشديدة ممكن الوصول إليها مرة أخرى.

فضلا عن هذا لقد قام بال شيم فوف نفسه، وهو مؤسس الحاسيديزم (والحبر الأكبر للحاخام ناشمان)، بتعليم تلاميذه «حيث يوجد عقل الإنسان، فان ذلك حيث يوجد الإنسان كله» وفى هذه الأيام، عندما يتحدث اللوباڤيتشر حاسيديم عن «اللوباڤيتش»، فانهم عادة يشيرون إلى مقر رئاسة أحبارهم فى قطاع مرتفعات كرادن ببروكلين، نيويورك، وليس إلى القرية فى روسيا البيضاء حيث منشأ أسرتهم الشهيرة. وهكذا أصبح صف الاحجار البنيه اللون على طريق المتنزه الشرقى من اللوباڤيتش.

هذا ويحتفظ الحاخام شنبر سون، الحبر، بازدواجيته الخاصة تجاه المناطق الجغرافية. ومن ناحيته، فانه يرفض مغادرة نيويورك ولم يخرج من المدينة لما يقرب من أربعين عاما، ومن ناحيةأخرى، فإن لديه صورة مطابقة دقيقة لمقر رئاسته فى نيويورك، بنيت فى كفارهاباد، القرية الرئيسية للوباڤيتشر فى إسرائيل، ويقع المنزل هناك بكل ما به من تنافر معمارى، انتظاراً لصاحبه الذى لم يزوره أبداً.

وعندما يلتقى الحاسيديم ويختلفون فى قصر حبرهم، فان الجو حقيقة يكون عالميا رغم أنهم جميعاً يبدون متشابهين بالنسبة للدخيل عليهم، حيث أنهم يلبسون زياً خاصاً لطائفتهم المستقلة، وتتم المعاملات التجارية، وترتب الزيجات، وكلها لجذب الجماعة للاقتراب عبر القارات. أين تُرى سيعيش الأزواج الشبان؟ أفى بلدة العروس،أو بلدة العريس، أو ربما فى مجتمع جديد تقوم الطائفة فى أحدى المدن الريفية فى إسرائيل أو الجزء الشمالى من نيويورك؟ وهذا القرار متروك للحبر، الذى يزن مصالح

الطائفة وكذلك مصالح الأسر المستقلة بذاتها.

فضلا عن هذا فإن حب الخير، مثل التجارة تمتد فوق القارات. فمن المتوقع أن يقوم أحد أفراد الهاريدى فى نيويورك بمساندة طائفة من اليشيقا فى اسرائيل وأوروبا وكذلك مؤسساتها فى مدينته واماكن أخرى فى أمريكا الشمالية، إلا أنه رغم إن أقتصاديات الهاريدى العالمية لها جوانبها المتقلبة: عندما تسوء التجارة فى نيويورك، فان اليشيقا فى إسرائيل وأوروبا تعانى من جراء ذلك. ولنفس السبب، فعندما انهارت الامبراطوريه المالية لرجل الأعمال المليونير، من الهاريدى، فى لندن عام ١٩٩١، كان الهاريديم فى نيويورك، أنتورب وباناى براك من بين المفلسين، وكابن لحبر الحاسيدسيك من ساسوف، فقد ائتمنوه على أموالهم.

وعندما أحتفل حبر الحاسيديك من يلز، الحاخام يساشار روف روكيس بالبار متيزفا bar-mitzva لأبنه الوحيد أهارون، فى القدس فى مارس ١٩٨٩، فقد استأجر قاعة المؤتمرات الرئيسية فى المدينة لاجتماع اتباعة للاحتفال. وعند قراءته باليهودية لخطبة ثم إعدادها، فقد وصف الدور المركزى لتلك القرية الصغيرة، بيلز فى حياة عشرات الآلاف من اليهود فى أوروبا ما قبل الإبادة الكاملة. وفى حقيقة الأمر فان الحاخام روكسن، الذى ولد فى إسرائيل عام ١٩٤٨، لم يزر بيلز أبداً. فضلاً عن هذا فإن جماعة بيلز تقريبا أبادها الثازيون عن أخرها. ولقد هرب الحبر الأسبق وشقيقه، والديساشار دوف، عبر المجر إلى فلسطين وعندما أصبح يساشار دوف حبرا، عام ١٩٦٨، فإن اتباعه كانوا لم يزالوا قلة وضعاف، بقية حزبية لجماعة ما قبل الحرب، وفى الوقت الحالى فإنه يسرد قائمه طويلة من اليشيقا، والمدارس والمعابد لبيز، من مونتز بال إلى ملبورن.

علاوة على ذلك فإن الحير Ger، أكبر طائفة حسيديك فى بولندا قبل الحرب، إلا أنهم جميعاً قد أُبيدوا كغيرهم، ولقد هرب الحاخام أفراهام موردخاى آلتر إلى

فلسطين مع بعض أفراد من أسرته. وأبناؤه، إسرائيل، الشخصية الساحرة للجماهير كان جدا من ١٩٤٩ إلى ١٩٧٩، وبعدئذٍ سيمحا بونيم، راس عملية الانبعاث الروحى، وفى هذه الأيام يوجد أحد عشر يشيقا من الجير منتشرة عبر إسرائيل وفى يوربارك، بروكلين يوجد ثمانية من الشيتبلاش Shtieblach للجير Ger [معابدها حاسيديك، والمعنى لكلمه شتيبل Shtiebel (حجرة صغيرة).

وأكبر طائفة حاسيديك هى الساتمارر Satmarer، والتى كانت تتخذ مركزاً لها قبل الابادة الكاملة فى المجر، حيث تحركت آلة الموت النازية إليها فقط عام ١٩٤٤، وعلى ذلك، نسبياً، فقد نجى الكثير من اليهود المجر من الحرب عن اليهود البولنديين. وتتواجد جماعات الساتمارر الرئيسية فى قطاع وليامز يورج ببركلين، وفى مونرو، وهى بلدة صغيرة شمال مدنية نيويورك، كما أن لهم أيضاً أفرع فى إسرائيل، وبريطانيا وبلچيكا وبلاد أخرى.

هذا وكان التزايد المثير للساتمارر فيما بعد الحرب من مسئولية زعيمهم الساحر، الحاخام يورك تاتيليرم (١٨٨٧ - ١٩٨٨). وكان تطرفه عنيف - كان عدوا لدوداً للصهيونية وإسرائيل- يتلائم مع الحماسة الشخصية الكبيرة هذا وقد إنجذب الكثير من اللاجئين الهاريد المجر الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة فى الأربعينات، من خلال الموجة الثانية بعد الإنتفاضة المجرية القصيرة عام ١٩٥٦، إليه وأصبحوا من الساتمارر.

وعندما يثكيف الحاسيد الساتمارر أو الجير مع الطريق، فان يمكنه أن يجد نوعه المستقل الخاص فى العديد من المدن حول العالم. بجانب هذا فإن اللوباڤيتش سيواجه رفاقه فى مئات المواقع، ومن بينها مثل تلك الجماعات اليهودية الصغيرة جداً المنتشرة فى هونج كونج وبانكوك، وفى الحرم الجامعى للكليات فى الولايات المتحدة، والصفة المميزة للوباڤيتش هى التجاوز الروحانى، ويدير الأحبار برنامجا أشبه بفريق السلام من «المبعوثين»، إلا أن أى يهودى حاسيديك ينتقد أى معبد فى أى مكان يقابل بالترحاب الحار والكرم السخى.

ويعتبر أحد مؤرخى اليهودية المعاصرة، البروفسور عزرا منيدتسون، هذا «الاستشراق الدولى» بأنه أكثر الملامح البارزة للأنبعاث الحالى للهاريديزم. أنهم اشبه بالاشتراكيين اليهود لعالم ما قبل الحرب، وإذا كنت يهوديا اشتراكيا، عندئذ أينما كنت، بإمكانك أن تجد أناسا متفتحى الذهن يكون لك معهم لغة مشتركة وفى هذه الأيام فإن الهارديم هم الذى يتمتعون بتلك الميزة.

الجزء الثانى

خطوط السلطة

الفصل الأول

إعلاء كلمة الله

حدث زلزال سان فرانسيسكو فى أكتوبر ١٩٨٩ اثناء مراسم افتتاح المسابقة العالمية الثالثة للعبة البيسبول وجعل كل الملعبين الرياضيين لكلا الفريقين- أوكلاند وسان فرانسيسكو- غير مستخدمه لأكثر من أسبوعين.

وبعد أيام قليلة من الزلزال، نشرت جريدة الهاريدية الإسرائيلية ياتد نيمان Yated Ne'eman فى طبعتها الإنجليزية، وتباع بصورة أساسية فى أمريكا، النبأ القصير التالى بشكل بارز فى الصفحة الأولى وجاء فى المقال: «القدوس الواحد، تبارك فى علاة، يشاهد مسارحهم وملاعبهم تنعم بالهدوء بينما Bais Hamikdosh بيت المقدس أطلال متناثرة، فيشاء تدمير العالم، كما هو فى النص المقدس: «وسيهدر الرب بقوته، بسبب بيته» .

وفى حقيقة الأمر، فان مشاهدى البيسبول لم يصابوا بأى ضرر. وكان معظم ضحايا الزلزال من السائقين على جسر أوكلاند. إلا أن تلميح جريدة ياتد هو أن توقيت الزلزال لم يكن حدثا عشوائياً. لقد كان الرب يشير إلى الإنسان بالإشارات. فلعبة البيسبول، وهى نشاط الذى يجرى وسط «مدرجات» القرن العشرين لا يُرضيه، وعلى الأخص بسبب بقاء بيته أطلالاً متناثرة - بمعنى، المعبد اليهودى القديم فى القدس، الذى دُمِـر منذ ما يقرب من ٢,٠٠٠ سنه مضت، والذى أصبح مكانه حالياً مسجداً للمسلمين.

ولقد تلقى الجمهور الإسرائيلى عام ١٩٨٧م درساً مماثلاً فى فاعلية الثواب والعقاب الإلهين بواسطة وزير الداخلية الهاريدى، الحاخام إسحاق بيرتز، بعد أن توقف

أحد الاتوبيسات والذى كان يحمل أطفالاً فى رحلة مدرسية فوق تقاطع السكك الحديدية وجرفه أحد القطارات. وأشار بيرتز، فى بيان عام، أن الأطفال الموتى كانوا من مدينة بتاح تيكفا، حيث تعمل إحدى دور العرض السينمائى فى ليالى الجمعة، وهكذا تكون قد انتهكت يوم السبت. ومن ثم استمر الهاريدون المحليون فى التظاهر كل أسبوع خارج السينما، واشتبكوا مع بالشرطة. إلا أن العروض استمرت وقال الحاخام بيرتز، إن الرب قد أنزل عقاباً شديداً على المدينة التى دنست يوم السبت. وقد تسببت ملاحظاته فى إحداث احتجاجات عنيفة .

وطبقاً لمعتقد الهاريديين– وتلك هى العقيدة الأساسية لإيمانهم– «القدوس، تبارك» يدير العالم بنشاط. أنه لم يخلقها فحسب وثم تركها لتسيّر نفسها بواسطة قوانين الطبيعة التى سبق وأن قدرها. كما أنه لم يتركها تُسيّر نفسها بينما يتدخل بقوة خارقة للطبيعة من وقت لآخر. أنه يتدخل دوماً ومباشرة – فى كل شئون الإنسان وعمل الطبيعة .

وكانت هناك تنويعات عريضة لهذا المعتقد فى الفكر الأصولى اليهودى، عبر العصور. فقد تمسك الحاخامات والعلماء بأسرار الباطنية والتسامى بقوة الفكر، كما اقترب المتصوفة اليهود من مفهوم الحلول أو وحدة الوجود، لدرجة أنهم تشربوا بإحساس غامر من الورع يغمر ما حولهم. ومن ثم فإن القاسم المشترك لكل مدارس المعتقد الأصولى هو أن الرب يمكنه التدخل. وبكلمات أحد علماء اللاهوت اليهود المعاصرين: «عند القيام كل صباح، يسلم اليهودى بأن الخلق يتجدد، ليس له فحسب بل إن من الجائز ان يفنى العالم من الوجود بين عشية وضحاها».

وبالنسبة للهارديين هذه الأيام، فالرب لا يمكنه فحسب؛ بل يفعل، فالرب وجود دائم فى حياتهم، وهم من ناحيتهم يحاولون أن يعيشوا فى حالة من الوعى الدائم

بالرب. ومن ثم فإنهم وعلى فترات قصيرة يذكرونه فى أحاديثهم الدنيوية: «بمساعدة الرب»، سيسافر القطار فى الموعد، «شكراً للرب» لقد سافر القطار فى الموعد. إنه أسلوب الحديث، لكنهم يعنون مايقولون أيضاً. وستكون الإجابة المعتادة من أى هاريدى على السؤال: «كيف حالك؟»، هى «مبارك باسم الرب»، حتى ولو لم يكن ذلك هو حالة، وهكذا يراقب أحكام التلمود: «تماماً كما يجب أن يبارك الفرد الرب للأشياء الطيبة، يجب على الإنسان أن يباركه للأشياء الرديئة أيضاً. وبنفس المزاج، فإن التلمود والهالاشات التالية تؤكد على بركة خاصة عند سماع أخبار الوفاة أو أخبار آخرى سيئة» تبارك القاضى الحق.

إلا أن الهاريدين ليسوا قدريين بطريقة سالبة (على الأقل ليس فى حياتهم الخاصة: يمكن أن ينظر إلى الهاريدى المعادى للصهيونية كشكل من القدرية على المستوى القومى، والتاريخى). فضلاً عن هذا فإن بعض الأصولين، فى الأديان الآخرى، يفضلون الاعتماد على التدخل الإلهى فى المرض بدلاً من الاستسلام للعلاج الطبى. والبعض يُحّرم الجراحة، والبعض الآخر يعوقون حتى عمليات نقل الدم. ويرفض الهاريديون مثل هذا المسلك باعتباره انحرافا وتوقح. ومن تعاليم التلمود أن «على الإنسان ألا يعتمد على المعجزات». بجانب ذلك فإنها تأمر الرجل المريض خصيصاً بأن يبحث عن المشورة الطبية وفى الواقع، فإن العديد من حاخامات الهاريدى يديرون شبكة اتصالاتهم العالمية مع أفضل الاختصاصيين فى فروع الطب، كما أنه فى مقدورهم أن يشيروا على أتباعهم بأفضل المستشفيات وأكثر طرق العلاج تقدماً.

وفى بعض الحالات، فإن أحد الحاخامات أو أحد الحاخامات الحاسيد سيوصى بالذهاب إلى أحد الأطباء أو يقترح علاجا ما، وذلك على أساس التفضيل، ونادراً ما يسدى النصح بشأن الامتناع عن الخضوع لعلاج خاص أو عملية جراحية رغم

إجماع الآراء على وصفها، وفى الواقع فإن المريض الهاريدى يحيل صنع القرار والمسئولية، على عاتق الرجل الربانى لأنه يعتقد أن الحاخام بالمستوى العالى لحكمته، لابد وأن يكون أكثر دراية، وهذا ما يسمى بقبول (داات توراه) (معرفة التوراة: التوراة تعنى حرفياً، أو الكتب الخمسة الأولى لموسى، ولكن طبقاً للمدلول اللفظى أصبحت تعنى المجموعة الكاملة للقانون الدينى) أو أمونات هاشامين emunat Hachamim (الاعتقاد فى الرجال الحكماء) .

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر للأمونات هاشامين والتى حدثت فى شهر يناير ١٩٩١ ، عند اقتراب الموعد النهائى المحدد من الأمم المتحدة، وتجمعت سحب الحرب فوق الشرق الأوسط. أعلن حاخام اللوبڤيتشر أن إسرائيل هى «أمن مكان على الأرض» ، وهكذا، فإن اتباعه من الحاسيدين فى إسرائيل نحوا جانباً أية فكرة عن الرحيل- رغم أن الآلاف ممن يحملون جوازات سفر أجنبية، ومن بينهم الهاريديين، كانوا يفرون من البلاد. وهكذا انطلق دون تردد أتباع اللوباڤيتشر هاسيديمى فى الشتات (الدياسبورا Dia-spora) الذين كانوا يخططون لزيارة إسرائيل. وقد ذكر أحد الهاسيدين، عند هبوطه فى مطار تل أبيب الذى كان نصف مهجوراً: «إن الحاخام أخدنا بأن الأمور ستكون على مابرام، وأن التوراة تقول أن الرب يرعى الأرض المقدسة...» .

فضلاً عن هذا فإن طاعة الهاريديين العمياء للحاخامات تعتبر أحد المميزات التى تميز الحاسيديين فى أعين العالم الخارجى، كلا من اليهود وغير اليهود، وبالنسبة للهاريديين أنفسهم فإن من الصعب عليهم فهم شدة ذلك الاعتراض، حيث أنه بالنسبة لهم فإن التبجيل الدينى يعتبر نسيجاً لا يتشقق. والرب نفسه، العهد القديم والتلمود، وكتابات الحاخامات، والحاخامات أنفسهم؛ جميعهم متشابكين فى خيط متصل يمتد من إبراهيم وموسى إلى جيدوليم (الحاخامات العظام) فى هذه الأيام، وفى

المستقبل. بجانب ذلك فإن الاخلاص الكامل والمتزمت للكتاب المقدس، والذى يعتبر سمة لكل أشكال الأصولية الدينية، يعتبر العنصر الرئيسى للهاريدية. على أن التبجيل التوراتى عند الهاريديين غير مقصور على العهد القديم. بل أن المفارقة بالنسبة لهم فى كون العهد القديم وقضية التبجيل قضيتان لا رابط بينهما، فالتعاليم التلمودية تحرم القـراءة الحرفيـة للنصوص المدونة، والعـهـد القـديم يجب أن يقرأ ويفـهـم على ضـوء التفسيرات الأخيرة .

وفى بعض الأحيان يتم وصف الهاريدية على أنها «أصولية تلمودية» بمعنى أن الهاريديين يتصلون بالتلمود، الجزء الكبير من القانون والأساطير الذى تم تجميعه فيما بين القرن الأول والخامس CE* ، بنفس تبجيل المسيحيين الأصوليين الدينى للإنجيل إلا أن الأصولية التلمودية للهاريديين لم تتوقف مع التلمود. إنها تمتد إلى القرون التالية لما بعد الأدب التلمودى، آلاف من التعليقات، ومجموعات المبادئ، وكلمات جمهور المصلين بعد الكاهن، والكراسات الدينية الصوفية، والمواعظ الدينية حتى هذه الأيام. ومن ثم فإن كتابات حكم وفيلسوف القرن الثانى عشر ميمون Maimonides ، أو صوفى القرن السادس عشر إيزاك لويا، ينظر إليها باحترام وتبجيل كذلك، ولكن ليس تماماً بنفس درجة التبجيل للأعمال الأولى، لكن رغـم هـذا بتبجيـل عميـق لا يـدعـو إلى النقد .

وأكثر من هذا فإنها تمتد إلى أبعد من النصوص ذاتها، إلى مؤلفيها. وهكذا فإن الحاخامات الذين كتبوا التلمود وكل الكتابات التى تلت ذلك كانت مقدسة، وحكيمة وقويمة، ولابد من تبجيلها دون نقد. ومن هناك فإنها مجرد وثيقة قصيرة لتطبيق نفس التبجيل الأساسى للحاخامات المقدسيين، الحكماء والصالحين، سواء

* CE التاريخ المشترك، استخدمه اليهود تفضلاً عن AD ، بعد البلاد، ومن ثم فإن BCE، قبل التاريخ المشترك.

كانوا أمواتًا أو أحياء والذين ربما لم يتركوا مؤلفات، لكنهم يعتبروا تجسيداً شرياً للنصوص المقدسة. فضلاً عن هذا فإن كل عبارة صادرة منهم متشربة بـ «داات توراه» - أو على الأقل بالروح، المتضمنه فى الوحدة الكاملة للنصوص والتى فى مجموعها هى كلمة الرب .

ويقول أحد الأطباء فى القدسإنها هذه المهابة، وهذا القبول(داات توراه) Torah كأسلوب يتضمن الحياة كلها، سبب انفصال الهارديين عن بقية الأصوليين. ويقول أن اليهود الأصوليين- وهو نفسه أصولى [معاصر] مخلص يعيش حياته الدينية وفقًا للشولهان آروش S'hulhan Aruch ، تجميع وتنسيق الهالاشا رسمياً. ومن ثم فإنه سوف يستشير حاخامات إذا ما كان لديه سؤالا بخصوص أحد نقاط الهالاشا، وسيلتزم بحكم الحاخام. وربما يستشير الحاخامات بشأن مشكلة لا علاقة لها بالهالاشا، إلا أن ذلك من المحتمل أن يكون طريق البحث عن المشورة، ومن ثم لن يكون هناك أى تفويض إلزامى برد الحاخام. ومن ناحية أخرى، فإن الهاريدى، سوف يستشير حاخامه أو حبر حاسيدى بشأن كل مجال من مجالات حياته، وسيطيع النصيحة التى يحصل عليها كما لو كانت إحدى قواعد الهالاشا .

وبالنسبة للطبيب، الاختصاصى فى أمراض النساء، يخدم منطقة مشتركة هاريدية وأصولية معاصرة، لم يعد الأمر مجرد تمييز لعلم دلالات الألفاظ وتطورها أو أنه علماً لاهوتياً، أنه يحمل نتائج عملية مباشرة فى أغلب الأحيان بعيدة المدى لكل عمل من أعماله اليومية. وهكذا، سيحاول دومًا التحقق من الانتساب الصحيح للمريضة الهاريدية، وإلى أى طائفة حاسيدية تنضم هى أو زوجها ، أو أى حاخام متناجيدى يتبعان، ويسجل ذلك فى ملف المريضة. بجانب ذلك فإنه يعرف أن تشخيصه وما يقدمه من علاج سيتم «مراقبته» من جانب الحبر أو الحاخام.

فخلال فترة الحمل، وأحيانا فى حجرة التوليد نفسها، سيكون هناك تدفق دائم من المعلومات الطبية من الطبيب، عن طريق المريضة إلى الحبر أو الحاخام، فضلاً عن هذا سينتج مشكلة أو تعقيد على شكل فيض من التساؤلات، وفى أغلب الأحيان نصيحة تفصيلية، فى الاتجاه الآخر، وكثيراً مايحدث من أجل توفير الوقت والطاقة، أن الطبيب والحبر/الحاخام سيعدون قناتهم الخاصة المباشرة للاتصالات لمناقشة الحالات. كما أن لبعض الأحبار مساعد خاص (ليس لديه تدريب طبى رسمى)، والذى يعالج موضوع الاتصالات بالاطباء والمستشفيات. وفى بعض الحالات، فان أى حبر- أو زوجة الحبر، حيث أن هناك من النسوة الورعات النشطات فى المجال الطبى ، وعلى الأخص فى مجال علم أمراض النساء؛ سيقوم بكتابة الروشته، كما أنه يوجد فى القدس صيدليات تقوم بتركيب الأدوية دون مقابل .

وهذا الطبيب، وآخرون مثله فى القدس والمدن الآخرى حول العالم التى بها مجتمعات هاريدية قوية، يعترضون بطبيعة الحال على ذلك التدخل، لكن رغم هذا ليس بصوت عالٍ فالهاريديون يمثلون العملاً المهمين، وبكل حماس فإنهم يعنون بصحتهم كواجب دينى تماما وكنوع من الاهتمام بمصالحهم الشخصية، فضلا عن هذا فإنهم يفضلون دفع ثمن العلاج الخاص بدلاً من الاعتماد على الدواء العام. وبالنسبة للأطباء الذين يفضلهم ويوصى بهم أحبار الطائفة، وعلى الأخص بالنسبة لأطباء أمراض النساء، فإنهم يعتبرون مصدرا خصباً للعمل والدخل.

وكان الطبيب يغالى عندما ساوى بين الأصولية والنظام الكامل الذى يخضع له الشولهان أروخ، كتاب القوانين الذى كتب فى نهاية القرن السادس عشر، والذى ينظم معظم المجالات الدقيقة للحياة كما أن العديد من اليهود الذين يعرفون أنفسهم بأنهم أصوليون، وفى الواقع إن الذين يجاهدون لكى يكونوا أصوليين، سيعترفون، إذا كانوا

على استعداد لأن يكونوا أمناء، أنهم لا يقدرون، أو لا يحافظون على تفاصيل الطقوس الدينية لكتاب الأحكام. كما أنه ليس بالضرورة أن يكونوا مرتدين ملابسهم بينما يكونوا تحت غطاء الفراش بسبب التواضع [شولهان آروخ٢ :١]، أو يربطون رباط حذائهم الشمال قبل اليمين [٢ :٤]، أو يلبسون وعن عمد ملابس مختلفة عن الجتيليين (كيتسور شوللهان آروش ٣:٢)، أو يحجمون عن المشى بين امراتين، أو كلبين أو خنزيرين [٣ :٨].

وهكذا فإن ذلك بعد اختيارا متميزا وعن عمد، إلا أنه يُفيد فى تصوير كيف يتوصل اليهود الأصوليون المعاصرون، هؤلاء اليهود الذين يطيعون الشابات Shabbat، الكاشروت Kashrut والتهارات هاميشياخا taharat hamishpacha، إلى حلول وسط مع الشولهان آروش بالنسبه للمواضيع التى يعتبرونها منطوية على مفارقات تاريخية ولوهامشية. وهؤلاء اليهود، رغم هذا، من المحتمل أن يشعروا بالضيق لاستثنائهم من تعريف الطبيب للأصولية .

وتحاول الأصولية المعاصرة إلى توجيه مسارها ليس فقط فى الممارسات الدينية، بل أيضا فى العقيدة. كما أنها ترفض توسع الهاريديين فى معتقدهم الأصولى من النصوص القديمة والشخصيات المقدسة من الماضى إلى حاخامات هذه الأيام. وبالنسبة للأصولية المعاصرة، فإن ذلك يعتبر تنازلا عن واجب الإنسان للتفكر فى نفسه، للمعبد التطرفى لما له ويصنع القرارات بشأن حياته. ومع هذا فإن الأصولية المعاصرة أصولية أيضاً، إلى درجة ما، ويقول رئيس حاخامات بريطانيا الجديد، جوناثان ساكس، المتحدث الرسمى الرئيسى باسم الأصولية المعاصرة، «إذا كانت اليهودية» تامرنا بان نكون أصوليين، فلنكن كذلك، وبكل افتخار ودون دفاع. ولكن فلنكن كذلك أيضاً، بكل دقة وإخلاص. إن الأصولية تتضمن معتقدا فى اقتراح رفض معظم اليهود غير الأصوليين، أى أن الأسفار الخمسة لموسى هى كلمة الرب بدون وسيط».

ويفسر ساكس: «وهذا لا يعنى أن العهد القديم حقيقة موضوعية. بل بالأحرى، أنه «تعاليم، قانون، وأخلاق»، كما فسرها حكماء اليهود فى تفسيرهم للعهد القديم. «إنها لم تجئ رداً على السؤال: الذى حدث؟ لكن السؤال، «كيف بعد ئذ سأعيش» وليس هناك قراءات للتوراة لم يصحبها إيمان. وإذا كانت تلك هى الأصولية، فلتكن كذلك أنت واتبعها، فأنى أراهن بدينى كيهودى».

ومن ثم فأن قراءة ساكس للعهد القديم تنحدر إلى القانون الشفهى. وإجابته على السؤال، «كيف بعد ئذ سأعيش؟» يقدمها الحكماء. ولكن هذا بدوره يفضى إلى السؤال أى حكماء؟ وهكذا فإن الهاريديين لديهم الإجابة الشاملة المريحة، الوضع الشرعى للحكمة عبر الزمان وعلى طول الطريق، إلى زعمائهم من هنا وإلى الحاضر، وعبر النطاق الكامل لقرارات الحياة. وبالنسبة للأصوليين المعاصرين أمثال ساكس، فإن تلك هى الأصولية أيضاً، إلا أن المعتقد الأصولى المعاصر، كما يُعلق ساكس، أصولى جداً بالنسبة لمعظم اليهود، هذا وقد حرم حاخام وعالم بريطانى متقد الذكاء، دكتور لويس چاكويس، من أن يصبح الحاخام الرئيسى فى أوائل الستينيات، فى خلاف مشهور مازال يرن صداه فى جماعة اليهود الأنجلو، وتدقيقاً بسبب عدم قبوله للتوراة على أنها كلمة الرب دون وسيط، لكنها عُلمت بينما كان الرب يُوحى بها، أنها نتاج الإبداع الإنسانى أيضاً.

وباجتياز الأرض المتوسطة الضيقة لكل من الممارسة الدينية والعقيدة، فإنه يجب على الأصوليين المعاصرين أن يدافعوا عن الخط المتأصل الدقيق والحساس، ومن السهل بالنسبة لهاريديين مهاجمتها باعتبارها حلولاً وسط، والهاريديون هذه الأيام الواثقون من أنفسهم بشكل حاد يهاجمون بشدة ويحرزون النقاط. وقد أبدى أحد المراقبين ملحوظة، إن التاكيد (فى الأصولية المعاصرة) يتحول من الأصولية المعاصرة. هذا ويوجه أحد

الحاخامات الأصوليين المعاصرين من نيويورك والمولعين بالجدل، الاتهام إلى البعض من رفاقه بتغيير المواقع، وقد أصبح البعض الآخر صامتا.. إن النضال من أجل روح الأصولية المعاصرة أصبح الآن فى حالة غضب».

وأحد الشخصيات الرئيسية فى هذا النضال، الحاخام الدكتور نورمان لام، رئيس جامعة اليشيفا نيويورك، يتلفظ بألفاظ جارحة ضد «النمو العقائدى» فى معسكر الأصوليين المعاصرة ويحذر بقوله، «إن طريق العصرية مفتوح للهجوم عليه من جانب المتطرفين، لا يجب أن نكون خائفين» ولكن من خلال معهده الخاص، والذى يعتبر الموقع الأكاديمى والحاخامى الحصين للأصولية المعاصرة، توجد نزعات قوية تجاه الهاريدية. هذا وقد وقع لام نفسه ضحية لتلك النزعات، كما سنرى (راجع الفصل ٣٧)، عندما سعى للتفاوض مع حاخامات الإصلاح والمحافظة على القديم إزاء السؤال الحرج «من هو اليهودى». ولقد استسلم رئيس الحاخامات البريطانى المعتزل، لورد چاكوبوڤينس لتحول القوة من خلال معسكر الأصولية. ويقول «شخصيا بالتنشئه والاقتناع، إننى ملتزم وبعمق بفلسفة تومراه إم ويريس ارتيز» [«الدين- مع- الحياة». ذلك كان المعتقد الاصلى للاصولية المعاصرة، والذى طورة الحاخام الألمانى سامسون رافابيل هيرسن فى القرن التاسع عشر] إنه أسلوبى فى الحياة، أنها عقيدتى. لكننى واقعى لدرجة أننى ادرك أن مثل ذلك الاندماج الدينى- العلمانى، كحركة، ليس من المحتمل أن يسود فى حيالنا... لابد وأن نعترف بتزايد سطوة عالم اليشيفا الحاسيديين ونصل إلى اتفاق معها».

وفى ذلك العالم، كما رأينا، فإن الحاخام له اعتبار أكبر بكثير من مجرد قاضٍ القاضى، ليس يضع الهالاشا موضع التنفيذ. إنه يدير السلطة زمنية إلى جانب السلطة القضائية والروحية كذلك. كما أن أسفار موسى الخمسة الأولى ذاتها (دويت ١٧ :٩،

١١)، ويُعتقد أنها قد أوضحت بتعابير لا لبس فيها ذلك الدور الشمولى: «سوف تاتى إلى الكهنة، الليقايت، وستأتى إلى قاضيك وسيظهرون لك الحكم .. ولن تنحرف، ولا يمينا ولايساراً». والتلمود إلى ذلك بوجوب طاعة الحاخامات المعاصرين لجيلهم وقد «حتى إذا قالوا أن اليمين هو اليسار واليسار هو اليمين». وقد استشهد الهارديون بذلك النص عندما غير الحاخام ساش، فى خطابه فى الاستاد، ودون توقع ولائه السياسى من اليسار إلى اليمين.

وهكذا فإن السياسات الإسرائيلية أحد الأمثلة الواضحة للمجال غير الهالاشى فى الحياة حيث يجد الهاريدى فى التماس الـ «داات توراه» من الحاخام الخاص الذى ينتسب إليه أو الذى يحترمه على وجه الخصوص. وكل حزب هاريدى فى إسرائيل له مجلسه الخاص من الحكماء، وكل تعهد سياسى هاريدى ليس فقط ولاء، بل تبعيته منضبطه، لحكماء حزبه. ويمثل ذلك الجماعات المتطرفة التى ترفض أى مشاركة فى سياسات الدولة الصهيونية، لهم حاخامتهم الخاصين بهم وكذلك (بيت الدين) batei din الذين يطلقون التصريحات العنيفة الدورية ضد الهاريديين الآخرين.

وفي أمريكا، أيضاً، فإن الهاريديين لهم اختيارتهم السياسة التى صنعها لهم حاخاماتهم. وكل مرشح للمكتب الانتخابى فى ولاية نيويورك- وكذلك العديد من مرشحى الرئاسة- يعترف بهذه الحقيقة، ويتأكد من أنه يعلن عن تودده إلى أحبار الحاسيديك وعمداء اليشيفا القياديين في بروكلين. ويعتبر الهاريديون أحد آخر التكتلات الممكن تخليها عن والناخبين العرقيين المنضبطين فى إطار الحياة السياسية الأمريكية. وبنفس المنطق، فإن المسئولين المنتخبين الذين يمثلون المناطق المزدحمة بالهاريديين على مستويات المدينة أو الولاية حريصون على التشاور مع الحاخامات المحليين. وتلك هى الوسيلة المؤكدة بالنسبة لهم كى يحصلوا على النبض السياسى لهذا القطاع من جمهور ناخبيهم، فنواخ دير، وهو أحد أعضاء مجلس مدينة نيويورك كما أنه نفسه أصولى ويمثل حيا كبيراً من الهاريديين فى بروكلين، يقول أنه يسترشد بأحد حاخامات الهاريديين القياديين بشأن كل الأصوات المثيرة للجدل فى المجلس.

وليس هناك حاجة لوجود خداع هنا. فالحاخامات وتلاميذهم يعتقدون بكل إخلاص أن عملية الزعامة والتشاور، والاسترشاد والقبول، حقيقة مشتركة تسعى وراء مشيئة الرب وبركة الرب.

فضلاً عن هذا فإن سلطة الحاخام لم تكن دائماً عامة أو مكثفة فى حياة الفرد الهاريدى. وفى الشتتل Shtete ، وهم هؤلاء الناس الذين يعيشون حياتهم، بالضرورة، منقطعين إلى حد كبير عن العالم الخارجى- والذى يشتمل على الشتتل الجيران وبالتأكيد المدينة الكبيرة التى تبعد بمسافة يوم سفر يوم حتى أنه من المحتمل أن يقوم الحاسيديون بزيارة أحبارهم مرة أو مرتين فى العام. وبالنسبة لبقية الوقت، فإنهم على مسئوليتهم، يتعاملون مع مشكلات كل يوم بقدر ما يمكنهم ويفتقر (الميتناجديون) حتى إلى الاتصال المنتظم القليل مع أحد شخصيات السلطة.

وفى هذه الأيام، فان التودد إلى الحبر، أو حاخام اليشيڤا الموقر، يتم عن طريق المكالمة الهاتفية، أو الطيران وفى الواقع، فقد تقبل الحاسيديون بسرور وضع فن الاتصالات بنفس الطاقة التى تتجنب معظم المجالات العصرية الأخرى. فضلاً عن هذا فإن عالم الهاريدى شتيتل عالمى. ويتصل الحاسيديون اللوبڤيتشر برئاستهم فى نيويورك عن طريق الاتصال بالقمر الصناعى. فضلاً عن هذا فقد تم إرسال آخر تعليمات الحاخام شاس عن طريق الفاكس إلى أتباعة فى الوقت الصحيح. وتحمل الجرائد الأسبوعية لهاريدية أعمال وأقوال قارئى قادتهم الروحانين العديدين والحديثة كل يوم جمعة، مشتملة بالكامل على صور بالراديو للرجال المقدسين وهم فى العمل، وأكثر من ذلك ففى هذه الأيام يوجد القليل للتمييز بين علاقة حبر الحايسيد واعتماد تلميذ المتيناجيد على حاخامه، فى الموضوعات المؤقتة الروحانية، كما أن الحاخام شاس نفسه وهو رئيس المتناجيد، للمفارقه، هو أفضل تصوير لعدم الوضوح فى التميز السابق.

وفوق ذلك يسجل الهاريديون المختلفون حاخامات مختلفين، وهذا يؤدى إلى الكثير من الخصام، لكنه أيضاً يؤدى للنشاط والقوة فى الحياة الهاريدية. والحقيقة أنه من المستحيل بالنسبة للهاريدى أن يكون هاريدياً فحسب، دون تخطيط خاص. وكل واحد تابع لشخص ما.

الفصل الثانى

أحكام قديس

بدأ يوسف ليڤى، وهو اسم لا مستعار، يشعر بقلق ينتابه من جراء عدم ظهور أعراض الحمل على زوجته أدينا خلال عامين زواجهما، وحينها كان يوسف يتابع دراسته فى الكوليل، المدرسة العليا للمتزوجين، بعد الإنتهاء من دراسته فى كيشيفا بونفيز فى بنى براك التى كان عميدها الحاخام شاس .

ولقد كان الحاخام شاس دائماً طيباً مع يوسف خلال سنوات وجوده فى بونيڤيز. وكان يعرف الأسرة قليلاً، حيث كان قد علم والد يوسف قبل ذلك بجيل فى يشيفا أخرى، وعندما بدأ يوسف يجتذب أنظار وسطاء الزواج المحترفين والهواة، سعى لطلب نصيحة الحاخام شاش. وكان رد الحاخام «تجاهلهم، استمر فى التعلم بشكل كامل لنصف سنة أخرى على الأقل – إلى أن يقدم لك شيئاً مميزاً حقاً».

وبعد ذلك بعدة شهور، عاد يوسف الذى كان فى ذلك الوقت فى عامه الثانى والعشرين إلى حاخامه «بشئ مميز حقاً». لابد أن لها شخصية مميزة، هكذا قال يوسف «لأنها ذهبت لمدرسة عليا أرثوذكسية حديثة حتى سن ١٥سنة، ثم قبلت فى مدرسة لاهوت ذات مكانة.

ولم يكن الحاخام شاش يقول شيئاً بشكل مباشر. وقال: يجب عليك أن تستمع جيداً وأن تلتقط التوجيهات. قم بعمل مزيد من الاستقصاءات» وانتظر يوسف وقته، واثقاً من توجيه عميد يشيڤا (الحاخام شاش) وعندما تزوج أدينا، فى العام التالى، ألقى الحاخام شاش موعظة فى حفل الخطوبة، وهذا شرف نادر.

وعندما علم بعد ذلك بعامين بخوف تلميذه الشاب من العقم، أرسل شاش الزوجين لعدد من الأطباء. وكان تشخيصهم. حالة غير قابلة للعلاج من عقم المرأة وفى يأسه هذا، علم يوسف الرجل يمنى (ميكوبال)، صو فى مصطلح على أسرار القبلانية، يعيش فى قرية صغيرة يمارس العلاج الطبيعى والسحر القديم، وله شهرة فى مثل هذه الأمور.

«ووافق الحاخام شاش على أن تذهب إليه. وترددنا عليه ثلاثة سنوات، أعطاها كاميوت Kameyot (وهى صيغة قبلية مكتوبة على رقعة جلدية). وكان علينا أن نرتديها، ولكن بشكل أساسى أعطانا أدوية عشبية، وعليها عسل كما قام بتدليك جسد زوجتى بدهان، دائماً بوجودى، فلم يكن هناك شئ غير لائق.

«كيف كان شكله؟» مثل أى يمنى عادى، له لحية، ولم يكن يتصرف بشكل صوفى بشكل خاص، على أى حال، فى مرحلة معينة، أخبرنا أن زوجتى قد شفيت. وأصبحت قنوات فالوب لديها مفتوحة الآن، وأخبرت الحاخام شاش بذلك، وقالت أننا يمكننا اختبار ذلك عند أحد الأطباء.

«وبشكل مؤكد، أظهرت أشعة إكس أنه لم يحدث تغير. فالقنوات مازالت مسدودة. وقال الحاخام شاش أنه علىّ أن أخبر اليمنى. وكنت متردداً فى إخباره، لأن رد فعله دائماً كان، إذا لم ترد أن تعتمد على علاجى لا تأتى مرة أخرى، إلا أن الحاخام شاش أصر، وأطلعت اليمنى على الوضع بكامله، باسم الحاخام شاش. وقد أخذ الأمر بهدوء شديد، وقال أنه سيحاول شيئاً آخر.

«وأخبرت الحاخام شاش الذى قال : يكفى ذلك مع اليمنى.إذا كان بإستطاعته أن يجرب شيئاً آخر، فأنا يمكننى ذلك أيضاً. سافر للخارج ؟! ولم يقل إلى أين، قال فقط سافر للخارج».

وأجرى شاش سلسلة من الاستقصاءات، بين أعضاء هاريدى Haredi المشتغلين بالأمور الطبية فى إسرائيل وخارجها. ووصل الأمر إلى أن هناك طبيبان شهيران على درجة من الدقة فى هذا المجال، أحدهما فى كندا والآخر فى لندن. وقال الحاخام شاش «ولماذا نذهب بعيداً حتى كندا؟».

ووجه الحاخام شاش يوسف بفطنة للحصول على قرض حسن للمساهمة فى تمويل الرحلة والعلاج. إلا أن أدينا كانت ماتزال غير واثقة. «وطلب منى الحاخام شاش أن أحضرها إليه، وأجلسها عكسه، وشجعها قائلاً «لا تقلقى، إنها ليست عملية خطيرة. سوف يساعدك الله..» وعندما يقابلنى فى حفل ختان أو أى احتفال ،كان يقول: مازيلتوف Mazeltov – إرضوا الله، يرضى عليكم.»

«عندما ولدت ابنتى الأولى، اتصلت تليفونياً بالحاخام شاش من المستشفى ولا أستطيع وصف سعادته، والطريقة التى تمنى لى بها السعادة.»

كان هناك المزيد من القلق والحزن وقبل هذه اللحظة السعيدة، فلقد نجحت العملية الجراحية فى لندن، إلا أن المشكلات الهرمونية سببت سلسلة من حوادث الإجهاض. وذهب يوسف إلى عدد من أحبار الحاسيدين لتلقى بركاتهم، وكذلك للراحل شيبلر رافُ حاخام ياعكوف إسرائيل كانيفسكى فى بنى براك، وكان أيضاً مثل الحاخم شاش من طائفة ميتناجيد إلا أن عمله المحتفى به وورعه المعتدل جعلته مشهوراً كـ تزاديك (رجـل صالح وقديس)، وسعى للحصول على بركاته الهارديون فى كل الملل .

كان يتلقى طلبات إغاثة تحمل الاسم العبرى الكامل للشخص المكروب واسم والدته على طريقه الحاخامات الحاسيدين «وكان ذلك لأنه كان أصم» هكذا يشرح يوسف على أى حال، أرسلت له مثل هذه الورقة كل ليلة ميكيف وكان على أن

أكتب اسمْينا وأضيف «برجاء الصلاة» مع أربع نقاط. وهو يفهم.

وبمجرد أن أخبرته أن أدينا تواجه خطر الإجهاض، قال أنه سيصلى، وأننا سنرزق بطفل صحيح، إلا أننا فقدناه.

«ورغم ذلك فإن الأمر لا يعنى أن الصلاة ذهبت هباء، فإذا كانت لم تفلح فى ذلك، فإنها ساعدت فى أمر آخر...»

ويشرح يوسف فاعلية بركات الحكيم بتلاوته قول مأثور من التلمود: «من القديس الدعاء ومن الله الاستجابة». ويعطى مثالاً حديثاً آخر من حياته الشخصية. حيث أن أدينا، وهى الآن أم متألقة لأربع بنات مرحات، مُدرسة (ومازال يوسف يدرس فى الكوليل، وليس لديه خططاً للمستقبل سوى أن «يتعلم أكثر وأكثر) وكانت تدرس فى مكان يبعد ساعة بالأتوبيس عن بنى براك، ولكن الآن، مع زيادة واجباتها المنزلية، طلبت نقلها لمدرسة أقرب إلى منزلها. وكان القرار فى يد موظف متشدد مجهول فى قسم التعليم.

فذهبت إلى الحاخام شاش وطلبت أن «يمنحنا عميد اليشيڤا أن بركاته حتى يتم نقل أدينا». وليس هناك حاجة للقول أنها حصلت عليه .

الفصل الثالث

جذور الروح

«كان هناك مفـهوم منتشر بين (تزاديكيم) الرجال الصالحين، والمقصود هنا هو الحاخامات، بأن الإجابة الأولى التى ترد على ذهن الفـرد هى الإجابة الصحيحة، وأحيانًا، أشعر بذلك أيضًا، وهناك نصيحة التمعت ما كانت لتخطر ببالى» .

وكان حاخام «بويان» الحاسيدى، رابى مناحم ناحوم برير، يحاول أن يشرح جوهر دور الـ «الرباه» ، وعلاقته بالأعماق الدينية والنفسية للحاخام الحاسيدى .

«إننى أجد أن هذه القـدرة تنمـو مع الوقت، ولكنهـا ليست فـضيلة فىّ، وأنا لا أنسب ذلك لنفسى، إنه الميزة الجماعية لجماعتنا. وبفـضل إيمان الشخص فى الحاخام، يساعده فاءنه يعنيه .

أحيانا- وهذا كان يلاحظه العديد من الصالحين فى الماضى- يشعر الـ«الحاخام» فى البداية أنه غير قادر ببساطة على المساعدة، وأنه ليس لديه نصيحة يقدمها. إلا أن الـ«الحاسيدى» ، عن طريق إيمانه، يستطيع أن يستخرج العون الذى يريده، ويمكنه أن يستنبط النصيحة الصحيحة. وفى الاعتقاد الحاسيدى، فإن الإيمان ليس فقط الاعتقاد، ولكنه قوة عن طريقـها يستطيع الشخص أن يجلب الشئ الذى يحتاجه. فإذا اعتقد شخص، بإيمان الرجل الصالح، أن الله يمكن أن يساعده، فإن الأمر يتحقق. حتى لو الرجل الصالح أن ذلك ليس بسبب إيمانه .

وعند بلوغه سن الثانية والثلاثين، كان الحاخام بويانر قد خلف وراءه سبع سنوات خبرة كحاخام ولازال ينظر لنفسه على أنه يتعلم ويتطور فى وظيفته، وبحديثه اللين ومظهره المتقشف، مثل الناسك، يقضى أيامه يتعلم ويصلى فى معبد اليهود بالقرب من

منزله فى منطقة جويلا فى القدس.

ويرتدى قبعة واسعة وبيكيش (سترة طويلة) حرير سوداء، التى يرتديها الحاسيدى العاديون فى فبراير فقط أو فى المناسبات، ولكن الحاخامات يرتدونهـا دائماً. وعلى عكس الطوائف الحاسيدية المحافظة، فإن البويانيريين، بما فى ذلك الحاخامات، يرتدونه طوال الوقت ويرتدون سراويل، تصل إلى أحذيتهـم، وكملحوظة غريبة. يرتدى الحاخام التابع لبويانير يرتدى رابطة عنق. فهذا هو التقليد بين حاخامات الطائفة، رغم أن أربطة العنق احتقرها وهجرها معظم الحاسيديين لأنها كرمز لصيحة متفسيخة إضافة إلى أنها لاتخدم أى غرض مفيد .

وقد ولد مناحم ناحوم برير ونشأ فى نيويوك، وهو ابن لأستاذ علم نفس فى جامعة اليشيڤا الأصوليين العصريين، إلا أن جده من جهة الزنه كان الحاخام حاسيدى من نسل عريق وكان محبوباً من موردخاى شلومو البويانى حاخام الهاريديين فى نيويورك. وهو الابن الرابع للحاخام البويانيرى الأصلى موردخاى شلومو بويان، الذى غادر أوروبا إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى وقد تدمرت بويان فى جاليشيا، خلال الحرب ففر والده الحاخام إلى ڤيينا حيث توفى سنة ١٩١٧ . وقد انتقل أكبر إخوته إلى زيرنوڤيتش فى رومانيا بعد الحرب وهناك أخ آخر أقام فرعاً للتجمع البويانيرى فى ليمبرج لڤوف، بولندا، وانتقل الثالث إلى ليبزيج، ألمانيا. وقد اختار الحاخام موردخاى شلومو المنطقة الشرقية المنخفضة من منهاتن.

والبويانير الأصلى كان ابن الحاخام إسرائيل ساداجوار، أحد أحفاد الشهير روزينير. ريبى (١٧٩٦ - ١٨٥٠) والذى كان ابن أحد أحفاد الحاخام بير، الماجيدى، تلميذ من أتباع (البال شيم طوف) وذهب الروزينير فى عـربة مزخرفة تجرها خيول بيضاء رائعة. وعاش السادا جورى فى قصر فخم. وقد قدمه تيودور هرتزل (١٨٦٠- ١٩٠٤)،

مؤسس الحركة الصهيونية، على أنه (رئيس أساقفة) الدولة اليهودية الجديدة التى تمنى خلقها. وكان الحاخام يسرائيل أحد القادة الهاريديين القلائل فى نهاية القرن الذين أنصتوا بتعاطف إلى رجل الدولة الصهيونى الحالم .

وعندما توفى الحاخام موردخاى شلومو سنه ١٩٧٣، عقد الحاسيديون فى إسرائيل وأمريكا آمالهم- وهم البقية ضئيلة من الالاف التى احتشدت حول البويانير تزاديكيم (الصالح) قبل معسكرات الإبادة- على الصغير مناحم ناحوم لإعادة بناء مجد العائلة السابق، وقد أُرسل ليتعلم فى يشيڤيا روزين- بويان فى القدس، حيث علمه ووجهه كبار رجال الجماعة .

«عندما يطلب منى شخص ما النصيحة، أفكر: كيف كنت سأنصح نفسى لو كنت فى نفس الموقف؟ إذا كانت مشكلة عمل، أناقش جميع الوجوه معه، ثم قد أدله على شخص معين، داخل مجموعتنا، له خبرة فى هذا المجال، أو إلى محامى أو أى متخصص (محترف) آخر» .

«بالمثل فى الأمور الطبية، أدله على شخص ما له صلات بالأطباء والمستشفيات فى أسرتنا، لا يعطى الحاخام نصيحة مباشرة بالموافقة أو عدم الموافقة بشأن القيام بعملية. فنادراً ما كان جدى يعطى رأياً واضحاً. وهذا غير معتاد، على الرغم من أنه قد يقترح أن يجرب الأطباء علاجاً أو إجراءً معيناً. وأنا لست على هذا المستوى بعد، لست على المستوى الروحى الذى يؤهلنى للإجابة بالموافقة أو عدم الموافقة على إجراء عملية، وبالتدريج أنخرط أكثر، وأسمع المزيد من المعلومات، وأحصل على مزيد من الخبرة» .

ترى أيهما أهم المنزلة، أم الخبرة والتخصص؟ فالخبرة تساعد، ولكن الأمر له علاقة أيضاً بمستوى (الاستقامة)، فكلما كان صلاح الشخص أكثر، كلما تعاضمت معونة السماء لإعطاء الإجابة الصحيحة» .

ومنذ «تتويج» الحاخام برير سنه ١٩٨٥ ، تنامت جماعة البويانير بشكل مستقر، ففى الوقت توجد، حوالى ٤٠٠ أسرة فى إسرائيل (أساساً فى القدس وبنى براك)، وهناك أيضاً ١٥٠ «أسرة هاسيدية منغلقة» كما يسميهم الريبى الحاخام فى الولايات المتحدة، «وهناك كثيرون غيرهم ليسوا قريبين جداً، ولكنهم يعتبرون أنفسهم بويانير حاسيديين ويقتربون أكثر بشكل تدريجى. كثير من الناس يأتون إلى لأن والدهم أو جدهم كان هاسيدى من أسرتنا، أو له علاقة ما بجدى. وبالتدريج يعودون، واليشيفا، التى تقع الآن فى مبنى جديد رائع له سطح على شكل قبة، والذى يعيد ذكرى أيام روزين– ساداجورا– بويان العظمى، تزدهر أيضاً، ويقوم الحاخام بالإشراف على المنهج ويختبر الطلبة .

ويقول الحاخام ليفى أسحق هوروڤيتش، ريبى بوسطن، عندما سُئل أن يشرح كيف يصبح الشخص ريبى وينجح فى ذلك «أنها القصة الحاسيدية القديمة للحُلم»، إن الحاسيدى يأتى للحاخام ويقول: «سيدى الحاخام، لقد رأيت فى المنام أننى أصبحت حاخاماً»، فيجب الحاخام: «نعم ولكن هل رأى أى حاسيدى هذه الرؤية فى المنام أيضاً...؟» .

والحاخام هوروڤيتش، الزعيم الروحى لمركز نيو إنجلاند الحاسيدى فى بوسطن منذ أوائل الأربعينيات، يقول أنه لم يرد يوماً أن يكون حاخاماً، رغم– أن والده، الذى كان يوقره، كان حاخاماً– فى بوسطن– منذ وصوله إلى أمريكا من فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

«حاولت أن أجد عملاً آخر، جربت الأعمال التجارية، تعلمت قطْع الماس. إلا أننى كنت غير موفق بصورة دائمة [شليمازيل] فى العملين».

«والآن وأنا أنظر إلى الخلف أتأمل والآلاف من أشكال الحياة التى عايشتها عبر السنين، أشعر أن الأمر كان يمكن أن يصبح فشلاً، ليس فقط فشلاً وأنما فشلاً ذريعاً..»

والحاخام هوروڤيتش، والذى كانت لهجته الإنجليزية (لهجة بوسطن) فى البداية تبدو غير متلائمة مع رداء الحاخام، فخورا جداً بعمله الذى يمتد بين الطلبة اليهود وقاعات جامعات بوسطن العديدة، وهو يقول : «لقد كنا السباقين فى مجال توبة (اليهود الأصوليون المولودون من جديد). ويقول عن الآلاف من آتباعه والمعجبين به، هناك نسبة عالية أتت من أروقة الجامعات، ولديهم معرفة سابقة قليلة باليهودية أو الالتزام بالأصولية، وبالطبع، ليس لديهم معرفة سابقة بالحاسيدية ولكن بالرغم من أن العديد من الحاسيديين التابعين عصريون أنفسهم هاريديين، فهو يقول أن دوره كريبى لحاخام لا يختلف عن الدور التقليدى. ولا يعدون قصة الحاخام موشى ليڤ فى ساسوڤ، وهو علامة حاسيدى فى بداية القرن ١٩، والذى بحث عن «الأرواح اليهودية الضائعة» فى حانه روسية، استمع إلى محادثة بين فلاحين مخمورين. «أنا أحبك»، «لا ، أنت لا تحبنى «بل أحبك حقاً» ، لو كنت حقاً تحبنى لعرفت ما يؤلمنى.

«إن الحاخام يجب أن يعرف ما يؤلم الآخر». هكذا يقول، فإذا أتى إليك شخص بمشكلة طلاق، أو بمشكلات مع الأبناء، يجب أن تفكر:كيف ستتصرف لوكنت مكانه، لو أن أولئك أبنائك، وهو يقدم قصة أخرى على سبيل المثال ، تلقى عراف لوبلين المينتاجدى» (١٧٥٠– ١٨١٥)، (كڤيتلاش)، وهى وريقات صغيرة يكتب عليها الحاسيديون أسمائهم وأسماء والداتهم ويحددون مشكلاتهم، ويتوقع أن يصلى الحاخام بالنيابة عن الحاسيدى– وهى ممارسة ينظر لها الميتناجديون دائماً على المستوى الدينى أنها، تستوجب التعنيف لأنها كما يرون، تعطى الحاسيدى شعوراً بأنه ليس فى

حاجة ولا من واجبه أن يصلى لنفسه.

وحدث ذات مرة أن العراف لم يقض وقتاً فى صلاته أكثر من بقية المصلين فسألة المينتاجديون بتحدٍ «كيف تصلى لكل هؤلاء الناس بهذه السرعة» فأجاب إننى أطلب، يارب، ساعد ساكوف إسحاق ابن مئاتيل [اسمه هو]. إن مشكلاتهم هى مشكلتى ...»

ويقول الحاخام هوروفيتش «إن هذه ليست مبالغة، إنها جزء مما يجربه الشخص عندما يقترب من مشكلات الآخرين» .

«أحياناً، يريد الحاسيدى أو الحاسيدية فقط إطلاعى على وضعهم المتدهور. ويكون الحوار فى ذاته هو الحل. فأنت تريد اكتساب القوة بإفصاحك عن الصعوبة، وإذا كان هناك اتصال فى (منبع الروح) بين الحاسيدى والحاخام؛ بالتأكيد يكون الشعور بالاتصال الروحى مساعداً للحاسيدى على أن يكون قادراً على اكتساب تلك القوة.

وبالطبع فإن الحالات المتدهورة تكون نسبية، فقد تكون على صورة طفل صغير طاح الأرضاً، والزوج خارج المنزل، بينما لا تستطيع الأم الوصول للطبيب. فلذلك تتصل فقط لتقول أن ذلك هو ما حدث، أحياناً قد تتصل أنت بوالدتك، وفى وقت آخر قد تتصل بأعز أصدقائك. وفى بعض الأحيان تشعر بالراحة عندما تتصل بالرباه بالحاخام، لكى تتحقق فقط أن هناك شخص ما على بعد يأخذ بيدك ...

لقد فتحت الحاسيدية للنساء. وحتى ذلك الوقت كان الباب مغلقاً دون المرأة. وكان دور الحاخام أن يرد على الاسئلة الدينية المتعلقة بالشريعة، وأن يُعلم ويدرس ويعظ فى المعبد، ويقول البوسطونى، إن الحاخام الحاسيدى يفعل كل ذلك وأكثر

بكثير. إنه هناك ٢٤ ساعة فى اليوم ، وتعلق زوجته وهى تستمع للحوار بأن «أغلب المكالمات تأتى بعد منتصف الليل.»

كان يوجد على المكتب المواجه الحاخام هورفيتش صندوق نحاسى، غطاءه مفتوح قليلاً، يضع داخله الحاسيدى الفدية، وهى هبة نقدية- تختلف قيمتها حسب واهبها الذى يرفق معها شكواه المكتوبة .

وأغلب الحاخامات يأخذون فدية. ومن بين الذين لا يأخذونها (جيرير)، لأن أسرته ثرية، ولوبفيتشر فقبل مرضه فى فبراير سنه ١٩٩٢ الذى أدى إلى اعتزاله، كان يمنح ورقة من فئة الدولار لكل شخص يزوره. إلا أن الفديه نصف رمزية. فمن المتوقع أن يساهم الحاسيديون بسخاء مستمر وباستمرار للحفاظ على تجمع الريبى وعلى اليشيفا، ومدارس اللاهوت والمعابد والمؤسسات الأخرى التى يحافظ عليها مقرهم الدينى.

وشقة الحاخام القدس هورويتش، (وهو يقسم وقته بين القدس وبوسطن)، الكائنة فى إحدى ضواحى هارنوف صغيرة ومتواضعة. وقد حاول إيجاد هذا الجوار الذى كله من الأصوليين فى بداية الثمانينيات، وكنيسة الذى يتضمن الكوليل (المدرسة العليا للرجال المتزوجين، ويقف مهيباً على التل المجاور، هو محور حياة الجماعة.

يقول الحاخام هو رويتش: «إن الحاسيدية سبقت فى تحليلاتها علم النفس الفرويدى، ويمكنك أن تجد ذلك فى التلمود»، وتماما مثلما وتماماً مثلما أن الاحتياجات النفسية للحاسيدى وتوقعاته من الحاخام بقيت دون تغير جوهرى منذ بدايات الحركة؛ فإن الإيمان بالقوة الخارقة للطبيعة مازال يلعب دوراً هاماً فى رؤية الحاسيدى لحاخامة، وكذلك فى رؤية الحاخام لنفسه، إلا أن البوستونى الراحل مثل البويانير الأكثر حياءً، يكون حذراً عند تناول هذا الموضوع؛ ان الحاسيديين البولنديين،

الذين كنا جزءاً منهم، يعبسون عموماً تجاه أى توقع للأحداث خارقة للطبيعة تأتى من الحاخام، رغم أن الحاخام فى الواقع يمكنه تحقيق أشياء عن طريق صلواته. كان أبى يقول عن قصص البال شيم توف، وغيرها إننا غير مضطرين للتصديق بأنها حقيقية جميعها ، ولكننا يجب أن نعتقد أنها قد تكون كلها حقيقية. لقد رأينا أشياء معينة فى المنزل. ولكننا إذا حاولنا أن نناقشها مع أبينا يخرسنا، إننى أفهم الناس الذين يضعون حياتهم ومستقبلهم بين يدى الحاخام، والذين يطلبون نصيحة بشأن القرارات الهامة فى حياتهم، متوقعين أن يكون له أثر تأثير إيجابى فيها. ولكن هنالك فرق بين تقدير عظمة شخص ما، وبين أن تقول له «يجب أن تحقق لى ما أحتاجه».

وعندما يطلب منى شخص المباركة، لن أعطيه مباركتى دون أن أحاول معرفة بعض الشئ عنه، وأن أجد شيئاً ما أبنى عليه الثقة فى قرارة نفسه بما قد يحدث، والتى يجب أن تكون مباركتى قادرة على التأثير فيها .

ما وجه التفرد فى الاستجابة لدعاء الحاخام؟ والسؤال الذى يظهر دائماً هو لماذا يجب بأن تكون صلوات الحاخام مؤثرة ومقبولة أكثر من أى شخص آخر؟ فالله، فى نهاية الأمر يستمع لصلواتنا جميعاً ...

«أن الحاخام والحاسيدى شخصان يستطيعان اللقاء روحياً. فهناك اتصال بين دقات قلبيهما. والحاخام بصفته الذى يجب أن يكون، خادماً لله بالشكل المفروض أن يخدمه بها، يخدم بالنيابة عن الحاسيدى أيضاً. وكما رأينا، تصبح مشكلة الحاسيدى مشكلة الحاخام. والآن، فى السماء، يتردد السؤال ما إذا كان هذا الشخص يجب أن تستمر معاناته. فعلى فراش هذا الرجل المريض– الذى ربما كان مرضه بسبب بعض الأخطاء التى ارتكبها، أو أيا كان الأمر– يوجد فجأة شخصان بدلاً من واحد. فالحاخام يرقد هناك إلى جواره .

«الآن ليس من المفترض أن يعانى الحاخام، فلماذا يجب أن يعانى؟ إلا أنه الحاخام يقول: إن هذا الرجل يعانى، وأنا معه أعانى».

وهكذا تدخل فضائل الحاخامات فى الميزان الإلهى، وتتنامى فى اعتقاد الحاسيديين ويذكر الحاخام هوروفيتش، فى حالته الخاصة، أنه ساعد آلاف الشباب على إعادة اكتشاف يهوديتهم ، وفى حالات كثيرة، على العيش حياة أصولية، إنهم وأولادهم أيضاً الآن، «يتبعون التعاليم طول الوقت »، وبذلك يبنون مصداقية الحاخام. وفى كل مرة يصلى فيها من أجل أحد، يضاعف بذلك مصداقيته أيضاً، وبذلك يبقى فى مهمته بزداءه الأسود»

ويسجل الحاخام البويانير نفس النقاط، بأسلوبه الأكثر استبطاناً. «إن لدى أسماء الناس فى الكفيتلاش وأنا أحاول أن أصلى من أجلهم. والصلاة لا تعنى فقط ثلاث مرات فى اليوم. فالواحد يستطيع أن يسأل الله طول الوقت أن يساعد أحد الأشخاص. وطيلة اليوم، يكون فى رأسى حالات معينة تحتاج للمساعدة، حتى التى يجب على «نيشوس» النضائل التى تعلمتها أو إحدى الوصايا أن تساعدهم .

فى سنوات ماضية، كان هناك بالطبع توقع لتدخل القوى الخارقة للطبيعة بواسطة الحاخامات، وفى أحيان كثيرة كان يتم تحقيق ذلك. وهذا موجود فى هذه الأيام أيضاً، ربما ليس بشكل مفتوح أمام الرأى العام، كما كان الحال قبل سنوات، إلا أن ذلك التوقع موجود اليوم على كل حال .

«ماذا يعنى هذا بالنسبة لى؟ أنها تجعل الشخص يتوقع المزيد من نفسه. فكل شخص يجب أن يحترس فيما يقول. وعلى الحاخام، الذى يدرك أن كل شئ يقوله سينظر إليه الحاسيديون بطرق مختلفة، وسوف تحلل بكل الطرق المختلفة، أن يكون حذراً جداً.

«وعندما يأتى الحاسيدى لاستشارة الحاخام، فإن ذلك مناسبة خاصة. فالحاسيدى يعد نفسه. والريبى يكون قد أعد نفسه أيضاً، إننى لا أشعر أننى أتحدث بأى طريقة مختلفة.. إننى أحاول أن أفكر وأتصرف مع الناس بنفس الطريقة التى أفعلها عندما أكون مع نفسى. فأنا لا أرى أى اختلاف فى نفسى. إلا إننى أعلم أن هناك اختلاف. أعرف أن هناك عون من السماء. وأن الناس الذين تمت مساعدتهم، إنما تمت عن طريق عون السماء.

الفصـــل الرابع

المائدة المرتفعة

بالنسبة للحاخام البوياني، يعد التصرف بطريقة طبيعية وبشكل متسق فى كل المواقف غاية شخصية وروحية هامة. فهو يقول «أن الحاخام شخص سلوكه واحد على المائدة الإحتفالية، أو بين جماعية؛ أو فى غرفة نومه، ولا يتغير سلوكة سواء كان هناك كثير من الناس أو قليل . وأنا أجاهد نفسى كى لا يكون هناك أى اختلاف. أحد الحاخامات فى عائلتنا، وهو هوسياتينير، كان يتبعه ألاف الحاسيديين فى أوروبا قبل الحرب، وبعد ذلك بسنوات فى تل أبيب، وبالكاد يتجمع حوله عشرة من الأتباع لاكتمال نصاب الصلاة، إلا أن الناس قولوا أنهم لم يروا أى اختلاف على الإطلاق فى سلوكه، لقد كان بالضبط نفس السلوك .

و الوجبة الاحتفالية الرسمية للحاخامات الحاسيدين يوم السبت هى أقوى اختبار لهذه الصفة. فى بويان، تتم الوجبة الاحتفالية فى قاعة المعبد الكبيرة المخصصة للدرس فى مبنى اليشيڤا. (مدرسة التلمود)، ويجلس طرف المائدة الطويلة ذات الغطاء الأبيض، وعلى طول جانبى المائدة يجلس الأكب سنأر. وخلفهم توجد مصاطب مدرجة قوية على عجلات تدخل المكان قبل بدء الوجبة الاحتفالية، وعلى هذه الأسطح يقف الحاسيديون الصغار وطلبة اليشيڤا للمشاهدة .

إنهم يراقبون الحاخام، الذى يأكل ويشرب، يقدم فاكهة وأكواب بلاستيكية صغيرة من الخمر. وهو يقول: «ليشائيم»، وهو النخب اليهودى التقليدى، لكل شخص بالشابع. وبالطبع لا يستطيع بلوغ كل الأيادى، ولذلك يتصل بهم بالنقاء النظرات، وبحركة خفيفة من يده، يستجيب لها بحماس كل فى دوره. وبينما تعبر نظرته صفوف الحاسيديين، ترتفع الأيدى فى حركة تحية. وعندما يتحدث، تشرئب أعناقهم لسماع

التوراه التى يقولها بعذوبة ويملؤها بتوريات وإشارات للكتب المدراشية والحاسيدية، إنه يغزل أفكاره. وعندما يبدأ أغنية، يشتركون جميعاً باستمتاع ويتمايلون مع الغناء بينما يضبط إيقاع النغمات بحركات ذراعة الرقيقة ويتلو عليهم النصائح وبإشارة منه يتوقفون على الفور، وقد تستمر الوجبة الاحتفالية لساعات، وكل العيون مسمرة على الحاخام. ومن درجات سلم البهو، تختلس النساء والبنات النظر من خلال ستار شبكة معتمة. إلا أنهن مشاركات سلبيات حيث لا يتصل الحاخام بهن .

وفى الفكر ملحوظة الحاسيدى، كل نشاط إنسانى طريق للعبادة، بما فى ذلك الأكل، ووفقاً للقبلانية، فإن عملية تناول الطعام، إذا تمت بالغرض اللائق، تحرر «الشرارات الإلهية» الملتقطة فى الطعام، والتى تتوق للعودة إلى أصلها السماوى، وعلى مستوى أكثر عامية، فإن وجبة الحاخام الاحتفالية هو بؤرة الأسبوع فى الساحة الحاسيدية، وهى الحدث الاجتماعى الأساسى، متشربة بالمحتوى الدين عن طريق أغانى شباط ومواعظ الريبى، التى يحفظها (يرددها) الطلبة المختارون، (الكتابة والتسجيل ممنوعان فى يوم السبت) فالمواعظ تسجل غالباً بعد ذلك، وتنشر عن طريق هؤلاء الطلبة أو عن طريق الحاخام نفسه، ومعظم الكتب الحاسيدية تتضمن محاضرات ألقيت أساساً فى الوجبة الاحتفالية .

إن الوجبة الاحتفالية البوينرية لاتحتوى الكثير من الطعام، فالحاخام يتناول وجبته الاحتفالية فى المنزل مع أسرته، ويشعر أنه ليس مستعداً بعد من الناحية الروحية لإعطاء الشراييم (بقية الأكل)– وهو عامل أساسى أخر فى الوجبة الاحتفالية .

وفى ڤيشنيتس Vishnitz . فى بنى براك، كما فى معظم الجماعات الحاسيدية الآخرى، فإن الحاخام رابى موشيه يهو شوا هاجر، يواظب على إقامة الوجبة الاحتفالية، وكل شخص موجود يشارك فى تناول (الشراييم). والڤيشنيتز، جماعة كبيرة لها مؤيدون أثرياء فى أوروبا وأمريكا، ولذلك لها مبنى منفصل خاص للوجبة الاحتفالية، بجانب المعبد الأنيق. وتصميمه مثل الذى فى بويان، ولكن على مستوى

أكبر، فالأعمدة ترتفع خمسة أو ستة طبقات فى الهواء.

والقسم الأقرب للحاخام مخصص لمجموعة المرتلين الرسمية، مع قائدهم ومؤلفهم الموسيقى الذى يقوم بضبط إيقاع الأغانى والترانيم الڤيشنيتزية .

تبدأ الوجبة الاحتفالية ليلة الجمعة بقيام الحاخام بصلاة الـ (كيدوش)، التى تُتلى فوق كأس فضى أو ذهبى من النبيذ. وهذ هى ذروة الوجبة الأحتفالية، أو السبت فى مفهوم الهلاشا، وأغلب الحاخامات يضعون الكثير من الطاقة والعاطفة فى هذه الصلاة، بينما يستمع الحضور ويشاهدون باهتمام بالغ، وتحكى القصص الحاسيدية عن الحاخامات الذين بلغوا قمة الإنجذاب أثناء الصلاة (الكيدوش) حتى أن معظم الخمر قد يخرج من الكأس. والحاخام فى بويان- تشيرنوڤيت مناحم ناحوم فريدمان (١٨٦٩- ١٩٣٦)، يُذكر عنه أنه أسقط الكأس نفسه، ولكنه استمر فى شد الأنظار إليه وكأنه مازال ميمسكاً الكأس بيده الممدودة .

كما أن حاخام بيالير، رابى يهيل يهوشوا لابينوڤيتش ، الذى مات عام ١٩٨٤ ، كان يأخذ نصف ساعة فى الكيدوش (التلاوة الاعتيادية للنص تحتاج إلى حوالى دقيقة) وهو يقفز ويدق الأرض بقدميه ويصرخ بالكلمات فى تيارات شديدة العاطفة. وفى القدس اعتاد الناس التجمع تحت نوافذ معبده الصغير ينصتون لتلاواته، وصوته المدوى فى سكون الليل .

وبعد الفراغ من الصلاة الكيدوش، يغسل الحاخام الڤيشنيتزى يديه ويبدأ فى قطع أرغفة كبيرة من خبز الهالا المرصوصة أمامه. ويكمل أعونه المهمة، حيث يناولون قطع الخبز لمئات وأحيانًا الآف الناظرين .

ومن خلف مقعد الحاخام، حيث المطبخ، يخرج صحن كبير تتوسطة سمكة كاملة كبيرة، محاطة بشرائح من السمك الذى هو أساس الطهى اليهودى الأوروبى التقليدى. ويبدأ الحاخام أولاً بالسمكة الكبيرة، ثم القطع المحيطة بها، ويغمس الخبز فى الصلصة، ويأكل ببطء، وكأنه غافل عن الأعين المراقبة لكل حركة، والأفواه التى سال لعابها. وهو يناول أطباقاً صغيرة من السمك لأقاربه المقربين والعديد من كبار الحاسيديين الجالسين إلى المائدة، ثم يقوم مساعدون بالأمر مرة أخرى، ويوزعون السمك الباقى ويناولون القطع من المائدة إلى المقاعد وتمر من يد إلى يد، بينما يشير الحاخام أحيانا للقمة معينة من أجل حاسيدى معين. وعلى الفور، يكون كل شخص قد تذوق الطعام، والأن يبدأ شرب النبيذ وطقوس تبادل الأنخاب (لوشائيم)، كما يحدث فى بويان ولكن على نطاق أوسع .

إن العصر الحديث، عصر الأنية وأدوات الطعام البلاستيكية، ساعد الحاسيدية على تخطى بعض المشكلات الخاصة بنقل الطعام، والمشكلات الصحية للوجبة الاحتفالية. فى أيام الربيى الڤيشنيتزى السابق الحاخام حاييم مايئر (١٨٨٨– ١٩٧٢)، على سبيل المثال، كان أحد المساعدين يمشى عبر المائدة فى جواربه البيضاء ينقل الحساء ملعقه من وعاء الحاخام إلى أفواه الحاسيديين .

إلا أن العادات القديمة تموت بصعوبة، خاصة عندما يتم استثمارها بشكل فعلى عند الچير ، هناك إزدراء للصفوف المدرجة، النافعة لكتل الحاسيديين المزدحمين الذين يتصببون عرقاً، والذين كانوا يقفون معاً على أرض مسطحة ويحاولون اقتناص نظرة للحاخام، ويعتبر هذا تلاصقاً اجتماعياً، وبناء للشخصية، وشئ يستحق التقدير دينياً، ويسترجع الحاسيدين بفخر أنه ما قبل الحرب بالقرب من وارسو، كان الحاخام مناحم زيمبا (١٨٨٤ – ١٩٤٣)، يرفض دائماً الجلوس فى مكان الشرف فى (التيش) الوجبة الاحتفالية، مفضلاً أن يخوض معركة فى صفوف المشاركين الواقفين المندمجين.

ويحتفظ الحاسيديون الجيريون ببعض البيكشيات لاستخدامها فى التيش، إلا أن هناك قواعد يفهمها كل واحد، فيسمح بضغط مستمر من الكتف، إلا أن ضربة الكوع تعد عملاً مشيناً، والحاسيديون المحظوظون القلائل من الشباب هم الذين يستطيعون الجلوس تحت المائدة، حيث يمكنهم الاستماع للحاخام، وربما رؤيته.

وعلى أية حال، هذه هى تقاليد الجيرير؛ وستستمر إذا كان الحاخام الجديد، رابى بنهاس مناحيم ألتر (ولد فى ١٩٢٦)، سيحافظ عليه عندما يكتمل بناء المعبد الجديد مقر الطائفة فى القدس، والذى تكلف ١٣ مليون دولار. لقد خلف أخاه، الحاخام سيمشا بونيم ألتر، الذى توفى سنه ١٩٩٢.

وفى كل وجبة احتفالية للحاخام، سواء كان التقليد يشجع الدفع أو التزاحم أم لا، فإن كل الحضور سوف يحركون أنفسهم، وعلى الأقل سوف يخوضون حركات الدفع والتزاحم، وعندما يبدأ الحاخام فى الحديث. وبعض الحاخامات يتحدثون عدة مرات فى كل وجبة احتفالية، إلا أنه، خاصة فى المساء الطويل المتأخر لأيام الجمعة فى الصيف، يمكن خوض معركة كبيرة للفت انتباه جماعة المصلين والحفاظ على هذا الانتباه. والحاخام البوبوڤير فى نيويورك، الذى يبلغ ٨٥ عاماً، يهتم كثيراً بمواعظ، يجهز لها، فى الوقت الذى يجلس فيها الحاسيديون فى بيوتهم يتناولون عشاءهم. هذا ما يقوله عنه ابنه ريب نافتولى وفى الوقت الذى يجتمعون فيه للوجبة الاحتفالية، وقد يكون الوقت قد اقترب من منتصف الليل، تكون الرؤوس تدلت واحدة واحدة، بينما يحاول الحاخام بعزيمة قوية أن يُبقى أتباعه المرهقين بتفسيراته الأخلاقية الخاصة بتلاوة التوراة فى اليوم التالى، إنه يحتفظ بتلاوة قصته الشهيرة تيشين ليلة السبت. فى ذلك الوقت يكون الحاسيديون قد ملأوا بطونهم فى فبراير، وأصبحوا منتبهين مستيقظين.

وفى أغلب الوجبات الاحتفالية، يكون الحاسيديون قد أكلوا وجباتهم فى البيت. وطلبة اليشيفا فى حجرة طعامهم، ولذلك فهم لا يتوقعون قطعاً كاملة من الأطباق الرئيسية للحاخام، فقط لقمة رمزية. أما الكوچيل Kugel ، فهو أمر مختلف. وظهور هذه المتعة المتعلقة بالطهى عند اليهود فى أوروبا الشرقية، والمصنوعة من حساء المكرونة أو البطاطس، تمثل قمة التذوق فى المأكل فى هذه الليلة. فالطهاة لا يصنعون إناء كوچيل واحد، وإنما خمسة أو ستة من السجق المدخن الضخم، حتى يستطيع كل شخص أن يحصل على شريحة معقولة الحجم.

وبين الدروس تقود فرقة المرتلين جماعة المصلين بكاملها فى تلاوة الترانيم التقليدية أثناء تناول الوجبة. ويتم ضغطها أو مدها لكى تلاءم النغمة الموسيقية، التى يختارها قائد فرقة المرتلين. وكل مقر حاسيدى له تقاليده الموسيقية الخاصة، وجميعهم يشتركون فى بعض النغمات القديمة المؤثرة فى المشاعر، والتى يعود تاريخها للباعل شيم توف وتلامييذه الأوائل.

وفى مودزيتش، والتى مقرها معبد متواضع فى شارع ديزينجون فى تل أبيب، يقود الحاخام نفسه الغناء وكثير من الصلوات الأساسية. ومتوقع منه أن يعرف عن ظهر قلب مئات النغمات المودزينشيه، التى ألفها سابقوه، وبعض هذه النغمات نسبياً، بإيقاع المارش أو الفالس. ولكن بعضها الآخر أعمالٌ طويلة ومعقدة. مليئة بالشجن والحزن، بالرغم من أنها عادة ماتتدرج حتى الوصول إلى غلبة التأكيد على الإيمان، فى الحركة الأخيرة المثيرة .

والحاخام الحالى، رابى دان توب مطلع على كل الموسيقى، بل إنه بدأ تأليف أعمال خاصة به، بالرغم من أنه لسؤ الحظ لم يحظى بصوت انسيابى، حاخام كليڤر وعلى عكسه من الناحية الأخرى، رابى مناحم مندل توب (ليس هناك قرابة بينهما)

فى بنى براك، له صوت حلو مؤثر، وهو يغنى منفرداً فى التيشين به لإسعاد أتباعه الحاسيديين.

إذن، ما هو المفترض أن يفكر فيه احاخام أثناء «التألق»، أسبوعاً بعد أسبوع، وبعضهم يقيم احتفالين أو ثلاثة كل سبت، فى هذا العرض الذى يؤديه رجل واحد؟.

وفى سعيه من أجل الاتساق السلوكى، يلاحظ الحاخام االبوريانى: «هناك أشياء يجب أن يفكر فيها الشخص ليس فقط فى وجبته الاحتفالية، وإنما دائماً، وأنا لا أفكر بشكل خاص فى التأثير على الناظرين. بل يجب أن أفعل ماهو واجب على، وليساعد الله [تبارك وتعالى] هؤلاء الناس على أن يالشعور بما يجب أن يشعروا به».

«وقيام الحاخام بمناولة الطعام أو الفاكهة هو عمل رمزى للخير، والقيام بشئ طيب للأخرين. وإذا كان الحاسيدى يعتقد فى ذلك بشكل سحرى أو صوفى– فإن هذا هو جانبه فى القصة».

وهناك بعض الحاسيديين يعتقدون فى ذلك صراحة. والبعض منهم يأخذون فى جيوبهم بقايا طعام الاحتفال لكى يشارك بها زوجته وأولاده بعد ذلك فى البيت. وفى الحاسيدية اللوباڤيتشية، لاتمارس نفس تقليد التيشين، ولكن الحاخام، قبل مرضه، يناول النبيذ والڤودكا، وأحياناً يقف على قدميه لساعات حيث يمر أمامه صف لا نهائى من الحاسيديين والزائرين للحصول على شراب الليشيم (النخب اليهودى) والمباركة، بينما يستقر نظر الحاخام للحظة على وجه كل رجل أو صبى. وكانت الڤودكا تخذن، وتفرغ فى ڤوارير ڤودكا أخرى، وتصب هذه فى زجاجات، حتى لا يخلو بيت لوباڤيتشى من نوع «ڤودكا الحاخام» القيمة.

الفصل الخامس

باتيا والسائق

إن لوبا ڤيتش أو حاباد حاسيديم حالة منفصلة، وظلت دائماً هكذا. كان هذا إلى حد ما راجعاً إلى الموقع الجغرافى الأساسى للحركة حتى العشرينيات، فى ليتوانيا وروسيا البيضاء، حيث لم تفلح الحاسيدية أبداً فى التغلب على نظام الحاخامات المستقر. يعيش المتناجديم والحاسيديم جنباً إلى جنب، على أفضل حال، فى تعايش وارتياب. كانت الحاباد علاوة على ذلك تعتبر دائماً أكثر عقلانية من الجماعات الحاسيدية الأخرى، تقول المستناجيديمية إن هذا كان نتيجة للجغرافيا،كان اللوباڤيتشيون هم الليتوانيون المنحدرون من موطن الميتناجيديمية، وهكذا فمن الطبيعى أنهم قاموا بزرع طريقة أكثر علمية وأكاديمية، حتى فى حاسيديتهم.

نظر الحاسيديميون إلى ذلك الأمر بطريقة مختلفة. فيقولون إن كل منزل حاسيدى هام متخصص فى احد وجوه الحياة الدينية أو الفكرية. وأكد بالتالى بريزليف على خدمة السعادة التامة، ومدرسة كوتزك أكدت على الحقيقة والصدق، وركز ڤيشنتس على حب الرفقاء اليهود. وإنه وفقاً لهذه الدراسة كانت خاصية حاباد هى التأمل اللاهوتى.

إن «تانيا» التى كتبها مؤسس الحاباد، الحاخام شنوير زالمان، من المؤكد أنها ظلت المثل النموذجى للاهوت الكاسيدى. كتب شنوير زالمان أيضاً مجموعة قوانين، قيل أنها نزولاً على رغبة مجيد ريب بير، حيث أراد أن يوضح أن الحاسيديين كان لديهم درجة عالية– ولم ينحرفوا أيضاً عن الهالاتشا فى أى نقطة تفصيلية هامة– حاول الحاخام شنوير زالمان أن يحصل على أنصار ضد جاعونڤيلنا، زعيم ميتناجديم، بأمل إقناعه بأنه قد تم تضليله بشأن الحاسيديمية. إلا أنه قد تم صده مراراً.

إن أحد المظاهر المميزة لعقلانية الحاباد هو حافز الحركة الدافع إلى طباعة الكتب. إن معدل ما لدى الحاسيدى اللوباڤيتى فى منزله هو خزانات كتب مليئة بتعاليم وأقوال وخطب وخطابات وكل الكتابات الأخرى لأرباب الحركة السبعة، وعشرات المؤلفات التاريخية والسير الذاتية وكتب الحكايات والأدب المرتبط. بينما تكون بعض الأعمال مثقفة وعميقة، تبدوا الأعمال الأخرى دنيوية مضجرة مؤرخة الأعمال اليومية للأرباب ومساعديهم، ثم إنتاجها بصورة جميلة ومرتبطة بشركة حاباد للنشر فى نيويورك.

إن الرّبّان الحالى مناحم مندل شيرصن (المولود عام ١٩٠٢) أدخل صفة مميزة له، أراد أن يتم طباعة «تانيا» فى كل مكان على الأرض حيث يعيش اليهود. (إن تانيا، بتقليد حاباد، مثل التلمود ذاته، مطبوع بصورة ثابته بنفس الترقيم، لذا فإن كل تلك التغييرات الحقيقية فى الطبعات المختلفة هى تغييرات فى عنوان الصفحات)، إنه منذ عام ١٩٧٣ عندما تم إصدار نظام الربان ثم إنتاج «التانيا» فى مثل تلك الأماكن بعيدة الإحتمال مثل غرناطة وكالدونيا الجديدة. جلب الحاسيد الحاباد مطبعة عبر قناة السويس بعد حرب الشرق الأوسط عام ١٩٧٣ لطبع النص المبجل بالنسبة لهم الخاص بقطعة الأرض المصرية التى تم الاستيلاء عليها أثناء القتال (وتم إعادتها بعد ذلك مباشرة). وقد أحاط تلك الطبقة المميزة الجناح اليمنى الإسرائيلى بأهمية سياسية لأن الرّبّان عارض بالفعل وبشدة أى إعادة لأى أرض تم أخذها من العرب.

إن حاباد، بالنسبة للغرباء ولمن هم غير هاريديين، مختلفة وأمر خصوصى ليس بسبب أصولها الجغرافية ونزعتها الفكرية (أو شدة ولعها بالكتب)، وإنما بسبب سعيها إلى سد ثغرة الجهل بطريقة أكبر من أى سعى قامت به أى مجموعة هاريدية أخرى، حتى أنها سعت فى أغلب الأحيان لسد ثغرة العداء بين الهاريديين واليهود الآخرين.

يمكن أن تجد «الحاباد سكاريين» يحاضرون للطلاب فى الحرم الجامعى فى أمريكا الوسطى، أو يعملون فى فندق فى هونج كونج، أو يقيمون احتفالاً بعيد الفصح للسائحين فى كَاتْمَانْدو.

إنهم يتولون زمام الأحداث- العامة ذات المظهر النبيل التى أعدت لتعزيز اليهودية- الحاباديمية كما يقول عنها خصومهم- فى وسائل الإعلام العامة: إضاءة هانوكا مينورا ضخمة فى ميلانو أو ملبورن، تقديم هدية للرئيس فى البيت الأبيض بمناسبة عيد ميلاد الرّبّان، شرح «نواميس نوح السبعة» لملك سوايزلاند.

(إنه وفقاً للحالاتشا فإن الذين هم غير يهود أو منحدرين من أصل نوح مطالبون بالتقيد بالوصايا السبع- بالمقارنة بيهود عام ٦١٣. فهى وصايا ضد الوثنية والإلحاد والقتل والسرقة وإتيان المحارم وتقطيع اللحم من حيوان حى، وتوجب إقامة محاكم قضائية؛ قام الحاخام شنيرصون بإصدار تعليماته لمبعوثيه حول العالم أن يجعلوا هذا المفهوم كل غاية رجال الدولة والقادة الباسيين «ليكون بمثابة قاعدة أساسية للسلوك الأخلاقى».

يرسل الرّبّان مبعوثية حيثما يوجد اليهود أيما كان عددهم أو مهما كان بعدهم عن معتقدهم القويم. يأتى المبعوثون دون دعوة ليعطى ويفسر الملحوظة، ويطلق بحثهم الدؤوب عن الأرواح اليهودية فأقاموا المدارس والمعسكرات الصيفية، وقاموا بزيارة المرضى، وإقامة شعائر يوم السبت فى حرم الكليات، ودعوة الطلاب إلى منازلهم. يحاولون الإمتزاج بالجالية المقامة، إلا أنهم فى بعض الجاليات يتم الحنق عليهم باعتبارهم مبعوثين طائفيين، وتجعلهم القيادة المحلية على الهامش؛ وناصب بعض اليهود العداء للمضايقة المستمرة من جانب الحاباد مكاريين-غالباً- وكانت هذه الحالة بصفة خاصة فى روسيا قبل الجلاسنوست- يعملون فى أماكن لا تكون فيها

يهودية منظمة أخرى.

تقول حاباد أن لها ثلاثة ألاف مبعوث. يتضمن العدد زوجات المبعوثين اللاتى يعتبرن شركاء كاملين فى المهمة وعليهن العمل بجد مثلما يعمل أزواجهن، وهم منتشرون فى ثلاثة وثلاثين بلد حول العالم، وفى أربيعن ولاية فى الولايات المتحدة الأمريكية. هذه الشبكة تجعل الحاباد أكبر منظمة فى الهاريدية وتفوق الأخريات بمراحل.

أقام المبعوثون المعابد اليهودية، والمدارس، ومدارس الحضانة، وبرامج تعليم الكبار، وبيوت الطلاب، والمقاهى، حتى مراكز علاج سوء استخدام المخدرات. ومن المتوقع أن يقوموا بتنمية مواردهم المالية الخاصة بهم من داخل الجالية، كما يقومون بالتبشير والحديث وإلقاء المحاضرات حيثما يتسنى لهم منبر الوعظ أو المنصة غير منزعجين من الهجوم عليهم، ولا يفسدهم النجاح وغير هيابين من الفشل. إن رجل الحاباد فى مدريد الأمريكى الأصل، يوسف جولد شتاين- ظل هناك لعشرات السنين إلا أنه يعتبر كغريب من جانب التمسك بالتقاليد بشدة لكنه لا توجد جالية السيفارديم من غير اليهود بدرجة كبيرة فى العاصمة الإسبانية- يرسل أطفاله إلى مدارس حاباد فى فرنسا أو المملكة المتحدة فى سن التاسعة. ولم يفكر مع هذا الانتقال. إن اتمرار خدمة المبعوث فى أى مكان معين يققره الربّان.

إن باتيا كالما نصون، على سبيل المثال، تبدأ يومها العملى فى السادسة صباحاً كل صباح طوال الثمانية عشر عاما الماضية، تطهو الطعام فى مدرسة لوبفيتش فى ضاحية أوبرفيير وهى إحدى ضواحى باريس. وتقول إنها مؤخرا تصل متأخرة قليلاً؛ ليس لأن السادسة صباحاً وقت صعب بالنسبة لإمرأة فى أواخر الستين من عمرها وإنما «بسبب نمو المدرسة بدرجة كبيرة، شكراً لله، حيث أن لدينا الأن هيئة إضافية

للمطبخ»، مازالت تنهض فى الفجر أيام الجمعة عندما تقود سيارتها المينى باص لسوق الجملة للفاكهة والخضر لتشترى الإمدادات للأسبوع التالى، وتشرح قائلة: «أود الحضور مبكراً، ليتسنى لى الخيار الأفضل، إنها تأخذ زوجها شوليم منديل معها إلا إنها هى التى تقود السيارة وتقول أكون عصبيه قليلاً عندما يقوم أحد ما بالقيادة».

باتيا، التى تغطى شعرها بباروكة على الغرار الهاريدى ومرتاحة جسديا مثل اليديش رغم مدة بقائها خمسة وأربعين عاما فى فرنسا، هى سائقة أتوبيس ضليعة. عندما بدأت المدرسة فى الستينيات بدأت تلتقط الأطفال من أوبرفيير والضواحى المحيطة وتعيدهم إلى منازلهم ثانية بعد الظهر، وتقوم بالأعمال الإدارية أثناء اليوم.، ولاتزال تقود الأوتوبيس لو لم يظهر السائق.

تقول: «إنها تود التوقف عن العمل، وغالباً ما تفكر فى ذلك. فلديها الكثير لتقوم به فهى تحب القراءة على سبيل المثال. وبإمكانها قضاء المزيد من الوقت مع أحفادها؛ إلا أنهم يتوجب عليهم الحصول على ثلاثة أشخاص ليحلوا محلها. وإن طلبات الرّبّان كثيرة. وإنه قاس كثير المطالب! ويعمل هو نفسه بجد بطريقة مذهلة.».

إن باتيا كالما نصون وزوجها شوليم مينديل لم يكونا مبعوثين نموذجيين. لم ترسلها مقر القيادة فى بروكلين إلى باريس لكنهما وصلا إلى هناك قبل أن يبدأ نظام المبعوثين فى الظهور بصورة رسمية بفترة طويلة. لكن باتيا بالمعنى العميق هى النموذج الأصلى للوبافيتش هاسيد والمبعوث التى تعيش كل حياتها فى خدمة الرّبّان والحركة. وإن باتيا وشوليم مينديل غرسا قيمهما فى عائلتهما، إن ثمانية من أطفال كالما تصون التسعة هم مبعوثون حاباد أو مدرسون فى باريس أو للجاليات اليهودية حول العالم.

جاء مولد باتيا فى عائلة تشن، وهى بارزة من الحاسيديم اللوبافيتش فى روسيا. إن ذكريات طفولتها، فى قرية صغيرة ثم موسكو، مليئة بالتوتر والخطر حيث أن والدها

وأصدقاءه حاولوا الحفاظ على التقاليد القديمة فى مواجهة النظام الجديد «ومخلبه اليهودى الإدارة اليهودية فى الحزب الشيوعى»، وقد هربت العائلة عام ١٩٤١ ناحية الشرق واستقرت فى سمرقند مع مجموعات اللاجئين اليهود الأخرى من روسيا وبولندا، كانت الحياة قاسية هناك إلاّ أن المضايقة الدينية كانت أقل شدة لأن اليهود المحليين كان معظمهم من السفاردى، وقد دخل ثلاثمائة طالب لوباڤيتش القبو،وعندما إنتهت الحرب ثم إعادة الوطنيين البولنديين ونجحت عائلة باتيا العبور كبولنديين أيضاً، ووجدوا أنفسهم فى قصر متهدم خارج باريس بعد قضاء سبعة شهور فى معسكرات المرحلين بالقرب من ڤيينا؛ حيث تم وضع لجنة توزيع مشتركة، جمعية خيرية يهودية أمريكية، فى خدمة جماعة حاباد، وأقاموا مدرسة بنات فى الدور الأرضى حيث يعيش فوقه العديد من العائلات (إن مدرسة بيس ريڤكا العالية للبنات اليوم ومعهد تدريب المدرسين يحتلان أماكن منفصلة قريبة بينما يستخدم القصر كمركز خدمة اليهود اللوباڤيتش فى فرنسا.)

وبعد عامين فى أيرلندا حيث قام شوليم مينديل بذبح العجول للتصدير، تقول باتيا: «لم يكن هناك أى من اللوبڤينش وتعودنا على أن نكون مع أنواع أخرى من اليهود» فكرنا فى الذهاب إلى أمريكا. وقد رحل والدى إلى أمريكا مع شقيقى وشقيقتاى. وطلبنا من الحاخام وكان الرد: إسألوا أصدقائكم فى باريس وفهمنا أن ذلك معناه أنه علينا البقاء هنا».

واستمروا هناك، وعمل شوليم مينديل كذابح شعائرى وقائم بالتختين وكانت الحياة هادءئة، وغير ممتعة بصورة إجمالية. وتتذكر باتيا «ذهب رجل عجوز إلى الرّبّان ليشكو من عدم وجود يهود فى أوبرڤيير. أجاب الرّبّان. «حقيقى!»، «لكن هناك مائتى عائلة يهودية لماذا لم تتصلى بهم؟ ربما نستطيع أن نبدأ بمدرسة ...»

«قال الرجل العجوز إنه لم يرى يهودياً آخر سوى عائلاتنا القليلة. إلا أن شوليم ميندل التقط دليل التليفون وبدأ البحث عن الأسماء اليهودية. أرسل دعاوى توديع الملكة (يشير إلى عشاء يوم السبت ليلاً، إن السبت هو الملكة أو العروس). ويجب أن ترى ما ينتهى إليه الحفل. ولقد حضروا جميعاً مؤخراً من شمال أفريقيا. قابل البعض أناساً لم يروهم لسنوات ولم يعرفوا أنهم كانوا يعيشون فى الجوار، وعندما أحصينا الأسماء وجدنا أن هناك مائتى عائلة!.

«لذا بدأنا المدرسة. عمل زوجى أياما وليالى. دفع الكمبيالات من المرتبات. عبر باريس جيئة وذهابا يجمع المال لكنه لم يكن أبدا جيدا فى هذا الأمر. كانت بناتنا أول المدرسات، وتولت بالتدريج الفتيات خريجات مدرسة بيس ريفكا التدريس. قال الرّبّان: «فلتقيمو معسكرا يوميا فى الصيف». وقال إن المعسكر سوف يجلب المال، وأتى بالفعل بالمال.

كانت المدرسة فى بادئ الأمر للأولاد فقط. لكن أولياء الأمور ضغطوا علينا لأن نقبل البنات بالمدرسة. لذا فقد أقمنا مدرسة بنات منفصلة. وتطورنا ببطء. طاف زوجى على المنازل يقرع الأبواب ويطلب من الناس أن يرسلوا بأطفالهم إلى المدرسة. والداى فى نيويورك كانا قلقين بشأن عملى الشاق جداً. لكن الرّبّان قال: «إن الله يفرج بعملكم. فأعملوا بجد أكبر! إبعثوا بوالديكم ليقابلوننى ولسوف أتعامل معهم».

«بدأت العائلات منذ ذلك اليوم فى إرسال أبناءهم إلى المدرسة، وسرعان ما حدث لنا إنفجار كان من الواضح أن ذلك هو نتيجة لمباركة الحاخام. ولا يمكنك فهم هذا الأمر على نحو آخر. إلا أننا كان لدينا شعور العائلة الرائع فى المدرسة. يقول كل الأباء ذلك أيضاً. وإن التعليم حقاً جيد.

وكتب زوجى إلى نيويورك منذ إثنى عشرة سنة بأن المدرسة وتمويلاتها صارت أكبر من أن يتولى شأنها ويجب أن يرسلوا أحداً إليه. كانت الإجابة: «لديك شخص بالفعل عندك ...» وهو مناحم دويتش زوج أبنتنا. كانا متزوجين مؤخراً وعلى وشك أن يعودا إلى إسرائيل».

يوجد بالمدرسة الآن خمسمائة وخمسون تلميذا حتى سن الرابعة عشر. الحاخام دويتش، وهوالآن فى الخامسة والثلاثين، هو مدير المدرسة. شقيقة زوجته، هايا نيسلڤتش، هى الناظرة. وشقيقة أخرى، سارة، تدير حضانة الأطفال، والشقيق الأصغر يوسف أسحاق مدرس. والمصاريف ألفان ومائتان دولار سنوياً إلا أنه ليس كل واحد يقوم بالدفع. يقول دويتش أن عليه أن يدفع المبلغ إلى خمسمائه ألف دولار سنوى من مصادر خاصة. هناك بعض الدعم فى متناول اليد من الحكومة والسلطة المحلية (شيوعية) لمثل تلك المدارس الخاصة، ولاحظ دويتش بفخر آن منهج المدرسة «معترف به تماماً» وأن نتائج الإمتحان جيدة بإستمرار، ويقوم الأطفال بدراسة مواد يهودية فى الصباح، ومواد عامة بعد الظهر، ويذهب معظمهم إلى المدارس اليهودية العليا.

ثم ضغط المدرسة فى سلسة أبنية قديمة وأكواخ سابقة الصنع ، لكن الأطفال يبدون فرحين تماماً، ولو أتيحت فرصة لقاء مجموعتين من الوالدين فى الساعة الثانية فى ليلة السبت فى دار بيتزاكوشير على بعد من بيچال فإن الوالدين يشعرون بالفعل بالرقى والاحترام تجاه عائلة كالما نصون وعائلتهم الممتدة من المدرسين.

إن مطعم بيچال تكتنفه أنوار النيون بشكل نجمة داوود؛ مما يجعله ساطعا بجانب الإعلانات الأخرى بالمنطقة ، ومما يشير إلى تزايد الشعبية لأكلة كوشير فى باريس هذه الآونة. يوجد أكثر من سيتين مطعماً للكوشير تحت الإشراف الحاخامى فى العاصمة الفرنيسة، بداية من أماكن تناول اللبن والفلافل حتى أرقى وأشيك المطابخ، ولقدكان

يوجد عشرة مطاعم بالكاد منذ حقبة مضت. هل إتساع المطاعم يعكس إرتفاعا فى الإستقامة الدينية بين يهود فرنسا السبعمائه ألف، وهى أكبر الجاليات فى أوروبا؟ إنه من الواضح أن يعكس تزايد رخاء مئات الآلوف من السفارديين الذين هاجروا من المغرب والجزائر وتونس فى الخمسينيات والستينيات، الذين فاقوا الآن عدد اليهود الأشكيناز الأصليين.

قال ثيوكلين، زعيم اشتراكى بارز فى العهد البائد «إنهم يحبون أن يكونوا معا، فيشعرون بأنهم بخير، مشيرا إلى هذه الاستقامة المرهفة. وإنهم يحبون أن يشعروا كما لو إنهم فى إسرائيل»، أما بالنسبة للحاخام الكبير السابق، الجزائرى المولد، رينيه صمويل سيرات لم يكن هناك شك، يقول: «هناك عودة إلى الدين، تراها فى عدد من المطاعم والجزارين اليهود والمعابد والمراكز اليهودية الجديدة حتى فى أكثر الأماكن بعدا، علاوة على عدد المدارس. كان يوجد عام ١٩٨٨، سبع وسبعين مدرسة يهودية، ومائة وواحدة حضانه أطفال، وهنالك المزيد باستمرار».

لم تكن لوبا ڤيتش هى شبكة التعليم التقليدية الوحيدة والأكبر فى الجالية اليهودية الفرنسية. «إن عوتزار خاتوراه، وهى حركة سفاردية عالمية، تدير المدارس فى باريس ومدن إقليمية عديدة، وهناك منظمات أخرى نشطة فى «تجاوز الاستقامة» لكن لوباڤيتش حازت على الثقة لأنها فى الإتجاه الصحيح منذ بداية إنعاش المعتقد الدينى. ويتذكر الحاخام شمويل أزيموف قائلاً: «كنت مازلت طالباً غير متزوج. استدعانى الرّبّان الساعة الخامسة والنصف ذات صباح وأخبرنى أن أذهب إلى فرنسا. وتمنى لى النجاح. وسألنى الربان: هب تعلم ماذا يعنى ذلك؟ إنه يعنى النجاح الكبير جداً الذى لا يمكنك تخيله».

اليوم، يدير أزيموف «شبيبة لوباڤيتش» فى باريس، التى تقدم ثمانية حصص أسبوعيًا للكبار حول المدينة. إن مركزها الرئيس أيام الأحاد يمتلئ بالنشاط. «هناك الآلاف من اليهود التقليديين فى هذه المدينة حيث أقتصرت فى أول الأمر حيث لم يكن يتسنى أماكن أخرى لهم فى ذاك الوقت. لامكان على الإطلاق، ويقول أزيموف: أترى ذلك الرجل، مشيراً إلى حاسيد لوبا ڤيتش بلحية طويلة. إنه من كبار مهندسى الطيران فى داسولت. ويصر الربّان على أن يستمر طلاب المدرسة العليا والجامعة فى دراساتهم...» .

يوجد المئات من هؤلاء بأعالى تسهوڤا القادمين الجدد إلى مجموعة حاباد فى باريس. يرتدى الكثيرون منهم الحاباد شابات «زى خاص» : قبعة سوداء من الجوخ الناعم، معطف طويل أسود مطوق بحزام سميك بشرابتين تصلان إلى الركبتين.

لا يجعلهم «الزى» مميزين عن الأرثوذكس الأصليين أو اليهود الأصليين حقيقة، إن أحد الملتحين وهو محاضر فى تجمع حاباد فى باريس- الذى فقد معظم مستمعيه بصورة واضحة بما فيهم اثنان من الحاخامات تحول إلى اليهودية- وقد بدأ يثير الإنتباه عندما تصادمت زوجته اليهودية مع حاباد منذ سنوات عديدة.

ولو أن المظهر الحاسيدى واللحية قد يعطيان إشارة على الكثير من الصدق والحماس فإنهما أيضاً يخفيان الجهل الكثير. يجعل الباعالى تسهوڤا التحول من غير اليهود إلى مظهر الحاباد الحاسيدى فى غضون شهور. إنهم مثل الحاسيديين إلا إنهم لا يستحدثون مثلهم. إن هذا التعارض عرض الحركة إلى النقد الكثير والسخرية من جانب الجماعات الهاريدية الآخرى. وتسبب فى الإنتقاد حتى من جانبهم هم. يقول أحد بائعى الكتب فى باريس، خريج يشيڤا حاباد فى المغرب: «إن الكثيرين جداً من تسهوڤا باعالى حاباد جهلة، يصيحون ويصافحون إلا أنهم لا يدرسون» .

طارت باتيا وشوليم مينديل كالما نصون إلى نيويورك كل عيد صفح لقضاء الإحتفال بالقرب من الرّبّان. وتذهب ثانية بمفردها فى الصيف لتكون مع والدها. إن شقتها المتواضعة تزينها صور فوتوغرافية صغيرة لعائلاتها وصور كبيرة ولوحات للرّبّان ومن سبقوه. ويظهر الرّبّان شنيرصون فى بعض تلك اللوحات وهالة القداسة اللامعة حول رأسه.

أفاضت باتيا بأن ولديها ولدا بعد سبع بنات «وقد جاءا الولدان تلبية لطلب الرّبّان. لكن هناك غموضاً قليلاً بشأن الوقت الذ أثارت فيه هذا الموضوع مع الرّبّان. هل كان هذا بعد البنات السبع؟ أو كان هذا قبل دلك، وجاءت بعض البنات قبل مباركته؟ فهى لا تستطيع أن تتذكر هذا إلا أنها تتذكر مدى الشجاعة فى طلبها الولد الثانى بعدما ولدت الأول.

إن إبنها الأول مع زوجته فى أستراليا حيث تخدم إحدى بنات كالما نصون مع زوجها كمبعوثين وأبنهة آخرى «فى مهمة» مع زوجها فى إيطاليا، وأبنه آخرى وزوجها مبعوثون فى كونكتيكت، وآخرى متزوجة من مدرس فى موريس تاون فى نيويورك. هناك أبنه واحدة وزوجها يعيشان فى نيويورك لا تستخدمها الحاباد، ومع هذا فهما حاسيد بمثابة متشددان.

إن الرّبّان وزوجته المتوفاه تشايا موشيا شنيرصون، كانت أبنه الرّبّان السابق، أمضيا معظم فترة ما قبل الحرب فى باريس حيث درسا فى السوربون. وإنه من الواضح أن هذا حدث غير عادى فى السيرة الذاتية لرّبّان حاسيدى مع أن شوليم مينديل الباريسى لمدة خمسة وأربعين عاما لم يظهر أى اهتمام لمعرفة المزيد فى هذا الشأن. إننا نعرف مكان يلتزيل، الحى اليهودى السابق، حيث يقف الرّبّان يصلى مشيرا إلى مبنى أثرى قديم، أين عاش؟ ماذا فعل؟ من كان أصدقاؤه؟ ولم يكن شوليم مينديل فى وسعه شئ حيال

ذلك، ولم يكن قادراً فى الحقيقة على أكتشاف الكثير من قراءة السير الذاتية الرسمية المتعددة وكانت الفترة الباريسية محددة تحديداً كروكيا. «ماذا فعل؟ تعلم التوراة بالطبع!» هذا ما يقوله شوليم مينديل، من كان معلمه؟ يبدو أن السؤال أذهل شوليم مينديل. «لم يكن للرّبّان معلم. «من الذى يستطيع أن يتعلم مع الرّبّان؟» .

الفصـل السادس

نريد المسيح المنتظر الآن!

كان الرّبّان اللوبا ڤيتشي يقف كل يوم أحد، حتى إصابته الدماغية فى أوائل ١٩٩٢ ، لساعات حيث تصطف الجماهير: وهى مزيج من الحاسيدين ويهود من كل طائفة، من شتى أنحاء العالم. يقوم بتسليم كل واحد كيس كبير من الورق البنى به بطاطس مقلية قيمتها دولار (لأجل التبرع) وهو يصغى وينصح ويواسى ويبتسم ويبارك، كان يتم تصوير المشهد بكاميرا ڤيديو، ويستطيع كل زائر شراء فيلم الڤيديو الخاص بـه أو بها.

غالباً ما كان يستمر وعظه ومواعظه الدينية لساعات أيضاً مع فترات راحة واحتساء مشروب «لوحاييم» والغناء الجياش. ويتم نقل الإحتفال على الهواء إلى مراكز حاباد فى أرجاء البلاد وعبر البحار. كانت معظم الأغنيات عبادات، وكان يرجع تاريخ الألحان فى بعض الأحيان إلى بدايات الحركة، لكن البعض كان مديحا للرّبّان بصوت مجلجل خشن حيث يستمتع به الحاخام شنيرصون على ما يبدو دون حرج.

ظهر الرّبّان فى خريف ١٩٩٢ وهو مشلول جزئيا علانية لأول مرة منذ إصابته الدماغية. كان يأمل الحاسيديم ويعتقدون أنه رغم كبر سنه يمكنه أن يُشفى لإستئناف زعامته النشطة للطائفة. أصر مساعدوه على أنه رغم مرضه ظل على إتصال بأحداث العالم وإدارة الحاباد، واستمرت الخطابات والفاكسات فى الإنهمار من المبعوثين والهاسيديين حول العالم بتساؤلات وطلبات، ويجيب المساعدون باسم الرّبّان.

إن النظام الدينى الشخصى (العبادة الشخصية) المحيط بالحاخام شنيرصون هو القضية الأساسية موضع الخلاف مع الحاباد، خاصة فيما بين الهاريديين الآخرين؛ إن

عدوه اللدود الحاخام شاح بتهمه بإضمار الضغينة للحجج الخاصة بالمسيح المنتظر: القائد الأعلى للهاريديين الميتناجين يتسم الرّبّان الحاسيدى البارز بالإنشقاق عن العقيدة.

إن الإتهام بالنسبة للمسيح المنتظر- بالنسبة للمسيح الزائف- ربما هو الشئ الفظيع الذى ينطلق بقوة فى النزاع الحاخامى. إن أى إشارة فى الخطبة أو الكتابة الهاريدية حتى المسيح الزائف فى القرن السابع عشر، شابتاى زڤى، تتبعها الكلمات العبرية «يماحَ شْمُو» (ربما يتم محو إسمه). إن الحساسية التى تحيط بذلك الحدث المتجمع فى التاريخ اليهودى يبدو أنها تضاءلت عبر القرون، خاصة فيما بين الحاخامات ربما لأن الكثير من الحاخامات القيادية آنذاك قد خدعهم زڤى.

لم يزل الأعتقاد المسيحى فى نفس الوقت هو أحد الدوافع الروحية الفعالة فى المعتقد اليهودى القويم. إنه بالنسبة لكثير من اليهود العصريين فإن دولة إسرائيل هى البشر الحقيقى لتحقيق نبوءات الخلاص. الهاريديم الذين يرفضون ذلك النوع من تفسير النبوءات ويتمسكون بالإيمان فى قدوم رُؤْيَوى (نسبة إلى سفر الرؤيا)، إن كل عظة وخطبة دينية فى الدوائر الهاريدية تنتهى بصيغة تقليدية: «عسى أن يرسل القدير العظيم المسيح مخلصنا بسرعة فى أيامنا هذه»، أو: عسى أن يساعد المقدس المبارك فى مجيئ المخلص الحقيقى بسرعة، كما يقول الإنجيل: «وسيأتى المخلص إلى صهيون [إشعياء ٥٩:٢٠]». ويرد الحضور «آمين».

إن المبدأ الثالث عشر والأخير من الإيمان الذى أدرجه الميمونون الحكماء القدامى ويتلوها الكثير من الهاريديم كل صباح بعد صلواتهم، هو إعلان عن الإعتقاد الكلاسيكى بالنسبة للمسيح المنتظر: «إنى أعتقد تمام الإعتقاد فى قدوم المسيح المنتظر، حتى ولو توانى، مع ذلك سوف أنتظره كل يوم». ذهب الكثير من اليهود

المؤمنين إلى الإعدام حرقا أو غرفة الغاز وذلك الإعلان على شفتيهم.

يقول مؤيدو الحاخام شاح إن هجماته ضد الرّبّان يقصد بها التأكيد على المأساة الممكنة وبذلك يحاول الإجبار على تغيير إتجاهها. إن تركيز شينرصون على المسيح المنتظر فى مواعظه وكتاباته، وتأكيداته المتكررة على أن المسيح المخلص المنتظر على وشك القدوم، عزز جوا من التوتر الحاد المملؤ بالرجاء فى كل الحركة؛ يذهب الأطفال إلى نومهم بأفضل الثياب التى يضعونها على حافة السراير إستعداداً لتحية المسيح المنتظر، يخشى شاح من موجة خطيرة من الضلال فيما بين الآلاف من السنرج، والحاسيديم اللوباڤيتش المُضليين، عندما يموت الرّبّان دون تحقيق الوعد للمسيح المنتظر.

إن المناقشة المضادة للحاباد لم يتم توضيحها علنا، لأنه لم يتم الإعلان عن سيناريو بشأن وفاة الرّبّان ومناقشته صراحة من جانب الحاسيديم التابعين له. ويتضمن أنه لو لم يكشف المسيح المنتظر عن نفسه ؛كان أن يعلن متحدثون رسميون حاباد أن الرّبّان هو أوسوف يكشف عن نفسه بأنه المسيح المنتظر. عندما يتم توجيه أسئلة من جانب الغرباء كانت إجابة الحاباد أن كل اليهود مطالبون بالإعتقاد فى أن المسيح المنتظر قادم حيث أن مصادر التلمود تقول إن المسيح سيظهر من بين الناس، و: «هل تعرفون أى واحد على قيد الحياة الآن يصلح لهذا الأمر بصورة أفضل من الرّبّان؟».

إلا أن الجانب الآخر رفض أن يتم خداعه بهذا النوع من الحديث المزدوج المتحفظ. استشعارا بالندم من التدخل الناجح من جانب حاباد فى السياسات الإنتخابية الإسرائيلية (حاباد أبرت أجودات عزرائيل ضد ديچيل حاتوراه وهو من شاع، واعدة بمباركة الرّبّان الشخصية لكل واحد بصوت لصالح أجودات، قامت صحيفة ياتيد نعيمان عام ١٩٨٩ ، وهى تابعة لحزب شاح بتجميع ملف من كتابات وتصريحات حاباد عبر السنوات الأخيرة. كان من بينها ما يلى:

«تناقضا مع الصيغة التقليدية للإشتياق اليهودى بالنسبة لمجيئ المسيح المنتظر، يتكلم اللوباڤيتش اليوم عن كشف المسيح المنتظر، لأسباب واضحة ...»

إنه فى إعلان غير ضار فى أحدى مطبوعات حاباد عام ١٩٨٤ ظهر الترحيب التالى:

«نأمل أن يكون العام الجديد هو عام نشر تعاليم الحاسيديم، حتى مجئ مملكة بيت داود. عندما يكشف (الرّبّان) عن نفسه وربما يكون فى وقت قريب فى أيامنا هذه- الآن».

(كان نص الإعلان بالعبرية، لكن الكلمة «الآن» التى ظهرت بالإنجليزية إشارة إلى وفرة الحاباد المثابرة فى أمريكا وإسرائيل: «بالنسبة ليسوع» أختارت الشعائر الآتى ليكون شعارها: لدينا موشياح الآن- إسمه يهوا (اليسوع)، ظهرت الأسطورة على البوسترات، والتى شيرت فى منهاتن كلها، قال الطباعون الحاباد: إن هذا أثبت فعالية شعارهم.

وصل أحد مطبوعات حاباد الإسرائيلية عام ١٩٨٣ المشهد فى نيويورك فى إفتتاح حركة شباب لوباڤيتش، تسيڤوت حاشيم («جيوش الرب»): هو جيش الخلاص، جيش الملك المسيح. «شهدنا عند افتتاح الحركة مشهدا يهيجاً عندما.. إلتف الأطفال اليهود ذوى الروح النقية حول تزاديك من جيلنا... وهذا الحشد الدينى الرابض تحت أقدام راعى وقائد إسرائيل والكل يشيرون إليه بأصابعهم ويصيحون، نحن نريد المسيح المنتظر الآن، وذلك باصوات متوسلة. ولا نستطيع الإنتظار أطول من هذا» «أكد الرّبّان فى خطبة أحد أيام السبت عام ١٩٨٤ على أن كل يهودى لديه القوة والواجب للمساعدة فى إيجاد المسيح القادم، «وليس باكر أو فى وقت فى المستقبل وأنما هنا والآن ... ولذلك فإنه يمكنكم أن تفتحوا عيونكم وتروا أن المسيح هنا معنا فى هذا

المعبد بلحمه ودمه، جسدا وروحا ...».

أخاف ياتيد: أى واحد عازم على أن يكون مراوغا يمكنه أن يعلن أن الرّبّان كان يسعى إلى تقوية إيمانهم فقط بمبدأ أن المسيح يمكن أن يظهر قريبا. إلا أن أى واحد لديه إلمام بالحماس المتعلق بالمسيح المنتظر وتوتر اللوباڤيتش يتوجب عليه أن يفهم أن الكلمات «هنا معنا فى هذا المعبد، لحما ودما ..» له مغزى خاص جداً.

يكتب الميمونين، فى وصف خصال المسيح المنتظر، أنه سوف (يحارب معارك الرب). رتل ياتيد كتابات حاباد -بما فيها خطبة الرّبّان فى عام ١٩٧٥- بمضمون أن معارك المسيح سوف تكون لأجل سلامة الأرض، وسلامة الأمة، أسماء حملة اللوباڤيتش السياسية لاجل إسرائيل الكبرى، ولأجل الحالاخى «الذى هو مُشَـرع يهوذى» والحقيقة أن الرّبّان لم يقم بزيارة الدولة اليهودية بالرغم من اشتراكه المكثف فى حياتها وسياستها، وهذه الحقيقة أوردها أيضاً أعداؤه كدليل واضح على تطلعاته بشأن المسيح المنتظر، كما وأن ظهوره بالأرض المقدسة يمكن أن يحدث فقط فى نص من سفر الرؤيا.

إن هذا هو اتهام مؤثر ولو أنه ليس كمثل اللعنة التى تكشف عنها المعارضة. رغم التلميحات المتعمدة والواضحة التى تغمر لغته فإن الحاباد وقفت على بعد قريت من عبور حدود الغموض، فلم تقل صراحة أن الرّبّان هو أو سوف يصبح المسيح المنتظر. ولم تقم بقيادة شعبها، من ناحية أخرى، إلى الإعتقاد بذلك أو التوقع بحدوثه.

إن التوتر بشأن المسيح المنتظر داخل الحاباد وصل فى ربيع ١٩٩١، إلى نقطة الإنفجار عندما أعلن الرّبان فجأة إلى حاسيدى أنه أخفق فى جهوده للإسراع فى الظهور، وأن ذلك «راجع إليكم الآن». إنه بعد احتجاج عنيف من تابعيه حول العالم شرح أنه كان يعنى أن ذلك يحتاج إلى جهد مشترك من جانبهم كلهم، ويجب أن

يحاولوا بشدة أكبر لإقناع السماء بأن الوقت قد حان لقدوم المسيح المنتظر، إن مرضه فى العام التالى؛ ألقى بمجموعة المخلصين فى الرعب من جديد. أوصى بعض المؤمنين العنيدين بأن معاناته فى حد ذاتها أضافت دليلا على إمكانيته حيال المسيح المنتظر، ودليلا على قرب اللحظة التاريخية.

يصر الحاخام شاح من جانبه على أن العداء المرير الذى لم يبق له مثيل فى استقامه العقيدة منذ التنافس بين جاعون ڤيلنا ومؤسسى الحاسيدى ليس إندلاعا جديدا للشقاق الميتناجيدى- الحاسيدى الأصلى. ثم أشعل المعنيون بالظاهرة المزيفة للمسيح المنتظر أيضاً الخلاف، يعلن شاح إن جدله هو مع رّبّان لوباڤيتش اليوم وليس مع الحاسيديم بصفة عامة، ولا حتى مع الحاسيديم اللوباڤيتش فى الماضى، إن لغة خطابته مُذَكِّرة بصورة واضحة فى أسلوبها ومفرداتها بالإنتقادات الساخرة اللذعة ضد الحاسيديم فى أوآخر القرن الثامن عشر. حتى أنه أثبت، طبقاً لأتباعه، أن «الحاباد هى أقرب شئ لليهودية ...».

لم يكن هناك غموض أو تكتم من جانب الحاباد فى أن تغزو القوى الخارقة للطبيعة للرّبّان. هناك كُتيب حابادى إسرائيلى يصف زيارات الرّبّان المنتظمة لقبر حماه (والد زوجته)، الرّبّان السابق: يصوم أثناء ذلك اليوم، يقف هناك خالعا حذائه، حتى فى البرد والثليج، لمدة ساعات على حافة... ماذا يفعل هناك لا أحد يدرى... يقف بمفرده.

غالباً ما يحدث أن الرّبّان يعود من (زيارة) القبر ويدعو إلى إجتماع «فورى» حيث يصدر تعليمات جديدة أو يشن «حملة» جديدة. أحيانا يتكلم عن القبر بتعبيرات «أُخبِرتُ ... أُكرِهتُ على ...».

توجد المقبرة فى بلدة كويتر فى نيويورك سيتى. إنه بصرف النظر عن ذهابه إلى هناك، الذى إزداد بصورة متكررة خلال الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩١، حتى أسقطته الإصابة الدماغية بينما كان واقفاً بجانب المقبرة، لم يغادر الرّبّان بروكلين لمدة أربع حقب من الزمان، وهو مازاد من التخمين الخارق للطبيعة المحيطة به، والذى بالتالى شجع شخصية الطائفة. «وقد تم وصفه كشخصية يهودية ظاهراتية فى وقتنا»، هذا ما أوردته كراسة موجزة صدرت مؤخرا عن الحاباد، وقد صدرت كآى إصدار من النشرات فى شارع ماديسون. «إنه بالنسبة لمئات الآلاف من أتباعه وبالنسبة للملايين المتعاطفين معه والمعجبين به حول العالم فإنه «الرّبّان» الشخصية البارزة للغاية اليوم فى اليهودية، وهو بدون شك الفرد المسئول عن إثارة الضمير والصحوة الروحية للشعب اليهودى فى العالم».

إنه بصرف النظر عن الخلاف الخاص بالمسيح المنتظر، كثير من اليهود غير الموالين، واليهود غير قويمى الرأى يقلقهم التنازل التام عن المسئولية الشخصية للحاسيديم الحابادية تجاه حياتهم هم . إن االأفراد الأذكياء والكيّسين سيقدمون طلباً إلى المحكمة فى بروكلين لأجل الإرشاد تجاه القرارات الشخصية الدنيوية للغاية التى يقبلونها بعدئذ كقرارات ملُزمة. يوجد أيضاً فى العمل المخادع للحاباد طبقًا لإنتقادات الحركة، تلطيخ متعمد بين الحاباد واليهودية ذاتها، لأن القادمين الجدد إلى الحركة جاءوا ليعتبروا الإثنين مترادفين.

ليس الأمر بالأمر المناسب لأن حاباد، بعيد عن أى صنف من الهاريدية، تعلن قبولها للمساواة بين كل اليهود، الحريصيين على التقاليد وغير الحريصيين على حد سواء. ويقول الكتيب المصقول: عندما أثير السؤال، «لماذا تضعون التفيلين فى الشارع، وتعطون شموع السبت لرجال ونساء لم تقابلوهم أبداً من قبل؟» ويرد حاسيد لولفيتش:

هذا لأنهم بالفعل كما هم وليس بسبب ما قد يصبحون، وليس لأنه أو لأنها قد يصبح أو قد تصبح يوما ما «مستقيم العقيدة»، إنما لأنهم بالفعل يهود الآن، وأن التفيلين وشموع السبت تنتمى إليهم. إنه من حقهم والتزاما عليهم أن يحققوا الميتزفا، وهذا هو أمتيازنا، وشرفنا والتزامنا بمساعدتهم على القيام بهذا..

لفظ النقاد وذلك كهدية تحت الإلحاح بالضغط تهدف إلى حشد غير قويمى العقيدة «المتحولين» إلى حاسيديم الحاباد، قد يجد المتعاطفون أنها مثيرة للمشاعر وصادقة. التى فقط تخدم إلى عمق الخلاف المحيط بهذه الحركة.

هناك حقيقة بعيدة عن الخلاف: إن الحاخام شنيرصون هو شخصية ساحرة إن لقاءات صباح الآحاد القصيرة معه تركت بصفة عامة انطباعا لدى الزائرين. وعندما كان يتحدث إلى أحد حاخام أو زعيم قوى أو حتى فتاة صغيرة، كان يتكلم بإهتمام دون أن يعرفه شئ آخر عنهم، إن تنبيههم العلنى يتضمن حقيقة لا يمكن مهاجمتها: إن الرّبّان اللوباڤيتشى هو شخصية هاريدية سائدة لفترة ما بعد الحرب. وقد سعى بمفرده من بين الحاخامات الهاريدية إلى الإتصال المباشر مع أكبر الأعداد الممكنة من اليهود.

إن الأغلبية العريضة من هؤلاء اليهود لم يصبحوا حاسيديين اللوباڤيتش. إن الصفوف االحقيقية للحاباد من الأعضاء الذين يحملون بطاقات ظلت صغيرة نسبيا فهناك المزيد من الحاسيديم الساتمارار فى نيويورك أكثر من اللوباڤيتشيين إن عددا معينا من اليهود غير مستقيمى العقيدة الذين أثرت فيهم الحاباد حياتهم دفئ دينهم لم يشعروا بطريقة أخرى، ولم يكن من المؤكد الإتصال بالهاريديم الآخرين. إنه فى أوقات الأزمة الشخصية، دخول المستشفى أو الثكل، على سبيل المثال، يجد الناس غالبا الوجود الحريص للحاسيد الحابادى للمواساة. إنه فى حروب إسرائيل نجح اللوبايتش فى الوصول إلى المواقع المتقدمة جدا للترفيه عن القوات بجرعة من الڤودكا أو رقصة

حاسيدية مليئة بالحيوية.

إن تشدد الحاباد بشأن السؤال «من هو اليهودى»، قد تضاءل بالنسبة لصورته المحتملة فى عيون اليهود غير مستيقمى العقيدة. وإنه من المسلم به أيضاً أن بعض اليهود بما فيهم اليهود مستقيموا العقيدة أرتبكوا من ناحية الوعى الذاتى حيال الإنتفاضة اليهودية للحاباد، ويحنق الكثير على الخدمات الدينية الكهنوتية المُلحة وغير الجذابة. لكن الكثير من الآخرين يشعرون بأنه قد تم إثراؤهم دينيا. وأن المزيد، الذين ظلوا غير متحركين روحيا، يشعرون بفخر معين أو بالرضا من مشاهدة اللوباڤيتش يقومون بعملهم دون خجل أو كلل.

الفصل السابع
الحكيم البسيط

«نحن محظوظون»، يدندن بها الصوت الجذاب لمدير المراسم الملتحى عبر الميكرفون حيث يخيم السكون على جماعة المستمعين. «حقا محظوظون». يرتفع صوته،. «محظوظون لأننا نعيش فى هذا الجيل». ويتصاعد الصوت. «هذا الجيل، كبرياؤه ومجده وعظمته، هنا ليتكلم إليكن الليلة...»

يقفز الجمهور مهللين ومصفقين بينما يتألق الحاخام أوفاديا يوسف، بين الحاخامات الآخرين ذوى المعاطف السوداء، فى ردائه المطرز بالذهب وقبعته الشبيهة بالعمامة الأرجوانية وهو يشق طريقه إلى المنصة العالية. وبدأوا فى الأغنية. «أضف أياما إلى أيام الملك، واجعل سنواته بمثابه أجيال كثيرة...»

هذه هى نفس الأغنية التى تقدم التحية للحاخام شاح. ولكن تُنطق الكلمات بالطرقة السَّيفاردية والتى هى أيضا طريقة العبرية الإسرائيلية الحديثة بدلا من الأشكينازية القديمة وهى الطريقة الأوروبية. شانيم (سنوات) بدلا من شونيم، توسيف (أضف) بدلا من تويسيف. لكن بنفس الارتفاع والنغمة تتكرر وتتكر. إنها إرتفاع غربى مميز، ليس به أى من الأساليب الرقيقة للموسيقى السيفاردية.

تكرر المشهد فى عشرات التجمعات الإنتخابية لحزب شاس فى أوائل صيف ١٩٩٢ ، عندما جذب الحاخام يوسف حشودا أكبر من كل من المتنافسِين على رئاسة الوزراء: اسحق رابين رئيس حزب العمل، واسحق شامير زعيم الليكود.، خلافا للسياسين الذين يقومون بالحملة بطريقة تقليدية بالسيارة أو مينى باص، فإنه سافر بطائرة هليكوبتر من لقاء إلى الآخر. ولم تكن هذه ببدعة بالنسبة له: إن الشعبة التعليمية، إل

هامايان («إلى المصدر») يستأجر طائرة هليكوبتر كل سنة لحملة القائد الروحى الموقر على نطاق قومى وهى حملة «التوبة والصحوة» خلال شهر أيلول، قبل أيام عطلة العيد الدينى الكبير. يطير فى بعض الليالى إل ثلاثة أو أربعة أماكن. يطير مرتين فى السنة على الأقل إلى الخارج لزيارة الجاليات السيفاردية.

تتنوع جماهير المستمعين لكن الروتين المتحفز دائماً كما هو. إنه جوهر هذا الروتى، إنهـا المبالغات التى تعبـر عن الحارديمية السفـاردية الفـردية فى التـبجيل الإجماعى لهذا الرجل الوحيد. ما من متكلم أشكينازى يفكر فى الإطراء بإفراط تجاه حاخام على قيد الحياة أكثر من أولئك الحاخامات فى الماضى أو من الجيل الحالى أكثر من الحاخامات السابقن. ويقـول التلمـود: «لو كـان الحاخامـات الأوائل مثل الملائكة فإننا حينئذ مثل الأشخاص «وإذا كانوا مثل الأشخاص فإننا حينئذ مثل الحمير»، إن القاعدة الثابته، التى تكوّن كل وجه من وجوه الحياة الهاريدية فيما بين الاشكيناز ، هى أن «الأجيال أخذة فى الإنحدار». وإنه لذلك فإن الهاريديم ينظرون إلى الوراء، دائما إلى الوراء، وذلك فى التعليم والقيادة والورع والمثل الشخصى.

إن الحاخام شاح، على سبيل المثال، يفضل عمره الكبير ومقامه الرفيع، يشير إلى أنه «المتبقى من الجيل الحكيم»، أو «العضو الباقى من العظماء». إن أبلغ تقدير يمكن أن يقدم إلى عالم موقر هو جعله مرتبط بالعصر الماضى. الحاخام يوسف، من ناحية أخرس يجلس بنظارته الداكنة (يعانى من حاله مرضيه فى عينه) بينما يعلن مدير المراسم أنه ما من أحد مثله ظهر «فى حقب زمنية، فى قرن، فى أجيال طويلة». لم يعترض الحاخام لأن البيان ببساطة تامة دقيق. إن الشعب االيهودى السيفاردى لم يأت منه حكيم بهيئته منذ مائة سنة. إن ليس فى شمال إفريقيا، ولا فى العراق ولا سوريا ولا اليمن حيث كانت التجمعات السيفاردية الرئيسية حتى بدأوا كلهم فى التحرك إلى

إسرائيل أو الغرب بعد عام ١٩٤٨.

يعرف أن ثقافته المتميزة ، والتبجيل والإعجاب، هى أمور مقنعة وعناصر أساسية فى حد ذاتها فى الإنتعاش الدينى الحالى فيما بين السفارديين. حيثما يذهب ، فى إسرائيل أو الخارج، فإن جماهير الناس تندفع لتقبل يده أو حافة ردائه. الكثير هم من الطلاب فى (اليشيفا) أو خريجى الجامعة، وهى ظاهرة فى المجتمع السيفاردى. وكثيرون منهم، تمسكوا مؤخرا بالأصولية. هو بالنسبة لهم بطل، وقمة النموذج النهائى. وبوقره السيفارديم الذين هم من غير الأصولين. إن التبجيل الشخصى حياله أمتد ليكون من جانب اليشيفا والحاخامات... وتم ترجمته إلى التأييد الإنسانى. وصارت الحاريديمية بين السيفارديم، صارت شعبية بصورة مفاجئة، وصارت شكلاً سائداً أيضاً.

إنه فى بوينس أيرس، بينما يتم استيعاب الجالية الاشكنازية بسرعة، تحتفظ الجالية السيفاردية بأعداد، وتتحول بصورة متزايدة إلى «اليمين» دينيا تحت تأثير كادر جديد من الحاخامات الهاريدية. كلهم يعتبرون أنفسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمثابة حواريى يوسف.

إنه بالنسبة لسيفاردى العالم ، فإن الحاخام يوسف هو بؤرة كبريائهم السيفاردى. وحيث تشامخ على الاشكينازى وتفوق عليهم فى دراسة التلمود، ولو أنه يحمى التقليد السيفاردى، ويؤكد بشدة على الحقيقة السامية للأحكام والطقوس السيفاردية، وإذا تم إثارته فبكشف عن خط متشدد من الشعور المعادى للأشكينازى.

وعند السؤال عن سبب عدم قيام اليهود السفارديم بتقديم شريعة خاصة لهم لأمد طويل، حيث شرح يوسف قائلا: «إن السبب بسيط. لم يكن هناك أى يشيفا. فإنه يتعلم بمفرده. إلا أن التعلم بمفرده هو أمر شاق. يقول التلمود ذاته: إن الذى يتعلم بمفرده معرض لأن يغفل عن الطريق المناسب للفهم.

إن أول يشيڤا لدينا كان بورات يوسف (فى القدس)، وكانت صغيرة جدا. أرادت عائلات قليلة جدا أن يرسلوا أبناءهم إلى اليشيڤا. حتى عشرون أو ثلاثون سنة مضت كانت اليشيڤا (السيفاردية) الوحيدة فى العالم. لكن الآن، وشكرا لله يريد كل واحد أن يتعلم. هنالك الكثير والكثير من اليشيڤا. يتوسل الأباء إلى اليشيڤا لأجل قبول أبنائهم، ولم يكن هناك أماكن كافية؛ هذا يرجع أيضاً إلى الحكماء العظماء فى الجيل «الذى نزل» إلى الناس وشرح لهم ماذا تعنى يشيڤا، ماذا يعنى التعليم، وسبب أهميتها لأبنائهم ليكونوا دارسى التلمود. لم تكن هذه القيمة موجودة من قبل فى مجتمعنا».

إن إشارة يوسف الغامضة إلى «حكماء الجيل العظماء» هى طريقته فى الإشارة إلى دوره الرئيسى فى نمو اليشيڤا السيفاردية. «لدينا الآن جيل من الشباب الممتاز، رنغمس فى التعليم. وسوف يزدادون ويتضاعفون بعون الله.

وأضاف: «أنه بالطبع، هناك يشيڤا أشكنازى أيضاً تستقبل تلاميذ سفارديين حتى نسبة معينة مهما تكن الظروف. إن التعليق بمثابة لطمه إزاء التناقض داخل اليشيڤا الليثوانية» حيال الطلاب السيفارديين. إلا أنه يعكس أيضاً تناقض لوسط الوجدانى تجاه «الليثوانيين». ويقول: «إنهم يظنون أن حاخاماتهم هم الأفضل». «ويظنون أنهم يعرفون كل شئ».

إنه بعد أنتخاب ١٩٩٢ التى خاضها حزب شاس، بمفرده، وبينما شكل أجودات إسرائيل وديجيل كتلة واحدة، أفلت يوسف فى النهاية من أبوية شاس وأحيانا الوصاية التى تتسم بالإزدراء. قال الحاخام شاس فى أجتماع للحاخامات فى بنى براك، فى تعليق غير مدروس قبل الانتخابات بفترة قصيرة، أن السيفارديم لم «ينضجوا بما فيه الكفاية ليقودوا سواء كانت القيادة فى التوراة أو فى الشؤن القومية». وما أن إنتهى الانتخابات—وتم تبرير جهود حملته— أصدر يوسف تعليمات إلى أعضاء الكينسيت من

«شاس» بالتفاوض بشأن إتفاق الإئتلاف مع الملى، وأمرهم بالتمسك بها حتى ولو قام رابين رئيس الوزراء بإسناد وزارة التعليم إلى مسز شولاميت ألونى، زعيمة حزب الميرتيز العلمانى، تعهد رابين وألونى بالإدارة الذاتية للتعليم الهاريدى، تحت إشراف نائب الوزير وهو من شاس؛ ووعـد رابين يوسف أيضـاً، فى خطاب شـخـصى، إن منهج «التـراث اليهودى» الذى يتم تدريسه فى كل مدارس البلد لن يختصر.

قـاد الحاخام شاس صيحة ضـد «التخلى عن مليـون طفل (الأطفـال من غيـر الهـاريديين) وتحـركـهم عرضـه للامداتداد العـقـائدى»، قـام مع ذلك هو وحـاخـامـات الميتناجيد بإصدار «مرسوم دينى» يمنع الهاريديم من الإلتحاق بالحكومة. تجاهل يوسف أخيرا هذا المرسوم.

ويمثل الحـاخـام يوسف رغم ثقـافـته الواسـعـة، وربما بسـبـبـهـا، نموذج تراث الشعيوية التى تميز الحاخامية السيفاردية عن نظيرتها الإشكنازية. إن الوصف الذى يستخدمه دائماً بسيطة وعميق. وله قصد أو حكاية فى كل لقاء عام، يحكيها بالعبرية العـامـيـة (لا يعـرف أى لغـة أخـرى) ويمس الوتر الحـسـاس عند المسـتـمـعين على اختلافاتهم. ويسـميه الإشكنازيون الذين ينتقصون من قدره «البدائى غير العـصرى»، ويسخرون من زوجته مارجاليت، وهى إمراة واقعية تظهر حوله مثل الحارس الخاص. وأحيانا ييعاود مزاحه الجاف، وقد حكى لمجموعة من حاخامات شاس أن شامير، رئيس الوزراء، «أكل القـوارض» وذلك فى أحدى مراحل فشله فى مناورته السـيـاسـيـة عـام ١٩٩٠ (إشارة إلى ميل شامير لأكل أرجل الضفادع وأنه خبير بالمأكولات والمشروبات الفرنسية، وهى غير أكلات (كوشى)، إن مسز شولاميت شامير «هى سيدة لا تأكل فى مطعم يهودى إذا كان بإستطاعتـهـا الأكل فى مطعم غير يهـودى»، أريل شارون «لا يأكل» القوارض، لكنه يحب الخنزير، والمراقب العام (أقوى رجل مهيب يحقق فى تهم

أختلاسات شاس) هو «عدو حقيقى لليهودية»، وكمدعى عام «ربنا يخرب بيته» (شتيمة عربية شائعة).

ويكون نادراً مثل هذا السلوك الذى يعبر به قائد حكيم وروحى عن نفسه. إلا أن أولئك الذين يعرفون يوسف جيدا يعرفون أن طريقته الشائعة للحديث تاخذ الشكل التهكمى. ويشعر أن أوراق أعتماده لا يشوبها شئ ويتسنى له أن يتمتع بالخطوة عند الجمهور، ويحاول خصومه ومنافسوه أن ينهشوه باسنانهم.. بسبب شعبيته مع جماهيره.

رغم أنه كان مطالباً بحكم القانون أن يعتزل كزعيم سفارى للحاخامات فى إسرائيل عام ١٩٨٣ ، فى نهاية العشر سنوات من تولية؛ فإنه لا يزال يرتدى رداء ذلك المنصب ويصر على الأحتفاظ بلقب «الأول فى صهيون» مما يكدر خلفه. إن لقبه كرئيس الحاخامات، ناقشها يوسف مع نظيره الأشكنازى، شلومو جورين اللامع والعاصف، ذات مرة توقف به المصعد بين الطوابق فى فندق مانهاتن حيث نوهت مارجاليت بكل جدية إلى أن عملاء الحاخام جودين عبثوا بالكهرباء، ويقول يوسف اليوم عن جورين: «يعرف عشرات المرات أكثر مما يعرفه شاس».

لكن إذا كان الحال هكذا ؛ فلماذا يختلف يوسف عن الحكيم الإشكنازى بهذا القدر؟ إنه فى محاوله فهمه يشير حكماء السياسية (البانديت)، بصبغة عامة، إلى بنية لجمهور الناخبين لشاس. وهم «صقوراً». وبعضهم متطرفون، يكرهون العرب تماما، عندما اقترح يوسف فى أول الأمر فى أواخر عام ١٩٨٨ تحالفا مع العمل؛ تلقت مارجاليت مكالمات تهديد هاتفيه من مؤيدى شاس. وقد هاجموها عندما كانت تذهب للتسويق ، وكان هذا هو رد الفعل، حيث إعتراف فى محادثة خاصة فى ذاك الوقت، مما جعله يكف عن العمل وفقاً للإتهامات السياسية الحمائمية.

ولقد تغلب عام ١٩٩٠ على ذلك الكبت. وقصد أن يطور جمهور ناخبية

ويجعلهم معتدلى، إعتقد أن فترة فى الحكومة إلى جانب حزب العمل، مع منافع مصاحبة لحركة شاس التعليمية مما يجعل الحزب يفوز بالكثير من الأنصار به، ولم يعد خائفا من أن يواجه الناخبون الذين ينتابهم الغضب، إلا آنه مازال خائفا من مواجهة الحاخام شاس.

إن جذور ذلك الخوف عميقة فى المواقف العدائية المتبادلة بين للسفارديم والإشكنازيين فى العالم الهاريدى. إن يوسف ذاته مكسو بالذهب والأرجوان، لكن الحاخامات الأخرين، عند ظهوره فى لقاءات عامة، يرتدون معاطف سوداء كالحة ولا يتم التمييز بينهم تابعى شاس والبتوانين. عندما يكون يوسف باللباس المدنى فإنه يرتديه على النمط «الليتوانى»، حقيقة إن هذا الأمر ينتقل من تحلق مارجاليت ومساعديه، فى طائرة فارغة فى مطار كنيدى، إلى أقناعه– ويرجع تاريخه إلى ١٩٨٤، بعد انتخابه رئيسا للحاخامات بفترة قصيرة– لكى يرتدى الملابس السيفاردية الرسمية لأول مرة.

درس كثير من حاخامات شاس فى بونفيز ويشيفا الاشكنازى الأخرى. البعض تفوق هناك إلا أنه ما من أحد وصل إلى القمة: ما من أحد تم تشجيعه ليتزوج من عائلات هيئة التدريس ، حيث يتنافس الطلاب الأشكنازى على ذلك، فكانوا ممزقين بين الدافع لأن تقبلهم الإشكنازية والرغبة فى الإحتفاظ بالانفصالية العرقية.

وكانوا مشدودين إلى شاس، ليس لأنهم يشعرون أنفسهم بالحاجة إلى صوت هاريدى سيفاردى مستقل فقط؛ وإنما لأن الحاخام شاح قرر أن هناك حاجة إلى ذلك. وإنه من الناحية الموضوعية، هناك حاجة بكل تأكيد، أجوداه– بما فيهم شاس– كسب ناخبين السيفاردى ووعدهم بتمثيل فعال فى الكنيسيت واجتماعات صنع سياسة الحزب، ثم يتم الحنث بالوعد دائماً بعد أنتهاء الانتخابات)، كان يوسف والد شاس هو مصدر القوة الانتخابية الأساسى إلا أن شاس هو الأب الروحى. كان يقوم بتقويته

ليضرب به الحاخامات الحسيديين والسياسيين الذين لم يفسحوا له الطريق فى اجوداه إسرائيل. ملأ قائمة ضرب الكنيسيت الجديدة بأتباعه السيفارديين، ليحبط مناورات يوسف الساذج عديم الخبرة، عندما حانت عملية السحق فى مارس ١٩٩٠ لم يجرؤا على تحديه، ولم ينظر يوسف إلى الوراء رغم إصراره على أنه لا يتم ترويعه (بالتهديد). وشرح أنه لم تكن هناك ببساطة أ ى إشارة فى قتل الحاخام شاس، منذ أن سار قرار الحاخام الاشكنازى المبجل عبر العالم الهاريدى، «ويقول التلمود: وكما يقول الميشيڤا شاس شيئا يتم الإصغاء إليه حيث أن ميتزڤا ليس الذى يقول شيئا ولا يتم الإصغاء إليه».

«دعنى أقول لوقارته (دائماً يستخدم يوسف الاسم الثالث) قصة عن الحاخام اللوباڤيتش الثالث، الحاخام مينديل، «تسمياح تسيدريق» هو الاسم الأدبى «إزدهار الاستقامة» وهذا هو اسم كتاب الحاخام مناحيم منديل الذى صدر فى سته أجزاء فى ڤيلنا فى الفترة (١٧٨١ - ١٨٨٤) ذات يوم قال لخادمه: «دعنا نذهب»، لم يقل أين، وبالطبع لم يسأله الخادم.

«وصلا إلى المنزل الخاص بأحد مديرى البنوك، رجل غير مستقيم. لكنه كان رجلا محترما، رحب الحاخام، وقدم إليه المرطبات. جلس الحاخام فقط ولم يقل شيئا. شعر المضيف أنه ليس من باب الأدب سؤال الحاخام عما الذى أتى به، لذا سأل الخادم. «فقال الخادم أنا لا أعرف أيضاً». ولذا جلسوا جميعا صامتين.

«نهض االحاخام بعد فترة وقال إلى خادمه: «دعنا نذهب»، وأتجها إلى الباب، ولم يعد مدير البنك يستطيع أن يتمالك نفسه وسأل بأدب جم، عن ماذا تشرفت بهذه الزيارة. فقال تسيماح تسيديق: «يقول تلمودنا، كما يقول ميتزڤا شيئا يتم الإصغاء إليه، وإن الميتزڤا لذا جئت إلى هنا، أجلس معك، ولا أقول شيئا لا يتم الإستماع إليه.

وباستكمالى هذا الشئ فأنا الآن مغادر».

«طلب المدير بالطبع أن يعرف ماهو الشئ الذى لم يكن ليصغى إليه. أخبره الحاخام بعد إلحاح: إن الأرملة الفقيرة لا يتسنى لها رد مدفوعات وثيقة الرهن، وقام بنكك بإرسال مذكرة نزع ملكية عقارها، أين الرحمة عندك؟ التوراة يأمرنا بحماية الأرملة...».

قال المدير إن البنك ليس بنكه، وإن عليه اتباع الإجراءات.

«وها أنت ! أعرف أنك لن تصغى. إلا أنك الآن أحبطت نيتى وهى نية إستكمال المينرڤا!» أختتم يوسف القصة أخيراً، ودفع المدير الدين من جيبه الخاص، وباركه الحاخام بطول العمر و الرخاء.

نجح قصد يوسف. إنه فى عام ١٩٩٢ بنفسه قد ربط نفسه بوقته وأعتقد أنه لو عبر بوضوح عن رأيه سيتم الإصغاء إليه من جانب أتباعه على الأقل رغم معرضة الحاخام شاس.

الفصل الثامن

المياه المعدنية

«المياه هى تقليد عائلى يرجع تاريخه إلى مئات السنين»، ويقول باروح أبوحا تسيرا، وهو يعدل من ردائه البنى فوق ركبتيه . باروح، رجل ضخم فى أوائل خمسيناته، بعيون داكنه وشفتين حسيتين ولحية رمادية ويعرف بأنه بابا باروح، وهو أبن ووريث لحاخام حاسيدى نتيفوت الشهير، بابا سالس. تُلُوت البركات فى نفسى والتى تم تسليمها (توريثها) فى عائلتنا من الأب إلى الأبن. ثم أعطيتها للشخص. وإن لم يعتقد فيها- فالبطبع لن تساعده».

أعد ساعده العديد من زجاجات الماء على منضدة منخفضة أمام كرسييه ذى ذراعين. يبدأ وقت جمهور الحاضرين فى بضع دقائق. وتبدأ حفنة من الناس بالفعل فى الإصطفاف فى الخارج. يمسك البعض بزجاجات بلاستيكية التى ملؤوها بماء من صف من الصنابير فى الفناء الأمامى للمبنى. ومعظهم من النساء اللاتى تبدوا أنهن نساء تقليديات أكثر من كونهن حاريديات.

بابا سالى الذى كان اسمه بالكامل الحاخام عزرائيل أبو حاتسيرا حضر من المغرب فى أوائل الستينيات واستقر بعد ذلك مباشرة فى نتيفوت. مات فى عام ١٩٨٤ . عاش فى هذا المبنى الأبيض المهيب، الذى يضم معبدا، السنة الأخيرة من عمره. كان منزله قبل ذلك شقة صغيرة فى بلوك متهدم فى هذه الناحية الهادئه من النقب.

يهرع إليه من كل حرب مصوب من البلد ومن وراء البحار، الأشكنازيون والسيفارديون. غير مستقيمى الدين والتقليديون والحاريديم. هناك كان يوجد صنبور فى الفناء أمام الشقة، ويحضر له المعتقدون به الماء لينالوا بركته، يفصح الآخرون عن

متاعبهم ويصغون إلى الحكيم العجعوز شبه المختبئ فى قلنسوته وهو يهمس بنصيحتة وبراكته. كان البعض يعطيه المال الذى يقوم بتوزيعه على الفقراء. كان على الحاريديم كتابة أسمائهم وأسماء أمهاتهم فى قطعة صغيرة من الورق، مثلما كانوا يفعلون إلى الحاخام الحاسيدى.

الحخام إيساحار، مايئر، ألمانى المولد، خرج پونڤيتز، الذى أسس ورأس يشيڤات حانيجيف بالأسلوب «الليتوانى» فى نتيڤوت، يتكلم باحترام عن المرحوم بابا سالى. يقص ذات مرة أن بابا سالى كان يزور اليشيڤا عندما بادره رجل ضعيف بالكلام. سأله التساديق إذا ما كان يراعى مبدأ الميتزڤوت: شابات، كاشروت، ميكڤ. إعترف الرجل بأنه لا يعرف. «إذاً تستحق أن تكون ضعيفاً!» انفجر الرجل باكيا. وتوسل الرجل لأن ينال مباركة. قال سالى: «إذهب ، لا أستطيع». «بل إنك تستيطع! إنهض وأمشى».

مشى الرجل. إحتشد الطلاب اليشيڤا حوله. ورقصوا معه.

«اليوم التالى» أنهى الحاخام مائير قصته، «أرسل بابا سالى لى برسالة: «برجاء جعل الطلاب فى اليشيڤا يقولون المزامير لأجلى. لقد أحدثت معجزة لأجل واحد لم يكن يستحقها. استفاد من معجزتى؛ وأحتاج الأن إلى صلواتكم».

يقول الحاخام أوڤاديا يوسف أيضا أن بابا سالى كان «رجلاً ورعاً، رجلاً استغرق فى التوراة والصلاة طوال أيام حياته. كان يتحقق الكثير من بركاته»، عندما زاره، يقول يوسف إن بابا سالى يقف ويقبل يده، «ولو أنه يكبرنى بثلاثين عاما. شجعنى على أن أصبح زعيم الحاخامات. تشاورت معه وأخذت نصيحته».

إن احترام يوسف ومائير لذكرى الأب يثير إزدراؤهما للإبن، الذى تتضمن مهنته الملونة السجن بسبب الرشوة، وشئون الزواج المتزايد المعلن عنه بطريقة كبيرة، وأمكن باروح أن يعلن- وأعلن فعلاً- عن الدور المحورى فى الأنتعاش الدينى فيما بين اليهود

السيفارديين.

إنه فى ذكرى وفاة والده تدفق أكثر من عشرين ألف، معظمهم من الإسرائيلين المغاربة، إلى نتيفوت لحضور التجمع لإحياء ذكرى وفاته. (الحاريديم الإشكنازى أيضاً أحيوا الذكرى الخاصة بآبائهم أو الحاخامات، بتعلم الميشْنَا، والحاسيديم بتعلم الميشنا وشرب الشّنّبص. يذهب اليهود غير مستقيمى الدين كذلك مستقيم الرأى إلى المعبد فى الأحتفال بذكرى الوفاة للآباء ليتلوا صلاة خاصة، الكاريش). مئات من شرطة المرور يحولون المرور إلى مواقف للسيارات مؤقته فى الصحراء. وتقوم الأوتوبيسات برحلة مكوكية إلى المكان المزدحم، القبر ذى القبة البيضاء وذلك من باب المجاملة.

يتلون صلواتهم، ويتحركون إلى مناطق خلوية فسيحة حيث يشعلون النيران من الفحم ويشوون اللحم. ويقيم البعض الخيام لأجل الإقامة لمدة يومين أو ثلاثة أيام. البعض يحضر الخراف والماعز لذبحها ويأكلون عند موقع القبر. يقوم الصقور ببيع صور بابا سالى وبابا باروح، شرائط الفيديو، والتسجيلات والتعاويذ، والحليات. يقوم الناس بالعزف على الآلات الموسيقية أو يقومون بتشغيل شرائط المسجلات. ترقص النساء وتزغرد. يحضر الوزراء وأعضاء الكنيست ليشاهدوا وتتم مشاهدتهم؛ فلا يتسنى لهم تجاهل مثل هذا التجمع الشعبى بمثل هذا الحجم. يحضر الحاخامات أيضاً بقيادة الحاخام السيفاردى الزعيم، مورديخاى إلياهو. يقومون بالصلاة عند القبر، ويزورون أيضاً البابا باروح فى فناء مبناه الذى بناه بالأسلوب المغربى بجوار موقع المعبد.

الحقيقة أن باروح أمضى أربع سنوات فى السجن من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤ بتهمة الإحتيال والنصب والتزوير والإرتشاء بينما كان يخدم كسياس محلى فى بلدة أشكيلون، وهذه الحقيقة تبدو أنها تنحسر تدريجيا مع كل احتفال يمر. إن الشجار بين باروح وخليلته، التى ظلت معه مدة طويلة، الذى وصل إلى المحاكم تصدر عناوين الصحافة

بعدما تولى كبابا بعامين، سرعان ما خَفَتَ أيضاً فى مواجهة نجاحه الضخم الذى لا ينكره أحد.

إضافة إلى الإحتفال السنوى كان موقع القبر وباروح نفسه محل جذب سنوياً. أن فيض الزوار واحتفالات العرس (الزواج) المستمرة فى المطعم المجاور للقبر- يؤكد النشاط المستمر ويؤكد على الدخل المنتظم. يدافع مساعدو باروح عن التحول الفورى من إنسان وضيع إلى حاخام، حيث فسر ذلك بأنه رجل جديد (إنسان جديد)، باعال تسهوڤا. يقول التلمود إن: «حينما يقف باعال تسهوڤا لا يستطيع حتى الصالح جداً أن يقف».

لا تزال شخصية عامة تتجنب باروح، وهى موشى نسيم، زعيم حزب الليكود الذى كان وزيرا للعدل عندما بدل رئيس الدولة حكم السجن بالتخفيف على باروح نسيم، الرجل المستقيم نفسه وكان والده العراقى المولد زعيما حاخاميا سيفاردى قبل يوسف، أعتذر عن دوره فى إعطاء المشورة إلى الرئيس لتخفيف الحكم. ويذكر أن «الضغوط عليه كانت رهيبة»، شامير، ديڤيد ليڤى، شيمون بيريز، زعماء الإتحادات التجارية، زعيم الحاخامات إلياهو. كان الأمر مثيراً للاشمئزاز».

تتركز انتقادات باروح الأكثر إعتدالاً على ما يقولونه وهو جهله بالأمور الدينية والتلمودية. إن الحاخام يوسف، الذى أدانه علانية عندما أُعْطِىَ معطف والده حالما غادر السجن، يقول أنه حثه مؤخراً أن يجلس ويتعلم. فتح باروح آنذاك كوليل فى نتيڤوت، رغم سمعته المريبة، التى وطدت نفسها كمعهد خطير لطلاب التلمود المتقدمين. يذكر نفسه بوضوح وفخر أن خريجيه تفوقوا فى أمتحانات الحاخامات على مستوى الدولة وأمتحانات قضاة المحاكم الحاخاميين. وانه عند زيارة الكوليل (مدرسته) التى توجد فى جناح فناء على الطراز المغربى تجد أكثر من ثلاثين شابا يدرسون بجد

ولا يبالون بما يدور حول باروح من نشاطات فى المبنى المجاور. وقد جذبتهم هذه المدرسة لأنها دون شك تدفع مرتبا شهريا أعلى من أى مدرسة أخرى فى البلد.

يقول الحاخام يوسف إنه يهنئ باروح على كل ذلك، عندما تقابلامصادفة فى بنى براك. لكنه تلى عليه النص فى أغنية الأغنيات (١ : ٦): «جعلونى حارس حقول الكرم لكن حقلى لا أحرسه». «أخبرته أن يتخذ دارسا شابا يتعلم معه لمدة ساعات يوميا. قال إنه لا يملك وقتا. يا للأسف جداً، لم أعتنى حقيقة».

الحاخام إيساحار مائير، الذى قام بالتدريس فى يسهيڤا فى المغرب قبل أفتتاح يسهيڤا خاصة به نتيڤوت، عرف باروح منذ شبابه. فيقول: «لامع، لكنه لا جدوى منه». «لا يعرف الكثير ولم يُرِدْ التعلم أبدا. سبب إلى والده حزنا لا نهاية له. عرضت عليه التعلم معه بنفسى. أعطيته أحد أفضل العلماء لدينا ليقوم بتدريبه. لكن كل ذلك على غير طائل».

رغم أن مائير مشدود إلى الطريقة الألمانية- اليهودية فهو حكيم وأقر أهمية خلف باروح للقب والده والحشد عند موقع المقبرة. إنه فى أحياء ذكرى وفاة بابا سالى الأولى نشب نزاع بين رجال باروح واتباع ابن شقيقته بابا إيليعازر أبو حاتسيرا من يبرشيبا وذلك عند موقع المقبرة. وتم طرد المتطفلين وظل باروح سيد هيلولا الوحيد. قرر مائير أن يعيش فى فى صداقة واقعية مع البابا الجديد.

تدهورت بالتالى العلاقات بين مائير وباروح، وأصبحوا أعداءاً منذ أنتخابات الكنيسيت عام ١٩٨٨ عندما عضد باروح آحودات عزرائيل ومائير، كعميد يشيڤا «اللتوان»، وساند حزب حاتوراه للحاخام شاح، تناثر الأعداء إلى سياسات نتيڤوت المحليه وإلى صراع مرير حيال حقوق الأرض والبناء. ويتيح مائير نشاطات باروح الخيرية. تتلقى مئات العاطلات، فى نتيڤوت عبر المنطقة، دعماً كريماً فى أوقات الأعياد الدينية. ولم

يكن يتوجب على متلقى الإعانة الخيرية الحضور أو الوقوف فى صف فى خجل؛ يجوب مساعدو باروح الريف فى سيارات حيث يضعون سلات كبيرة على عتبات أبواب العائلات التى يتم مساعدتها بهذه الطريقة.

يقول باروح إنه أنفق «مابين عشرة ملايين دولار وثلاثة عشر مليون دولاراً أثناء فترة توليه القصيرة، كان معظمها فى العمل الخيرى. ويقول إن «مائير يستغرق حقبا من الزمان ليقوم بمثل هذا العمل، إن لديه مؤيدين أثرياء فى الخارج، فى شمال أفريقيا وفرنسا، آخذ من واحد وأعطى الآخر، وهذا هو تقليد عائلتنا».

يريد أن يكون مع مائير وجالية يشيڤا أصدقائه، وتقدر عائلاتها ما يقرب من مائتى عائلة، إضافة إلى حوالى ثلاثمائه وخمسين طالبا فى يشيڤا وفى معهد لاهوتى للفتيات. حتى أنا أعطيته خطاب توصية إلى ناس أعرفهم فى فرنسا لأجل جمع المال. وكانت هناك فترة من الإحترام المتبادل. لكن العداء بدأ عندما قمت بتأسيس معاهدى التعليمية. لم يستطيع أن يتحمل ذلك. كان لديه الاحتكار فى نتيڤوت. «والحقيقة أن الحاخام مائير لايحب السيفارديم».

أضاف باروح: «كان على الحاخام مائير أن يتعلم لمدة عشرين عاما ليعرف ما أعرفه فى التلمود. أستطيع كتابة عشرين كتاب تعليمى لو أردت ذلك. يظنون أنهم علماء هاه! إننا متواضعون ببساطة، طريقنا هو كشف تعليمنا. طريقتنا هو النزول إلى الناس والترحيب بكل يهودى، بالحب والأبتسامة لا نرد أى يهودى...».

إن مزيداً من الإتهام الحقيقى يكمن تحت الإستخفاف ببراعة باروح فى تعلم التلمود وذلك من جانب زعماء هاريدى، والإستخفاف بحرصه على الشكليات فى مراعاة الميتزفوت المتنوعة، والكف عن الخطايا المتعددة، وأن عبادته غير متشددة من الناحية الدينية- سواء بالنسبة له أو العدد الكبير من مواليه- إن احتفال العائلة عند

موقع القبر، وزجاجة الماء المقدسة، وعيون باروح المتجهة ناحية السماء، والتعويذة المعلقة فى سلسلة مفاتيح، كل ذلك يصير فى أنتقادات الحاريدى، بدائل مناسبة لأجل ممارسة دينية حقيقية. إن رجالا مثل الحاخام يوسف يعتقد أنه مع باروح صار التسامح منافسة عنيفة حتى أن المنافسة الدينية التى منها مقبرة بابا سالى هى البؤرة المركزة على الدين بصورة أقصر من إدارة المعتقد الخرافى بغية التربح، بينما الأتقياء السيفاردى فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كانوا أكثر تسامحا وأقل تطرفا من نظيرهم الأشكنازى.

أنكر باروح أنه لم يقم بعمل مطالب دينية من الحجاج الذين يأتون للتنزه ويأخذون الماء الذى باركه. يحتفظ مكتبه بسجل مستخرج من الكومبيوتر بالنسبة لكل الزائرين. هناك مصدر معلومات للمتابعة. يتلقون تاريخ الأدب الدينى بالبريد؛ وينصحون زيادة طقوسهم الدينية. «لكننا لم نرد أى واحد أبداً. لم يكن هذا هو طريقنا. أولئك الذين لم يريدوا التوبة لتحسين مستوياتهم الدينية لا يعودون بصفة عامة».

أما بالنسبة لبركاته فهو «لا يعطى وعدا أبداً– إن لم يعد الشخص بالعودة إلى الاستمرار فى ميتزفوت. وإن كل وعد قمت به فى الست سنوات هنا أشكر الله أنه تحقق. هناك عشرات الحالات من الزوجين غير المنجبين للأطفال أنعم الله عليهم بالأطفال. هناك طبيب أسنان من باريس، على سبيل المثال، متزوج منذ تسع سنوات دون أطفال. جاءنى، وتعهد بالإحتفاظ بالميتزفوت– وبعد عام كنت الأب المعمدانى فى ختان أبنه. أى واحد يظن أن هذه الأشياء مجرد مصادفة فما هو إلا أحمق. هناك نظام أعلى للثواب والعقاب. إن الذى يتوب بحق يثيبه الله».

إن إدارة بارح أبوحاتسيرا لمقبرة والده هى مثيرة للجدل، والعبادة نفسها لا ترتبط بالعرف اليهودى الثابت. الشعب اليهودى فى شمال أفريقيا له تقليد قوى بصفة خاصة بالنسبة لأقامة المزارات والقبور كمواقع للحج حيث يمتزج الدين بالفولكلور. إن مقبرة

جدّ البابا سالى وهو الحاخام ياكوف أبوحاتسيرا (يعقوب أبو حاتسيرا) موجودة فى مصر غرب الإسكندرية، وهو مزار هام منذ أمد طويل قبل أن يقوم باروح ببناء صرح نتيڤوت لسالى. (أحضر باروح طائرات، محمله بالاتباع إلى الموقع كل عام إلى تجمع الحاخام يعقوب). كل موضع يهودى فى المغرب له مقبرة قديس خاص به، أو مزار لمعجزة خاصة. إنه فى بعض الحالات المسجلة إن مسلمين محليين إنضموا إلى تبجيلات ذكرى القديس اليهودى.

كانت زيارات مقبرة الحاخام والصلوات عنده، فى الجاليات الاشكنازية، سائدة بين الطوائف الحاسيدية أكثر من الميتناجديمية. حقيقة قاد بعض حكماء شمال أفريقيا جماهيرهم بأسلوب يذكر بالرّبّانات الحاسيديين، يوزعون البركات والعلاج، ويقدمون الصلوات نيابه عن الجموع المحتشدة، يتلقون ويوزعون الصدقات، ويقومون بصفة عامة بدور الوساطة بين المجموعة والله.

يدعى الحاخام أوڤاديا يوسف أن ذلك وطوائف القبور ربما تكون «شيئا مستوردا من الخارج– نتيجة الإتصالات بين هذه المجموعات والحاسيديم فى أوروبا». ويصر، على أية حال على أنها ظاهرة من شمال إفريقيا، غير معروفة فى المراكز السيفاردية الهامة فى العراق وسوريا وفلسطين. إن البابا باروح، المتشدد فى دفاعه عن السمة السيفاردية، ويؤكد على أنه لو كانت أى شئ؛ فإنما هم الحاسيديم الذين يطابقون نسخة من التقليد المغربى الذى كان فى حد ذاته متوارثا بصفة حقيقية من الكباليين الفلسطينين فى القرن السادس عشر. إن «التارة» المستخدمة كديكور فوق تابوت العهد فى معبده، يصور نوعا من شجرة العائلة الروحية مع البابا سالى فى المنتصف الذى فيها يكون بأعالى شيم توف، متصل بمنتصف حكماء السيفارد.

إنه بعد الانتقال المباشر الجغرافى، والثقافى ليهود شمال إفريقيا بعد عام ١٩٤٨ إن توقير رجال الدين المطرودين صار عديم الفعالية بصورة مؤقته. لكنهم الآن يعودون إلى هيبتهم. إن عبادة المرحوم بابا سالى هى العبادة الأكبر بالنسبة لإبنه، إلا أنها لم تكن الوحيدة.

هناك فى مدينة بشمال إسرائيل عائلة متواضعة غير مميزة قامت ببناء ضريح للحكيم المغربى الذى مات منذ مدة طويلة الحاخام ديفيد موشيه. يقولون أنه ظهر لهم فى حلم يهدد بأنه قد يتحول ليس جسديا وإنما روحياً من قبره فى المغرب إلى وطنهم. إن المزار يجذب مجموعة أتباع- مثلما يفعل مزار مماثل تم بناؤه فى ظروف مماثلة من جانب عائلة فى بلدة عوفاكيم.

إن حاييم حورى، حاخام تونس المحترم، هاجر إلى إسرائيل فى الخمسينيات ومات بعد ذلك مباشرة، صار فى موته بؤرة عبادة هامة ونامية. يأتى حوالى خمسة وعشرين الف إلى المقبرة فى بيرشيبا كل عام لحضور أحتفاله. إن ألكس ڤينجرود، عالم الإجتماع الأكاديمى الإسرائيلى، يدرس فى كتابة هذه الظاهرة (قديس بيرشيبا: صدر فى نيويورك عام ١٩٩٠)، يسجل حنق الكهان التونسيين تجاه الجماعات غير التابعة للمغاربة الذين يقدمون ممارساتهم الصاخبة فى تجمع حورى. وينتشرون فى الجبانة يعزفون موسيقى خشنة غير مناسبة، ويشجعون الرقص غير المحترم.

إن أكبر تجمع إحتفالى فى إسرئيل، وأكبر من إحتفال بابا سالى، هو ذلك الإحتفال الذى يحضره الحاخام شيمون باريوحاى، حكيم تلمودى حيث يوجد مدفنه فى قرية ميرون فى الجليل. إن الموعد هو الإحتفال الصغير فى الربيع، الإحتفال بوفاة الحاخام شيمون، ونهاية الطاعون الذى حل بتلاميذ الحكيم التلمودى الأول وهو الحاخام أكيڤا. هذا التجمع فريد بسبب تاريخه الطويل- هناك تقارير مسجلة عن

الإحتفالات فى ميرون من القرن السادس عشر- الذى يجذب السيفارديين والإشكنازيين.

إن آلاف الحاريديم من شتى أنحاء البلد فى ميرون أثناء ليلة الإحتفال الصغير فى الربيع يصلون عند القبر ويلقون بالقليل من الزيت على النار الضخمة التى تضئ الليل من قمة مبانى القبر. هناك فرق رقص، وطعام، وشراب، ومرح. إن العادة الإشكنازية فى وضح النهار هى لأجل الأولاد فى سن الثلاث سنوات، حيث يتم أول قص شعرهم عند القبر حيث يصاحب كل مرة إبتهاج زائد ويتم ترك الصغير مقصوصا شعره.

لكن الإشكنازى الهاريدى يزداد عددهم عند الميرون عن طريق حشود السيفارديين حيث أن الكثيرين منهم لا حاريديين ولا يهود مستقيمى الديانة بصفة خاصة. يحضرون فى أسطول من السيارات، وصفوف طويلة من السيارات الخاصة، ويأتى الكثيرون فى مجموعات عائلية ممتدة ومعهم الخيام وصناديق الثلج ويعسكرون حول الموقع. هناك على أمتداد نصف ميل أكشاك تبيع كل شئ بداية من الأحذية الحديثة والچينز إلى شرائط الڤيديو التى وصلت مؤخراً من تركيا واليونان. ومفتشون من الوزارة المسئولة عن الدين يجاهدون لجعل ذبح الأغنام والماعز مقصورا على المنطقة المحددة لذلك، لصالح الأحوال الصحية.

يصر الهاريديم على فصل الأجناس فى المنطقة المباشرة للمقبرة. ويقدر الحشد فى بعض السنوات بأكثر من ربع مليون، والشكوى من أن الزائرين يقومون بالشعائر بصورة مختصرة عند القبر ويمضون باقى الوقت يمتعون أنفسهم. إن الإحتفالات مناسبات إجتماعية على الأقل كاحتفلات دينية.

«إنه من السهل الإشتراك فى الإحتفال أكثر من محاولة أتباع الممارسات الدينية الصارمة» كتب شلومو ديشن أحد علماء الإجتماع الإسرائيلين، ويشرح إزدياد شعبية

هذه الأحداث. شعر السيفارديون،كمهاجرين إلى إسرائيل بروابطهم بتقاليد «بلدهم القديم» تضعف. «إن الإحتفال هو طريقة ليحرر الواحد نفسه من هذا الشعور وهو شعور بالضياع. الإشتراك مركز ودرامى ويملأ المشاعر».

البروفيسور ڤينجرود يؤكد على الأهمية السياسية لظاهرة الإحتفال. ويكتب: «أنهم يحددون أنفسهم علانية ويفخر أنهم من شمال إفريقيا»، ومن ثم «تمت ترجمة هذا كمساندة للمرشحين السياسيين الذين يمثلون جماعتهم العرقية» هناك أيضاً روابط ثابتة «بين المعتقدات الخفية فى قوى القديسين المعجزة من ناحية، وظهور الأيديولوچيات الإسرائيلية والحركات التى تزوج بين القومية السياسية والأصولية الدينية اليهودية من ناحية أخرى... وتوجد نفس الحساسية، وكنتيجة لذلك، فإن التيارات المختلفة تنساب فى النهاية فى نفس الاتجاه».

نظم حاخام سيفاردى فى صيف ١٩٩٠، حدثا كان يأمل فى أنه سيتحول إلى إحتفال سنوى بنسب هامة. حاييم ينتو، حاخام بلدة كيريات مالاحى ومن عائلة شهيرة من الحكماء السيفارديين، قام بإحياء هياكل أربعة منهم من قبورهم فى المغرب وآخر من بلد عربى لم يذكر إسمه، وضع العظام فى حقائب وعاد بهم إلى إسرائيل وأدخلهم فى مقبرة كيريات مالاحى. كان أحد الأربعة جده ويدعى أيضاً حاييم پنتو. لم يتم الإفصاح عن هويات الثلاثة الآخرين لكى لا يتم تعرض التحفظ الدبلوماسى للشبهة بالنسبة لعملية التحويل. وقال فى مقابلة صحفية «إن الجماجم كانت دافئة، وعند ملامستها... إهتزت الأرض عندما قمت بإزالة العظام» حقيقة أوردت الصحف المحلية فى الصباح التالى حدوث زلزال صغير فى المنطقة».

كان وزراء وزعماء المعارضة والحاخام أوڤاديا يوسف وأصحاب المقام الرفيع المحليين على موعد لمخاطبة حشد، من حوالى عشرة آلاف، عند القبر الجديد ذات مساء

فى شهر أغسطس بعد الغزو العراقى للكويت بفترة قصيرة. جميع المتكلمين حثوا (ناشدوا)أرواح التساديقين الذين دخلوا إلى إسرائيل أن يحموا إسرائيل من تهديدات صدام حسين.

ثم طرد أحد بائعى زجاجات الماء المقدس من جانب منظمى الإحتفال الذين قالوا إنهم مصممون على حفظ اللياقة، ومنع الإتجار، لم يكن من الواضح من أين أتى هذا الماء المقدس لكن الناس أحضروه على أيه حال.

البابا باروح لفظ فكرة أن قبر پنتو يمكن أن يمثل منافسة لموقع قبر البابا سالى. «هناك بابا سالى واحد فقط كل واحد يحبه فى حياته، وكل واحد يوقره الآن وهو ميت»، ويلاحظ أن ميرون ونتيفوت هما موقعا الحج الوطنى الهامان فى إسرائيل الحديثة. مامن مكان آخر، لا المقابر الخاصة للباطريارك (ابراهام، اسحق، يعقوب) بالعبرية، ولا مقابر الكاباليين فى ساقيد، ولا موقع دفن الملك داوود الموجود على جبل صهيون فى القدس– قد حقق شيئا يقرب شعبية الجماهير من هذين المسرحين.

أما بالنسبة لعملية إدخال پنتو، يعكس باروح أراد كثير من الإسرائيليين الذين رأوا الحقيبة مليئة بالعظام فى أخبار التليفزيون عندما ذكرها بأنها «مثيرة للإشمئزاز وعدم الاحترام».

الفصل التاسع

الجذب السرمدى

إن بابا أليسار، أبن شقيقة بابا باروح، هو موضع السخرية المحدد فى ذم بابا باروح. إن الابن الأول لبابا سالى وهو مائير الذى مات قبل والده والذى كان رجلا متعلما حسن السمعة وزاهدا، وكان إليسار لديه البالغ من العمر واحد وأربعين عاما «يحب المال» ، يبيع البركات وهو ليس على وئام مع باقى العائلة. «الله وحده يعلم من هو التساديق الحقيقى. يستطيع أى أحد أن يخدع الناس- بما فيهم إليار» ينكر باروح بشدة أية غيرة من جانبه تجاه إليار المتزايد. «على العكس. أكون مسرورا وفخورا إذا ما أصبح تساديق شهير فى العالم فهو من لحمى ومن دمى. عاش فى منزلى لسنوات الذى فى أشيكلون، لقد ربيته» .

حيثما إقتسما الماضى فليس هناك حب مفقود بينهما الان. ومن الصعب وجود أتصال بينهما منذ الشجار بين أتباعهما عند قبر بابا سالى عام ١٩٨٥ . إنهما يبدوان فى الحقيقة مختلفين كأى شخصين يختلفان رغم علاقتهما الوثيقة والخلفية المشتركة. إن عبارة «يبدو أنه» تستخدم لأن اليسار لا يتسنى للغرباء رؤيته وحتى أتباعه الكثيرين لايتسنى لهم رؤيته. إن وجهه مغطى حتى أنفه بقلنسوة وعباءته الرمادية. أحيانا يميل برأسه إلى أعلى ويرفع حافة الثوب ليختلس نظرة على محاوره. وإنه من الصعب بعد ذلك رؤية عينيه وملامحه. إن صيغة زهده الدينى تسمى «حماية عينيه» . إنها أعلى درجة من مجرد عدم النظر إلى النساء. إنه يحاول أولاً أن ينظر إلى لاشئ على الإطلاق، سوى الكتب المقدسة والخطابات الطويلة والتفصيلية التى يبعث بها زائريه، متضمنة مشاكلهم أو مطالبهم. وإنه عندما يخرج من منزله، وهو شقة جميلة بعيدة عن الفخامة، متوجها إلى معبده الصغير الذى على بعد عدة بلوكات بصحبة

مساعده ولذلك لم يتسنى له أن ينظر حيث يمشى. إن هذا التصرف فى الحقيقة أقل الملمحين الغربيين الذين يميزان هذا الزعيم الدينى الشاب. والثانى هو أن يصطف الناس بصفه منتظمة لمدة خمسة عشر ساعة تقريبا للقاء قصير معه. إن هؤلاء الناس أشكنازيون وهو الرّبّان بالنسبة لهم. وضمن هؤلاء الناس كثيرا من رجال الأعمال وهم من مستقيمى الرأى الأصولين العصريين بمثابة هاريديين. وصلوا إلى بيرشيبا (تسعون دقيقة من تل أبيب والقدس) فى وقت مبكر من بعد الظهيرة. يكتبون أسمائهم فى قائمة خارج بابه. ثم ينتظرون حتى الفجر فى بعض الأحيان.

لم يكن هناك تسجيل، وعلى كل واحد أن يدون اسمه شخصيا. وإنه مع هذا ليس بالضرورة أن يبدأ الناس وفقا للقائمة: أحيانا يستدعى الحاخام اسما من أسفل القائمة، وأحيانا يترك اسما وصاحبه أو صاحبته تنتظر ساعات أطول؛ لا يذهب بابا إليسار إلى منزله حتى يستقبل كل واحد ينتظر رؤيته، ويستغرق ساعات أقل لأنه يستغرق وقت أقل فى لقائه مع كل فرد بعد الظهر. إن صبر الحاسيديين دون شكوى هو أمر ملحوظ ورائع. يجلسون حول المعبد ويدرسون، يجلسون على مقاعد أو يدخنون فى الفناء. يذهب الرهبانيون إلى منزل إليسار حيث تقدم زوجته ومساعدوه البوفيه من الظهيرة حتى منتصف الليل. إنهم يعرفون فى كل مرة يأتون بيرشيبا أن الزيارة يستغرق ساعة أو ساعتين حتى الصباح التالى مما يفسد عليهم يومى عمل. وإنهم مع ذلك يحافظون على الحضور . إن المعتادين يعرفون عن لقاء زعميهم وإذا مالم يتسنى لهم لقاءه يعاودون هذا شهريا على الأقل.

يثق الناس بهذا الرجل ثقة كبيرة، وبصحة نصيحته وببصيرته الصوفية، ويتدفق عليه غير الهاريديين يبحثون عن المساعدة فى أزمتهم الطبية أو المالية. حتى أنه من بين معتادى الحضور من الحاسيديين هم من غير الأصوليين، وهناك على الأقل واحد من

غير اليهود: عضو هندى فى بورصة تل أبيب للماس، وهو يقول إنه لا يتمم أى صفقة كبيرة دون مشاورة الحاخام إليسار (العازرا).

لكن الكثير من أتباعه المتزايدين هم هاريديين وأصوليين. يعيش بعضهم فى الخارج، فى الولايات المتحدة أو أوروبا. يبلغون زوجة الحاخام تليفونيا بأسئلتهم أو طلباتهم، والبعض رجال أعمال، ويقوم إليسار ببناء مجمع كبير من معبد ومبنى للإقامة فى مكان فضاء مواجه لمقر إقامته الصغير الحالى. يسافر مرة أو مرتين إلى الخارج ليزور أتباعه. يقال أنه عالم تلمودى صارم، وصوته ينم عن مبشر مقنع.

إن زعامته لها جاذبية قوية للناس الأذكياء الذين يبحثون عمن يأسرهم. إن الصوفية المكثفة لعائلة وحاشية البابا إليسار ربما توضح شكل المستقبل الهاريدى، بصرف النظر عن التقسيم السيفاردى الأشكنازى.

هناك أتجاه مماثل يتضح فى الإعجاب المتزايد بزعيم هاسيدى فى القدس وهو ياكوفميليكوفسى الذى يبلغ الواحدة والأربيعن عاما، وهو حاخام هاسيدى من أمشينوف (قرية صغيرة بالقرب من وارسو). إنه مثل إليسار يستعرض التفانى الملحوظ ،الذى دام مدة طويلة فى معاناة، فى مواجهة صيغته الخاصة للحماس الدينى والغفلة التامة فى العصر. إن هذا ليس بوضوح فقط من جانبه وإنما إهمال للوقت أيضاً. إن هذا هو محاكاة الآباء الحاسيديين الأوائل الذين لم يقابلوا، عن عمد، الأوقات الخاصة بالصلوات المتنوعة، لنقل صلاة الشحاريت فى منتصف الصباح وصلاة بعد الظهر منحةعند الشفق.

إن الحاخام ميليكوفسكى هو دخيل أكثر من ذلك بصورة هائلة. كان يعرف بأنه ينهى صلاة الصباح فى مساء الأحد. أيام الأثنين والخميس يقوم بقراءة جزء صغير من التوراة فى موعد تناول الشاى، وأحيانا بعد حلول الليل (حيث لم يعد الاثنين أو

الخميس بعد ذلك). عندما يضئ اليهود الآخرون شموعهم كل مساء بعد الغسق، يقوم بإضاة شموعه قبل الفجر. يتجمع عشرات الحاسيديم عند شقته فى الرابعة صباحا ليشاهدوا الإجراءات. يقوم الرّبّان بالقاء خطبة مطولة يعم الضياء والغناء،كما يعطى العظة الدينية. ثم يقوم كل واحد بمصافحته. ينتهى أحتفال إضاءة الشموع، وتسطع الشمس، ويبدأ باقى البلد يوم جديدا.

إنه زعيم دينى «عادى» : مصفى متعاطف، محلل متبصر، متكلم مستحوذ. يصر على أن الحشد إليه لا ينتظرونه بل ينظمون أنفسهم وفقا للقائمة والتقويم والساعة، بينما يقوم بالممارسات الدينية بمفرده لازالت هناك فرص تقييد الهاسيد الأمشينوڤر. عندما تزوجت إبنة الرّبّان فى صيف ١٩٩٠، أقيم الإحتفال حتى منتصف الليل وكان أصدقاء العروس عليهم الرحيل فى أخر أتوبيس للعودة إلى منزلهم. ويعودون في الصباح لأجل عشاء العرس الذى قد أصبح إفطارا.

إن الحاسيديم الأمشينوڤر لم يقدموا الشكوى. إن معظمهم من الشباب ولدوا فى طوائف حاسيدية أخرى، لكنهم وجدوا أنفسهم مشدودين بثقافة الرّبّان وسلوكه الذى يبعد بنفسه عن الأضواء– ويصر على أنه ليس ربّانا ويرفض أن يبارك الناس– ومشدودين بدون شك بروحه الغريبة. هذه هى المناشدة المزدوجة للعقل والروح التى تميز بالزعامة الهاريدية الناجحة فى السنوات القادمة، الأشكنازى والسيفاردى المتعلمين تعليما علمانينا جيدا فإنه يواجههم من خلال خيار السلطة الروحية الواسعة.

الجزء الثالث

المنفيون وسط اليهود

الفصل الأول

كابوس صهيونى

كان قرار الحاخام شاح فى مارس ١٩٩٠ بمساندة الليكود أكثر الأحداث أهميةفى السياسة الإسرائيلية لسنوات. فعندما بدا حزب العمل واثقا من تولى السلطة، بالتحالف مع الأحزاب الهاريدية، فإن تدخل الحكيم الكهل لإحباط تلك الخطة المحكمة الإعداد. وجاء قراره فى فترة حكم الجناح اليمينى، بعد خمس سنوات ونصف السنة من إئتلاف العمل- الليكود المُوَحدّ. الذى سارعت حكومته فى بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة، مما تسبب فى توتر مستمر بين إسرائيل والولايات المتحدة. واشتركت على مضض فى مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط، والتى بدأت فى أواخر ١٩٩١ واتخذت مواقفا متشددة فى المحادثات .

إن المراوغة الظاهرة للحاخام شاح من الحمائم إلى الصقور، حتى بالنسبة للهارديين أنفسهم كانت مجرد حيلة آخرى ضمن قصة طويلة وقديمة تمتد عبر أكثر منقرن ملئ بالتضارب والعداء بين الهاريدية والصهيونية. ويقول مناحم كارمل، من كبار مساعدى الحاخام شاح وسكرتيرعام حزب حاتوراه: «إن اليهود الهاريديين ليسوا بصهاينة». و «إن قيام دولة إسرائيل لم يكن وفقا لرغبات جيدوليم. لكن الدولة حقيقة، ومع الحقائق لا جدال».

ونظرا لمركزية وجود دولة إسرائيل فى الحياة اليهودية اليوم فإن هذا التناقض هو العنصر المكروه لغاية فى الهوية الهاريدية من وجهة نظر باقى اليهود.

وبنفس المنطق فإن تلك الفكرة المركزية تحدد مواقف الهارديين تجاه بقية اليهود. فأى صهيونى غير متحفظ لايمكن أن يكون هاردى، فى رأى معظم الهارديين، مهما

كان أصولياً فى آداء السعائر الدينية، وسواء كان وطنياً إسرائيلياً أو من الديسابورا أنصار دولة إسرائيل، لأنه يتبع حاخامات ضالين، أو لأنه لايقبل بما فيه الكفاية سلطة الحاخامات العظام «الجادوليم» حسب التصنيف الهاردى، والأنكى أنهم يعتبرون إيمانه ناقصاً. كما أدان بعض الجدوليم الحركة الصهيونية بإعتبارها ضلال محض. حتى أن أؤلئك الذين وصلوا إلى تأقلم عملى متنوع معه الصهيونية يبقون على تحفظاتهم الأساسية حيال حركة سياسية تأسست وقادها يهود من غير الأصوليين والتى تسلم بالقيام بعمل قدره الله نفسه القيام به: إعادة قيام إسرائيل على أرضها .

وفى الوقت الذى رأت أوروبا فى الآباء المؤسسين للصهيونية فى منعطف القرن الماضى بديلاً فعالاً لإستيعاب اليهود فيها، فإن الهاريين رأوا دائما الزعماء الصهاينة أنفسهم بمثابة تجسيد لقيم الاستيعاب. أراد الصهاينة إقامة دولة يهودية، وهذا أمر مسلم به. إلا أن الدولة ستستوعب ضمن الأسرة العالمية للدول وتكون دولة مثل غيرها من الدول، وهى دعوة بعيدة عن مخطط لقيام دولة دينية.

عقب قيام إسرائيل مباشرة عام ١٩٤٨ ، خفت وطأة المعركة. حيث كان الهارديون فى أشد ضعفهم. وكان التاريخ يبدو وكأنه إلى جانب الصهاينة، وأشاروا إلى معسكرات الإبادة لقمة التبرير لمذهبهم. وسعى قادة المعسكرين بنشاط إلى تسوية من شأنها تمكينهم من العيش معا فى الدولة الجديدة. إن بن جوريون، مؤسس إسرائيل وأول رئيس وزراء لها، أعد اتفاقية مع الأطراف الأصولية بأن يكون يوم السبت هو اليوم الرسمى للراحة بالنسبة لمواطنى الدولة، وأن كل مؤسسات الدولة تراعى الكاشروت، وأن قانون الأحوال الشخصية سيعد وفقا لحالات (لقواعد الهلاشا)، وأن مدارس منفصلة ستنشأ لأبناء الأصوليين.

لا تزال إتفاقية بن جوريون تراعى «الأمر الواقع» القانونى الذى يحكم الأمور الدينية فى إسرائيل. إلاّ أن روح تلك الفترة، المتسامحة، لم تدم طويلاً. فالهاريديم اليوم أكثر عددا، وأكثر قوة سياسياً، وأكثر رسوخا فى المؤسسة الحاكمة، وأيديولوجيتهم المعادية للصهيونية اتسمت ثانية بالشدة، ومواعظهم وكتاباتهم أكثر حِدّة وعنفا من ذى قبل. وكما يقول مناحم كارمل إذا كانوا «لا يجادلون» فى حقيقة وجود إسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة فإنهم بالتأكيد لا يقبلونها من الناحية العقائدية أو اللاهوتية. إن قبولهم لها هو قبول نفعى محض، ويتذمرون من ذلك بطريقة متزايدة. إن مصاعب إسرائيل، وفشلها فى التوصل إلى سلام مع العرب ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، كل ذلك يتم رؤيته كتأكيدات سماوية للمعارضة الأساسية من جانب الهاريديم لفكرة أن «المشكلة اليهودية» يمكن حلها عن طريق السبل السياسية العادية.

كتبت ياتيد نيعيمان، محررة صحيفة حزب حاتوراه، وهو حزب الحاخام شاح، فى يوم الاستقلال الإسرائيلى عام ١٩٩٠ إن الحلم اليهودى تحول إلى «كابوس». وعنوان المقال «هل كان الأمر يستحق العناء؟»، وعدد المقال محن البلد، الانتفاضة الفلسطينية المستمرة، أزمة الإسكان والبطالة التى تسببت فيها هجرة السوفييت على نطاق كبير، انتشار الشعور بهبوط المعنويات. إن الآباء المكلومين بأبنائهم الذين قضوا نحبهم يتساءلون جهارا عما إذا كان كل ذلك يستحق المعاناة، وقد ركزت المحررة ياتيد نيعيمان على ذلك الطرح.

إننا لا سمح الله، لانبتهج لسقوط اولئك الذين يتبدد حلم الاستقلال أمام أعينهم. إننا جميعا فى نفس القارب، وصلواتنا لله أن ينقذنا جميعا. عليأننا نحزن لانحراف مفهوم الاستقلال. إن الاستقلال الحقيقى الوحيد هو استقلال روحى، استقلال يحققه التمسك بالتوراة والمتسفوت.

واحتفلت صحيفة حاموداى، الناطقة بلسان حزب هاريدى المنافس أجودات يسرائيل، بيوم الاستقلال بنفس المزاج. مشيرة فى طبعة عيد الاستقلال أنه «ما من مكان آخر على الأرض اليوم سوى إسرائيل حيث يكون اليهود هدفاً للقتلة. ولايوجد مكان فى العالم تكره فيه جالية بأكملها اليهود بالطريقة التى يكرهنا بها (العرب) هنا، فى هذه الدولة التى يزعم أنها جنة لليهود».

إن الهوة العقائدية بين الهاريديم وباقى المجتمع الإسرائيلى لم تكن مجرد مسألة حملات صحفية. ففى يوم الذكرى عام ١٩٨٩، على سبيل المثال- اليوم الذى تحيى فيه الدولة زكرى شهدائها فى الحرب- قامت جماعة من الحاخامات فى بنى براك بتنظيم «تجمع للصحوة الروحية للنساء» لتذكر «سلسلة من الحوادث الرهيبة وقعت فى الشهر الماضى حيث مات عدد من الرجال والنساء فى ريعان الشباب. وتكون صلوات النساء فعالة بصورة خاصة فى مثل تلك الظروف». ويبدو أن تحديد يوم التجمع تزامن مصادفةً مع إحتفالات يوم الذكرى فلم يتم ذكر ليوم الذكرى فى الدعوات المعلنة عن هذا التجمع، ولم تكن موضوعا لأى من المواعظ التى تم إلقاؤها على النساء.

كان هذا الأمر مذكرا بحادثة وقعت فى بنى براك أيضاً منذ ثلاثة وعشرين عاما حين قام الجيش الإسرائيلى بعملية إنتقامية ليلية ضد رجال المقاومة الفلسطينية عبر الحدود الأردنية، إلاّ أنه واجه مقاومة غير متوقعه من الجيش الأردنى، وأخذت المعركة تزداد عنفاً حتى الصباح مخلفة وراءها خسائر عالية فى الجانبين. قامت الإذاعة بإذاعة بيانات متلاحقة بينما تترقبها الأمة كلها بلهفة، بينما أخذ الأصوليون يتلون المزامير، افهى الملاذ التقليدى فى أوقات الشدة.

وفى نفس اليوم، فى مدرسة تلمودية كان يقود المراقب الروحى الطلاب فى تلاوة المزامير بعد صلوات الظهيرة. وكان صوته مفعم بالعاطفة. إلا أنه كان يصلى لأجل أحد

المرضى فى مستشفى، ولا يعرفا المريض شخصيا لكن طلب منه تلاوة المزامير لأجله. ولم يشر إلى الجنود.

يقول موشيه إشون، منظر عقائدى صهيونى أصولى ومحرر صحيفة هاتسوفيه، صحيفة الحزب الدينى القومى*، وهو حزب حديث وصهيونى أصولى، يقول: «إنهم يعيشون بين عالمين: بين الدولة اليهودية والمنفى وسط اليهود» [جملة صاغها ناتان بيرنبوم، مفكر هاريدى فى أوائل القرن العشرين].

يفوز الحزب الدينى الوطنى بأستمرار بمعدل عشرة إلى أثنى عشرة مقعداً فى الكنيسيت ذى المائة وعشرين مقعدا وذلك خلال الحقب الأولى الثلاث من قيام الدولة، وكان طرفا نشطا فى أغلب الائتلافات التى يشكلها حتى عام ١٩٧٧. وأصبح بمضى السنين متشددا بطريقة متزايدة فى سياسته المتعلقة باسرائيل الكبرى، كجيل شاب من الساسة الذين يحثهم مستوطنو يهودا إلسامرا (الضفة الغربية المحتلة منذ ١٩٦٧)، وأزاح بالقيادة القديمة تدريجيا للخارج . وبالرغم من تحول الحزب إلى اليمين- أو فى رأى بعض المراقبين، بسببه- فقد الحزب أصوات الليكود وتابعيه اليمينيين المتطرفين، وأيضا أصواتا حزب شاس السيفاردى- الهاردى. وفى انتخابات الكنيسيت فى نوفمبر ١٩٨٨ حصل الحزب الدينى الوطنى على خمسة مقاعد فقط. وتمكن من الحصول على ستة مقاعد فى يونيو ١٩٩٢.

ويؤكد إيشون قائلا: «نحن نعيش فى عصر نجحت حقيقة فيه الفكرة الصهيونية الدينية. إلأ أن هذا الانتصار لم ينعكس فى صندوق الاقتراع». ويقول إنه كلما زاد نجاح الأصوليين الصهاينة فى الاندماج فى المجموعة الأكثر اتساعا كلما أصبح نمط

* الحزب الدينى القومى.. تأسس بعد إندماج حزبى مزراحى وعمال مزراحى ويطلق عليه إسم المفدال أيضاً...

التصويت أقل ضيقا، والحزب الدينى الوطنى. أكثر ضعفاً ومن ناحية أخرى يبدو الهارديون أقوى من حقيقتهم، «لأنهم نجحوا فى زيادة نفوذهم السياسى».

تزايد الإطار العريض للأصوليين الصهاينة، الذين رمزهم غطاء الرأس (كيبا) المشغول بالإبرة، وتجدهم فى كل مكان. تجدهم فى الجيش، مثلا، فإذا وجدت ضابطاًبغطاء الرأس منذ سنوات مضت فمن الطبيعى أن تفترض أنه قسيس ملحق بالجيش. لكن اليوم هناك جنرالات فى مواقع هامة من الأصوليين، ومارشالات وضباط على كل مستوى فى أجهزة المخابرات وسلاح الجو. هنا ينطبق أيضا على الأطباء والمحامين، وفى كل مرافق الحياة وتجد عشرات المهندسين الأصولين فى هيئة تنمية وأبحاث الأسلحة. برافائيل، وعندما يتم تصويرهم بالتليفزيون بمناسبة منح جائزة الدفاع السنوية فإنه يتم تصوير أقفية الفائزين منهم لأنه لا يجب إظهار وجوههم، وترى دائما غطاء الرأس المشغول بالإبرة، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون كل من يرتدى غطاء الرأس عضواً فى الحزب أو يصوت للحزب.

أنحى إشون باللائمة على قادة حزبه الدينى الوطنى لفشلهم فى الاحتفاظ بالولاء السياسى من جانب هذا الجمهور المتزايد، «بينما المعسكر الآخر، هاريديم، زاد أيضا فى عدده لكنه ظل طائفياً أجتماعيا وسياسيا، فقلما تجد هاريدى يصوت لحزب غير هاريدى. ومن ثم تنمو أحزابهم، وتنحدر أحزابنا».

الهاريديون من جانبهم لا يناقشون مع إشون بالنسبة لحزبهم، إنما يضعون ببساطة بناءً مختلفاً على حقائقه. إن الطائفية العنيدة التى يحتقرها؛ يتمسكون هم بها كنجاح كبير لهم. إن اندماج الأصوليين الصهاينة فى المجتمع العام، الذى يراه كنجاح تاريخى، يستخفون به كنوع من الامتصاص لنقاء الأصولية. وإذا كانت صحيفة إشون تواجه خطر الإغلاق لنقص القراء، فإنهم يؤكدون فى أن هذا ليس بسبب تحول قرائها

إلى هاموديا أو ياتيد وإنما لأنهم يفضلون يديوت أحارونوت ومعاريف، الصحف غير المحتشمة واسعة الانتشار «المليئة بالصور الخليعة والمقالات الفاسقة،» وهي عبارات مستقاة من الأوامر الحاخامية التي حرمت دخولها المنازل الهاريدية، إن نجاح الأحزاب الهاريدية في زيادة قدرتها يوم الاقتراع عائد لمبالاة الأتباع بنصائح حاخاماتهم المتعلقة بالتصويت، إن الحزب الديني الوطني أيضا له حاخامات لكن نداءاتهم قبل الانتخابات للمخلصين بشأن التصويت من الواضح أنها أقل تأثيراً. كانت كلمة الحاخام شاح في ملعب السلة في مارس ١٩٩٠ علامة مميزة ليس فقط في لغة الحزب السياسية. لقد كانت معلماً للتدهور الشديد في العلاقة بين الهارديم وباقي إسرائيل. استخدم شاح فرصة تغطية وسائل الإعلام المكثفة في الداخل والخارج لكلمته ليشن هجوما مريرا على المجتمع الإسرائيلي غير الأصولي برمته، مع التركيز على الكيبوتزية، ارمز فخر النهضة الحديثة للعلمانية اليهودية مديناً لها بشكل خاص.*

«أريد الكلام علناً بدون خوف. هناك أعضاء كيبوتز اليوم لا يعرفون ما هو يوم كيبور، وما هو «الشبات» السبت، وما هو مكيف، ليس لديهم أي مفهوم عن الديانة اليهودية، فهم في مؤخرة الأرانب والخنازير. هل لديهم أية صلة مع آبائهم؟ هل يمكن لمثل ذلك الكيبوتز أن يعمر؟ هل أكل آباؤهم في يوم كيبور؟... هل يمكن أن نسمي هؤلاء الناس يهوداً؟... لو اندلعت حرب فكيف سيقاتلون؟ إن العدو أقوى منهم».

«إننا نعيش أوقاتاً رهيبة»، قال الحاخام الموقر متفجعاً. إسرائيل يحيط بها الأعداء «الحمل وسط سبعين ذئب». لقد تم اضطهاد اليهود عبر تاريخهم، وقد أفلتوا من مضطهديهم. «ماذا كان سرنا؟ إننا يهود! هذا ما يجعلنا دائما أقوى منهم كلهم.

* الكيوبتيز. كلمة عبريه تعني المجمع وتجميع وتستخدم بمعنى مستوطنه يهودية تعاونيه تضم مجموعة من المستوطنين يعملون ويعيشون معاً...

يمكن أن يقتلوا الوالد، لكنه ربى ابنه، وابنه سوف يستمر على الدرب. لم يعد يستطيع الوالد الذهاب إلى المعبد، لكن الابن سيذهب. لم يعد يستطيع الوالد دراسة التوراة، لكن الابن سوف يدرس. لا يستطيع الابن أن يبعد نفسه عن تراث آبائه. فهو مرتبط بآبائه، طوال الطريق إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب. هذا هو الجوهر الحى للشعب اليهودى. وطالما أن اليهودى مستمر فى اتباع درب أبيه وجده ولا يسعى إلى حِكَم أخرى، ومعتقدات جديدة غريبة. فإنه يكون على قيد الحياه. أما أولئك الذين هجروا وقطعوا الصلة، فإنهم أموات!»

الحاخام شاح يقوم بزيارة غير متوقعة لليديش ويصف مشهداً سعيداً فى منزل يهودى فقير، يبدو أنه فى أوروبا قبل الإبادة. يجلس الأب بعد عناء أسبوع من التجوال كبائع فى القرى المجاورة عند منضدة السبت، هو الملك، زوجته الملكة، وأطفاله الأمراء، يغنون معاً أغانى الشبات (السبت). هل هناك من هو أسعد منه أو أكثر رضى؟

أضاف بالعبرية: «البعض يبحث عن حزب العمل، والبعض يبحث عن حزب، والبعض يبحث عن حزب آخر. لكنهم... قطعوا أنفسهم عن الماضى برمته دون هدى، ويبحثون عن توراة جديدة. لابد أن نقطع أنفسنا عن الأحزاب التى لا صلة لها بالديانة اليهودية. أحدها جيد والآخر سيء، لكنهم فى الأساس نفس الشئ بصفة أساسية. ولقد فصلوا أنفسهم عن أجدادهم».

ويبدو أن هجوم شاح على الحياة الإسرائيلية العلمانية وخاصة الحركة الكيبوتزية، جلب على السطح كل الحنق المعتمل داخل المجتمع الإسرائيلى ضد الهاريدية. وتعالى الصياح من أهل الفكر وسرعان ما انتشر عبر صحافة البلاد: إنه النزاع بين الحكومة المدنية والسلطة الدينية! ويتحدث الحاخام باسم الهاريدية معلناً الحرب على باقى الشعب اليهودى. وأوضح رسام الكاريكاتير فى صحيفة ها آرتس، أشهر الصحف

الصباحية، شاح وهو على منصته فى وسط الجبانة العسكرية يحيط به حجارة المقبرة. كانت كلها مقابر وهو الشباب الكيبوتز الذين ماتوا فى حروب إسرائيل. «هل يمكن هؤلاء يهوداً ؟ طرح الحاخام هذا السؤال على جماعته مشيرا إلى المقابر باستخفاف».

إن الرسالة المقنعة هنا مزدوجة المعنى فالحركة الكيبوتزية تقدم دائما نسب أعداد غير متجانسة من الضباط، والمتطوعين فى الوحدات العليا فى قوات الجيش الإسرائيلى والجرحى فى القوات المسلحة الإسرائيلية. بينما طلاب اليشيفا يتم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية طالما أنهم مستمرون فى دراساتهم، معظهم يستمر فى الدراسة لدرجة أنهم لا يخدمون فى العسكرية على الإطلاق.

أوضح الكاريكاتير فى صحيفة معاريف أيضاً شاح وهو يتسلق فوق القبور العسكرية لينصب منصته. وعبارة منقوشة على الضريح: «مات فى حرب يوم كيبور»، ويظهر شاح وهو يصيح: «فى الكيبوتزات لا يعرفون ما هو يوم كيبور».

ومع المرارة يأتى الإحباط أيضاً. أنحى السياسيون والمعلقون باللائمة على أنفسهم، وعلى النظام، ووسائل الإعلام، والشعب لسماحه للحاخام أن يمسك بزمام البلد كله فى قبضة مواعظه العدائية والمكايد السياسية. «إن عميد الدراويش الإسرائيليين يلقى خطبة واحدة وإذا بالأمة كلها ترتعد»، هذا ما كتبه كاتب عمود فى صحيفة دافار. «من نحن لنشتكى من الخومينية فى الأراضى الإسلامية»؟، هذا ما كتبه عضو حزب العمل فى الكنيسيت إدنا سولودار فى مقال مجاور.«إنها لدينا على بواباتنا نحن».

إن الكنيسيت له نفحة من ذلك فى الواقع داخل بواباته، حيث أدان ثلاثة من أعضاء الكنيست من الهاريدى، فى حوار منذ أسابيع، حول كتاب أيات شيطانية لسلمان رشدى على أنه إهانة للدين، وطالبوا بمنعه فى إسرائيل. وصاح أحدهم قائلاً:

ما رأيكم لو أن أحد فعل هذا بالكتاب المقدس «العهد القديم»؟، وهاجم أفراهام شابيرا، زعيم حاخامى اشكنازى، أيضا الكتاب واعتبره «غير إنسانى وغير أخلاقى» وأيد حظره «فى إسرائيل وفى كل مكان آخر» (دون إعدام رشدى).

إن حاييم هيرتزوج، رئيس الدولة نفسه ولواء جيش سابق وعضو الكنيسيت عن العمل مؤخرا، سئل فى حديث إذاعى «لو عرفت هذه الأمة كم هى مدينة لأفراد الكيبونز، بأيديهم الخشنة من العمل ووجوههم البرونزية وأضاف: عندما أقف على قبور موتانا فى الحرب، الذين خاضوها وضحوا دون أى تفكير فى الإختلافات السياسية والدينية، أسأل نفسى عما إذا كان يجب علينا أن نطلب صفحهم بعد أن قضوا نحبهم» وأجاب حزب ديجيل حاتوراه الرئيس مطالبا إياه بالإستقالة وتوّه بأنه ارتكب عدواناً إجراميا «ببذر الشقاق بين طائفة شعبية وأخرى».

إن رد فعل ديجيل للضجة هو فى الحقيقة له دلالته على نطاق إنسلاخ المجموعة الهاريدية عن باقى المجتمع، وأيضا علي تأقلمه وثقته. وبعد ذلك الحدث مباشرة استغرق حزب ديجيل بالتفاخر مهنئناً نفسه وذلك لنشوته الغامرة حيال تغطية شاح داخليا وخارجيا إلى حد التشبع. وفى مقال بعنون «تقديس الله» صرحت ياتيد نيعيمان «إننا على يقين عقب تغطية وسائل الإعلام المكثفة فى إسرائيل وحول العالم فإن رسالة الدعوة سوف تنجح فى التسلل إلى قلوب البشرية كلها:«الله هو السيد. تقدس إسمه إلى أبد الآبدين».

استطردت الكاتبة لتشكر كل المراسلين (الصحفيين) والمصوريين لجهودهم. «هذه المرة ليس لدينا شكوى من أنهم حولوا انتباههم عنا... إنهم، بالعكس، قد مكنوا كل مواطن إسرائيلى من المشاركة فى هذا التجمع الروحى لينعموا بأريج إيمان اليهودية بالتوراة...»

ولكن سرعان مابدأ ساسة الحزب ورجال العلاقات العامة سرعان ما بدأوا يدركون مدى الخطأ فى دقة إدراكهم وحساسية إنطباعبهم الأولية. فالتئم شملهم سريعاً وبدو على حالتهم المألوفة كأقلية أسىء فهمها وظلمت. وبدلا من مجرد التراجع، شن حزب ديجل هجوم مكثف غير مسبوقوقام بإعادة طبع كلمة شاح كاملة فى كافة الصحف اليومية بتكلفة تقدر بعشرات الألوف من الدولارات. كما قام الحزب بإعادة طبع مستندات تاريخية تبين أن والد هيرتزوج، الحاخام الزعيم الإسرائيلى المرحوم اسحق هيرتزوج، شجب بقوة الحركة الكيبوتزية (منذ خمسين عاماً تقريبا) بسبب طرقهم غير الدينية.

ونشرت ياتيد نيعيمان نقدا ساخرا عنيفا من ثلاث صفحات ضد الكيبوتزية وحركة العمل برمتها بسبب معاملة «التمييز والإستخفاف» لمئات الآلاف من المهاجرين السيفارديين الذين وصلوا إلى إسرائيل فى الخمسينات (١٩٥٠) من العالم الإسلامى. كانت هناك عملية مدروسة ومدعومة من قبل حزب العمال الذى كان يرأس الحكومة آنذاك، ووجهت الصحيفة إتهامها، المبنى على أسس قوية، لحزب العمال بتحويل القادمين الجدد من إيمانهم البسيط وتراثهم الأصولى إلى إسرائيليين عصريين علمانيين (يصوتون لحزب العمل)، محرومين من أى ثقافة حقيقية أو تراث. إن معظم علل المجتمع السيفاردى الإسرائيلى كالجريمة، والمخدرات، وهبوط مستوى التحصيل الدراسى، والبطالة المزمنة؛ ترجع مباشرة لتلك السياسة الخبيثة والاستغلالية، وأكدت الجريدة على ذلك.

ترددت مجدداً الاتهامات وسط عاصفة أصولية علمانية بعد عام. حيث أعلن الحاخام الوزير– الذى ربطبين كارثة (السيارة– القاطرة) وانتهاك قدسية السبت، ويهو حالياً على رأس وزارة إستيعاب المهاجرى– أعلن أن المهاجرين الأثيوبيين الجدد لن يتم

إرسالهم إلى الكيبوتزات «حيث يتم تضليلهم». هدأ الغضب الشعبى بعد ما فوجىء الجانبان بهدنة عابرة عقب صدمتهما من جراء وجود رأس خنزير موضوعة أمام المعبد فى بنى براك، ولكن الحاخام شاخ عاود مهاجمة هيرتزوج فى خطابه صيف ١٩٩١، وحذر من أنه «سيعاقب» لدفاعه عن الكيبوتزيين و«أكلهم لحم الخنزير».

أما بالنسبة لوسائل الإعلام سرعان ما تراجعت فى عيون يايتد نيعيمان إلى متعهدين «إثارة ضد المجموعة التى تخاف الله... ومؤلفين فى مستوى ضحالة البالوعات.. يلجأون بوقاحة إلى التجسيدات المعادية للسامية».

وفى نفس الوقت سعى حزب ديجيل إلى التخفيفمن تشوه صورته بدعوة أعضاء الكيبوتز لحضور أحتفال عشاء ليلة عيد الفصح فى منازل الهاريدى. وقبل عدد قليل الدعوة لكن حاخامات ديجيل نجحوا فى اقناع مجموعة منهم بضيافتهم لأمسيات سمر وحوار والتى حاولوا أخلالها إنتقاد ملاحظات الحاخام شاش بصورة مقبولة. الذى تحدث مؤكداً للكيبوتزيين أن ماصرح به تابع من حب عميق لكل يهودى.

وفيما يللى إحدى المحاورات المماثلة التى جرت بين الطرفينسجلها أحد المراقبين:

- الحاخام موشية فرانك، مدرس فى مدرسة القدس ومناصر لديجيل: «إن الذى لا يتمسك بالمعتقدات الأساسية لليهودية فهو ببساطة ليس يهوديا. إن التفكير بأن الأمة يمكن أن تكون قيمة عليا هو مفهوم وثنى وفاشيستى. إن القومية ليست مفهوما يهوديا. اليهودية ليست بلدا أو لغة.

- ياريف يارى (عضو كيبوتز شاب): «الله الذى هو قيمتك العليا لا يوجد بالنسبة لى. لكنك يهودى ونحن يهود؛ نفس الأمة. إذا قصد الحاخام شاخ إعمال الذهن، فقد فشل فى ذلك لأنه يتحدث بالشعارات، وكشخص علمانى لم أشعر بالذنب، وإنما مجرد إحساس بأن شاخ وأتباعه يعيشون فى العصور

الوسطى. لقد عمّق الإنقسام بيننا ولا يستطيع أحد ردم الهوة».

- أربح جيلبر (مؤرخ وعضو كيبوتز): «أرفض يهوديتكم جملة وتفصيلا مثلما ترفضونني. لقد أعلنتم الحرب الثقافية علينا، ولسوف نعاود النضال».

- الحاخام فرانك: «لو كان عليّ الإختيار لابنى، لا سمح الله، بين العيش فى الكيبوتز، وأكل طعام محرم، أو الموت، سأفضل الموت. أنا مستعد للموت مفضلا إياه على مخالفة السبت».

- صهيون طوبى (سكرتير الكيبوتز): ولكن أين هى الجبانات التى يرقد فيها الذين لايكفون عن التصريح ، (أفضل الموت)، إن جبانات الكيبوتز مليئة بأولئك الذين ماتوا دفاعا عن بنى براك... [مشيرا إلى طائرة هليكوبتر عابرة]. تلك هى سيكورسكى، مثل تلك التى أقلتنى إلى جبل حيرمون عندما حاربنا للإستيلاء عليه فى ١٩٧٣. لقدكان الهارديون وقتها قابعين داخل مدارسهم التوراتية يدعون مصلين بنجاحنا.

- فرانك : والحقيقة إنكم نجحتم؟

الفصل الثانى

إنهم يؤدون الخدمة العسكرية أيضاً

إن بلوغ السن القانونى لحق الأنتخاب، يعتبر بالنسبة لكل شاب من الأصوليين الإسرائيليين لخطة إتخاذ قرار حاسم، ليس بالنسبة لتحديد أفضل الأحزاب السياسية فحسب، إذ يتعين عليه، عند بلوغ الثامنة عشر، الاختيار ما إذا كان يريد الأندماج الكامل في المجتمع ويحمل نصيبه فيه من العناء، أو أن يحيا فى نظر معظم الإسرائيليين كطفيلى يتمتع بامتيازات، وبتعبير آخر هل سيؤدى الخدمة العسكرية، أم أنه سيلجأ إلى نظام التأجيل المقر فى القانون لطلبة مدارس التوراة .

ناضل بعض المجندين للالتحاق بالوحدات المقابلة، كما جاهد عدد أقل- حسب الاحصاءات الرسمية- بعناء لتأمين وظيفة مكتبية مريحة خلال خدمة الثلاث سنوات الإلزامية. ولكن الكل يؤدون الخدمة باستثناء الهارديين، فكل فرد، سواء كان فدائياً (مغواراً) أو طباخاً يتلقى تدريبة العسكرى الأساسى؛ عليهم آداء الخدمة (خدمة الموظفين ثلاث سنوات والنساء سنتين) كما يتم استدعاء المجند سنوياً لفترة شهر، يعرق ويشقى ويشتكى خلالها، حتى يصل إلى عتبة الخمسينيات من عمره .

فى واقع الأمر، من الصعب المبالغة فى أهمية الجيش فى الحياة الإسرائيلية وبالتالى فى تأثير نظام تأجيل الخدمة العسكرية لطلبة مدارس التوراة فى إذكاء نار العداوة، القابلة للاشتعال بين الهاريديم وباقى الشعب وتتفجر القضية بصورة فجائية فى كل جدل سياسى وتخيم على كل مناضرة عقائدية المظهر. وعندما قام أعضاء كبيوتز ميزراع، وهم أكبر منتجى لحوم الخنازير فى إسرائيل، بالتظاهر فى شتاء ١٩٩٠، ضد قانون الخنازير الذى جاء به الهاريدى؛ لم تركز اللافتات والهتافات على محاولة

الهارديين فرض نوعية الغذاء على الأمة، وإنما على تحايلهم على الخدمة العسكرية. وهى قضية، على عكس تحريم لحم الخنزير، توحد الأغلبية غير الهارديين. كان الخنق يسود دائما كل اتصال بين الجماعتين .

إن حوالى خمسة وعشرين ألف رجل هاريدى الآن فى سن الجندية لم يتسلموا على زى الجندية، والمزيد من الآلاف تخطوا سن التجنيد أجلوا خدمتهم، من عام إلى عام، لعشرات السنوات. أمضى العديد من الآلاف بداية شبابهم فى مدارس التوراة وظهروا فقط بعد الزواج والإنجاب، وذلك ليؤدوا الخدمة المختصرة عادة من شهرين إلى أربعة أشهر، فى وحدة غير مقاتلة، بدلا من الثلاث ، وبعد ذلك يؤدون الخدمة الاحتياطية كل عام مع الآخرين. هذه المجموعة الأخيرة إذا كانت ملتحية وترتدى القبعة الهاريدية والسترة السوداء فإنهم يعانون ظلماً من نفس الإهانات والاستهزاءات فى الطرق لأنهم المؤجلين الدائمين، وفي ديسمبر ١٩٨٨ ، تظاهر عدد منهم فى القدس مرتدين شرائط الحملة والشارات المميزة لوضعهم ليحتجوا على هذا التعصب بدون تمييز .

وربما كان من الظلم أيضاً الإيحاء بأن الشاب الهاريدى الذى يبلغ الثامنة عشر له أى خيار. إن معظمهم تم تطبيعهم منذ الطفولة على اعتبار التأجيل بمثابة اختيار طبيعى وآلى لتحديد المهنة. وليس لديهم اختيار حقيقى إذا ما أرادوا البقاء أعضاء مقبولين فى ضمن الطائفة. وفى مقاطعات اليشيفا يكون المرتدى لبزى الجندية وليس طالب اليشيفا ذو الرداء الأسود؛ هو الذى يشيح برأسه ويلقى نظرات عدم الرضا. و فى حفلات الزواج الهاريدية لايطرح السؤال عن «ما هو عمل العروس؟» ولكن: «أين ستيلقى تعليمه». وهل سيتابع دراساته التلمودية، وبالتالى يستمر فى تأجيل استدعاءه

للجيش؟ أما التساؤل عن العمل والمرتب فيهم العروس الشابة التى عادة ما تعمل كمدرسة أو سكرتيرة. وتدفع المدارس العليا لتعليم التوراة والخاصة بالشبان المتزوجين راتبا متواضعا، وتدفع الحكومة علاوات الطفل ومنحا أخرى؛ ويكون من المتوقع أن يساعد الوالدان أيضا إذا كان ذلك فى مقدورهما .

إن إسحاق شامير، الذى كان رئيسا للوزراء من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٤ ومن ١٩٨٦ إلى ١٩٩٢ سلم، فى حديث صريح، خلاف المعتاد، قبل انتهاء فترة رئاسته؛ بأنه «لاتسامح» مع تحايل الهارديين على قانون الخدمة الإلزامية، إن رئيس الوزراء، الذى قام إئتلافه كما رأينا، على تحالف الليكود مع الأحزاب الهاريدية، كان عادة حريصا على عدم التعبير عن مشاعره المتناقضة بعمق تجاه الهاريديم والهاريديمية إن كصهيونى من الطراز التقليدى جلب إلى فلسطين فى الثلاثينيات تلك الروح المتمردة ضد يهود الشتات (الديسابورا) الذين أطلقوا النيران على الكثير من الشباب اليهودى قبل الحرب فى بولندة .

إن شامير وزوجته شولاميت التى جاءت من بلغاريا كشابة صهيونية غير أصولية تنتهج بقناعة تامة أسلوب حياة علمانية فى حياتها الخاصة، ولكنها تمارس الشعائر الدينية حرفياً أمام الملأ فلم يتم مشاهدتهم يخالفون قواعد السبت إلا أنه ما كان يذهب رئيس الوزراء إلى المعبد والواضح أنه لايرتاح لذلك .

وبالرغم من حرصه، ومن نظرات مساعدة القلقة مساعده القلقة، فإن شامير لم يستطع كتمان التعليق الانتقادى على تفشى ظاهرة تأجيل الخدمة الإلزامية. (بينما كان مؤيداً «التسامح»- وزيادة الميزانيات الحكومية، مع نظام المدرسة الهاريدية، إلا أنه لم يكن متسامحا على الإطلاق مع قيام هذه المدارس بتلقين تلاميذها عدم الالتحاق

بالخدمة العسكرية. وقال متنهداً: «إنها قضية خاصة». إنها قضية مؤلمة، مؤلمة جدا، لكننى لم أبتكر شيئا جديدا حيالها»، لقد زاد عدد المؤجلين بدرجة كبيرة أثناء فترة رئاسته، ويعلق: «لكن ذلك بسبب أعدادهم المتزايدة. فأنا لم أضف بقوانين أو تعليمات جديدة ، كانت الزيادة ترتكز على القوانين والاتفاقات القائمة منذ مدة طويلة.إننى لم أفعل شيئا بغرض الزيادة» .

وفى الواقع قام شامير، بمحاولة- على نصف اقتناع- للتقليل من حجم الظاهرة، فجلب على نفسه وابلاً من القدح الهاريدى أثناء زيارته لاحدى مدارس الحاسيديين حيث يكون الجمع بين دراسة التلمود وآراء الخدمة العسكرية والتى تعرف أيضاً بـ (الترتيبات الخاصة) لفترة خمس سنوات، تورط فى زلة لسان بملحوظة تشير إلى أن ذلك الترتيب ينبغى تطبيقه، فى رأيه، على كل اليشيفا. لقى تصريحه تأييداً حماسيا من الصحافة ومن جميع الأطراف السياسية، خاصة اليسار المتطرف واليمين المتطرف اللذين كانا معارضين آنذاك لحكومة الوحدة الوطنية الليكود- العمل، فتمكن من إثارة غضب الهارديين .

لم يكن واضحا ما إذا كان رئيس الوزراء قد تعمد بالفعل للتصريح بما قاله، أو ما إذا كان ينويفعلاً اتخاذ قرار بشأنه، لكنه إذا فعل فسرعان ما يتراجع أمام غضبة الهاريدى، وقد صرح الحاخام شاح بوضوح وهو يتحدث فى مدرسته (بونفيز يشيفا) فى بنى براك فى أغسطس ١٩٨٨ : «فى حال إفراد المرسوم الظالم (جيزيرا) ضد اليشيفا لن يبقى طالب يشيفى فى هذا البلد، وبدون التوراه لن تكون هناك أمة يهودية.... أنا يهودى عجوز لاقوة لى. لكننى أقول بوضوح: إذا أتى اليوم الذى ستذاع فيه القرارات ضد عالم اليشيفا، فإننى أرفع يدى معلنا «قسماً ياقدس إذا نسيتك شلت

يمينى» [المزمود ١٣٧ :٥]. إن أبناء التوراة حرفياً (طلبة اليشيفا) لن ينسوا أرض إسرائيل، لكنهم سينفون أنفسهم منها لاينسى شعب إسرائيل التوراة...»

أصر شامير، وهو محق، أنه لم يغير شيئا؛ فالقواعد التى تحكم إعفاء طلاب يشيفا من الجندية، ظلت كما هى لسنوات، كان ذلك المبدأ قد وضع أثناء المفاوضات الجارية قبل انشاء الدولة بين الآباء المؤسسين وتم تطبيقه أثناء حرب الاستقلال عام ١٩٤٨، ودوعى فى القانون عام ١٩٤٩. إن شرعية المفهوم مستقاة من النص التلمودى: «الذى يكون التلمود هو حرفته» ويمتد إعفاؤه من الخدمة العسكرية طالما استمر فى دراسته. وكانت هناك محاولة فى أوائل الخمسينيات لقصر الإعفاء على أربع سنوات إلا أن الهاريديم قاوموها بدعم قوى من الحزب الدينى القومى والرئاسة والحاخامية. وبعد تولى الليكود السلطة فى ١٩٧٧واختياره حزب يسرائيل ضمن ائتلافه تم توسيع التقنين ليشمل الطلاب والمدرسين اليشيفا والهارديين .

فى بداية الأمر، أثر القرار فى بضعة مئات من الرجال، معظمهم لاجئون من اليشيفا التى تم تدميرها فى أوروبا الشرقية. عندما تأثر داڤيد بن جوريون لتوسلات حاخاماتهم للقيام برعايتهم وحمايتهم للمحافظة على آخر آثر من التراث التلمودى .

وما من أحد فى الجانبين المتفاوضين، اليهود غير الأصولين وقلة من الجانب الأصولى، أمكنه التنبوء، بحجم وسرعة نمو تهديد النهضة الهاريدية، التى إرتكزت بصورة أساسية على اليشيفا الذين تم تجميعهم. إن بعض القادة الاشتراكيين الصهاينة نظروا لليشيفا والمجموعة الهاريدية برمتها، على أنها عتيقة الطراز، ونوع من القدر الحادث فى غير عصره، وفى أحسن الأحوال متحف حى لثقافة اندثرت. ويقول الدكتور زوراخ ورهافتينج، زعيم هام فى الحزب الدينى القومى واحد الموقعين على

إعلان الاستقلال عام ١٩٤٨ : لا أظن أن بن جوريون نفسه اعتقد أن الأصولية الدينية سنزول تماما. لكن زوجته بولا اعتقدت ذلك. أتذكر يسرائيل يشايا هو [شخصية من العمل من أصل يمنى أصبح فيما بعد المتحدث الرسمى باسم الكنيسيت] مؤكداً لى أنه خلال خمسة وعشرين عاما لن يكون هناك يمنيا فى إسرائيل محافظاً على ارتداء التفلين» .

إن مناحم بوروش عضو الكنيسيت القديم وهو من أجودات يتذكر فى هذا السياق أنه قام بزيارة إلى نيويورك عام ١٩٤٦ ، كصحفى شاب، وبينما كان ينتظر خارج مكاتب مؤسسة الحاخام الأصولى، أجودا حاربونيم، وجد نفسه جالسا بجانب الحاخام حاييم مائير هاجر، المعلم الهاسيدى فى ڤيشنتس، وجواره لاجئ يجلس بمفرده. فتح الباب وتمت دعوة بوروش للدخول، فاقترح أن يدخل الحاخام العجوز أولا، ووافق الموظفون بامتعض .

«حضر يطلب مساعدتهم فى إنشاء مدرسة (يشيڤا) ومشروع إسكان فى بنى براك. عندما غادر ودخلت، سألونى: أيها الحاخام مناحم هل ذلك الرجل مختل العقل؟ من سيتذكر أولئك المسئولين اليوم؟ إن الأجودا حاربونيم على تحتضر بينما جماعة الڤيشنتس فى بنى براك لا تزال تنمو وتنمو».ويبلغ عدد المؤجلين للخدمة العسكرية بالمئات من بين الفيشنتس يشيفا بمفردها كل عام المؤجلين من الخدمة كل عام.

إن خمسة وعشرين ألف من القادرين، المؤجلين من الخدمة العسكرية، الوشيك التحقيقآخذ فى الازدياد المكثف، وفقا لما ذكره الحاخام أڤراهام برون، منسق شبكة اليشيڤا «التعاظم السريع لأطفال الهاريدى بدأ يصل إلى سن الجندية بأعداد ضخمة».

إن منظمة برون لليشيفا الأصوليين الصهاينة التى بدأت فى الستينيات تضم ما يربو على ثلاثة آلاف طالب. يمضى الطلاب خمس سنوات، منها سنتان فى الخدمة والثلاث الأخريات فى صالة الدراسة بالمدرسة. وكل أولئك اللائقين طبيا يخدمون فى الوحدات المقاتلة، يخدمون معا مشكلين فصائلتهم الخاصة بهم ولذا فهم يحافظون على بعض الحماس الدينى والتماسك الإجتماعى لليشيفا أثناء مهمتهم فى الجيش .

يستمر كثير من الخريجين اليشيفا الحاسيديين فى الدراسة حتى الجامعة ويصبحون محامين وأطباء ومهندسين ومنهم موشيه إشون، محرر جريدة ومنظر أصولى صهيونى والذى صرح باعتزاز شديد، إن اليشيفا الحاسديين هم أيضا الأساس الروحى لجوش إمونيم، الحركة الوطنية المتطرفة التى تقدمت كرأس حربة فى بناء المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة. إن أكثر الحاخامات والقادة فى المستوطنات البارزين هم خريجى مدارس اليشيفا الحاسدية .

إن الجنود الحتاسديين أبلوا بلاءً حسناً فى الحرب، وينظر إليهم باحترام فى الجيش ومن قبل الرأى العام، وأخذ طلبة (اليشيفا) فى الوقت الراهن يحتلون مكانة عالية كعلماء تلمود على قدم المساواة مع طلبة اليشيفا الهارديين، ويرفض عمداء اليشيفا باستمرار أى خيار بالنسبة لطلابهم، مشابه للخيارات المقدمة للهيسدير وكانوا دائمى الرفض بإزدراء لكثير من مقترحات الجيش حتى أنهم رفضوا مقترحات بسيطة كنقل المعارف الأولية للطلبة للاسترشاد بها فى حالات الكوارث القومية ويعبر كثير من طلبة الحاسديين يشيفا عن احتقارهم لنظرائهم الهارديين بمثل مرادة وامتعاض أى ذم قاس موجه من المعاديين للأصوليين .

ترى هل يلتحق الشباب الهاريدى بمدارس اليشيفا للتحايل على الخدمة العسكرية؟ أم أنهم كما يدعون وحاخاماتهم، يؤجلون خدمتهم العسكرية ليدخلوا فى خدمة ليست أقل مشقة وهى خدمة الرب، مختارين حياة نصف منعزلة، ومضحين طواعية بالكثير مما تقدمه الحياة العصرية؟ وهل كان الحاخامات، الذين فاوضوا على مشروع تأجيل الخدمة الإلزامية مدفوعين بالرغبة المحضة فى احتضان طلابهم اللاجئين قليلى العدد، أم أن عقيدتهم المعادية للصهيونية ألقت بظلالها على إصرارهم بعدم تسجيل طلبتهم ضمن جيش الدولة الصهيونية الناشئة، والتى سيتعين عليها الاستمرار فى الحرب من أجل بقائها. وإذا كانت الدوافع الأصلية صادقة فهل لطخت بآلاف المتحايلين الذين يؤكدون أن «التوراة هى حرفتهم» ويتركون القتال والموت للآخرين؟

إن الحاخام الزعيم اسحق هيرتزوج، وهو من كبار أنصار الصهيونية والمبجل فى الدوائر الهاريدية كعالم وشخصية ورعة أيد عام ١٩٤٨ بشكل فعال مطلب إعفاء طلاب اليشيفا من خدمة الجيش. «إن طلبة اليشيفا الدينيين يستحقون إعفاءً خاصاً»، وهذا ماخطه الحاخام هيرتزوج إلى رئيس أركان الجيش، «لأنهم بعد الإبادة البقية الباقية من المؤسسات الاجتماعية للتوراة العظيمة.... إن صلب روح الشعب اليهودى يعتمد على وجودهم. «وحتى مطالبتهم بالتعبئة الجزئية سيكون سبباً لاضطرابهم .

وفى نفس الوقت، سعى هيرتزوج فى حواراته المغلقة مع عمداء مدارس اليشيفا الهاريديين، لإقناعهم بأن على طلبة اليشيفا من وجهة النظر الأخلاقية والهلاشية. الالتزام بآداء واجب المشاركة فى خدمة الدفاع الوطنى ولم تصادف وسلاته وحججه إلا آذانا صماء. كما أكد الحاخامات الهاريديين على أن أى تخفيف فى منهج اليشيفا سوف يدمر فعاليتها: ويحاجون بقولهم إن التعليم اليشيفى ليس عملية أكاديمية فقط.

إن التجربة الدينية والاجتماعية الحميمة جزء لايتجزأ منها. إن الهدف النهائى لليشيفا هو تشكيل بنى التوراة، كرجال حياتهم، برمتها، مكرسة لدراسة التوراة ومراعاة المتيزفوت. إن أى إلهاء لابد وأن يبوق تقدم الطالب المنتظم فى اكتساب «التوراة والخوف من السماء». جادلوا أيضاً فى أن الدراسة والصلاة بالنسبة لطلاب اليشيفا هى بمثابة عنصر من عناصر الدفاع الوطنى كالدبابات والطائرات للجيش، ويوردون بغزارة الآيات التوراتية والتلمودية لتعزيز وجهة نظرهم .

بعد أربعة عقود أصبحت تلك المجادلات جزءا من لاهوت الهاريديم. ولذا فإن التساؤل عما إذا كان معظم طلاب اليشيفا متحايلين على الخدمة العسكرية سيتفرع ويتشعب: وإن اتم إلغاء الإعفاء، فإن المدارس ستخلو من السواد الأعظم من طلابها. وبعض الطلاب سيدرسون لسنوات قليلة ثم يخرجون إلى العالم لكسب عيشهم. وغيرهم لن يدرس أبدابعد سن الثانوية العليا، والقلق فقط سوف تقى فى اليشيفا لأجل غير مسمى، وهؤلاء هم ذوى المواهب الأكاديمية الذين لديهم طموح لأن يصبحوا حاخامات .

واليوم، فى المجتمع الهاريدى المتحفظ والواثق من نفسه، الكامل بالدعامات الفلسفية وتبرير لدعم نظام التأجيل على أسس دينية ليس من السهل التمييز بين. المتحايل على آداء الخدمة لقد انتقلت هذه الفلسفة من إسرائيل إلى يهود المشتات. حيث يوجد هناك أيضاً شباب هاريدى يمضون سنوات طويلة فى مدارس اليشيفا والكولوليم أكثر من الجيل المضى و(أقل بكثير مما فى إسرائيل) .

إن نظام التأجيل الخدمة العسكرية أصبح جزءاً متماسكا من العزلة المتعمدة للجماعة الهاريدية عن المجتمع العام. فيسرائيل إيشلر، على سبيل المثال، محرر الصحيفة

الأسبوعية، البلز (طائفة حاسيدية)، حاماكلين هاباريدى، أكد لقرائه الحاسيديين: «أكبر من الإلتزام باليشيفا، بأن باشور والتعلم بدلا من الخدمة فى الجيش، هو منعه من مقابلة المنشقين المقززين، والحديث معهم، الذين ينشرون جراثيم المقت الشديد التى تسمم الروح اليهودية.» كأسلوب رد الفعل لتصريح فى حوار أصولى- علمانى المؤلف الإسرائيلى أ.ب.يَهُوشْوَا بأن «الإختلاف الأساسى بين الهاريديم والآخرين يمكن أن يكون مقبولا لو شارك الهاريديم فى عبء الخدمة العسكرية. فلو تم إزاحة تلك العقبة يمكن أن يتلو ذلك تقارب وحديث» .

كتب إيشلر: «بسماع تلك الكلمات من فم أحمق فإن رد فعلى المباشر: لذلك السبب فقط فإنه يجب هو الحفاظ على النظام الهاريدى، التحايل على الخدمة العسكرية»... لأجل منع أى تقارب أو حوار مع عدو مثل يهوشوا، فإن الوضع يجب أن يبقى على ماهو عليه» .

إن الاقتصاد أيضاً عامل هام فى نمو مدارس اليشيفا. أنه فقبل معسكرات الإبادة، لم يكن بمقدور الهاريديم الشبان قضاء سنوات فى المدارس حتى لو أرادوا ذلكأما اليوم فإن مدارسهم تنعم بحجم من المعونات الخيرية الهاريدية ربما لم يسبق له مثيل فى التاريخ اليهودى. كما أن مدارس (اليشيفا) تتمتع بمساندة مكثفة من الدولة أيضاً تؤمنها السلطة السياسية للأطراف الهاريدية وحتى الآن استطاعت الأسر الهاريدية تمكين الراشدين القادرين على كسب القوت من البقاء غير منتجين لفترة طويلة من حياتهم ولايزال رجال الكوليل يعيشون فى شقق مع نصف دستة أطفال وزوجاتهم تعمل طوال أيام الأسبوع فى مدارس أو مكاتب؛ وبينما يدرسون فى اليشيفا، يكون من الأفضل من ناحية مادية الانخراط فى خدمة الجيش المختصره ثم السعى للنجاح فى

مهنة ما. وإن عدم قيامهم بذلك، فى قناعتهم، راجع إلى معتقداتهم الدينية. أما فى الجانب المعادى للهاردية، بما فى ذلك الأصوليين الصهاينة، فإن الانتقادات التى يثيرونها تركز على قيام الهاردية (بتكييف) أتباعها على العملية المنحرفة ألا وهى عدم الأندماج والتعاطف مع الدولة الصهيونية. وكذلك ينتقدون الجبن المحض كعامل إضافى. ونظراً لاستحالة وجود عوامل محددة فى هذا النقد يمكن إختبارها وملاحظتها على أرض الواقع؛ فإن الثقل النسبى لكل من العوامل المذكورة، فى النهاية، مسألة وجهة نظر، ومن جانبهم يسارع الهاريديون بالرد على المنتقدين بنفس منطقهم آخذين عليهم (تكييف) أتباعهم على معاداة الهاريدية .

يقول الدكتور يوسى بيلين عضو الكنيست، وشخصية صاعدة فى حزب العمل، هو رجل حاسم: «إن المجتمع بأكمله يتجمع حول قضية تأجيل الخدمة العسكرية وتلك هى القضية المحودية» والدكتور بيلين لايقبل القائلة بأن تأجيل الخدمة العسكرية يسمو الآن إلى مرتبة العقيدة، فهو يصر على: «إن الجميع يدركون أن معظم مايسمونه» «عالم اليشيفا» وهم، وإنى أؤكد أنه إذا لم يكن هناك تأجيل فإنه لن يوجد «عالم اليشيفا» بالصورة والنسب الحالية، حيث نرى فى مجتمع بأكمله كل غلام هاريدى يصبح دارس توارة (ياشيفا باشور)، ولايتم استثناء أحد، مهما كان مستواه متديناً، وإذا لم يتمكن من الالتحاق بمدرسة ذات مستوى جيد، يحاول فى مدرسة أقل مستوى، وإذا فشل مسعاه ثانية، يبحث عن مكان أقل، وفى النهاية يجد الجميع مكاناً ما. إن ذلك أمر لاسابق له فى التاريخ اليهودى . ويضيف بيلين: إلا أن استمرارهم على معدلات النمو الحالية، فمن المحتمل حدوث انفجار سكانى، والمجتمع الإسرائيلى لن يتحمل ذلك طويلاً .

إن قضية الخدمة الوطنية بالنسبة للنساء، من ناحية أخرى، لم تعد تثير الجدل فى المجتمع الإسرائيلى. وفى السنوات الأولى للدولة أثارت أكثر التزاعات عنفاً وإثارة للشقاق بين الهارديين وبقية الإسرائيليين بين وأصدر الحاخامات الهاريديين القياديين تعليماتهم إلى الفتيات أن يفضلن السجن، أو حتى الموت بدلا من الانخراط فى الجيش. مناقشة فى الكنيسيت فى أغسطس ١٩٤٩ أكد اسحق مائير ليفين، زعيم أجدودات يسرائيل، على أنه هناك فى الوطن «كثير من الآباء سوف يطيعون ذلك القرار حرفيا، ولسوف يقاومون بالقوة» .

وفى مناظرة جرت فى الكنيست، فى أغسطس ١٩٤٩، أكد اسحاق مائير ليفين، زعيم حزب أجودات يسرائيل، على وجود «الكثير من الآباء الذين سيطيعون فتلك التعليمات حرفياً، وسوف يقامون بقوة». وقد تراجع ديفيدين جوريون، الذى كان رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع، فشمل القانون الذى سبق تشريعة بعض الإعفاءات للنساء، على أساس من «المعتقدات الدينية والأخلاقية»، وقد نشبت معارك مرتبة لعدة سنوات، فى الشوارع والكنيست بسبب جهود الحكومة لتشغيل الفتيات الأصوليات فى الخدمة المدنية الإلزامية عوضاً عن الخدمة العسكرية. وكان ذلك سبباً فى شق العصا بين الأصوليين الصهانية، الذين مالوا إلى القبول بذلك تحت شروط معينة؛ والهارديين الذين تابعوا التهديد بالعنف والعصيان المدنى .

إن الحاخام أفراهام يشاياهو، الحاخام الهاريدى البارز، المعروف بـ «حازون إيش»: رؤية الرجل، حسب اللقب الهالاش لمجموع مؤلفاته الدينية، قرر إن أى صيغة للخدمة الوطنية للفتيات «ممنوعة تماماً» .

كما أصدر أربعة من الحاخامات البارزين «الدعوة التالية إلى كل بنات إسرائيل:» نحن نأمركن باسم التوراة الوقوف والقتال من أجل حياتكن ضد أولئك الذين سينتزعونكن لتنجيسكن». وحاول حازون إيش فى عام ١٩٥٣ دون توفيق إقناع وزراء الحزب الدينى الوطنى بالتخلى عن هذه القضية مثلما تخلى عنها ليفين من حزب أجوداه. وعلى كل حال، بالرغم من إقرار قانون الخدمة المدنية فى ذاك الوقت إلا أنه بقى غير سارى المفعول، ولم يتم تشغيل الفتيات الأصوليات فى أى نوع من الخدمات .

وفى الواقع هناك ستون بالمائة من الفتيات فقط مدرجات فى الخدمة العسكرية. والبعض من المتبقيات يرفعن الدعوى القانونية أم (بيت دين) بأن عقيدتهن الدينية تمنعهن من آداء الخدمة العسكرية، بينما تم إعفاء الأخريات لأسباب متنوعة. وهناك سنوياً أكثر من ثلاثة آلاف فتاة من الجماعة الأصولية- الصهيونية، يرفعن الدعوى القضائية وينتسبن لشبكة المتطوعين الأصوليين، ويخد من سنة أو سنتين كمدرسات فى القرى النائية، وطلبات الطب فى المستشفيات، أو يعملن فى المناطق المحروقة من الخدمات. أما الفتيات الأصوليات الصهيوينات يلتحقن بالجيش للعمل كمدرسات جنود فى المدارس الأصولية الداخلية أو مزارعات مجندات فى كيبوتزات- الحزب الدينى الوطنى .

وظلت الفتيات الهاريديات على رفضهن لكافة البدائل ورفضها الرجال الهاريديون أيضاً وذلك يعنى أنسن الثامنة عشر حاسم بالنسبة لأى فتاة إسرائيلية أصولية من ناحية توقعات زواجها مستقبلا. باختيار فإذا اختارت الجيش فإنها تلغى أى تفكير فى الزواج من طالب مدرسة يشيفا هاريدى. وحتى بعض طلاب الحاسديين خاصة أولئك الذين

يحلمون بمهنة الحاخامية أو التعليم الدينى– سينظرون بارتياب إلى أى فتاة اختارت الجيش، وسيفضلون خريجة الخدمة التطوعية.وبنفس المنطق– رغم أن هذا نموذج للدرجات الاختلاف الدقيقة والمميزة– سيفضل فإن الحاسديين خريج الجامعة سنفضل زوجة خدمت البلاد بدلا من تلك التى تنتهج الطريق «السهل» كمخرج ولاتفعل شيئا .

بالنسبه للنساء الهاريديات الشابات، كما هو بالنسبة لشريكها، لم يكن أمامهن اختيار حقيقى: مدرستها ومنزلها أوحت لهم برؤية كل الصيغ المتاحة للخدمة كأشكال للخطئية. إن رفع الدعوى عمل آلى، وجزء من نمو الشخصية إلا أنه لايستحث أى نوع من البحث عن الهوية الروحية وسط فتيات المدارس الثانوية الهاريدية .

وفى الجانب غير الأصول، لم تعد القضية مثارة؛ لأن الجيش لايحتاج فى حقيقة الأمر إلى كل اللاتى التحقن به، ويجد من صعوبة فى تعيين الأعمال النافعة لهن خلال فترة خدمتهن لعامين. علاوة على أنه خلافاً لوضع حرب الاستقلال حينما حاربت النساء مع الرجال جنباً إلى جنب فإن سياسة الجيش منذ سنوات عديدة توجب عدم تعريض الجنديات للخطر فى المعركة أو حتى التدريب– ومن ثم فإن امتناع الفتيات الهاريديات لم الاستياء الذى أثارة رفض طلبة اليشيفا لتحمل عبء ومخاطر الجندية. علاوة على أن كثيرا من الفتيات الهاريديات يتزوجن فى سن مبكر مما يجعلهن معفيات بصورة آلية من الخدمة العسكرية .

ويوجد فى هذا الزمن الأقل مثالية والأكثر واقعية، إقرار عام بين الرأى العام الإسرائيلى العريض، أن الحياة العسكرية بشكل عام غير ملائمة للشابات الهاريديات، اللاتى لم يتعرضن فى تربيتهن لتجربة الصراع ولم يلتحقن بالمدارس المشتركة، واللاتى يعتبرن فقدان العذرية قبل الزواج حدث أليم ومأساوى .

الفصل الثالث

اتهامات المحرقة (الهولوكوست)

تقدم المحرقة (الهولوكوست) مبدأ غير قابل للجدل بالنسبة للكثير من اليهود، كما تقدم أيضاً بعد ذلك بكثير التبرير للأفكار الصهيونية. فهى تُثبت أن معاداة السامية متوطنة على الأقل فى محيط أوروبا المسيحى، وأن اليهود فى حاجة إلى وطن خاص بهم على الأقل كلاجئيين عندما تكون كل الأماكن الأخرى موصدة فى وجوههم، وكانت قوة ذلك الدرس هى التى ساعدت فى إقناع العالم بتأييد أنشاء دولة إسرائيل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. وإسرائيل من جانبها على، تنامى قوتها، لاتزال حريصة على أن لاتدع الدرس ينمحى ويذبل من الذاكرة، فكل زيارة رسمية للدولة اليهودية تبدأ أمام النصب التذكارى لمذابح الهولوكوست فى مدينة القدس حيث يقوم الزائر الكبير بوضع إكليل من الزهور أمام نُصب [السته ملايين يهودى من ضحايا هتلر] .

وبالنسبة ليهودى أمريكى فإن الدرس كان أكثر عمقاً وبداخله فهناك أولاً الإستنكار. والشعور المكبوت بالذنب إزاء ما حدث فى العالم القديم.. وهناك شكوك بعيدة المدى فى فاعلية الحل الصهيونى... وكانت صعوبة وانتصار حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧م، هى التى أنهت الربط بين مذابح النازية ودولة إسرائيل فى فكر يهود الشتات. وقد ذكر احد الكتاب فى مايو ويونيو ١٩٦٧ أن المحارق تعيش فى تفكير كل يهودى، وكانت نتيجة الانتصار تدفقاً لعواطف الانفعال فى اليهود أكثر من أى تجربة مروا بها من ذى قبل. وكتب المفكر الدينى اليهودى ابراهام ميخائيل بعد الحرب بقليل، الشعر الكثيرون منا بأن حيواتنا فى الميزان وليس فقط وحيوات أولئك الذين

يعيشون فوق هذه الأرض. فلقد كانت التوارة ومجمل التاريخ اليهودى عرضة لرهان. صعب.

فالعالم الذى ظل ساكنا وصامتاً ولا يحرك ساكناً بينما يموت ستة مليون يهودى، وكان صامتا لمرة أخرى فى عام ١٩٦٧م. وكانت العزلة قاتلة. ويعنى ابراهام إلى أن التجربة أطلقت ينابيع الأحساس العرقى، والهوية التى ظل اليهود الأمريكيون يكبتونها فى عقود ما بعد الهجرة للثقافة الجماعية. وكانت تلك الحقبة ايقاظا للخصوصية داخل الجماعات الأخرى أيضاً فى أمريكا. ولكن بالنسبة لليهود الأمريكيين وفق تعبير يعقوب نيستر فإن عملية إعادة إحياء الهوية اليهودية ولم تكن لتأخذ ذلك الشكل الذى أخذته بالهوية القوية فى دولة إسرائيل، وكرد على المحرقة دون حدث فريد وداعم لذلك مثل حرب ١٩٦٧ .

وربط اميل فاكنهيام أحد فلاسفة اليهود البارزين بين البقاء ودرجة النقاء العقائدى. ويقول فاكينهام أن اليهود وجدوا ليستمروا كيهود فقط- وأن صوت «الايشعراتز» كان هو الصوت الذى أوصله يهود إسرائيل للعالم فى مايو ويونيو عام ١٩٦٧م، برفض الخضوع وأن يكونوا عرضة للمذابح .

إلا أن بعض الكتاب الليبراليين مثل «ليونارد فين»، هاجم تسلط هذا الهاجس واعتبره نوعاً من الهزيمة الداخلية وانعكاس لسطحية التفكير .

وبالنسبة لليهود «الهارديم» فإن «المحرقة» لم تكن مبرراً للصهيونية؛ بل على العكس كانت مبرراً لمعاداتهم للصهونية، وكان ذلك هو الأمر الأكثر استعصاءاً على الفهم بالنسبة للأخرين؛ لأن الهارديم عانوا أكثر من اليهود «غير الأصوليين» من

المذبحة التى شملت نسبة أكبر من تجمعاتهم. بينما لم يتعرض يهود أخرين لمثل ما تعرضو له «الهارديم»، (وخاصة: أولئك الذين عاشوا فى الولايات المتحدة الأميركية وفلسطين).

والأكثر من ذلك أن «الهارديم» استفادوا أكثر من غيرهم مما أطلق عليه ينسنير عملية التأصيل العرقى لليهود الأمريكيين، وإعادة التركيز هذه على الخصوصية اليهودية وجعلت الهارديم أقل استعداداً للتنازل وزادت من رغبتهم فى إستعادة أجيالهم الشابه وجذب أخرين إلى معسكرهم، واستفاد الهارديم أيضاً من النمو المتوازن فى إسرائيل ونحو قدرات الجيلين الثانى والثالث من الإسرائيليين للتعامل مع المحرقة ومرحلة ما قبل المحرقة من حياة اليهود الأوروبيين.

ويهود الهارديم ولم يكن مثقلين «بالاعتراض الأيدلوجى ليهود الشتات» وبمواعظ المؤسسين الأوائل لدولة إسرائيل، ومع ذلك ورغم المحرقة وتأثيرها على استمرارية اليهود لم تغير شيئاً على الاطلاق من الإعتراض على الحل الصهيونى للمشكله اليهودية وبعد المحرقة مباشرة كانت هناك مؤشرات قليلة حول أعادة التقييم بين أوساط اليهود «الهارديم» ولكن لأن تجمعات «الهارديم» بدأت فى النمو والتزايد فإنهم واصلوا اتجاههم «الاشكنازى والتنديدى» بالصهيونية الذى وضعه قادتهم قبل فترة الحرب.

وقد كتب أحد هؤلاء الزعماء الهارديم من منفاه فى «ڤالسمبرج» فى نيويورك: «أن بقاء واستمرار الصهيونية هو سبب رئيس للمحرقة وأن العقاب الإلهى كان شديداً ضد اليهود لأنهم سعوا لاستعادة أرضهم وسيادتهم قبل الموعد الإلهى». وبعد حرب ١٩٦٧م كتب هذا الزعيم كتابا آخر ردد فيه مقولاته السابقة من أن أنتصار حرب

١٩٦٧م، لا يعنى الموافقة على خيار الحرب.

أما الحاخام الحاسيدى بتلومفلقد عُد متطرفا عن للهارديم أنفسهم ويعود ذلك إلى رفضه الإنضمام للقيادة العليا لحركة «أجودات إسرائيل» أكثر من كون ذلك خلافاً عقائياً وأيديولوجيا حول صواب وخطأ الحركة الصهيونية.

وكان زعماء «الهارديم» قد نصحوا اتباعهم أثناء الحرب بعدم الهجرة إلى إسرائيل «فلسطين تحت الأنتداب البريطانى فى ذلك الوقت» رغم تصاعد الكراهية ضد السامية في شرق وسط أوروبا فى ذلك الوقت ورغم التهديد المتزايده من جانب هتلر فى ذلك الوقت. ولم يكن هناك بلد آخر على استعداد لقبول اعداد كبيرة من اليهود كلاجئين. وللحقيقة ليس كل زعماء «الهارديم» قد نصحوا أتباعهم بعدم الهجرة إلى فلسطين فى كل الأوقات. فزعماء الصهيونية لم يكونوا قد حددوا موقفهم تماماً تجاه «الهارديم» فى ظل العدد المحدود من تصريحات الهجرة التى كانت متاحة فى ذلك الوقت من جانب الإدارة البريطانية .

وفى أواخر عام ١٩٣٠ عندما أصبح الوضع يائساً أغلقت السلطات البريطانية باب الهجرة إلى فلسطين فى ظل الضغط الذى كانت تتعرض له من جانب العرب. إلا أنه وحتى فى ظل الجيتون النازى «ومعسكرات الإبادة» ولم ينتقد الهارديم الحاخامات أو حتى حملهم على الإقتران بالخطأ لعدم السماح بالهجرة إلى إسرائيل.

وثار جدل كبير فيما بعد حول دور الحاخامات فى اليهودية وبعد هذا الجدل عاملاً فى أثارة المشاعر ولكنه فى بعض الأحيان افسد المعالجة لاتجاة ونظرة الهارديم للمذبحة. وتساءل الكتاب الجدد الذين تولوا التأريخ للمحرقة، من هم هؤلاء الحاخامات الذين أقروا بعدم الهجرة لأرض الميعاد؟

وكانت حركة «أجودات إسرائيل» هى التنظيم الوحيد لتمثيل العناصر المناهضة للصهيونية بين اليهود الأصوليين قبل المذبحة؟ ولكن كل الزعماء الشرعيين لهذه الحركة كانوا يخططون من قبل الحرب للهجرة لأرض الميعاد .

ومن بين أهم ثلاثة استمروا فى ذلك الوقت ورفضوا الهجرة، كان هناك الحاخام إسرائيل مائير كاهان الذى مات عام ١٩٣٣، عن عمر يناهز التسعين عاما.

والحاخام اليشان وايزرمان الذى عاد من الولايات المتحدة إلى أوروبا بعد أندلا ع الحرب ليلقى حتفه وسط طلابه من دارسى «الياشيفا» والثالث هو الحاخام «افراهام موردخاى» الذى أعلن أنه جاء إلى أرض الميعاد خضوعاً لضغوط «الهارديم» وعاد بعد ذلك بعدة أشهر إلى بولندا مرة أخرى .

وفى الكتاب الذى يعد أول دراسة منشور بالإنجليزية برغم أن هؤلاء الحاخامات لم يتمكنوا من الوصول لأرض الميعاد بسبب نفس الأسباب ذاتها التى منعت عدد كبير من مؤيدى الصهيونية من أطلاق طموحاتهم فى الهجرة أيضاً .

وهناك عشرات من الحاخامات الذين عبروا عن عدم رضائهم وعدم تشيجعهم للهجرة وهى الحقيقة التى ينكرها الكتاب مستنداً لأسباب وأهية. منها أن أغلبية كبيرة من حكماء التوراة لم يأخذوا مثل هذا الموقف .

وقد يعود الفهم الواسع للتضاد والتنافر بين الهارديم والصهيونية إلى الخلط بين الصراع ضد مبادئ الصهيونية من ناحية، ومع معركة وهمية ضد العودة لإسرائيل .

ولكن مراجعة يوميات كاتب جيتو وارسو «شليمون هيربداند» فى الفترة من ١٩٠٩- ١٩٤٢ وكذلك حاخامات المانيا مثل معظم حاخامات بولندا كانت ضد

الأستقرار فى أرض الميعاد ولو كان مجلس حاخامات المانيا قد أمر أتباعة الذين كان بينهم عدد كبير من رجال الصناعة الأغنياء بالهجرة لأرض الميعاد فإن تجمعات اليهود فى إسرائيل كانت ستختلف بدرجة كبيرة عما أصبحت عليه. ومع مراعاة أن حاخامات المانيا كانوا الأكثر تفضيلا بين نظرائهم تجاه الأستقرار فى أرض فلسطين وحاخامات اليهود فى الحجر كانوا أكثر تطرفا من حاخامات «جليداك» فى بولندا .

فالذكريات الحزينة والمضجعة كلها تتجمع عندما العودة بالذاكرة إلى مرحلة ما قبل عودة الصهيونية لأرض الميعاد. كان هناك تسرباً متزايد من أوروبا إلى الوطن الموعود وشملت الهجرة على بعض الهاريديين، الحاخامات وأتباعهم الذين حركتهم العاطفة الحياة والموت فى الأرض المقدسة .

ولكن غير الأصوليين رفضوا فى أحيان كثيرة أعداء الأصولية من الصهانية الذين على حياة اليهود فى فلسطين فإن زعماء «الهارديم» كان لهم تحفظاتهم الواسعة تجاه فكرة العودة، مضافاً إلى تحفظاتهم السابقة ضد الهجرة لأمريكا التى كانوا ينظرون إليها من جانب حاخاماتهم حتى أوائل القرن بما فيها من مادية وحرية على أنها مرادف للنزعات الدنيوية، ولذلك فإنه ليس من باب المصادفه أن أحدا من الهارديم لم يتبع رفاقه اليهود فى الاندفاع للهجرة عبر الأطلنطى، والصهيونية فى فلسطين فى نظر «الهارديم» كانت تعنى المارقين ضد التعاليم القديمة. وكان حب مبادئ صهيون القديمة قد تحول فى أوساط «الهارديم» إلى الإشمئزاز منها. فالعملية التاريخية التى تمت بعد وعد بلفور عام ١٩١٧، لم تكن مفهومه ولامقبوله فى فكر حاخامات الهارديم، شأنهم فى ذلك بشأن بقية اليهود فى أوروبا.... وفى عام ١٩٣٠، كان هناك بالكاد نحو نصف مليون يهودى فقط قد استقروا فى الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

ويلقى الهارديم بثلاثة اتهامات رئيسية على الحركة الصهيونية وهى:

١- اتهامات فلسفية عقلية، وهى تلك التى كتبها ستامرر ريبى .

٢- اتهام تاريخى بأن الصهيونية تعجل بالنهاية وينتقم الرب انتقاماً الأمة اليهودية كلها .

٣- ثم ثالثا أتهامات «التاريخية» جاءت على يد حاخام أمريكى شكل اتحاداً ضد الصهيونية، وقد اتهم الحاخام قادة الصهيونية بإتهامات شخصية قاتلة أثناء فترة الحرب. ويقول الحاخام اسحاق هانتر صاحب الاتهام والذى كان يشغل نائب عميد مدرسة «الياشيفاه» فى نيويورك، وكان فى نفس الوقت يحظى بإحترام بالغ بين «الهارديم» ؛ فقد سجل هذا الحاخام أنه فى عام ١٩٢٣ ، قرأ الحاج أمين الحسينى المفتى الأكبر بياناً للقدس فى ذلك الوقت، والذى تحالف مع هتلر فى واحد من أكثر التحالفات اهمية فى العصر الحديث «الساك»، وفى هذا البيان أدله قاطعة بأن المفتى لم يكن فقط هو الذى زار هتلر، ولكن كان معه زعيم إسرائيلى هو «أدولف ايشيمان»، الذى زار غرفه الغاز فى «الايسشراتيز» Auschwits للوقوف على مدى فاعليتها، وهناك بالتأكيد دليل قاطع على تأييد الحسينى لما يفعله هتلر ضد اليهود وعلق عليه الأمال باعتباره الحل النهائى الذى سينجح فى أوروبا وأيضاً ويهم اليهود فى فلسطين أيضاً ويلوم هانتر الصهاينه، ليس آمال الحسينى، ولكن لادارك هتلر لخطورتهم أيضاً ويقول رغم الضغوط العلنية القوية لإنشاء الدوله اليهودية فإن المفتى لم يكن لديه اهتمام بيهود وارسو وفالينا وبورابست وعندما ظهرت دولة إسرائيل حقيقه فإن المفتى لم يبذل أى جهد للتأكيد

على هتلر بقتل أكبر عدد من اليهود، يوضح ذلك أن المؤسيسين الأوائل ساهموا بوضوح فى قتل العديد من اليهود، وتم اخفاء ذلك من سجل التاريخ ووفقاً للحاخام هاتنر فإنها كانت لصرف الأنظار عن تورطها فى الأحداث النهائية المدمرة ويذهب هانترر إلى أن الرجال العظام فى إسرائيل كانوا مسئوليين عن تدمير العديد من المجتمعات اليهودية لأنهم لم يحتوهم على الهجرة.. وهذه النزعة الجدلية تبدوا واضحة فى المعالجة التاريخية لانتفاضات الجيتو فى وارسو، وبايليتوك، وعدد من المدن الأخرى التى أنتهت فى معظم الحالات بالفشل والقمع الشديد. فدولة إسرائيل أعلنت تاريخ إنتفاضه وارسو كذكرى سنوية ليوم المذبحة واطلقت عليه يوم المذبحة والبطولة. واختيار هذا التاريخ والأسم يتضمن فى طياته ما أبداه مقاتلى الجيتو والأنصار، الذين ينتمى غالبيتهم للصهانية والعلمانيين، من معانى البطولة فى المذبحة .

كما يعنى أيضاً إنكار الإخلاص والبطوله على الأخرين حتى فى الدخول لأفران الغاز .

وأصاب الارتباك الدولة الصهيونية الوليدة بدرجة كبيرة بصورة «خراف المذبحة» لليهودى الأوروبى، وأن الضحايا ساهموا فى تدمير أنفسهم ويقصد هنيير بذلك تشكيل المجلس اليهودى لتنظيم العمالة الرخيصة والترحيل النهائى، وهذا الذى دفع بالشاعر القومى «ناشان والترمان» لأن يشرح فى عمل مثير للجدل كتب تقريبا عام ١٩٦٠، أن الأعتبارات الأخلاقية لقادة المجلس اليهودى لم تكن عالية القيمة ولم تكن فى نفس الوقت حقيرة أو خسيسة، فهؤلاء القادة كان تفكيرهم فى الحفاظ على حياة

أكبر عدد من الأرواح لأطول فترة ممكنة، وعلى الجانب الآخر فإن مقاتلى الجيتو بإنتفاضاتهم المتكررة وغير الناجحة قد قللوا الفرص المتاحة لسكنى جدد فى المعازل. وكان عليهم أيضاً تحمل قضايا أخلاقية كبيرة، وكتب والترمان مقترحاً أن البعض ربما كان يحركة حافز مقاتله الفاشيه أكثر منه حماية اليهودية. وبينما يبحث آلترمان لعمل توازن فإن «الهارديم» فى غمار حماسهم المعادى للصهيونية انحرفوا فى الأتجاه الآخر. وتقلل تفسيرهم الحرفى للمذبحة من قيمة بعض أحكام حاخامات «الهارديم». ويخرج عن ذلك الحاخام مناحم زيمبا فى وارسو وفى تأييد نشط لقيادة الصهيونية للأنتقاضات فى الجيتو وأشار قائد حركة «أجودات إسرائيل» فى وقت الحرب، فى فلسطين الحاخام موشيه بيلى إلى أن مثل هؤلاء الحاخامات أقتييدوا بطريقة خاطئه أو ربما أُجبرو على ذلك. والأكثر من ذلك أن الحاخام بيلى أتهم مقاتلى الجيتو بالإسراع ياهلاك أنفسهم ومقتل مئات الآلآف من الأخرين أيضاً. فهو يرى أن العصيان خيانه وكفر وانتقاص للبطولة، وانتقاص للقدرة على مواصلة الحياة والمعاناة. وأن قيما مثل الأمانه والأعتزاز القومى مستبعدة بالنسبة لغير اليهود عند الحاخام بيلى وبعض كتاب «الهاردية» بعد الحرب .

وفى عنوان لصحيفة يومية «هاريدية» «yated Ne'eman» علقت على موقف «الترامان» بالقول أن متمردى الجيتو أُجبروا على الأنتحار داخل معازل الجيتو وأنكروا عليهم فرصة الحياة فى معسكرات التجميع. وأنكر بيلى ومعه أخيراً أثنان من كتاب «الهارديم»، القرار المعروف للحاخام زيمبا وحاخامين أخرين عملوا وعاشوا داخل الجيتو حتى قرب النهاية، والذى أعترضوا فيه على أقتراح بحق اللجوء الشخصى لليهود منحته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقال الحاخام «ديفيد شابارد» أننا نعلم أنه ليس

بإمكاننا أن نساعد مجتمعنا بأى وسيلة. ولكن الحقيقة المؤكدة هى أننا لايمكن أن التخلى عنهم ولذلك عشنا بينهم وربما نعطيهم بعض التشجيع أننا لايمكن أن نترك هؤلاء الناس، وليس لدينا أى شيئ يقيل النقاش فى تلك المسألة .

وربما يكون الشئ الأكثر تدويناً فى تاريخ لمذابح الهاردية هى تلك النصوص التى أطلق عليها نصوص المعجزة «أو أدب المعجرة وهى التى تحكى قصص هروب الحاخامات وطلاب الياشيفاه» التى سجلت فى لغه تفيض بالشكر والامتنان والعرفان بالعناية الألهية التى تدخلت فى انقاذ هؤلاء الأشخاص الأتقياء الأنقياء. وسجلت كل طائفة «حاسيدية» ، تمكن حاخامها من الهرب، مجموعة من الوقائع والأحداث غالباً ماعنونت: «معجزة خلاص الـ......» ومعظم أساتذة الياشيفاه اللذين هرب طلابهم من لينتوانيا عبر صربيا وكذلك الصين واليابان، وغالباً ما اجتمع شملهم فى إسرائيل وأمريكا قد ساهموا فى ذلك الأدب الخاص بالهارديم. وهذه النصوص التى تمت معالجتها وكُتبت بعناية تجاهلت أى أشارة، لأيشخص منغير قادة الهارديم. وقد مارسوا الهارديم الخداع والتموية فى تغطية فشل زعمائهم فى فهم التهديد المحيق يهم مسبقاً وأن يهاجروا، وحثوا أتباعهم على الهجرة وكان أمامهم وقت لذلك. وكان الفشل مضاعفاً لأن زعماء الهاردية على عكس زعماء الصهيونية أو أى من الزعماء غير «الأصوليين» الأخرين كان فى مقدورهم دفع أتباعهم إلى الهجرة، وسوف تمتثل الرعية لذلك، وحاخامات الهارديم الذين ينُظر اليهم كعقائديين أصوليين أوقفوا أنفسهم على علوم الغيبيات. وذهب كُتاب الهارديم إلى تفسيرات تعتمد على الأساطير من خلال كتابات الحاخام «مائير شماسا» ١٩٢٧ ، والحاخام وايزرمان، وآخرون هم يعرفونهم أو على الأقل يدركونهم ليبرهنوا على ما كان الضرر والأذى القادم الذى يحيق باليهود.

ومعظم كتب «المعجزات» التى كُتبت تجاهلت أن العديد من العناصر البارزة من مجالس الحاخامات فى المانيا وستامار «وافقوا على الهرب من أوروبا وغالبا ما حدث ذلك بمساعدات سياسية ومالية كبيرة من الخارج، وبالاقدام على الهجرة، تركوا الكثيرين من أسرهم وأتباعهم. كما أن تلك الكتابات تجاهلت أيضاً القضايا الواضحة التى كانت تؤدى إلى التساؤل حول زعامة هؤلاء الحاخامات. تلك الكتابات نفسها اسرفت كثيراً فى الأطراء على «وايزرمان» للعودة مرة أخرى طوعاً ليكون مع مريديه عندما بلغت المأساة الذروة .

وبصفة أخيرة ونهائية فإن أدب المعجزة هذا وبالأجماع أسقط أى دور لغير الهارديين وخاصة زعماء الصهيونية فى المساعدة فى هرب العديد من حاخامات «الهاردى» فى الهرب وطلاب «الياشيفاه» وخطى «زوهاتيس وارهافنيج» وهو زعيم صهيونى أصولى من بولندا بخط قليل وهو فى كتب الهارديم الوسيطاً فى تسفيرا لعديد من الحاخامات وطلابهم من ليتوانيا للشرق الأقصى قبل ذهاب الألمان حظى بذكر قليل فى كتب «الهاردى» ويزعم «الهارديون» أن الحاخامات هم الذين قاموا بجهد أساسى فى إنقاذ أنفسهم على سبيل احساسهم بالمسئولية تجاه مستقبل اليهود. وأنهم هربوا من أجل إعادة بناء «الياشيفياه» والمعابد وأشاروا إلى أن غالبية «الهارديين» الذين تركوهم خلفهم سيوافقون وبكل سرور التضحية بحياتهم بها من أجل أنقاذ حاخاماتهم، ومع ذلك فقد كانت هناك أدلة على وجود مقاومة واعتراض بين الأتباع المؤمنين فقد اقتبس باحث إسرائيلى أجزاءاً من شهادة مكتوبة لواحد من الهارديين، الذين شهدوا أفران الغاز وهلك فيما بعد فى المذبحة، يصف فيها مقاومة هاريدى آخر ويهتف فيها ضد الحاخامات الذين يعملون دائما على تسكين الناس العاديين بدلاً من

حثهم حل بالهجرة والنجاة وقالت واحدة من الهارديم وهى فى طريقها لملاقاة مصيرها فى الأفران أنهم- تقصد الحاخامات- قد غابت عنهم الحقيقة، وهربوا بأنفسهم لأرض الميعاد فى اللحظة الأخيرة. ونجوا بأنفسهم بينما تركوا الأخرين يذبحون كالاغنام، وتقول أيضاً «إننى وفى لحظاتى الأخيرة من الحياة اتوسل إليك أن تسامحهم على جرمهم الكبير فى حق أسمك المقدس» وربما يكون الأكثر تجسيداً لعاطفة الهاريدى فى ذلك الوقت هوما أورده حانانا شيف- الذى يشغل حالياً منصب حاجب المحكمة «الهاردية» العليا فى القدس- وكان قد شهد تلك المعاناه وهو فى العقد الثانى من العمر ويقول: «أن الصغار كان يتم تهدئتهم من قبل الكبار الذين يعيدون على أسماعهم قصص شجاعة «الحاخام»، وانعقد الحنق على الحاخامات الألمان لعدم تشجيعهم على الهجرة، وينفى فى البداية مطلقاً أن يكون الحاخامات قد أرسلوا أى أحد إلى فلسطين ووفق مايقول فقد كانت الحياة صعبة هنا، ولكنه يتذكر بعد ذلك أحد أبناءه يالحاخامية وأتباعه والذى هرب مع أبيه وبعض أقاربه، ولكنه ترك خلفه زوجته واحفاده فى وارسو. ولم يكن هذا الابن يريد الأستماع لتلك القصص- لم يتحمل الأستماع- لقد كان ذلك شيئاً مؤلما جداً بالنسبه له ».

وهناك ماهو أكثر قسوة وتشويشاً من الأتهامات التاريخية التى وردتها هنيتر فهناك الأتهامات الشخصية ضد الزعماء الصهانية، والتى تقدم بها الحاخام «ميخائيل بيرنسا سماندل» أحد حاخامات الهاردية السلوفاكين. وتلك الأتهامات كانت ضد المبعوثين الصهاينة فى سويسرا وتركيا وضد المؤسسة الصهيونية فى القدس ونيويورك .

وزعم فاسمندل أنه وزعماء يهود أخرين من غير «الهاراديين» نجحوا فى وقف ترحيل اليهود السلوفاك إلى معسكرات الموت فى صيف ١٩٤٢ مقابل دفع مبلغ

٥٠,٠٠٠ دولار للضباط السلوفاك. وكان عليهم أن التسول من أجل الحصول على ذلك المبلغ من المنظمات اليهودية الغربية، ولكن طلباتهم واتصالاتهم لم تلق عناية من المسئوليين الصهاينة واليهود لانقاذ هؤلاء الأشخاص من الذهاب لغرف الغاز. واستشهد «فاسمندال»، فى «كتاب بعد وثيقة اتهام قاسية» وضعه بعد الحرب، بأن أحد مبعوثى الصهونية قد أجاب على ما أطلق عليه «خطة أوروبا» التى وضعتها مجموعة عمل فى «برتاسلافيا» لأنقاذ اليهود؛ بأن أكد هذا المبعوث على أن اعتداءات النازى هى مجد كبير فى طريق يهود أوروبا الشرقية، ووفقا لما ذكرة «فاسماندل» فى كتابه هذا فإن ذلك المبعوث كتب لزعماء يهود «برتا سلافا» أنه شرف لليهود أن يتوقعوا أن يقوم الحلفاء بضمان السماح بتحويلات مالية للعدو.!

وكتب فاسماندل مستنكرا ومتسائلا كيف يمكن لنا نحلم وأن نحاول الخلاص؟. ذلك أن الوطنيين الصهاينة سوف يأتون الينا ليقولوا لنا أن دمائكم هى الشق الأسهل فى المعادلة فابذلوها بسعادة، لأنه بهذه الدماء سنحصل على ما هو أهم، وهو الأرض، وفى ذلك الوقت كانت عمليات التهجير قد استؤنفت فى تشيكوسلوفاكيا ونجا «فاسماندل» من الموت بالقفز من فوق قطار كان فى طريقة إلى معسكرات الموت النازية .

وقد أنقسم المؤرخون حول ما إذا كان دفع زعماء مجموعة العمل اليهودية للمبلغ المذكور هو السبب وراء نجاة اليهود التشيكوسلوفاك أم لا. ولكنهم يتفقون على أحترامهم «لفاسماندل» كزعيم وكضحية لتلك المأساة التى تركته فيما بعد شفيا ومحطماً .

وسجل ايهودا بيروهو أحد مؤرخى المذبحة البارزين كيف أن فاسماندل إرسل إلى زعماء اليهود فى الخارج خرائط دقيقة التفاصيل عن «الايشواتز Auschwity» ومواعيد محددة ومتقنة لقيام قطارات الموت إلى المعسكرات فى محاولة بائسة ومخلصة للمساعدة على اقناع روزفلت وتشرشل لقصف آلة الموت النازية .

ويرى بعض دارسى تلك الفترة الزمنية فى حكاية «فاسماندل» لونا مختلفا، عن استقرار اليهود فى فلسطين ونيويورك خلال محاولتهم النجاه أثناء فترة الحرب .

ونظرو البعض إليها على إنها تنافر روحى ضد الهاريديم من جانب الصهيونية من ضحايا المذبحة. وبالتأكيد فإن تطلع الصهيونية القوى فى تحقيق أهدافها السياسية بعد الحرب مضافاً إليها تناقضهم الوجدانى الشديد مع يهود الشتات فى أوروبا الشرقية؛ قد نتج عنه فى أحيان كثيرة تباين وأختلاف فى وجهات النظر لضحايا المذابح. ومع ذلك فليس مؤكداً تماماً أن الصهاينة واليهود الغربين كانوا يتمتعون بمثل ذلك النفوذ الكبير الذى نسبه إليهم الهاريديين» .

ومع ذلك فإن ظلم الواقع على الهاريديين، وعدم الأحساس بهم واضح بل هو متميز ومطلق- فى كتابات ماسماندل .

فكل من قرأ كتاب «فاسماندل» من بين طلاب الياشيفاز؛ يدرك بقوة أن الصهاينة اداروا ظهورهم ليهود أوروبا وخاصة الهارديين منهم. فى تلك الحالة وفقاً لفكر الهارديين كانوا يتصرفون وفقاً لحقيقتهم لأن الصهاينة فى فكر الهاريديين، هم يهود غير ربانين تمردوا ضد مصائرهم واقدارهم، وضد قضاء وقدر ذويهم من اليهود. والصهونية فى نظر الهارديين هى نتيجة للمادية والإصلاح فى اليهودية وكذلك العلمانية والأشتراكية. وأنها كانت السبب وراء معاناة الهارديين. وقد تم تعميم تلك

الأتهامات الثلاثة/ الفلسفية، والتاريخية، والشخصية من جانب الهارديم تماما ضد الصهاينة لتتحول إلى استنكار كامل وإدانة واسعة للعلمنة والمدنية ذاتها بإعتبارها السبب الكامن وراء موت سته ملايين يهودى على يد النازى .

ويرى الهارديون أن الجرى وراء المادية والمدنية كانت هى الخطيئة وأن المذابح كانت هى العقاب الألهى لهم وقد ورد فى التوراة نفسها أن خطايا اليهود تتسبب فى تعزيب اليهود وقد ورد ذلك فى «سفر التثنه ١٥/٢٨».

(ولكن أن لم تسمع لصوت الرب اليك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع اللعنات وتدركك).

ويقول كتاب صلوات الأعياد «لقد طردنا من أرضنا عندما حدثت المصيبة وعلى الشخص التلمودى أن يبحث عن حسنانة ومآثره عندما يتعرض الشعب المختار لكارثة، وعلى الحاخامات أن يأمروا بأيام الغفران والتوبة، وكتب الحاخام شانيم أورزير «جرودنكس» حاخام ڤينلوس أن المذبحة التى تمثل معاناة غير مسبوقة تعود فى الأصل إلى الخطيئة الكبرى «وقال الحاخام كم هو محزن حال شعبنا اليهودى. واوضح لقد عرفه يهود المجتمعات الغربية فى أنهار من الدم وبحور من الدموع وضُربت حركة الأصلاح فى مقتل، ومن هنا نفذ الشيطان إليهم ليغريهم بالثروة ليدمرهم، فهؤلاء غير الأرثوذكس ، تسببوا فى غرس الكراهية ضد شعبنا وانتشارها فى أماكن أخرى أيضاً. ورغم ذلك فإن اليهود لم يفهموا بعد لماذا هم مضطهدون، فقد اصيبوا بالعمى! وكان الحاخام جرودزنسكى قد توفى قبل أن يدمر النازى عشيرته .

وهناك مفكر هاريدى أخر هرب إلى انجلترا كتب بعد المذبحة يقول أن المذبحة

كانت هى العقاب المرعب عندما فشل شعبنا فى الرد بتقوى دينية مع التحرر والعتق .

وكتب الحاخام «الياهوديسلر» أن عصر العتق والتحرر الذى منحه لنا الرب كان للإستعداد لعودة الماشيح– قد تم تخفيف عذاب النفى عنا ولكننا إعتدنا مخالطة ومحاكاتهم، واستمرت عملية المحاكاة والتقليد تتزايد بمعدل سريع مع٢١٣ الأغـيـار الوقت الطويل، والكارثة لم تحل بنا كاملة حتى الأن. ذلك أن استغفار واحد مؤمن قد أجل غضب الرب، وهو لن يعاقب حتى تبلغ الخطيئة المدى المحدد ولايوجد أمل كبير فى أن الرحمة والعطف ستقود إلى تحسن الأمور .

وفسر الحاخام هنيتر، ذى الثقافة المتعددة فهو درس الفلسفة فى برلين كما درس «الياشيفاه» فى لتيوانيا، المذبحة على أنها أقصى بلوغ لعصر الانحطاط اليهودى الذى تصادمت فيه كل المطالب والآمال المتعلقة بالعتق والليبرالية والتمدين ومن أعطاء الثقة للعنصر البشرى الأقل مرتبة فإن اليهودية قد أستدرجت بشدة لإنكار تلك الثقة الألهية فيها. وهذا الإنحطاط السياسى فى العالم غير اليهودى قد ترك بصمته بقوة على الشخصية اليهودية .

وبالعودة لفرضيات هنيتر فإن ذلك سيقود إلى توبة قومية بين اليهود كما أشارت التوراة لذلك، والتى تنبأت بالمعاناة كعقوبة على الخطيئة، والمعاناة والانحطاط الملازم لها فى العالم هى الضرورة التاريخية والحافز إلى التوبة وذهب الحاخام دسير فى تأملاته حول المذبحة إلى التحذير بأنه إذا وجد اليهود أنفسهم بعد نهاية عملية التدمير تلك فى عصر جديد فى كنف العناية الألهية؛ فعليهم ألا يدعوا أنفسهم يكرروا أخطائهم الغبية، وعليهم أن يدركوا الوحى من أعلى والعودة إلى عصر التوبه الكاملة.

وقد جاء ذلك فى رسالة عندما أطلق الحاخام شاش تحذيراته القوية المثيرة للجدل بأن مذبحة أخرى فى الطريق إلى اليهود وذلك بسبب علمانية دولة إسرائيل وحذر شاش فى ١٩٩٠ ، قائلاً تذكر ماقاله لك اليهودى القديم «بأن الرب صبور ولكنه يمسك بالعصا، وأن صبره سينفذ يوماً» كما نفذ من قبل ليموت ستة مليون يهودى. وبالنسبة للعديد من اليهود فإن لفظ «مزبحة أخرى» يعد من أكثر الأشياء مدعاة للإستياء– ولكن الهاردية بإحتفاظها بإتجاة تفسير التاريخ بكل ما فيه، بما فى ذلك مذابح النازى وفق مبدأ الخطيئة والعقاب، ترفض من الناحية العقائدية أى توظيف للمذبحة على أنها شيئ ليس له نظير، وهى ترى أن المذبحة كانت عقابا مختلفا فى الدرجة ولكن ليس فى النوع عن العقوبات السابقة من الرب لشعبه الذى يخطئ. وبالتأكيد فإن لاهوتيات الهاراديم تخفى مصطلح الهولوكوست (المذبحة) ومقابلها العبرى «حاشواة» "Hashoah" وتفضل عنها كلمة «حيربان» "Hurban" أو التدمير التى كانت تستخدم فى الإشارة إلى هدم المعبد، والكوراث الكبرى المماثلة. وتساءل الحاخام هنيير عما إذا كان من الممكن استخدام لفظ «حشواه» "Hashoah" وكانت الأجابه هى الرفض القاطع فالكلمة كانت تشير إلى كارثة بعينها غير مرتبطة بما قبلها أو بعدها، وبالنسبة لهنيير نفسه فإن هذا الأتجاه بعيد جدا عن رؤية التوراة لتاريخ اليهود؛ لأن تاريخ اليهود الأوربيين مكمل للتاريخ اليهودى ككل .

ويرى «اللورد جاكوبيفتش» رئيس حاخامات إنجلترالسابق، الذى يعترض على لاهوتيات المذبحة عند الهاريديم، وهو مع ذلك يقر به كسبب رئيس للحيوية القوية والمتزايد للهاريديم،وأعترف بأن للمذبحة تمثل تجاوباً مع دورة الكوارث والفواجع فى التاريخ اليهودى– ويعقبها البقاء والتكاثر– ويمكن للهاريديم أن يركزوا على المستقبل

وينسوا الماضى، ويمضى جابوكوفيتس قائلاً أن المكاسب التى تولدت من هذه النظرة تخطت كل التوقعات والتكهنات المتشائمة التى أُعطت الأيمان والتصديق الكامليين فى عالم ما قبل أربعين عاما مضت. أما اليوم فإن هناك تقدماً يومياً وجلى فالتلمود يدرس الأن فى نيويورك، وتعيش حراً منفرداً فى القدس، والتفكير الأحادى كان جوهرا أساسيا فى هذه الدنياوية غير العادية التى غلفت هذا الأنجاز الضخم .

وأدراك جاكوبوفيتس هذا مردود عليه، فهو يمكن أن يعترف بجوهر أساسى آخر، ففكر «الهاريدى» أثناء المذبحة لم يكن اساساً منصباً على الأستمرارية والتوالد أكثر منه على الرمز، ولكنهم يحتاجون لآداء واجباتهم كيهود «هاريديين» فهذ الميل والفكر الأحادى تضمن اعادة تأكيد متزن للأخلاص والايمان. فالهاريدية التى هى فوق ذلك ذات ممارسات موجهة مكثت أتباعها، الأقوياء والمتشددين، اخيراً مواصلة ممارساتهم وإعادة التأكيد عليها. والقصة التى تروى، وأن كان مشكوكا فيها عن أن مجموعة من اليهود أثناء المذبحة حاكموا الله أمام المحكمة على أهمال شعبه والتخلى عنه وعندما وجدوه مذنباً قرروا تأجيل اداء الصلوات المسائية.

وفى دراسة أكثر منطقية وعملية قام بها ريف روبرت عن الأحياء من المحرقه اوضحت الدراسة استمرار تقبل مبادئ الهاريديم بين الهارديين، بينما كانت النسبة أقل بين الأصوليين المعاصربين، حيث وجدت تراجعات خطيرة وقوية فى معتقداتهم الدينيية فى مرحلة ما بعد الحرب .

وقام الباحث بدراسة أكثر من ٧٠٨حالة من الإسرائيليين الناجين من المحرقة عن مدى التزامهم الدينى. فقبل الحرب، وبعد الحرب بفترة قصيرة، وبعد الحرب بخمس وعشرون عاما نخرج بأن الأكثر تشدداً فى التمسك بالتقاليد والعادات؛ كان هو الأكثر

قابلية بلاستمرار. وعلى العكس كان الاقل تمسكا هو الأكثر، من المحتمل أن يكون أقل التزاماً واستمر ٦١٪ من شديدى الالتزام على التزاماتهم- بينما استمر ٩٪ فقط من المعتدلين على اعتدالهم، وربما تقدم حالة الحاخام الحاسيدى «ايهودا حالبرستام» ر تدعيمها أكبر لتلك النتائج العملية؛ فهو قد فقد زوجته وابنائه الاحدى عشر فى المخيمات، وفى مساء الجمعة بعد تحرره جلس بعد «وجبه السبت» الدينية «سبت- تش» ولكن لم يكن لديه أى غطاء للرأس، وتمكن بصعوبه بعد ذلك من تناول العشاء حيث قدم له أحد الضباط كابه ليغطى راسه وارتداه الحاخام وبداخله مشاعر متباينة وقد كان ذلك قبل النازى وغزوه (ربما تكون تلك القصة أسطورية لكنها ذات مغزى تعليمى وتربوى)، ولعب هذا الحاخام دوراً كبيراً فى تنظيم الحياة الدينية والأجتماعية لليهود الذين استقروا فى المخيمات، ويذكره الأرثوذكس حتى الأن لدمائه خلفه- ولكن كان شاغله الأول فى آداء مهامه كحاخام هو تناول الوجبة الاحتفالية التقليدية «سبت- تش» .

ولا يعذب الهاريديم أنفسهم بسبب رؤيتهم الخاصة للتاريخ بالقضايا اللاهوتيه. فبالنسبة لهؤلاء الذين يتشككون ويتساؤلون ليس هناك أى اجابات. وكتب أحد حاخامات اليهود «الهاريدى» أثناء المذبحة أنه بالنسبة لهؤلاء المؤمنين الذين لايشكون ليس هناك أسئلة. وقد كتب ذلك الحاخام، الذى يعد بطلاً تاريخيا وعمل كزعيم روحى ومستشاراً فى جيتو وارسو، فى عام ١٩٤٢ لأنه لسوء الحظ فإنه حتى بعض أولئك المؤمنين تماماً والموقنين، تحطم ايمانه، وتساءلوا إلى الرب لماذا تخليت عنا؟ ويقول الحاخام أنه إذا كان اليهودى يقول ذلك كنوع من العبادة وصيغة فى الصلاة فإن ذلك يصبح أمراً طيباً، أما إذا سأل ذلك بنوع من الشك وعدم اليقين وتغلغل ذلك

داخل قلبه فإن ذلك يفقده إيمانه .

وبدلا من توجبه الأسئلة الكبرى والتى لايمكن اجابتها بأى طريقة فإن الهارادية شغلت فكرها فى مأساة الجيتو أو المعسكرات وركزت على الممارسات الدينية الواقعية والحياتية. فالمرأة اليهودية يجب أن تذهب للتعميد والغطاس فى الليلة التالية لإنتهاء دورتها الشهرية، ولكن التساؤل كان فى جيتو فيربو السلوفاكى حيث كانت النساء يخضعن لحظر التجول ليلا ولذا كان عليهن الذهاب إلى «الميكافا» «الحمام» نهاراً، وتساءل الحاخام فى هذه الحالة إذا كان اليوم الثامن هو يوم السبت فهل يمكن للمرأة أن نذهب للحمام فى اليوم السابع بعد انتهاء الطمث. وفى رده المسبب على التساؤل اجاب الحاخام بالاستعانه بنصوص قديمة، وشدد على أهمية المتسفاه "Mitzva" فى النصح بعمل التعمير المبكر .

و كان من بين الإجراءات الأولى التى قامت بها قوات النازى هى اغلاق الحمامات، وتحريم استخدامها وكان على السيداات والرجال «الأصوليين» المتشددين الذين كانوا يستحمون فى تلك الحمامات كنوع من الممارسات الدينية أن يذهبوا إلى القرى المجاورة. وعندما منع اليهود من استخدام القطارات وعربات الترولل عادوا مرة أخرى لاستخدام الجماعات فى وارسو ستارا للتسلل من المداخل الجانبيه مع استمرار الأبواب الأمامية مغلقة.

وفى كتابات الحاخام «هيربيربان» عن يوميات جيتو وارسو التى تم اكتشافها فى «محطة ألبان» كتب يقول أنه بسبب الخوف من الأنتقام النازى فقد كان يتم تسخين الحمام مرة واحدة فى الأسبوع لبلا مع اغلاق الفتحة الرئيسية فى الحائط وقد استمر العمل بتلك الطريقة لاسابيع طويلة، وقد كان المدخل الرئيسى للحمام مكتوباً عليه

تحذيراً بأن من يستحم بداخله يعاقب بعقوبة تتراوح بين السجن عشر سنوات والاعدام ومع ذلك فقد استمر اليهود فى الاستحمام بنفس الطريقة .

وفى معسكرات التجميع فى «تيربلنكا» كانت الصلوات الصباحية فقام بإنتظام وكان السؤال الذى يشغل المشاركين فيها ما إذا كانت تتم دون مشاركة الحاخام؟ أو هل من المقبول اقامه الصلوات الصباحية قبل شروق الشمس وهو موعدها الشرعى؟ فقد كانوا يحتاجون للظلام لاداء صلواتهم وفى النهار كانوا يساقون إلى أعمال السخرة. وكان من غير الممكن أن يتمكن احداً اليهود من تسريب «التفلين» معه للمخيمات للاستعانه به فى أداء الصلاة .

ووفقا لما ذكره اليعازر بيركوفست احد فلاسفة اليهود المعاصرين فى كتاب له بعنوان «مع الله فى الجحيم» فإن هناك قلائل من اليهود كان بإمكانهم تلاوة نصوص من «الترانيم» أثناء الصلاة فى الايشواتز» فى معسكر «ماندنيك»، وقد سمعنا عن بعض القصص الجديرة بالملاحظة عن بعض حالات التضحية بالذات والاخلاص الشديد من جانب يهود بذلوا جهودهم فى الحصول على زوج من «التيفلين» وتسجيله فى يومية وكانو هناك عدداً كبيرا من الاتقياء الذين يحفظون جزءاً من التلمود فى قلوبهم يرودونه فى ذهابهم وعودتهم من معسكرات السخرة يوميا. ويذكر بيرنارد ميزريل الذى قضى خمس سنوات فى «الايشواتز» أنه وجد اجزاء من التلمود يستخدمها الأميين كأوراق للتغليف، وأن ساكنى المخيمات كانوا يقومون جمعها لبعضها فى أماكن عملهم ليلا، وفى السباح يأخذونها لتدارسها.

ويحكى «بيركوفتس» عن أثنين من اليهود الألمان الذين عثرا بطريقة ما على نسخة من الكتاب القدس واستطاعا دسها فى أوساط عمال السخرة وأخذا فى دراستها سويا .

ويقول ميريزل: «ليس كل شكل من الممارسة الدينيه كان يمارس كاملاً داخل المخيمات حتى بين «الهاريديين» وأنها لم تكن حياة دينية كاملة، وأنه حتى اداء «متسفاه» واحدة كان يعد تضحية بالذات إلى حد كبير وأحياناً لا تقوم بتلك المتسفاه من أجل الرب، ومجرد إرتداء التفلين يمينحك قوة.

واحيانا كانت تختلط القضايا الكبرى بالقضايا الدينية الفقهية الشرعية المحددة. فالحاخام زيفى هاراسيش فى الحجر، وهو احد الناجين من المذبحة، يتذكر أنه استفتى فى قضيتين أولاهما كانت تتعلق بأب احد الرعايا الذى كان إبنه الوحيد فى طريقه للمذبحة، وسأل الأب هل بإمكانه أن يفتدى ابنه بالمال، علماً بأن غلاماً آخر سيقتل بدلا منه؟ والسؤال الثانى كان من صبى تقدم الصفوف ليسأل الحاخام إذا كان بإمكانه أن يقدم نفسه للمذبحة للموت بدلا من أحد دارسى التلمود الذى كان على وشك ان يذبح؟ وقد فشل الحاخام فى الاجابة على أى منهما. ويتذكر أنه قال للسائل الأول، عزيزى كيف يمكننى ان اقدم اجابة واضحة لسؤالك؟ فإنه حتى عندما يعاد بناء المعبد فإن التساؤلات المتعلقه بالحياة والموت ستكون مطروحة امام «السنهدرين» المجلس الاعلى لحكماء اليهو،د وأنا وحدى هنا فى «الإيشوانز» «Aschwity» بدون أى كتاب للتشريع وبدون أى حاخامات أخرين للتشاور معهم، وبدون حتى ذهن صاف بسبب المعاناة التى نقاسيها. فأفعل كما يحلو لك وكما تعتقد أنت ولاتسألنى شيئاً .

وفى حادثة أخرى وقعت فى جيتو «كوفنو» يروى الحاخام إبراهام أو ثرى أن سؤالا يتعلق بالقضايا الكبرى والحياتية أيضاً ولم تأت الأجابه عليه من جانب الحاخام بل من أم يهودية كانت قد رزِقت بطفل بعد زواج استمر خمس سنوات بلا أطفال ولكن الألمان كانوا يمنعون اليهود من أن يكون لهم أولاد وقبل أن تبدأ عملية الختان

للطفل كان صوت سيارة يسمع وكان رجال الجستابو قد وصلوا إلى باب المنزل وخيم الرعب على جميع الحاضرين- وكانت الأم فقط هى التى أبدت أكبر قدر من الشجاعة وأمرت «المسئول عن المختان» أن يقوم بختان الطفل وصاحت فى الرجل اسرع آلاثرى أنهم قد جاءوا لقتلنا فعلى الأقل دع ابنى يموت يهودياً.

الفصل الرابع

نجاح التطرف

وفى قمة التطرف والمغالاة للمجتمع الهاردى، السماه نيتوازى كارتا أو حراس المدينة، فى القدس التى لم تتردد الطائفه حتى بعد المذبحة بقليل فى أن تعترض ودون مساومة على الصهيونية.

وحاولت هذه الطائفة خلال حرب ١٩٤٨ رفع الراية البيضاء والإستسلام للقوات الأردنية، بينما قام الهاريديون الآخرون بالمؤامة مع الدولة الصهيونية ولكن تلك الطائفه لم تساورها أية شكوك حتى بعد ذلك فى أن الصهيونية تمثل الخطيئة القاتله ضد الرب ومصير اليهود.

ولا تزال تلك الطائفه «حراس المدينة» تعتقد أن التاريخ يبرهن على صحة طريقهم؛ فعندما أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها قوات إلى منطقة الخليج بعد الغزو العراقى للكويت القت الطائفه بنفسها خلف صدام حسين، وفى خطاب بعث به الحاخام موشيه هاريتش مسئول العلاقات الخارجية فى المنظمة إلى وفود الدول كل الأعضاء فى الأمم المتحدة. عن طريق الوفد الفلسطينى، قال الحاخام- لا إن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية ولكن، الأمريكيين يتشبثون بالإبقاء عليهم فى تلك الأرض. ولذلك فإن الرب أختار صدام حسين للإنتقام منهم، وهذا فى صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع. ورغم تلك التصريحات الحماسيه التى تصدر وبصفة دورية من الحاخام «هاريتش» باسم المجلس الأعلى لحركة حراس المدينة والذى يتشكل من سبعة أشخاص؛ فإن الحركة فشلت فى الأوقات العصيبة وتوارت الطائفه فى إطار المجتمع الهارادى فى القدس، وأصبحت المظاهرات التى كانت تقوم بها حركة حراس المدينة وتعد جزءاً ثابتا من تاريخ المدينة،

نادرة وكلما تحدث فى تلك الأيام.

ويلقى الكثير من المراقبين باللوم على الحاخام «هاريتش» تلك الشخصية الإنقلابية، ذات الأسلوب البذىء فى القول والفعل بما يصدم حتى أشد معارضى الصهيونية. فالحاخام هاريتش، وبسبب صفاته الكريهة، قلل من أنتشار مذهب حراس المدينة بين الطوائف الهاريدية.

ومن المواقف التى تذكر للحاخام «هاريتش»، أنه أثناء حرب الخليج قامت طائفة «ايداه هارديت» التى تعد من اولى الطوائف الهاردية التى أستقرت فى القدس منذ حوالى القرن بوضع ملصقات حائط على جدران المدينة تدعوا للصلاة والإستغفار، وتقول أنه ليس هناك كلمة أسمها «الرأفة اليهودية» وقد أستشاط الحاخام غضباً، وعلق: بأن ذلك معناه أن الملصقات لم تحتوى على أدانه قوية للصهيونية، ولم توجه اللوم لحكومت إسرائيل تحديداً على أنها المسئولة عن عدوان صدام حسين.

وفى الحقيقة فإن تعليق «هاريتش» وتحليله كان مزاجيا وغير موضوعى، وعلى كلٍ فإن حراس المدينة ضحايا نجاحهم فالتيار الرئيسى «الهاريدى» قد تبنى الخط الأيدلوجى المتشدد لطائفه حراس المدينة ضد الصهيونية بعد المذبحة، ذلك الخط الذى لم تتخل عنه أو تعدل منه طائفه حراس المدينه. أما دارسى الياشيڤاه اليوم ليس بحاجه إلى البحث عن «التطرف الشديد». فهو يجدها فى قلب تلك الحركة. ولكن الحاخام تيتلبيوم، وهو مؤلف الموجز الفلسفى «ضد الصهاينه» ومرشد طائفه «حراس المدينة» أشار إلى أن التيار الرئيسى الهاريدى قد عَدّل من الإعتقاد الدينى من جانب وطور من أساليب الحياة ومن جانب آخر. إعتماداً على مبررات تلموديه وسياسيين.

وقد نجح حزب أجودات إسرائيل، وتشكيلاته المختلفة عبر السنين من تخفيف حدة التشدد النظرى، ولذا أصبح بمقدورهم تبرير الحصول على المنافع المادية وممارسة

النفوذ السياسى فى الدولة الصهيونية.

وقد وصف الحاخام «هاريتش» ذلك بأنه رياء، وتملق- وهو يرفض دفع الضرائب المحلية لمدينة القدس، كما يمتنع عن أخذ نصيبه من الإنفاق الحكومى فى مجال الصحة والرفاهية العامه. ويقول الحاخام «هاريتش»: أن هناك مئات الأسر معظمهم من «ميه شاريم» يحاولون العيش دون النظر لمصادر تمويل الدولة الصهيونية وهم لا يدفعون الضرائب، ويقاطعون الأنتخابات العامة والمحلية، ورجالهم لا يسجلون فى قوائم التجنيد، ولا حتى فى القوائم لدارسى «الياشيفاه». ويقول «هاريتش» أن الجيش يتركنا دائما وإذا أعطونا السلاح سنطلق عليهم النار، ويقول لماذا يفكرون فينا؟ وهم لا يجندون العرب ونحن أكثر كراهية لهم من العرب وهناك بالتأكيد مئات الأسر من «الميه شاريم» التى إمتنعت من زيارة الحائط الغربى، وهو الأثر الوحيد الباقى من المعبد الثانى- وهو الحرم المقدس لدى اليهود- فى الأرض التى أحتلها الصهاينة، والمعروف أن إسرائيل قد أحتلت القدس الشرقية، وفيها بقايا المعبد، من الأردن بعد حرب ١٩٦٧.

ولكن لا يشعر يهود الهارديم بهذا الإحساس بالتأنيب فهم تدفقوا على الحائط من أول لحظة تم إحتلاله فيها، وذلك على الرغم أن الحائط تم إعتماده شعاراً قومياً- وليس دينيا- للدولة.

ورغم أن الحائط يجذب الآلاف من السائحين من كل الطوائف الدينية، فإن الهاريديين هم أكثر الطوائف الدينية تواجداً بجواره فكل ساعه وعلى مدار العام تجدهم يصلون ويرتلون المزامير.

وعندما دعا مجلس حاخامات حركة [أجوداه] إلى أقامة صلاة عند الحائط عشيته حرب الخليج تجمع هناك بنحو ٨٠ الف من اليهود. وربما يكون ذلك أكبر تجمع يهودى حول المعبد منذ وجوده.

ولكن سكان «مية شاريم» وهم جزء من «حراس المدينة» لم يقتربوا من الحائط رغم قرب المسافه بينهم وبين المعبد، بأقل من ميل واحد. وعندما تحل الأعياد اليهودية مثل عيد الفصح وعيد المظلة ويتوافد الآلاف من الزائرين على الحائط فإن «ميه شاريم» يستأجرون أسطولا من السيارات لنقلهم بعيداً عن الحائط، إلى ضواحى مدينة القدس ومن موقعهم هذا يرقبون بأبصارهم للحائط وهيكل المعبد الذى أصبح الآن موقعاً مقدساً للمسلمين أيضاً. ويقومون فى هذه الضواحى بأداء الصلاة فى أصوات عالية وتُخرج الأمهات الطعام الذى أُعد مسبقاً ويلهو الأطفال أبتهاجاً بهذا اليوم.

وحركة «أجوداه» تتشابه مع الهارديم فى معارضة إسرائيل، وأشار الحاخام يوسف بشير، المسؤل عن حركة حراس المدينة الأميركية فى لقاء مع صحيفة «الرياض» السعودية اليومية لذلك، ولكنهم يقولون ما الذى يمكننا عمله من الناحية الواقعية فالدولة موجودة فعلاً وحتى يعود «المسيح» فإن علينا أن نعمل مع الدولة، ولكن يرى الحاخام أن تلك المشاركة مع الدولة نوع من الضلال والكفر الدينى؛ فنحن نعتقد أن المشاركة فى الانتخابات عملاً وثنياً كما أن [الهاراديين] يتلقون أموالا من الدولة (للمدارس الدينية) وتعد النقود من وجهة نظر.. حراس المدينة.. وسيلة لتغير وجهات النظر.

وحراس المدينة الأمريكيين أيضا يشتركون عاطفيا ولكن على نحو طفيف مع الهارديين وذلك فى بعض المناسبات والتجمعات للتظاهر ضد إسرائيل خارج مبنى الأمم المتحدة فى نيويورك، وعندما تقيم المنظمات الأخرى المؤيدة للدولة الصهيونية أحتفالات فى شهر مايو بمناسبة ذكرى (إنشاء) إسرائيل، فإن حراس المدينة ينظمون مسيرات مضادة تحميها الشرطة فى الحى ٧٥، ٧٦ بنيويورك وهى المسيرات التى تجتذب تغطية إعلامية كبيرة. وأكد أتباع حراس المدينة لقراء صحيفة نيويورك تايمز واسعة الأنتشار

فى عام ١٩٨٥ قبل قيامهم بتنظيم مسيرة مضادة «أن الصهيونية هى تقيض اليهودية الحقة وإن الدولة الصهيونية زيف كامل؟؟

ولكن بعد وفاة الحاخام «تيتلبايم» فى عام ١٩٧٩، والخلاف الذى وقع فيما بعد بين أبن أخية وخليفته الحاخام موشيه «تيلبايم» وأنصاره من جهة، وبين أرملة الحاخام من جهة أخرى؛ قد تسبب فى تخفيف العدد للصهيونية وذهب جزء كبير طاقة الطائفه إلى المشاكل الداخليه.

وفى لندن أيضا فإن تشدد التيار الرئيسى «الهاريدى» قد ترك فراغاً محدوداً لمن هم أكثر تشدداً [حراس المدينة] وأتباعهم، وغدا نشاطهم محدوداً وهامشياً وقد دفع هذا بأحد كاتبهم وهو كاتب عمود مرموق فى صحيفة «جويش تريلبيون» أن يقول فى كتاباته «أنا لست من حراس المدينة، ولكن يمكننى أن أجلس فى أى من موائدهم وأقاسمهم طعامهم وأناقش أى مسألة تنتمى لليهودية حتى لو كنا على خلاف معهم. ولكن لا يمكننى أن أقول نفس الشيء عن يهودى غير متدين».

وفى حديث للحاخام شاش فى أحد الملاعب بلندن أوضح أن هناك إخفاء متعمداً لنجاح حراس المدينة من جانب الصهيونية، وقد أوضح لى ذلك إلى أى مدى يصل عداء الهاراديم المضمر للصهيونية.

ومع ذلك فإن الحاخام «موشيه هاريتشى» دعا لتنظيم مسيرة ضد الحاخام شاش للإجتماع ضد قراره غير المعلن بتأييده للصقور الصهاينه فى «الليكود»، وربما بسبب تلك المظاهرة والمعارضة فإن خمسين شخصاً فقط هم الذين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات.

والأن فى إسرائيل أو «فلسطين»، كما يسميها حراس المدينة، فإنه نادراً ما يتم تنظيم مظاهرات– وإذا تم فإنها لاتكون عنيفة– وقليلا ما يتم اعتقال أعضاء من نشطاء حركة حراس المدينة فى مثل تلك المظاهررات، وهذا الحال بعيد تماماً عما كان عليه الوضع أيام زعيم الطائفه الحاخام الكاريزى «أمرام بيل» الذى رحل عام ١٩٧٤ والذى سار على رأس مظاهرة مع أتباعه احتجاجاً على افتتاح حمامات سباحة مشتركة للرجال والسيدات فى المدينة المقدسة، وضد مرور المركبات فى أيام السبت فى المناطق التى يسكنها «الهارديم» وضد «بيوت الدعارة» وضد عملية تشريح جثث الموتى، وضد عمليات الحفريات الأثريةحيث تحصن الشريعة اليهودية على دفن الجثث كاملة، وبعد أن تتم عملية الدفن لا يجوز التلاعب بالجثث لأغراض طبية، أو حتى بعد مرور آلاف السنين لأغراض الحفائر الأثرية لأن ذلك بعد انتهاكا لحرمه وقدسية الموتى»

ولم يكن الحاخام «أمرام» يخشى عصى الشرطة الإسرائيلية أو رشاشات الماء التى تستخدمها ضد المتظاهرين، وكانت جماعتى «الأيداه» «الهاريدية» وكان حراس المدينة يشكلون المقدمة فى تلك المظاهرات وجند الصدام لها، وكان «البيت دين» يعطى مباركته وتأييده لمسيرات الحاخام أمرام، كما كان يتم ارسال الأموال من أمريكا لتغطية تكاليف تلك المظاهرات، وقد ضرب النموذج القوى من المسيرات منذ منتصف عام ١٩٩٠ عندما أعلن الحاخام أمرام الذى كان أرملاً، عن نيته الزواج من فتاه فرنسية صغيرة تحولت إلى اليهودية، وهى الفتاه ريث بن ديفيد– وكان هذا يعد أمراً لا يتمشى مع رجل فى مثل مكانته– وأخيرا تم نفيه من «البيت دين» وطرد إلى «بنى باراك»– ورغم أن الحاخام أدعى أنه أصيب فى خصيتيه أثناء حرب ١٩٤٨، ولذا لا يجوز له الزواج من أى واحدة إلا محولة لليهودية. وحاول الحاخام تبرير موقفة مستنداً إلى نص فى سفر التثنية ويقول النص [لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب] (١ : ٢٣).

وأستدعى الحاخام واقعة تاريخيه بأن الملك دواد نفسه كما ذكر التلمود جاء من سيدة تحولت للديانة اليهودية. وأخيراً فإن ريث تعود أصولها إلى شعب «الموآبيين» وهو من الشعوب السامية القديمة.

ولم يستطع «الزُلى ستامرر» أن يفصل فى حاله الحاخام أو يسوى حالة العداء معه، ومع ذلك فإن الحاخام أمرام عاد للقدس وأستأنف نشاطاته ولكن لم تعد الأمور إلى سيرتها الأولى. وكان الحاخام «أسحاق ويسز» صاحب العقلية المعتدلة والذى تلقى دراسته الدينية فى مانشستر بانجلترا قد أختير رئيساً «لبيت دين»، وكان هناك أمراً يقضى بعدم تنظيم مظاهرات دون أذن من الشرطة، وإذا تمت تلك المظاهرات فتجرى بدون أعمال عنف.

وعلى كل حال فإن الإنعكاس الواضح لكل تلك التطورات هو إنتقال زمام المبادرة بشأن المسيرات والمظاهرات، التى تتعلق بأمور دينية كانت من أيدى «حراس المدينة» و «الميه– شاريم».

وعلى سبيل المثال فإن سلسلة المظاهرات التى جرت فى منتصف عام ١٩٨٠، ضد أعمال الحفر الأثريةفى مدينة الملك داود، ابابه عن المعبد الأول. قيادتها بين التيار الرئيسى من رجال السياسة فى حركة (أجودات إسرائيل)، ودعم «الإيداه».

ولم تنجح تلك المسيرات، لأن أعمال الحفر كانت قد أكتملت بالفعل. ولكن الأثرى الأثرى البروفيسور «أيجال شالو» مات بعدها بقليل عن عمر لم يتجاوز الأربعين وأحتفل «الميه شاريم» وأسموا ذلك أنتقام الرب وحامت الشبهات حول الحاخام هاريتشى. ولكن أنكر مسؤليته عن هذا الحادث المؤلم.

وكان هاريتش قد نشأ فى نيويورك وجاء إلى القدس للدراسة فى «الياشيفاه» وكان يعتبر نفسه خليفة الحاخام أمرام، وتزوج إبنة أحد زعماء جماعة حراس المدينة وهو الحاخام «آهارون»، وكان يحرص على إرتداء نفس غطاء الرأس والمعطف الضيق وهو الزى التقليدى للدارس فى «الياشيفاه»، القديم قبل معرفة الهارديم للدولة فى إسرائيل. ولكن هاريتش Harisch كان يفتقر إلى التكوين الجسمانى والحضور الذى تميز به الحاخام «إمرام»، ولكنه كان يمتلك خيالا واسعاً، وكان يزعم وهو محق فى زعمه هذا أن موهبته الدبلوماسيه الخاصة قد تكون أقوى وأكبر تأثيراً من المظاهرات القوية، فمثلا نجح فى عام ١٩٧٦، فى إقناع وفد منظمة التحرير الفلسطينية فى الأمم المتحدة لأخذ تهديد بلدية القدس بإغلاق مجزر للفراخ «الميه شاريم» إلى أروقة مجلس الأمن الدولى، وقد تراس هاريتش وفدحملة الأجتماع، وأحتج هو والوفد الفلسطينى على أن هذا التهديد يمثل أعتداءً على الحرية الدينية فى المدينة المقدسة، وهاجم هاريتش ستة «محلاً للجنس» فى وسط مدينة القدس بعد عدة سنوات من تلك الواقعة. وناشد الحاخام هاريتش ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المساندة فى تلك الحملة وكتب هاريتش Hirsch إلى عرفات قائلاً أن الهيمنة الصهيونية الحالية على معظم فلسطين قد تسبب فى تدنيس الأماكن المقدسة ونحن نناشدكم مساعدتنا فى الأبقاء على قداسة «القدس».

وعندما قام وزير الخارجية الأمريكى جورج شولتز بزيارة للقدس عام ١٩٨٥ قامت حركة حراس المدينة بدعوته لزيارة «الميه شاريم»، وكتب الحاخام فى خطاب الدعوة «أنها المنطقة الوحيدة التى تخرج فعليا عن حكم الصهاينة»، وأضاف فى الرسالة متسائلاً «لماذا تستثمر الولايات المتحدة العملية القوية «الدولار» فى الإقتصاد الإسرائيلى المقيم من أجل التسلح« ولماذا لايتم توزيع تلك الأموال على الأشخاص الذين يضعون ثقتهم فى الرب وليس فى السلاح كما يفعل الصهاينة».

ولسنوات طويلة فشل المسئولون الفلسطينيون، والأشخاص العاديون فى تفهم ذلك وأقامة علاقات قوية مع «هاريتش»، ولكن يوجد الآن تعاون كبير بين الجانبين؛ فعندما أعلن المجلس الأعلى لحركة حراس المدينة والمكون من سبعة حاخامات سعادته ومباركته لتشكيل الحكومة الفلسطينية فى المنفى عام ١٩٨٨- أعلن الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات فى مقابلة مع صحيفة «بارى فاتش» الفرنسية أنه سيوحى بأختيار ممثل عن حركة حراس المدينة عضواً فى الحكومة التى سنقوم مستقبلا فى فلسطين.

ومن جانبهم، أعلن حراس المدينة أن وظيفة مسئول الشئون الدينية ستقوم بها لجنة ثلاثية تضم عضو الحركة من كل من لندن ونيويورك والقدس، وفى مؤتمر «مدريد للسلام بالشرق الأوسط» المنعقد عام ١٩٩١، حضر حاييم إسحاق فريمان، وهو واحد العناصر النشطه فى حركة حراس المدينة فى نيويورك- كعضو رسمى فى «الوفد الفلسطينى» الإستشارى فى مفاوضات السلام.

والحاخام هاريتش Hirsch الذى يساهم غالبا فى الكتابة فى صحيفة الفجر التى تصدر فى القدس الشرقية قام بإتصالات واسعة داخل وخارج إسرائيل لتحقيق أهدافة، وذلك عندما قامت حركته بتوزيع آلاف الدولارات نقداً على ضحايا الأنتفاضة الفلسطينية الذين يرقدون فى مستشفيات القدس- وحياهم بأنهم الذين دمروا بسبب الصهيونية- كما أرسل أتباع حركة حراس المدينة مساعدات لعائلات المعتقلين فى الأنتفاضه. ومرفق بها رسائل تقول نحن- اليهود الفلسطينيين- المناهضين لليهودية الصهيونية الأصولية. نعبر عن تعاطفنا ومودتنا معكم نحن أخواتكم الفلسطينيين».

الفصل الخامس

جوهرة فى التاج

الآن لم يعد هناك الكثير من التعاطف والمودة للحاخام/ هاريتش حتى داخل أوساط «المية شاريم» أنفسهم؛ ففى ذات صباح كان فى طريقة إلى المعبد عندما هاجمه شخص ملتم بالقاء مادة حارقة (ماء النار) على وجهه وحالت النظارة التى يرتدتديها دون اصابته بالعمى- ولكن أصيب احدى عينية إصابة خطيرة- وتم نقلة للمستشفى للعلاج ومنها نقل فيما بعد إلى لندن لتلقى العلاج، ومن سريره بالمستشفى صرح للمراسلين أنه على الرغم من أن مهاجمه كان يخفى وجهه فإنه تمكن من رؤية أنه المهاجم وأنه غير ملتح، وقد ذهبت أوساط «المية شاريم» أن شخصاً وضيعاً فى إحدى لجانهم الأهلية قد اراد الأنتقام من الحاخام قليل الشعبية، ومثل هذه اللجان والتجمعات منتشرة بكثرة فى أوساط الهارديم فى القدس، وفى مدينتهم «ربيناى باراك» وهم معروفون فى هجماتهم بخدش وتجريح الوجه، وحتى تكسير الضلوع، ولكن الهجوم بإستخدام «ماء النار» ينظر إليه على أنه تصعيد غير مسبوق .

واتجه حدس وسائل الإعلام فى ذلك الوقت إلى «ناشطى» حركة كاخ المتطرفة، المناهضة للعرب، والتى يتذعمها الحاخام الأمريكى الإسرائيلى الجنسية مائير كاهانا، الذى اغتيل مؤخراً فى نيويورك، وكانت هناك فى ذلك الوقت العديد من حوادث القتل التى تقع ضد العرب، ولم يتم التعرف على القائميين بها فيتم نسبها لجماعة كاخ. وايا كانت دوافع ذلك الهجوم؛ فإن الهاريديم لم تهتز مشاعرهم كثيراً لتلك الواقعة. وينظر الحاخام هاريتش لانخفاض شعبيته على أنه ازدياد فى الكراهية المتنامية ضد العرب فى داخل مجتمع الهاراديم. وخاصة بين طلاب الياشيڤاه .

وجماعة «حراس المدينة» التى ينتمى اليها الحاخام هاريتش والتى توحدت أو وقفت مع العرب الفلسطينين من ضحايا الانتفاضة أصبحت ملعونه ومُطاردة داخل تجمعات الهاراديم، ويلقى الحاخام باللوم فى ذلك الغياب والكراهية للهاريدية على ممثل القيادة السياسية للتيار الرئيس فى الهاريدية وهو الحاخام شاش "Shach" ويقول هاريتش أن انحياز الحاخام شاس الشديد لليمين قد فاقم من أتساع العداء، وتحليل هاريتش رغم أنه يبدو موضوعيا فإنه أيضاً ذا بصيرة هامة، فالتيار الرئيس «للهارديم» رغم أنه أصبح أكثر عداء للدولة (إسرائيل)، فى نفس الوقت أصبح أكثر عداءاً للعرب .

ووفقا لرؤية حراس المدينة أنه بينما تماثل التيار الرئيس مع الجانب السلبى من أيديولوجية حراس المدينة فإن التحفظات القوية ضد الصهيونية توضح الجانب الايجابى وهو التعاطف مع العرب الفلسطنيين، أو بطريقة أخرى فإنه خلال الخمسة عشر عاماً من التحالف السياسى مع اليمين فإن «الهاراديم» تقبلت بعض دعاوى النعرة الوطنية التى وجدت لدى الجانب المنشدد من الصهيونية، فى نفس الوقت الذى أستمرت فيه فى تشديد أعتراضها الأصولى للصهيونية .

ويبدو هذا تناقضاً كاملا ولكنه يتضح بشدة فى الواقع العملى فعلى سبيل المثال، عندما انطلقت تلك الموجه الكريهة من المعاداة للعرب فى مدينة القدس فى أغسطس ١٩٩٠، فى أعقاب قتل اثنين من «الأرهابين» الفلسطنيين لصبيين يهوديين، وكان السائقون العرب فى القدس يتم ايقافهم، وسحبهم من السيارات، وضربهم وتحطيم سياراتهم، وقد مات أحد هؤلاء الضحايا، وهو أب لسته أطفال، من أثر الضرب وكان معظم مثيرى الشغب من طلاب «الياشيفاه» الذين كانوا فى أجازتهم الصيفية. وقد جابوا الشوارع ووحطموا السيارات الخاصه بالفلسطنيين مرددين «الموت للعرب» وفى

الحقيقة فإن ساسة «الهاراديم» لديهم خط خاص فى معاداة فكرة العروبة لحد ذاتها. ومرجع ذلك ربما أمر اصيل ومماثل لنزعة معاداة الأجانب فى ظل رؤية الهاراديم للعالم.

ففى الفترة التى سبقت تاسيس دولة إسرائيل- فيما كانت الأيديولوجية الهارادية معادية تماماً لفكرة انشاء دولة خاصة باليهود- فإن مئات من «الهاراديم» قد انضموا أو ساعدوا حركة «اريجون» الوطنية المتطرفة التى كان يتزعمها مناحيم بيجين .

واليوم فإن أعضاء «الهارديم» داخل الكنيست- فى احزاب أقصى اليمين- يقفون تماما ضد العرب، وعندما طرحت مسألة وضع عقوبة الأعدام كجزاء ضد الأرهابين الفلسطينين؛ فإن «الهاراديم» داخل البرلمان كانوا فى مقدمة المعسكر المؤيد لتطبيق عقوبة الاعدام .

ومؤخرا فإن انشاء مستعمرة «حيما نول» «للهاراديم» فى منطقة السامره- قطاع غزة الذى تحتله إسرائيل- عاملا مقويا لعلاقة الهاراديم بحركة «جوش امونيم» الوطنية المتطرفة والأصولية وقد نوه المراقبون لما أطلقوا عليه حركة «هارادنيزيشن» أو الطابع الهارادى لحركة الاستيطان اليهودى فى نمط الحياة اليومى، وفى نماذج الممارسة الدينية، فالمستوطنون الجدد يبدون وبسرعة شديدة مثل الهاراديم فى المظهر فالرجال تجدهم باللحى الطويلة، والنسوة بشعرهن المغطى، والملابس الواسعة الفضفاضة، والرجال على كل لايلبسو مثل «الهاراديم» تماماً منهم من يرتدون الزى شبة العسكرى، والجينز، ولكنهم يشبهون «الهاراديم» فى ارتداء الكيبسوت. ولكنه ليس اسود اللون مثلهم بل ياخذ الوان عدة ومنسوج من القطن .

أما فيما يتعلق بالاتجاهات السياسية؛ فإن التأثير واضح فى الاتجاه الاخر وهم الهاراديم هذه المرة، حيث تسربت شروح وتفسيرات التوارة لجماعة «جوش امونيم» أى لاهوتيات الهاراديم. وتلك التفاسير تساوى بين الفلسطينين الآن وبين «الأماليكات» والأشخاص السبعة الذين عاشوا أيام النبى موسى، كل تلك التفسيرات تسربت إلى لاهوتيات «الهاراديم» .

وكتب الإسرائيليات المأخوذة عن التوراة ترى أنه يجب قتل «الأماليكات» والرجال السبعة، مع أن شروحاً أخرى للتوراة ترى أنهم يمكن الأبقاء عليهم احياءاً إذا قبلوا العيش كعبيد .

وهذا التسرب إلى «اللاهوت الهارادى» يمثل أكبر تناقض فى الأمر لأن الأيديولوچية الهارادية ترفض اى ربط أو تشابه بين الإسرائيليين القدامى وبين إسرائيل الحالية، ويرفضون من الناحية العقائدية، إيمان الصهيونية الراسخ، فإن إسرائيل الحالية هى بداية الخلاص النهائى لليهود الذى تحدثت عنه التوراة .

ونفس هذا الجدل ملحوظ أكثر فى تجمعات الهارادى فى الخارج. فغالبية الهاراديين فى الشتات يميلون لأن يكونوا متشددين فى القضايا الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال فإن صحيفة «جوش برس»، والتى تحظى بقبول واسع فى منطقة بروكلين، جعلت الحاخام المتطرف مائير كاهانا كاتب عمود يومى لديها. ومقال الصحيفة الأفتتاحى يأخذ غالبا خطا وطننا وعسكرياً عندما يتم مناقشة خيارات السياسة الإسرائيلية. وهى أيضاً متشددة فى القضايا الدينية وتميل لمعتقدات الهارادى .

وقد تمكن يهود الشتات «الهارديم» من كل ذلك مع الأبقاء، نظريا على الأقل، على تحفظاتهم الدينية على المشروع أو الفكرة الصهيونية. والهاراديين الناطقين

بالإنجليزية لايشيرون لكلمه إسرائيل والتى تدل على الدولة اليهودية ويستخدمون كلمة «تيزيل إسرائيل» أو أرض إسرائيل، وهى المصطلح التوراتى المجرد من أى مضامين سياسية، وأنه لمن حسن الحظ لتصورات السلام- العربى الإسرائيلى فإن التيارين الرئيسيين للتشدد اليهودى وهما «الهاراديم» والوطنين المتشددين-رغم أن مياههم قد امتزجت- قد أنفصلاً قبل الوصول لمناقشة القضايا الأكثر حساسية وهى مكان المعبد فى القدس .

وأنه لمن حسن الحظ أيضاً أن العقيدة الهارادية التى تحرم أى تسهيلات أو انشطه قرب بقايا المعبد قد فُرضت وسادت على الأقل فى تلك المنطقة «المعبد» والتى قد تشكل المقارنة المتوقعة «يقصد الصدام العربى- اليهودى» والصهيونيون المتطرفون الذى يحملون بتديد المناطق الإسلامية فى منطقة المعبد وهى قبة الصخرة- والمسجد الأقصى- هؤلاء الصهانية المتطرفون أصبحوا على حاشية المعسكر الصهيونى. وأستمرت منطقة المعبد- كموقع إسلامى للعبادة يدار عن طريق السلطة الدينية الإسلامية وتتولى حمايتة الشرطة الإسرائلية .

ومع ذلك فإن الخطر لايزال قائماً ومحتملا ولايتطلب أكثر من قنبلتين محليتين الصنع يضعهما احد المتعصبين لكى يفجر لهيب الصراع الذى يمكن أن يؤدى إلى أعلان العالم الإسلامى الجهاد ضد اليهود. يتولى جهاز «الشين بيت» الافق الداخلى للمراقبة المستمرة للمخططين المحتملين لعملية كهذه. ويتتبع «الشع بيت» دائما العملاء السريين داخل الجماعات الهامشية الصغيرة. وخلال العقدين الماضيين هنالك ستة محاولات لمهاجمة المقدسات الإسلامية، قام بمعظمها أفراد متعصبون بطريقة فردية ولكن فى منتصف الثمانينات قامت محاولة على أيدى جماعة من المستوطنين

جيدة التنظيم فى الضفه الغربية على صلة قوية بحركة «جوش احونيم» وأعضاء هذه الجماعة أتهموا بمحاولة قتل وتشوية الفلسطنيين وحكم على بعضهم بالسجن مدى الحياة، ولكن تلك العقوبات خففت على يد الرئيس «حايم هيرتزوج» تحت ضغط من الأحزاب الدينية اليمينية وتم الافراج عن جميع المتهمين بعد سبع سنوات سجن .

وقد أنفجر الموقف بالفعل فى أكتوبر عام ١٩٩٠ وتحول إلى عنف عندما دعا أمام المسجد الأقصى المسلمين للدفاع عن المسجد من مظاهرة لأتباع المعبد، وعلى الفور قام القوميون الوطنيون «اليهود المتعصبين» بإلقاء الأحجار والصواريخ على الحائط الغربى؛ حيث يعقد عدد كبير من الهاراديين صلوات استنفار، وقد تسبب اطلاق الرصاص من جانب الشرطة الإسرائيلية فى مقتل سبعة عشر فلسطينيا وأدان مجلس الأمن الدولى بالإجماع إسرائيل، وطالبت الدول العربية والإسلامية حماية دولية للمسجد .

ثم أندلعت بعد ذلك موجه من أعمال العنف من جانب الشباب الفلسطنيين المتعصبين، الذين قاموا بطعن اليهود فى الأراض المحتلة، وتزايدت أعمال الأنتفاضة. ورغم الإبتعاد الظاهره لزعماء حركة «جوش امونيم» عن الجماعات اليهودية السرية ومعظم الجماعات المتطرفه؛ فإن العديد من العائلات اليهودية التى تنتمى «الجوش امونيم» تعرض فى منازلها تصوير ممنتج (سبق عمل معالجة للفيلم)، لمدينة القدس يظهر فيه موقع الهيكل مع قبه الصخرة بدون مسجد عمر «الأقصى» الذى يظهر بدلا منه المعبد اليهودى. ودخل دارسى الياشيفاه، والحاخامات فى مناقشات خطيرة مع «جوش امونيم» حول الافتراض الذى تقوم عليه الجماعات السرية المتعصبة وهو مبدأ «إعمال يد الله» أو تنفيذ إرادته بالقوة ويرى هؤلاء أنه إذا قرر اليهود أختبار الحماس الدينى

المخلص والحنين ليقوموا بتفجير المسجد «الكريه» فى مكان المعبد المقدس، وأثار ذلك المسلمون، وقاموا بهجوم قد يعرض وجود إسرائيل للخطر؛ فإن الرب لن يكون لديه خيار سوى التدخل لانقاذ شعبه ومدينته المقدسة .

وقال ايهودا اتيزون أحد قادة العمل السرى اليهودى بعد الأفراج عنه أنه إذا لم تقم الحكومة الحالية بتفجير المسجد؛ فإن حكومة أخرى ستفعلها فى المستقبل. وستكون هى حكومة مملكة إسرائيل. وكان ايهودا الذى افرج عنه بعد أن استنكر علانية نظريات مجموعات العمل السرى، قائلاً: أنها ليست مجموعة محبة للحكومة تلك التى قد تنسف المسجد، وقال فى اعتذاره: أننى آأمل انهم لن يقوموا بهذا العمل (تفجير المسجد»، ولكنه استطرد قائلاً لكن هذه المبانى «يقصد المسجد الأقصى» ستزال وهذا أمر أكيد، وأن إزالنها هى (جوهرة التاج) فى عملية الخلاص اليهودى النهائى.

وبينما ركز ايتزون وأتباعه أساساً على إزالة أماكن المقدسات الإسلامية؛ فإن مجموعة متحمسة أخرى- لاتؤمن بالعنف- قد كرست نفسها للتخطيط للمراحل التالية لعملية الخلاص اليهودى، وهذه المجموعة تضع تصوراً كاملاً لإعاده بناء المعبد، واستئناف تقديم القرابين، وإقامة الصلوات الكهنوتية على نفس النسق الذى كان موجوداً منذ ٢٠٠٠ سنه مضت .

وهناك دارسين للياشيفاه فى القدس القديمة تخصصوا فى دراسات «المعبد»، وطلاب أخرون يدرسون بدقة نصوص التلمود والتوراة ودلائل الحفريات الحديثة، ورسموا الزخرف الأزرق للبناء المتصور مستقبلا. كما درس هؤلاء الطلاب أيضاً مواصفات المذبح (المحراب) والأدعية المقدسة. ونسجوا أيضاً الحلل الزاهية التى ستظهر عند عودة المسيح والخلاص .

وكل تلك الفكرة حول التنفيذ الجبرى لأرادة الله مرفوضة تماماً بالنسبة لليهود «الهارديم». وأنه حتى لو تم ايجاد كيان سياسى ليهود ما قبل المسيحية، فإن وصيته- ما بعد ذلك- فى الواقع العملى تمثل تحدياً للنظام الموجود فى أطهر بقعة على الأرض، وسيكون ذلك تمرداً كبيراً على الملاذ الآلهى. وترى الهارادية أن النظام الموجود حاليا (إسرائيل) هو وجود عرضى وبالصدفة، وفى فكر الهاراديم لايوجد مجال لحوادث الصدفة، وبالتحديد تنسيق وترتيب المعبد فى قلب الصراع العربى الإسرائيلى ووسط انتباه العالم. ويقول بعض «الهاراديم» أن بقاء المعبد والمسجد الأقصى سليمين خلال حرب ١٩٦٧، ثم قرار وزير الدفاع موشى ديان بحماية وتأمين آداء الصلاة بالنسبة للمسلمين فى المسجد، يرون إن هذه دلائل على العناية الآلهية تشير لمحدودية دولة إسرائيل الحديثة غير المسيحية فى كشف القصة الكونية الكبرى. وهى أيضاً دليل على عدم الموافقه الألهية على الدولة الصهيونية القادمة .

وتقول أفكار الهاراديم أن الخلاص سيأتى من الله فى الوقت الذى يختاره هو وأن فرض أرادة قسراً وبالقوة يعتبر خطيئة كبرى والتلمود التقليدى القديم يذكر أن المعبد الثالث سيهبط من الجنة جاهزا ليعبر عن مصيره .

والهارديم مثلهم مثل الأصوليين الوطنيين يؤدون الصلاة ٦ مرات فى اليوم فى ثلاث قدا سات يومية، وبعد صلاة المائدة يدعون من أجل العودة السريعة للمعبد والقرابين، ويدرسون أيضاً جميع النواميس والقوانين المتعلقة بصلوات المعبد، ولكن ذلك من الناحية اللاهوتية وليس من الناحية العملية .

ويروى عن الحاخام مائير ميسرئيل كاهان رئيس حاخامات الأصوليين الأوروبيين أنه كان يواظب على اداء التمارين وصعود ونزول السلالم يوميا ليحافظ على نفسه من

الناحية العضوية ويكون ملائما ورشيقا لتوقع عودة المسيح المنقذ واعادة بناء المعبد، ويرى أنه يحتاج للقوة لأداء مختلف الطقوس المنتظرة. ولذا فهو استمر فى التدريب والانتظار، ولكنه لم يفعل شيئا من الناحية العملية من أجل تغيير الحقائق القائمة فى موقع المعبد .

ومما يزيد من تقوية السلبية اللأهوتية (الدينية) تمتد الهاراديم أن «الهالاشا» [القوانين] تمنع بالفعل الدخول لموقع المعبد، والموقع بعد مقدسا اصيلاً وعلى أى يهودى آلا يطأ بقدمه المعبد حتى يتم تطهيره من الشعائر النجسة، ولكنه لايمكن أن يطهر، وهنا تقدم القوانين مناعة وحماية لحالة الموقع حتى يتم إعادة بناء الهيكل، وعندها فقط يستطيع كل يهودى أن يتطهر ويسترد نقائه بالرش بالمياة المقدسة (الجوفية) ونثر رماد البقرة الحمراء التى ذُبحت وحرقت، وتم حفظ رفاتها لهذا الغرض (ارقام-١٩-١) .

ومن الناحية العملية فإن «الهارديم» لايطأون المعبد بينما يقوم اليهود الآخرون والمسيحيين بالدخول إليه كسائحيين، ولكنهم ممنوعين من آداء الصلاة بداخله بأمر الشرطة الإسرائيلية .

وقد قام الحاخام موردخاى الياهو رئيس «السفارديم» فى عام ١٩٨٩- ١٩٩٠ بعملية بحث عن كيفية العثور على البقرة الحمراء الخالصة عن طريق هندسة الجينات، وتم تصويره فوتوغرافيا وهو يقوم بالتجوال فى وحل مزرعة للماشية فى هضبة الجولان. وسجل عنه أيضاً أنه كان على صلة باحد المتخصصين السويديين فى زراعة نباتات الأستيلاد، وادعى هذا الحاخام أن عملية رش الرماد الخاص بالبقرة الحمراء يمكن أن تسبق عملية بناء المعبد، وهى لفكرة التى لاقت أعتراضا من جانب معظم

الحاخامات .

وبالمثل فإن رئيس حاخامات اليهود الأشكيناه» شلومو جورين، وهو أحد المتطرفين القوميين، قد وجد سندا دينيا قليلا فى فتوى اصدرها وتستند على شواهد جغرافيه؛ مفاداها أن أجزاء من موقع أو عرش المعبد الحالى ليست مقدسة وأنها ربما تكون قد تدنست من جانب بعض الأشخاص غير الأطهار، وقد اقتبس «جورين» بعض الدلائل الحفرية الحديثة لتأييد رسوماته وحساباته التى تظهر ان المعبد اليهودى القديم لم يكن مقاماً على كل تلك المساحة التى يوجد عليها اطلال المعبد الحالى ويذعم أن كنيسا قد بنى فى جزء من المعبد الذى يعتقد أنه من المستحيل أن يطأه أحد الا ويدنسه .

والحكومة الإسرائيلية حسمت فتاوى وتطلعات كلا الحاخامين بأن نصحت، على نحو قوى وحاسم، أن تظل خططهم فى المجال الأكاديمى النظرى، واستمر موقع المعبد الذى تحمية الدوجما الهارادية من جهة والشرطة الإسرائيلية من جهة أخرى كموقع إسلامى .

الجزء الرابع

الحياة والتعليم

الفصل الأول

ثورة التعليم

خاضت شركة طيران العال الإسرائيلية للطيران منذ عدة سنوات حرباً.. إنتهت بفشل ذريع فى مواجهة «الأصوليين» اليهود- الهارديم- ومطالبتهم بوقف حركة الطيران أيام السبت. وكانت الشركة تعانى من إرتبكات مالية هائلة. وحاول مديرو شركة العال الإحتجاج بأن مثل هذا الأمر سيكلف الشركة الكثير سواء كخسائر مادية أو فقدان لعملاء الشركة .

ولم يكن أمام شركة العال من خيار؛ بسبب القوة السياسية لحزب أجودات إسرائيل الهاريدى.

ولم يكن المتطرفون فى حاجة إلى اللجوء إلى وسائل قانونية، وإن هدد بعض كبار الحاخامات بفرض مقاطعة على شركة العال.

وانتهى الأمر بمديرو الشركة إلى أن خسارة العملاء من اليهود الأصوليين ستكون أكثر ضرراً للشركة، عن الخسارة الناجمة من العطلات الأسبوعية الإضطرارية.

وكان الحاخام أفراهام سافيرا، زعيم حزب «أجودات إسرائيل» فى الكنيست مسافراً نشطا على خطوط شركة العال بحكم أنه من رجال الصناعة الكبار، وقد أورد فى حديث له تأكيدات تلمودية عن أثر احترام أيام السبت.. وأنه لن ينتج عن ذلك أى ضرر إقتصادى، «لأن الرب يعوضكم بطرق أخرى» .

وكان رجال حركة «الهارديم» الأصولية قطاعاً طوافاً من الأصل.. محباً للسفر وإن لم توجد إحصائيات تبرهن على تلك الخاصية .

ويبدو أن «الأصوليين» الهاريديين قد أولوا عناية بشركة العال فيما بعد. ويبدو أيضاً أن الأصوليين قد فرضوا من جانبهم حظراً صامتاً وغير معلن على الشركة .

وبذلت العال من جانبها الجهد الكبير لتلبية مطالب وحاجات الأصوليين. الهاريديين ودربت الشركة أطقم العاملين على متن طائراتها.. بأن يغمضوا أعنيهم خشوعاً وورعاً عندما يجتمع المصلون ويبدأون فى ممارسة صلواتهم فى ممرات الطائرة، فى منتصف الرحلة، متخلصين من الأحزمة المثبتة فى مقاعدهم ،ويحاول المضيفون من جانبهم أن يتجنبوا التحرك أثناء الصلاة أمام أنظار المصلين حتى لايصرفوا أذهانهم عن الصلاة .

وفى صيف سنة ١٩٩٠ بدأت شركة العال فى تقديم صفحة يومية من التلمود، ضمن البرنامج الترفيهى على متن طائرات الشركة جنباً إلى جنب مع الموسيقى الكلاسيكية، والجاز، والأغانى الإسرائيلية الحديثة، والأفلام المسجلة على شرائط صوتية، وتقدم أيضاً للمسافر على متن طائرات العال درساً فى التلمود.. يستمع إليه الراكب عبر السماعة الشخصية لكل راكب .

ولم يعد تناول وجبات طعام الكوشير أو الصلاة فى ممرات الطائرات من سمات الراكب اليهودى الهاريدى فقط.. فهو ليس مجرد مصلٍ فقط بل هو طالب علم أيضاً.. وتلك الأشياء أصبحت موضع إعتراف من قبل الشركة المذكورة، التى أصبحت تتنافس وتتبارى فى تقديم الخدمة المطلوبه للراكب اليهودى المتطرف .

وقفزت شركة العال بذلك، إلى مستوى التشغيل الكامل، وكانت تقدم أرباحاً إلى الحكومة.. حتى جاءت حرب الخليج وما حدث من إنهيار طويل للآن فى الرحلات السياحية إلى المنطقة .

ولم نتج الشركة من هذا التحول المفاجئ الا بتنفيذ مافرضته البنوك (الدائنة) من برنامج للإصلاح القاسى وكان تفسير نجاح العال.. عند الحاخامات والهاريديين وصحفهم «أن ذلك نتيجة طاعة شركة العال لتعاليم الرب وشرعه، وأنها راعت قداسة اسم الرب، وأصبحت العال بذلك الشركة الوطينة الوحيدة فى العالم التى تطير سته أيام بدلاً من سبع فى الأسبوع، وتلك القصة تمثل برهاناً ملموساً على القدرة السياسية لحركة «الهاريدية الأصولية اليهودى» وقدرة الأصولية الإقتصادية أيضاً.. وكذلك سلطة الحاخامات المعنوية المهيمنة. وتبرهن أيضاً على الاعتقاد الراسخ حول ضرورة الحفاظ على «الكتاب المقدس» ولكن المغزى الأكثر أهمية، عن ذلك كله، هو أن شركة العال قد أزعنت، وأضحت تقدم درساً يومياً من التلمود، بسبب تزايد أعداد العملاء من صنف الهاريديين الأصوليين. وهذا بذاته إنجاز كبير للحركة منذ نشأتها فى العشرينيات.

أن عملية الدرس والتعلم هى احدى الفاعليات الداخلية للإحياء الدينى المتطرف. وأن الدرس والتعلم لايمارس فقط داخل قاعات التدريس فى مدارس التعليم التلمودى (الياشيفاه). بل أن التعليم يمارس فى البييت أيضاً. وأصبحت أعداد الذين يقبلون على التعليم الدينى من التجار ورجال الأعمال والمهنيون والباحثون وطلاب المدارس التلمودية فى تزايد مستمر . وأصبح أولئك يقضون جزءً هاماً من أوقاتهم وساعات الفراغ فى دراسة التلمود وكل التراث الدينى ذو الصلة بالدين اليهودى . إنها «دراسة من أجل الدراسة» ومن أجل المعرفه أيضاً .

وتشكل عملية المراجعة الدائمة للمادة الدراسية جزءاً عضوياً من الدراسة ذاتها. ولدراسة «النصوص» الدينية قدسية خاصة. ومحاولة فهم تلك النصوص ولو بقدر ضئيل من النجاح، إنما يمثل أيضاً سعياً مقدساً ومباركاً .

وبذلك تكون العلاقة بين المؤمن والنص الدينى، علاقة من طراز فريد وفى الأصولية اليهودية؛ الدراسة التزام دينى وواجب مشترك يقع على عاتق العلمانيين والحاخامات على حد سواء، ولامثيل لهذا الالتزام وذلك الواجب، حتى فى الديانيتن الكبيرتين الأخرتين (المسيحية والأسلام) فلا يطلب من القساوسة أو الفقهاء مثل هذا الأمر على ذلك النحو المتشدد .

ولكن عند «الأصولية اليهودية» هو شعيرة رئيسية من شعائر التعبد.. بل أن هناك قانوناً ينظم الحياة الكهنوتية فى المسيحية. وكل أسقفية كاتوليكية لها قس واحد على الأقل يتحمل مسئوليتها. والقس يدرس لكى يزيد معارفه ويطور من مهاراته وقدراته ويحافظ عليها. ثم يقدم معارفه ويعرضها على رعيته .

أما اليهود، فإنهم يدرسون لغير الأغراض العملية.. ولكن يهدف الالتزام الدينى وتشكل الدراسة الدينية حياة اليهودى وتؤثر فى شخصيته.. وتسحب المرء روحياً وفكريا إلى عالم عقلى وذهنى مستقل ذاتياً.

أن التراث والشريعة التلمودية يغذيان الأنفصال المجتمعى.. ويفرز ذلك التراث أنساقاً خاصة من الفكر واللغة.. ويخلق نظماً من المفاهيم المشتركة والمعرفة الخاصة باليهود على نحو فريد للغاية .

ويذدرى [الهاريديون]، اليهود من غير الأصوليين الذين يمارسون دراسة التلمود وكذلك، يحتقرون الباحثين الأكاديميين الذين يقدمون على هذا الفعل.

ويعتبر (الهاريديون) أن ذلك جارحاً لعقيدتهم، وأزدهرت فى السنوات الأخيرة، الدراسات اليهودية والتلمودية فى الجامعات على نطاق العالم ويعترف الأكاديميون من جانبهم بازدهار سوق التعليم الوثيق الصلة بالتراث «الهاريدى» ونشر الأعمال

التلمودية.. وكل ما يتعلق بها ويقع بالكامل فى أيدى الهاريديين، والباحثين الهاريديين يقومون بتغير ونشر المخطوطات فى كتب جديدة على شكل كتب محققة. وكلها عملية تتم بأيدى دور النشر «التابعة للهاريديين» ويقدم جمهور المتطرف على شرائها ولكن تظل الفجوة واسعة بين الفهم الأكاديمى النقدى.. والتناول المقدس للنصوص الذى يقوم به «الهاريديون».

ويقول «الهارديم» أن «ثورة» التعليم تشمل كل عنصر فى المجتمع.. أمرأة كانت أو رجلاً، رغم النمو البطئ للتعليم الدينى «الهاريدى» وسط النساء... وزاد عدد الأقسام (المختصه بتلك الدراسات) وتوسع القائم منها فعلاً لجذب المزيد من الطلاب.

ومن المثير للدهشة. أن الأكاديمين والباحثين ليعتقدون أن هذا التطور سيلقى استجابة لاتتسم بالعداء من الهاريديين.. وقليل من الغضب والحقد، لأن التوارة تلقى قبولاً وإهتماماً خارجياً .

ويبدو أن «الهاريديين» أقل خوفاً من الماضى، من أن تقوم المؤسسات الأكاديمية بتشجيع الباحثين الشبان اللامعين للدراسة وتدفعهم إلى العمل العلمى والتعدى للمصادر الرئيسية «الكتب التوراتية» وأن ينال ذلك من تطرفهم وايمانهم .

الفصل الثانى

العقلية التلمودية

إن تعلم التوارة وحفظ الوصايا هو ضرورة للحياة اليهودية، ويتمشى مع النظرة الهاريدية فى التدين وموقفها من الحياة .

أن المرء لايتعلم بالأساس لكى يفهم ويعرف، وأنما يتعلم بغية الأمتثال لأعظم الوصايا. والتى تستحق «طبقا لوصايا التوارة» الإنتظام فى الصلاة مع كل صباح جديد وهذا الامر «هام» للتعرف على العقليه «الهاريدية» فالمرء «الهاريدى» لايتعلم بهدف استيعاب وتحصيل المعرفة وأنما تنفيذا للوصايا. «المتسفوت» وهذا فقط مايدفعه إلى الاندماج فى عملية التعليم. وهناك ثمة إفتراض نظرى، مفاده «أن الشخص إذا عرف وعلم فإنه لن يكون بحاجه إلى التعليم» ولا المتابعة والمراجعة الدائمة، ولأن التلمود يقول عن نفسه «لامعرفة نهائية به» ففى كل مرة يتعلم المرء جزءاً منه فإن هناك آفاقاً ومعان جديدة تتكشف للدارس؛ وتختلف الدراسة مائه مرة تماما عن المرة الواحدة بعد المائة، وحين يقدم الحبر على ذلك. مرات ومرات فإنهم يكتشفون جديداً فى كل مرة.

إن التلمود يمتدح تكريس الجهد والمثابرة والاجتهاد فى التعليم ولايمتدح الذاكرة الحافظة الواعية. والتى يعتبرها مجرد «صدفه بيولوجية» ويمتلئ التراث اليهودى بالقصص والحكايات عن مشاهير الحبر الذين حازوا شهرة ومنزلة سامية رفيعة عبر سنوات من الجهد العنيف والمكثف .

أن التوارة تكون «لمن يقتل نفسه، مجتهداً ومنقطعاً عليه». وتذكر تلك النصائح والوصايا لحث اليهود وتشجيعهم للإقبال على دراسته، ليس فقط الأغبياء منهم ثقيلو الفهم، بل الإناس العاديون ذوى الذكاء العادى.. لكى يندرجوا فى مشروع تعليمى

طويل للتوارة .

ويبدو الأمر فى تلك القضية لمن هو من خارج السياق «المتشدد» أمراً غامضاً ومبهماً. وشيئاً معقداً وخفياً عليه. وعديم الفائدة العملية. أما بالنسبة «للمتشددين» فإن تلك الاعتبارات هامة وضرورية ولاغنى عنها فى التعليم، هو خير للروح وهدف رئيسى للحياة فى هذا العالم. ويضمن الفوز الخالد والأبدى فى عالم الآخرة .

ويفيد، البعد الدينى فى التعليم، الاجتهاد المتواصل فى تسهيل وتيسير العذاب والكرب والغموض الذى يحيط بالنصوص وتعقيداتها، وكذلك فى التغلب على الإختلافات التى لاحد لها فى ميدان الإفتاء، واتساع وغموض النصوص والمادة المدروسة .

ولايوجد «هاريدى» يعترف بأن أى جزء من التوارة، أو جملة القوانين والشرائع اليهودية أو الحكمة التوارثيه، بالمعنى الواسع، يمكن الإحاطه بها «واليهودى الهاريدى يمتنع عن مثل تلك الأفكار أو الاتجاهات ويمنعه التشدد والتطرف «أو بمعنى آخر الخشوع والتقوى المفرطة من الاعتراف بأن هناك تناقضاً أو صعوبة فى التوارة «لأن كل شئ وارد فى التوارة هو تعبير عما يريده الرب فى عالمه . وتظل الرغبة فى بلوغ الورع والتقوى هى الهدف الذى يسعى إليه كل «هاريدى».

ويقول «الحبر» دور خاى بيتشر، المدرس بالمدارس التلمودية، وأحد القادمين من أستراليا ويعيش الأن فى إسرائيل .

«إنك لاتفكر فى الجانب الدينى، عندما تكون عاكفاً ومنتطاً بالكامل للموضوع»

فإن المرء يتقرب إلى الرب من خلال التعليم، لأن التوارة هى رسالة «الرب الخالده إلى اليهود فى العالم.

«أن [الرب] أطل علينا بتوارته «عندما خلق العالم»، تلك واحدة من الصورة التلمودية «التى تكشف عن المغزى الكوفى والعالمى للتوارة» كمظهر من مظاهر الخالق» إن الرب والتوارة وإسرائيل لشئ واحد .

وطبقا لنص تلمودى آخر «أن لليهود دور فكرى فى النظام الكوفى كحراس وحماه للتوارة»، «أن التواره» سماوية «أو من السماء» يلقى العبارة التلمودية. ودراسة التوارة « هى الطريق الذى يقرب المرء إلى السماء .

ويقول الرباه بنيتشر، وهو أحد المحظوظين الذين يتمتعون بأصالة وتعطش جارف للتلمود،: «حتى يمكن بلوغ التقوى، مرة على الأقل يومياً فإنه لابد من التركيز على الكلمات التى تتلى قبل البدء فى الدراسة» والغرض كما يفسر بيتشر ذلك «هو تذكير الطالب أنه على وشك مباشرة وصية «توراثية» وليس مجرد الأقبال على رياضة ذهنية ممتعة وحسب «مبارك أنت» إختارنا الرب من بين الأمم ومنحتا التواره». «مبارك أنت، التى تعلِم التواره لشعب إسرائيل».

ويرى بيتشر «أن ذلك مفيد» مثل تلك التراتيل قبل البدء فى الدراسة بلحظات قصيرة .

إن الطلاب الذين يحبون دراستهم، بحاجة للإحساس بشعور بالبراءة وبكلمات ابرهام بورتشاين سوتشاتشيف «أشهر علامة تلمودى فى هذا القرن»

«أن جوهر وصية تعلم التوارة هو الاستمتاع والابتهاج والفرح، وبذا تصبح كلمات التوارة مستوعبة فى كل قطرة دم لدارس التوارة» ويواصل العلامة ابراهام غير

مخطتين أولئك الذين يعتقدون أنهم يدرسون ويحصلون على أفكار جديدة وإشراقات، ويشعرون بالفرح والطرب لما يدرسونه أن ذلك إلى حد ما ليس تعليما، وتنفيذا لوصية التعليم من أجل التعليم».

أن دراسة التوارة لاتعتمد فقط على الأسفار الخمسة من العهد القديم «وانما تشمل كل التراث المقدس (القانون- أو الشرع المكتوب- التوارة- الأسفار الخمسة، والعهد القديم، والنبوءات والقسم الثالث من التوارة فى العهد القديم). وكذلك دراسة الشرع (الشفاهى)الهالاخاه» ويشير مصطلح «التعليم والدراسة» عند الهارديم إلى دراسة التلمود وكل التراث المرادف والمصاحب له. ومن الناحية الفعلية لايوجد شرع شفهى. فكل شئ فى التراث الدينى اليهودى مدون.

ولكن مدلول الكلمة «شفهى» يشير إلى تطور التلمود، وأوجد الأصل الشفاهى للتوارة بعضاً من التناقض الظاهرى فى أسس الإيمان الأصولى لكن هناك حقيقة أخرى أن التوارة «سماوى وخالد وأزلى».

ودراسة التوارة المتواصلة «تأتى بإشراقات واستبصارات وتفسيرات جديدة» بل وأحيانا بتشريعات جديدة أو تمحيصاً لشرائع وقوانين قائمة وموجودة .

ويطلق على الحكم التلمودية المنشورة على شكل تعاليم أو تعليقات أو شروح اسم «تجديدات» وتفترض الحكمه التلمودية أن كل تجديد أو تفسير أنما قد هدى الرب به موسى .

وترى التوارة أن موسى جاءته الرسالة السماوية فى جبل سيناء «ونقلت عبر الف وأربعمائة عام (١٤٠٠ عام) من التاريخ إلى أكاديمية كيفا (AKIJA) وهو من المعاهد الدينية المشهورة فى القرن الثانى قبل الميلاد .

وفى التاريخ اليهودى الأصولى «الوصايا العشر» وهى التى كلم الرب بها الإسرائيليين فى سيناء. وكذلك الأسفار الخمسة أنزلها الرب على موسى وهى بذلك «كلمة الرب» بلاشك .

أما بقية الكتب المقدسة هى أقل درجة من حيث السماوية، أوحى بها الرب مباشرة ولم تكن املاءً حرفياً «وقد حل الوحى بها على الأنبياء والملوك والنساك .

وأنه لمن الهرطقة، الإعتقاد أن أيا من الأسفار الخمسة قد دونت بعد عصر موسى. أو بيمين أى شخص آخر غير موسى. ولمن الهرطقة أيضاً، الاعتقاد أن أبا من الأسفار الخمسة جاءت إلى موسى دون تفسير شفاهى مصاحب لها. وبذا تكون نظرية «التطور» مرفوضة عقائديا. وهكذا، إذا أوردنا مثالاً شهيراً من الأسفار الخمسة وهو فى الأعتقاد االأصوليين كتبت حوالى سنه ١٢٥٠ قبل الميلاد جاء فيها «العين بالعين» وتفسيرها فى التلمود المكتوب ما بين سنوات [٥٥٠- ٢٠٠ قبل الميلاد] تعنى التعويض المادى (النقدى). وليس فقء عين مرتكب الجريمة. وهذا المعنى أرسله الرب إلى موسى شفاهة. مصاحباً للنص المكتوب .

وقد أعطاه موسى بدوره إلى حلفائه. وبنص التلمود «فإن موسى قد تسلم التوراة فى سيناء. وأعطاها لهوشع ومن هوشع إلى كبار الكهتة، ومن كبار الكهنة إلى الأنبياء ومنهم إلى رجال المجتمع العظيم، وهكذا حتى وصلت إلى حاخامات المشنا وفى تلك المرحلة. وبما يزيد عن قرن بعد هدم المعبد الثانى فى أورشليم سنه ٧٠ قبل الميلاد. أتخذ القرار بشأن تدوين التراث الشفاهى، وحينئذ وحسب التراث التلمودى كان محظوراً تماما تدوين مانقل شفاهية، ذلك التحريم الذى أراده الرب لتشجيع التعليم المتواصل للتوراة .

ولكن حاخامات «المشناه» شعروا بالخسارة العظيمة التى تحيق بالأمة ومركزها الروحى وإنتشار الشكوك والمجادلات حول التراث المتنوع .

ووجدوا أهمية وجود نص رسمى للتراث الشفاهى مدوناً وكانت «المشناه»، وكانت ذات أسلوب تلغرافى مختصر بما يعكس مخاوف المؤلفين وتناقضهم إزاء مايقدمون عليه من تدوين للمعرفة .

وظلت المشناه «لاجيال متعاقبة تستخدم باعتبارها مرجعاً» مدوناً فى الأكاديميات الدينية سواء فى بابل أو فى فلسطين على حد سواء. واعتمد الطلاب على المشناه فى المدارس الدينية فى دراستهم ونشأ حول المشناه مادة ضخمة من التفسيرات والمجادلات اسميت «الجمارا» والجمارا تعنى التعليم باللغة الارامية*. وقد حررت الجمارا ونشرت فى التلمود الأورشليمى فى القرن الرابع، ثم فى التلمود البابلى الأعظم .

والتلمود مكتوب بالعبرانية.. وبصوّر التلمود القضايا الشرعية كما إنشغل بها المشرعون، وبنفس الجدال والنزاع العنيف الذى دار بين المشرعين ومعاصريهم وبنفس حجم المعرفة الذى كان تحت أيدى «الأحبار» ومتاحاً لهم .

والملك داوود على سبيل المثال «لم يكن مرتكبا لجريمة الزنا مع باتشيبا» رغم وجود نص فى الاصحاح الثانى (صمويل) الاسفار ١١-١٢. فهى لم تكن من الناحية الشرعية متزوجة من يوريا عندما اغتصبها الملك، لأن كل الجنود المنخرطين فى حروب داوود، كان يطلب منهم رسميا تطليق زوجاتهم قبل التوجه إلى ميدان القتال. وذلك تجنباً لتعقيدات شرعية إذ لم يعودوا إلى زوجاتهم .

* الأرامية: لغه سامية كانت شائعه الاستعمال على نطاق واسع فى العالم القديم.

ويوريا نفسه كان يستحق الموت لإنه من الناحية الشرعية قد ارتكب جريمة التمرد على الملك .

والخطأ الوحيد فى مسلك داود أنه قتل يوريا على يد الهارديم، بدلاً من أن يلقى حتفه فى ميدان القتال .

ولا تعدم «الجمارا» الوسيلة فى بعض الاشارات اللغوية داخل النصوص لتبرئ وتفسير أفعالاً تستحق الادانة واللوم من جانب أحد الأبطال الرئيسيين فى التوارة. وأنها إحدى الأساليب التقليدية فى التراث التوارتى لتبرئة من يستحق اللوم .

وكما ترى الجمارا «أن أى شخص يعقيد أن داوود آثم فهو مخطئ. ويقول الأصحاح الأول (صمويل) الثانى أسفار ١٤، ١٨ «وتصرف داوود بحكمة فى كل الأحوال وكان الرب معه».

اليس من الصعب أن يقدم على إرتكاب الأثم والمعصية من يكون الرب معه؟ ولم يكن داوود مجرد ملك محارب أو شاعر ملحمى، بل «ربانى» حقيقى وتلمودى ومشرع لايشق له غيار .

وأحيانا «يعزيز التراث التلمودى المعرفة التشريعيه بذكر إبراهيم واسحق ويعقوب، رغم أنهم عاشوا وماتوا قبل أن «يعطى» الرب «التوارة» إلى الإسرائيلين من خلال «موسى» ويعتبر التلمود الأجداد الثلاثه «مشبعين بالسنين التوارثية بسبب قداستهم وصلتهم الوثيقة بالرب. وهذا الفهم يؤكد ويقرر مفهوم «أن التوارة فوق التاريخ وذات صلاحية أبدية» .

ويبدو هذا المنظور غريبا للعقل النقدى المعاصر . وفى نظر الفارئ المعاصر يبدو أنه من العبث استخدام الصور «الكتابية»، والمعرفة التلمودية لإنكار عنصر رئيس، وهو تطور

القانون والثيولوجيا اليهودية ذاتها .

والتاريخ. كما يقول الهارديم على نحو سفسطائى ولد من نصوص الكتاب المقدس ذاتها، حين يصف الكتاب ثقافة بدائية قبلية، متطور تدريجياً إلى اعراف وتقاليد شرعية واجتماعية ولاهوتية عبر قرون من الزمان .

وذلك لاينكر الأثر والدلالة التجديدية الجذريه لرسالة العبرانية الاصيلة فى التوحيد والعدالة، ولكن يجب أن يسمح ذلك إتمام التطور والتقدم المتوصل سواء على مستوى النسق اللاهوتى أو على مستوى النظام التشريعى .

الفصل الثالث

قاعات الدراسة

أن أول مايحيق بالقـادم من الخارج، داخلاً لقاعة دراسة فى مدرسة للتعليم التلمودى، هى تلك الضوضاء، والأصوات النشاز، التى تصيب بالصم.

ويشاهد القادم إلى قاعة الدراسة. حركة دائمة وطلاباً يحركون أيديهم أويعبثون بأصابعهم فى الهواء. و صياحاً عنيفاً. وبعض الطلاب وقوف، والآخرين جلوس، ومن الطلاب من يتمايل جيئة وذهاباً على نحو رتيب، وهناك من يخرجون من قاعات الدرس يتجهون إلى الشرفات والممرات الخارجية للقاعات.

ويمارس الطلاب مثل هذه الحركات أزواجاً، وسيشاهد الزائر أزواج الطلاب يتفرسون ويمعنون النظر فى أحدى النصوص القصيرة، ثم سرعان ما يندفع الطلاب إلى نقاش حام ومطول ... وأحيانا يتجه الطلاب إلى أحد أركان قاعة الدراسة لاحضار مزيد من الكتب. ويمعنون النظر فيها ويتجادلون أكثر وأكثر. وأحيانا آخرى يتوجه الطلاب إلى (الربان) وهو غالباً ما يكون جالساً فى أحد أركان قاعة الدرس أو فى صدرها. وبعد أن يستشير الطلاب أستاذهم، يعودون إلى مقاعدهم.

وحينما تحل فترة ما بعد الظهر، فإن هناك ثمة تغييرا، حيث تزداد القراءة والإطلاع، ويقل الجدل. وينغمس الطلاب فى التراتيل. ويستنتج الزائر من ذلك أن هدف وغرض لقاء ما بعد الظهر، مزيد من الإطلاع وإن كان بعمق أقل بينما لقاءت الصباح، أكثر جدالاً وصخباً وعمقاً.

وفى الليل. تقل حالة الالتزام الصباحى، وإن ظل بعض الطلاب على نفس حالة الهياج الصباحية والبعض الأخر يفضل الدراسة منفصلاً بمفرده.

وأحيانا ما يصاحب «الدرس الليلى» بعض الحركات الإيمائية وبعض التراتيل. كما لو كان ذلك غناءً بصوت عال.

وإن كان لا يسبب هذا الأمر أى أزعاج للآخرين. وتنتهى فترة الدراسة المسائية الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشر مساءاً من الناحية الرسمية. ولكن بعض الطلاب يفضلون المكوث لساعات قليلة أخرى ليلاً. وهناك من يبدأون دراستهم قبل الفجر. وبعض الطلاب يعتبر أن (صوت الثوارة) لا يهجع أبداً فى قاعات الدرس. ولذا لا تهدأ حركه الدرس طوال ٢٤ ساعة يومياً.

وسيلاحظ الزائر أن الطلاب يتمايلون بكل أجسادهم وهم يرددون «أى، آى» من خلال مطالعة بعض الكتب الصغيرة وهى ليست «نصوصاً تلمودية» وأنما «أعمال أخلاقية تنتمى إلى العصور القديمة وهى من الكتب التى تحث على كيفية بلوغ التفوق الروحى والاخلاقى، وعدم إضاعة الوقت الثمين فى تفاهات هذا العالم.. ولعل الزائر الذى اعتاد أن يعيش فى مناخ أكاديمى عصرى.. فإنه يتسائل كيف يمكن انجاز الدراسة الجادة فى ذلك المناخ وفى ظل مثل تلك الشروط الحياتية والتعليمية؟ وأى مسافة كبيرة تلك التى تفصل بين الحياة فى الجامعة أو المعاهد العليا. والمدارس الدينية، فى الجامعات العصرية يسود السكون وضبط النفس وفق قيم يلتزم بها الطلاب، ويفرضها أعضاء هيئات التدريس..

أما إذا سأل طالب (بالمدارس الدينية) سؤالاً فإنه سيحال على الفور إلى المشناه... للبحث عن إجابة.. ويحمل تاريخ التعاليم الدينية اليهودية ٤٨ وسيلة وطريقة يمكن من خلالها دراسة وتعلم التوراة.. ومنها:

الدراسة، الاستماع بالأذن، الترتيل بالشفاه، مباشرة التعليم مع الزملاء من الطلاب، الجدل المكثف بين الطلاب.. والدراسة أزواجاً أزواجاً ويسمى فى التعاليم

(صداقة)... وتلك هى نفس الطرق القديمة والتقليدية التى أعتمدتها المدارس الدينية لتعليم التلمود. وهى ذات الطريقة التى أعتمدتها المدارس الدينية فى روسيا وبولندا فى القرن التاسع عشر.. وتلك المدارس، تعد بمثابة المدارس الرائدة للتعليم الدينى (المعاصر).ولا يبدو أن هناك ثمة تغييراً أو تعديلاً ملموساً فى هذا الأسلوب، ونحن بنهاية القرن العشرين.

ويؤكد معظم الطلاب أن تلك الضوضاء وذلك الصخب لا يشكل أى صرف للأذهان بأى حال، وأنما هو من الوسائل المساعدة فى التعليم دون أن يكون ذلك نمطاً تعليمياً غريباً.

تلك الحقائق التى تربى عليها المتطرفون (الهاراديم) من خلال نظام قاسى فى المدارس الدينية الأولية، قبل الالتحاق بها فى السنوات الأخيرة من طفولتهم..

والنمط التقليدى التلقينى، هو ذات النمط المطبق فى أوروبا الشرقية، على نفس طريقة (الجيتو) – أى تجمعات اليهود المغلقة فى الشرق الأوسط من اليهود السفارديم– والذين يرتلون خلف (الرّبان) المدرس العبارة التى يتلوها بالعبرية.. ومن خلفه الأطفال يرددون ما يقول. وأحيانا ما يقوم المدرس بترتيل قطعة من التلمود مع ترجمة باللغة اليادشيه، ويكرر الطلاب من خلفه ويتلون بعد ذلك المشنا. وما أن يبلغ الطلاب الصغار سن السادسة أو السابعة، حتى يتحول المدرس إلى (الجمارا).

والأسلوب الترتيلى.. بعيد كل البعد.. عن توصيل تلك المقطوعات إلى عقول الصغار. ولا يفهم لا النصوص بالعبرية، ولا ترجمتها اليادشية. أو يصلوا لأى معنى من معانيها عندما يرددونها دون أدنى خطأ.

وكانت صورة التلميذ الصغير بعيون الطفوله الدافئه مع صورة «الربان» بثيابه الخشنة، مادة للكتاب والشعراء والموسيقيين من اليهود فى بدايات هذا القرن.

وكان الأفتراض الذى أكدت عليه تلك الأعمال الأدبية والموسقية «أن ذلك العالم قد مات؟؟ بعد مذابح «الهولوكوست» التى تعرض لها اليهود.

أما اليوم، فينشأ الطلاب الصغار فى عالم أكثر أنتعاشاً، وأكثر سعادة.. وأفضل طعاماً. عما عاشه «أقرانهم» فى فترة ما قبل الحرب.. أو تلك الظروف التى عاشها الأسلاف فى الأحياء العشوائية.

فصول الدراسة أكثر دفئاً وأفضل زينة وبهجة.. لكن ظل منهج التعليم لم يتغير جوهريا وتوجد الآن. محاولات لاحياء اللغة اليادشية كلغة للتعليم والخطاب العام فى مجتمعات الهارديم.

وخاصة فى مدارس التعليم الدينى، وما يناظرها من مؤسسات تعليم الفتيات.. وتمثل عملية إحياء اللغة اليادشية أحد عناصر العودة إلى الجذور على نحو حاسم.

ففى كثير من «الأسر» فى بنى براك وباروخ بارك أو أنتيرب.. فإن الجيل الحالى «البالغ ثلاثين أو أربعين عاما.. يتحدث لغة يادشية ركيكة.

سيما لغة الاطفال.. تتميز بالطلاقة والطبيعية. وفى المقابل.. فإن الأطفال من أصول إنجليزية أو فرنسية، أصبحت لغتهم الأصلية أقل طلاقه من لغة أبائهم.

وفى المدارس الدينية الأولية يذهب الصغار، تعليمهم العلمانى ضئيلاً أو معدوماً بالكامل، وهناك يبدأ الطفل فى الإنخراط فى التعليم.. مع أقرانه فى قاعة الدرس.

وتساعد الساعات الطوال التى ينفقها الطفل فى الفصل الدراسى مع المدرسين. فى تشجيعه على المشاركة مع الأخرين.. فى الدراسة وتطوير مهاراته فى التعامل مع

«النص» والمبادرة الأكاديمية.

وفى معظم المدارس الدينية العليا، يمتنع الطلاب أو يمنعون من حضور الدروس بأنتظام، عندما يتقدمون إلى صفوف دراسية أعلى. (وأن كان ذلك الأسلوب فى أمريكا أقل من إسرائيل).

وفى السنوات الدراسية العليا.. فى كثير من المدارس لا توجد متطلبات على الأطلاق.. ويقضى معظم الطلاب الوقت فى قاعات الدرس.. والدرس الوحيد الذى يهرع إليه الطلاب مرة أو أثنين فى الأسبوع هو درس يلقيه العميد على مجمل الطلاب بالمدرسة.

وأفضل الطلاب.. فى كثير من المدارس الدينية يعدون مادتهم الدراسية، وبعد أحراز تقدم فيها.. يبارزون العميد ويجادلونه فى أطروحاته، ويسعد العميد كثيراً للمبارزة مع طلابه اللامعين وإذا أنجز الطالب ٩ مرات (من المبارزة مع العميد) من مجمل عشر مرات فإنه يشطب من «دنيا الطلاب.. وينتقل إلى الامساك بزمام.. التدريس»

أن الجلبة التى لا تهدأ للنشاط الفكرى والتعليمى فى قاعات الدرس، هى جزء عضوى من المنهج التعليمى القديم، وهو بذاته تعبير عن القانون الشفاهى.. الخاص بالتراث التعليمى والذى يشرط أن ينخرط الطالب فيه منذ طفولته المبكرة.

ولم يكن ذلك «النهج» مجرد إنتصار على الحداثة، أو مجرد أزدهار للدراسة التوراتية وفى المنهج السائد والمطبق اليوم فى التعليم ولكن الانتصار الحق، فى ذلك الأنتشار الواسع خارج إطار «الهارديم» التقليدية، ففى السنوات الأخيرة إزدهر هذا النمط التعليمى فى مجتمعات الأرثوذكس سواء على شكل مدارس عليا أو معاهد..

* الربان المعلم فى المدارس الدينية اليهودية

وعلى نطاق العالم اليهودى كله..

وما يستحق الملاحظة، إزدهار التعليم «بالمشاركة» بين طلاب المدارس الدينية التقليدية الذين ينخرطون فى دراسات علمانية. بالتزامن مع الدراسة الدينية.

ولذا، فإن الطالب البالغ ثمانية عشر عاما فى مدرسة «فلتيف مائير» العليا للتعليم الدينى فى القدس، أو أى مدرسة أخرى تشابهه من العشرين مؤسسة المنتشرة حول إسرائيل، يقضى حياته الصباحية مجادلاً مع نظيره فى دراسة التلمود، فى جو الضوضاء والتنافر فى قاعة الدرس. ويقضى ما بعد الظهر فى نظام آخر مختلف تماماً داخل المعمل أو قاعة كومبيوتر أو فصل دراسى له تقاليد أكاديمية عريقة.

حينما يكرس الطالب جهده فى التراتيل مع زملائه، فى ضاحية تيمور، أو الميرلاند.. داخل مدرسة «نير إسرائيل».. الدينية العليا الفخمة».

ثم .. ينتقل إلى قضاء وقته فى العمل (مراجعة الدروس) فى جو أكثر منهجية وفى مقاعد دراسية مختلفة فى جامعة «جونز هوبكنز».

ورغم نمطية أسلوب الدراسة عن طريق المشاركة والذى يعم عالم المدارس الدينية ..إلا أن هذا العالم ليس موحداً، بعد أن أصبحت المدارس التقليدية الهاردية أكثر قوة وعدداً، وزاد شعور الإذدراء تجاه محاولات التوفيق مع الثقافة العلمانية أو مجرد محاولة مشاركتها لوقت الطالب الذى يدرس التوراة.

وقد أصبح هذا الإستقطاب واضحا الآن فى إسرائيل وهو نفس الإتجاه السائد بين يهود الديسابورا.

الفصل الرابع

الحياة فى الحرم الدراسى

يعد ماشجياش من أفضل علماء التلمود ولم يكن مع ذلك أول المهتمين بحياة الياشيڤاه. وكانت مسئولية الإعداد الروحى للتلاميذ، القيم الدينية والتدقيق فى الدين وتعاليمة وتتطلب. الحياة اللاهوتية تطلب كلا من تعليم لمبادئ التوراة، وحفاظ المشفوت وحيث أن أسلوب ماشجياش لم يحظ بالعناية اللازمه. والغرض من التعاليم هو التوبة والعمل الصالح وتهدف والياشيڤاه مثل المدارس الإنجليزية العامة، إلى تكوين شخصيات التلاميذ وليس مجرد تلقين المعلومات أو حفيظ المبادئ الأكاديمية. والهدف هو التحول إلى التوراة وتكوين «أبناء التوراة.» وأعتماد على اعتبارات دينية مثل الزهد. ويحكى تراث الياشيفاه عند نهاية القرن الماضياالياشيفاه ونقطة التحول بين عالمين دارس كان يتعلم الحمارا (عن السبت) بينما كان يدخن السيجارة. ومثل هذه المعاناة قد وصفت على أنها أسلوب ماشجياش. ودائماً الإستغفار للشاعر العبرى القومى هاييم ناهمان بياليك. (١٨٧٣ - ١٩٣٤) وكذلك للقادة الصهايننة الآخرين الذين أعتنقوا المبادئ الروسية لياشيڤاه قبل أندثار مبادئ ومعتقدات الأصوليين.

وأصبحت هذه المؤشرات مبادئ نموذجية لأجيال كاملة من شباب اليهود فى أنحاء أوروبا. الآن أصبحت خيالات بالية عن ماشجياش. وتاريخ تلك الأخطاء حاليا لم يمثل أى أستمالة حقيقية لعالم الياشيڤاه اليوم. والدراسة فى الياشيڤاه فى هذه الأيام دراسة شائعة ضمن الذكور الهاريديين (أكثر من ٩٥٪ فى إسرائيل) من بين يهود الشتات. والخبرات التى تتفق مع أن انخفاض معدل طلاب هاردى الياشيڤاه يرجع إلى تهتك الأصوليين ويمكن تحويله والبعض يقول غير محدود. وقد بدا واضحاً للزائرين مدى التآلف بين العلم والتصوف الدينى عند الياشيڤاه. وفى مقدمة قائمة الدراسة يوجد

صندوق مقدس يحتوى على صحف التوراة وأسفله يوجد كرسى مرتل الأقداس وفى الوسط توجد المنصة التى منها يمكن قراءة التوراة. وأهم شئ فى حياة الياشيڤاه هو الصلاة ثلاثة مرات يومياً والتى تؤدى على نحو أكثر بطأ من المعتاد فى المعابد حيث يتغنى الناس فى وقت محدد، ويرتلوا بعضاً من التلمود فى قراءة سريعة، وتؤدى الصلوات اليومية فى الصباح والمساء. منحه، هى صلاة الصباح ومعاريف هى صلاة بعد الظهر والمساء. وعلى طريقة الليتوانينى فإن مينكا تؤدى قبل الغذاء ومعاريف قبل العشاء وتستغرق كل منها على الأقل عشرون دقيقة. والعنصر الأساسى فى هذه الصلوات الثلاثة اليومية هو الجدية والخشوع والضراعة وتكون الصلوات دون صوت وتؤدى وقوفاً ويستطيع أى فرد أن يقرأ النص بلا صوت ويتدبر المعانى خلال ثلاث أو أربع دقائقه، والبعض يستمر لأكثر من ذلك. وفى الياشيڤاه، على التلاميذ أن يستمروا أطول من ذلك الوقت حتى تكون صلاتهم أكثر عمقاً ليس فقط بالنسبة لأنفسهم ولكن أيضا لعائلاتهم وكذلك لكل الأمة، وبالنسبة لمعتقدات الهاريديين فإن تلاميذ الياشيڤاه هم حماة الأمة؛ بل والعالم كله. وهناك دراسة عن أنتشار النظارات الطبية بين الدارسين فى الياشيڤاه، وقد فسر ذلك لطول فترة القراءة والاطلاع على المطبوعات الرويئة وسوء الإضاءة، ولكن دراسة طبية قد أجريت حديثاً وأرجعت اللوم إلى إستمرار التركيز على العين مما يسبب ضعفها . حيث أن العين تقترب من النص، وبالمداومة يؤدى ذلك إلى قصر النظر. وقد أجريت هذه الدراسة على دارسين الياشيڤاه فى القدس حيث تبين أن ٩٠٪ منهم يرتدون النظارة الطبية. وأن الدارسين أنفسهم لا يعرفون مدى الضرر الذى يسببونه لأنفسهم وهم واقعون تحت تأثير شوكلنج على قبعاتهم وأثناء الصلاة، على كل الدارسين أرتداء قبعاتهم. وفى معتقداتهم أن شوكلنج هى معركة مستمرة بين عضلات الرقبة وقوة الجاذبية. وربما كان الدارسين أقل وعياً من تابعى المعبد وفى كل الاحصائيات وجد أن العديد من الدارسين عانوا تماماً من شيمونية اليسره حيث يغلقوا

أعينهم ويرفعوا أيديهم بالتوسل والأبتهال.

وعند الياشيڤاه فى ليتوانيا فإن صوت الصلاة يكون حزين وبعض التابعين تكون صلاتهم فى الغالب على مدار الأسبوع ويعيشون على الأغانى المرحة فى السبت والمهرجانات. والحياة الدينية لحسديك الياشيڤاه والتابيعن له يسيطر عليها الروحانيات وتعاليم ماشجياش.

ومن أهم شعراء الروحانيات رابى يسرائيل مانتر (١٨١٠ - ١٨٨٣) وكان رابى شخصية معقدة خلال حياته وكان هدفه الأول هو حماية عالم الياشيڤاه وذلك عن طريق استقطاب العديد من الأتباع وقد أمضى عشرات السنين بين الضرب فى فرنسا وألمانيا وكذلك فى روسيا. وتحت قيادته قام بعض الدارسين على شكل مجموعات، بدراسة النصوص ولم تكن أفكار مانتر مشهورة وأن ماشجياش يركز فى حركته على أقناع التابعين بالدور الأجتماعى والدينى للتوراة ويحث الدارسين على الحضور بالبدل الرسمية ورباط العنق وأن يحافظوا على مظهرهم. وتأثير شخصيته على أتباعه دينياً وروحياً قوى جداً وهناك أشكال مازالت موجودة إلى اليوم من مدارس الياشيڤاه وتعتبر أعمال القرن الحادى عشر خاصة أعمال الأسبانى باهيا أبن يكودا والقرن الثامن عشر أعمال الايطالى موشيه حاييم لوزاتو وبالنسبة للشباب لم تكن هذه الأعمال مرغوبة وفى نيويورك قدمت دراسة سنة ١٩٨٢ للإجتماعى وليام هلمرايسن وذكر فيها أن يشيڤا منذ مئات السنين كتب هذه التعاليم وأصبحت الأن لا تصلح لمن يريدها فعلاً. وهناك أيضا من الناس من لا يزالوا يتعاملون معها بجدية شديدة. عادة ولكن ليس دائماً هناك الدارسين المهتمين بدراسة التلمود.

وفى الحقيقة هناك ثلاثة أوامر منفصلة فى حياة الياشيڤاه وهى الذكاء- الأجتهاد- والتقوى. ونظرياً حاول الياشيڤاه أن يجمع بين الثلاثة وعملياً أعتقد تلاميذ

الياشيڤاه أن الثلاث أوامر تمثل طباع مختلفة وربما تؤتى أحياناً منتصف الليل ويأكل فطار خفيف ووجبات متقطعة خلال اليوم وكان مشهور عنه أيضاً استغراقه فى التعبد. ويعتبر ماشجياش مثلا يحتذى لأتباع يشيف. ويعتبر هؤلاء الأتباع من العرسان المضلين لذى البنات عند الزواجة. حيث أنه مضمون أهتمامه الاستمرار فى التعليم والزهد بجيدة. وفى التعاليم أيضاً حب الجيران كم هم وزيادة المرض ومساعدة كبار السن.

والتعاون مع الآخرين فى التغلب على العادات السيئة.

وهنا مرة أخرى عندما عاد شاوشان وسيط الزواج وجد العديد من البنات الراغبات فى الزواج من أتباع هاريدى بحثا عن الشخصية الأفضل من مبدأ أن الطريق إلى الله هو أحسن طريق يجب أن يسلكه المرء أحياناً بعد سنين من التعبد والتقوى والحياة الروحانية على طريقة الياشيڤاه يتحقق للشخص شفافية الأنسان الورع وهذا لا يعتبر شخص عادى ويصبح غير قابل للخطأ. وتبدو عيناه لامعه وأبتسامة هادئة ولا يعلو صوته أبداً ولا يغضب ودائماً عنده الرغبة فى المساعدة ومن ناحية أخرى فهناك التابعين الذى لم يتعلموا أى شئ عن الياشيڤاه ولكنهم تحت كل الظروف أتباع هاريدى كما هو. وفى إسرائيل هناك شاب لم يسجل كتابع من أتباع الياشيڤاه وكان من الطبيعى أن تقع عينى هاريدى عليه وهذا هو الحال مع أى من أتباع الياشيڤاه الخارجين عن تعاليم أيضاً وعليه أن يزيل الأفكار والمعتقدات عن الشبت قبل تحقيق تأثيره عليهم وخاصة على التلاميذ الجدد.

ومن المألوف أن يكون هناك العقاب للتلاميذ فمثلاً لو شاب ضاجع فتاة أو ماشابه ذلك لابد وأن يتوقع العقاب الشديد وربما يكون ضحية للميول الشيطانية وأنها فقط نزوة وليست أثام متكررة. حتى فى مثل هذه الحالات وطبقاً لرأى الكاتب الإسرائيلى أمنون ليڤى فإن الفصل من يشيڤا ليس العقاب الكافى. حيث أنه من

المتقدات لدى هؤلاء الأتباع أنه لا يمكن الابتعاد عن مجتمع الياشيڤاه.

وعلى كل حال فإن مثل هذه المخالفات نادارًا ما تحدث مع أتباع الياشيڤاه وكل من ليڤى والأجتماعى الأمريكى هلمرايس يسيطروا على أفكار هؤلاء الأتباع ينتقلوا بين الأشخاص أصحاب الطريقة وكان اللون الأسود وهو المسيطر على أتباع الياشيڤاه ليس فقط فى الملابس ولكن أيضًا على كل نواحى الحياة وكان من المخالفات للتلاميذ إرتداء الملابس الملونة والأبتعاد عن الحياة الحديثة والتمسك بكل ما هو قدسم. أخيرًا فهناك بعض التلاميذ الذين لا يمنتموا لأى من هذه الحركات وهم كذلك لا يتعلموا وهؤلاء الغير متعلمين ببساطة غير راغبين فى التعليم ولا يستطيع ماشجياش أو الياشيڤاه أو غيرهم من التأثير عليهم وإقناعهم بالذهاب إلى المدارس ومن ناحية أخرى فإن الشباب من أتباع هاريدى والغير أكاديميين يمكنهم أتخاذ القرار بالخروج للعمل وفى إسرائيل على أى حال فإن الشباب ليس له الحق فى أتخاذ أى قرار بحرية الا بعد آداء الخدمة العسكرية. ولذلك فعادة فهم يستروا مع الياشيڤاه. وبالعض الآخر ينضم لعالم هاريدى ومنذ مدة طويلة أنشئت منظمة تسمى بايكيم والتى تهاجم المبشرين من غير اليهود وكذلك فإن القانون الإسرائيلى يمنع ذلك ولا يوجد الكثير من هؤلاء المبشرين يعملون داخل البلاد. وعمومًا فإن هذه المنظمة تبذل كل ما فى وسعها سواء أمداد بالمال أو طبع الكتيبات وتسهيل كل شئ فى سبيل أنتشار أنشطة أتباع الياشيڤاه.

* الربان المعلم فى المدارس الدينية اليهودية

الفصل الخامس

الأكثر تقوى

قام شاد شان بالقاء نظرة على طالبه متميزة فى مدرسة للبنات وتريد ألا تكون على النظام القدسم، ومع إن المؤسسة لاتزال موجود فى عالم الهاريديين إلا أنه لم يعد هناك شتتل أو عن حياة شتتل وهى الطريق العملى لإجراء الزواج. والأن تعبتر الزوجة تائبة عن الياشيڤاه وتنسق بين طلاب زوجها- معارفه- أصدقاءه كذلك وتقدم أقتراحات وتوصيات وأحياناً يهيئ للبعض أنها الوجه الآخر لهاريدى الياشيڤاه وأن الفتيان والفتيات يحضروا عن طريق البعض بأنفسهم. ويدخل الطلاب إلى كلية الياشيڤاه أو ديان أو رابى وهذا مستقبل يكفى للوضع الأجتماعى وهذه هى مكافأة الطلاب الذين أمضوا سنوات طويلة فى الدراسة الجادة الياشيڤاه. ويعتبر أيلوى طبعاً أكثر المرغوب فيهم فى سوق الزواج عند الياشيڤاه خاصة إذا كان عنده حكمته الخاصة بعدم الزواج من أبنه أحد الأغنياء أو العلماء الياشيڤاه.

والتلمود ذات تفسه قد فرق بين نوعين من الذكاء سيناى وأوكرها ريم والفكرة العامة هو القوى العقلية مع القوة الجسدية وهنا تقبع فكرة الياشيڤاه فى أنتقاء الأولاد الأكثر ذكاء وليس هؤلاء الذين يقضون وقتهم فى تسريح الشعر واللهو.

وهنا يكون أيلوى هو المستوى الأعلى فى نظر زملائه كما أن الياشيڤاه وماشجياش سوف يحاولوا التغلب على ذلك ولكن عليهم أن يتكاملوا معه بحرص شديد لأن الايلوى الأن يشبه نجم كرة القدم ويصبح مرغوب من الياشيڤاه آخرين وبعض هؤلاء الآخرين يضعون مواصفات متشددة وعلى سبيل المثال فإن هاذيك الياشيڤاه فى أمريكا وإسرائيل يتلقى الطلاب محاضرات خاصة من رابى نفسه لتوفيهم بألف صفحة فى التلمود بالقلب وطبعاً الألف صفحة أصحبت ألفين حيث أن

الصفحة على الوجهين وبها أ،ب وهذا يتطلب فترة طويلة فى الدراسة لكن أى مستوى من الذكاء لا يكفى مالم يكن الطالب موهوب بذاكرة قوية وهل يعرف الطالب ما هو أكثر عن العالم الخارجى من معلومات تمكنه من التكلم والاستعداد لتخزينها فى ذاكرته. وأتباع هاريدى ليس عندهم شك فى ذلك ولكن إذا كانوا على حق فإن سبب التفاوت يرجع إلى الطبيعة الخاصة لتعاليم هاريدى الخاصة بالتلمود وهنا كما نرى ليس هناك أحد معين ولمعلومات الجميع فإن كمية المعلومات المخزنة بالعقل تكون ملحوظة للآخرين وكما هو معروف أن رابى فى بنى براك قد عرف بذكاءه وورعه أثناء الصلاة خاصة صلاة بعد الظهر.

وأتباع الياشيفاه أحبوا تبادل القصص الدينية والتى ترجع التاريخ إلى أن عالم الياشيفاه فى هذا الوقت ينتمى إلى رابى أوفاد يوسف (إسرائيل ١٩٧٣ - ١٩٨٣) والذى درسنا عنه سابقاً كعلم من أعلام حياة هاريدى السياسية ودورة حيال ذلك. عنده نسخ كامله من الأعمال الخاصة بالتلمود ويستطيع إعادة طبعها حيث أنها محتفظ بها فى مكتبة. وفى رحلة قصيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى بداية ١٩٨٠ زار خلالها ثمانية من الياشيفاه وأكتشف أن كل مها له مصادرة الخاصة وتعليمه وحاول أن يجمع بينهم ولكنه فشل فى ذلك.

وفى جامعة الياشيفاه فى نيويورك تقابل مع طلبته مع العلم أنه وصل إلى سبعين سنة سنة إلا أنه يتوقف عن التعليم ويقضى كل أوقاته فى الدراسة وعودة إلى القدس حيث أنه يستمر فى الدراسة حتى الساعة الثالة صباحاً ومبكراً الساعة السادسة والنصف يستعد لقيادة الصلاة وأيضاً رابى مشافى والذى تقدم فى السن جداً لا يزال يمارس الطقوس الدينية ويعكف على الدراسة طول الوقت. وكل هذه الطاقة المتوفرة ليوسف وشافى وكل الدارسين وطلاب العلم مثيرة للعجب. وربما يكونا قد وصلا لسن

من الصعب معه تغيير الطباع وهذا يصور بطبيعة الحال الصراع بين القديم والجديد وعموماً فإن الحياة الحديثة قد فرضت نفسها عن طريق تكنولوچيا حديثة فمثلاً عن طريق الفاكس يمكنك نقل نص معين فى مكتبه فى نيويورك إلى تل أبيب وفوق ذلك فإن الدراسين فى مجتمع هاريدى مزعورين وعلى الأقل مبهورين بمواكبة هذا التحديث وقادتهم تدفعهم للمواجهة.

وبالنسبة للرجعين فإن الخط واضح (التسهيل- الرواج). ويجب أن تكو التوراة فى المقدمة ويجب على الدارس أن يقتل نفسه بحثا فى العلوم الدينية وليس فقط أن يتلقى هذه الدراسة على جهاز كمبيوتر أو يجدها ملخصة ومنتقاة لأن التعليم يعنى التفهم.

وقد قدم يوسف أوڤاديا رابى نفس الأفكار وتعرض لفكرة أن المرء عندما يدرس ويتفهم أى موضوع يستطيع أتخاذ القرار الصحيح.

وكما أن الأدوات الحديثة مفيدة ولكنها لن تغيير المعايير الأساسية لدراسة نص ما. وقال شيللر نوتا رابى فى هذا الصدد التعليم هو ممارسة الحب مع صفحات التلمود وأن ميلاد أى فكرة يأتى من خلال ذلك لكى تفهم- تقدر- تحب يجب أن تتعلم وتدرس النصوص الصحيحة ولا يوجد طريق آخر سوى ذلك.

وبالإضافة فإن طلاب هاريدى يقولوا أن برامج الكمبيوتر لا تتفق مع أحتياجات الطلاب. وقد تم وضع نص التلمود كاملا على شرائط كمبيوتر وكلن البرنامج مازال سعره مرتفع وكذلك غير منتشر. والمشكلة هنا أن على الدارس التعامل مع مفاتيح الكمبيوتر للوصول إلى ما يريد دراسته من النصوص فى حين أن التلمود يتطلب دراسة متقنة وبذلك يتضح أنه ثبت بالتجربة أن التكنولوچيا الحديثة تبدو غير قادرة على مساعدة الدارس.

الفصل السادس

حائط الكتب

لا يمكن أعتبار الكومبيوتر أداة عقائدية، كما لا يمكن أيضاً أتهامه بالتحيز العقائدى، كما أن كتابة تفسير التلمود والتى قام بها الحاخام الأصولى بنهاس كيهانى ولا أيضاً الترجمة الإنجليزية للتلمود والتى تقوم بها دار نشر آرت سكرول الحاريدية الموجودة فى الولايات المتحدة، كل هذه الأشياء لا يمكن أعتبارها مفيدة أو ذات جدوى عند المدارس التلمودية، مثل مدرسة الحاخام شاش والمسماة بوتڤيش ولا توجد هذه الأشياء فى العشرات من المدارس التلمودية سواء فى إسرائيل أو فى الشتات.

ويعتبر الخوف عاملاً أساسياً فى هذا، فقبل إلقاء الحاخام شاخ لكلمة الافتتاح فى الدورة الصيفية لمدرسته، أثيرت شائعة أنه سيهاجم بشدة دار نشر آرت سكول فى نيويورك وسيدعو لتحريم النسخة الجديدة التى ستطبعها من التلمود، ومع ذلك لم تتضمن خطبته المذكورة أى كلمة عن نيويورك كلها!.

وقبلها بعام وفى نفس المناسبة، أدان شاش بشدة الترجمة الشعبية المنظمة والمفسرة للتلمود والتى أصدرها الحاخام أدين شتانيز التز بل والهجوم على كل أعماله.

ويقول شاش «إن الناس يقولون أن هذا الشكل الجديد الذى تتخذه الجـماراه قد يجذب عدد أكبر من المتعلمين، لكن الرب لا يحتاج هذا النمط من التعليم فالرب يريد التعليم (القديم) فى الجماراه، القديمة، فدعونا نرجع للجماراه القديمة ونضمها إلى صدورنا ونقبلها».

وقد كانت هذه هى الذروة فى جملة هجوم مفاجئة ضد شتاينز التز بدأت مع أوائل هذا الصيف، وفى الوقت الذى هاجم فيه شاش شتاينز التز فى أغسطس، كان

عدد كبير من حاخامات الهاريديين، فى إسرائيل وخارجه، إلى شاش فى حظر نشر كل أعمال شتاين شالتز وكان بعضهم متلهفاً على ذلك، فى حين خضع الآخرون لضغوط شديدة من بنى براك.

صدرت الأوامر للناس بالتخلص من هذه الأعمال الموجودة بمنازلهم، وفى أحد المجتمعات قام الحاخام بجمع هذه الأعمال ودفنها.

ويُعد أوش شتاش شالتز أحد الرموز البارزة فى الأوساط الثقافية الإسرائيلية. فهو عالم روحى لامع ومتعمق. وقد نشأ فى أسرة غير متدينة. وجذبته دراسة التلمود والأصولية فى فترة مراهقته.

وفى عام ١٩٨٨ حصل على جائزة إسرائيل رفيعة المقام عن كتابه التلمود والمحقق الذى بدأه عام ١٩٦٤ثم جزئه الثانى والعشرين. ويعتبره العديد من العلمانيين الإسرائيلين المرشد الروحى. وقد جُمعت محاضراته فى الهالاخاه والقباله وتحقق كتبه أفضل المبيعات. وهو أيضاً شخصية إذاعية بارعة. كل جزء من التلمود يبيع نحو ٥٠٠ ألف نسخة وقد حققت الأجزاء الأولى، م الترجمة الانجليزية أفضل قائمة مبيعات فى أمريكا ويحظى شتاين شالتز بإعجاب شديد فى أوساط الأصوليين أيضاً (وإن لم يعد يحظى بمثل هذا الإعجاب بين الموالين لهارديين «شاش»).

وقد حرص دائماً على أن يكون بمنأى عن سياسى الحزب، مما يُعد إنجازاً لأى شخصية إسرائيلية بارزة. وبالرغم من تقاربه مع حركة لوبافيتش، إلا أنه بطريقة أو بأخرى تجنب التورط فى الصراعات بين. لذلك جاء هجوم الحاخام شاش صدمة، خاصة لأن الهرطقة التى فهمت ظاهرياً، كانت ظهرت فى كتب طبعت منذ سنوات عديدة، أعيد طبعها غالباً بدون أى تعليقات معادية من أى فرد.

كتبت "Yated Ne' emen" صحيفة حزب الحاخام شاش تقول: «إننا بحذر سلفاً من أن الفقرات المقتبسة الآتية مليئة بأشياء رهيبة ومفزعة وتُحقّر من الأسس والقواعد التى قامت عليها التوراة كما يُحقِّر السلف المقدس والقضاة والأنبياء.

لا، ليس سهلاً علينا أن نعيد نشر هذه الأشياء لكن بعد خطابات رجالنا العظام حُماة التوراة ضد شتاين شالتز، ظهرت الحاجة إلى أن تشرح ذلك للعامة».

فى كتابة «التلمود الأساس»، الذى صدر عام ١٩٧٧، وصف شتاين الجماراه بأنها «مقتطفات من القانون»، والأساطير والفلسفة ... والقصص الشعبية والفكاهة.

وعلقت الصحيفة: «ليست هناك حاجة توضح خطورة وجدية مثل تلك الكلمات...»

«وأن التلمود لم يكن مؤثراً، بالنظر إلى بنائه التركيبى، وقارن بين «أسلوبه التارابطى الحر» وبين «أسلوب الروايات الحديثة». ولا حاجة لنا بالتعليق على ذلك.

واستخدم السيد شناين شالتز، بكثرة كلمة «نشوء» مقابل «القنون الشفوى» الذى يدخل فى تكوينه، كما تقول صحيفة Yated.

«لنظريات الهسكلاه الضالة والمنافية للدين، وتلك التى تنتقد التوراه. ومعظم قرائنا من المحتمل ألا يكونوا قد سمعوا بشريعة حامورابى التى يعتبرها منتقدو التوراه، بحمقاتهم، مصدر قوانين التوارة. على أية حال فإن السيد شتاين شالتز يصادف بقوة على تلك النظرية وقد كتب يقول:

«ترجع فكرة عقد الزواج المكتوب إلى قديم الزمان وقد أشارت إليه «شريعة حامورابى» قبل نزول التوراة بفترة طويلة. لكن شكل ومحتوى العقد يتغير مع الوقت ويتغير تبعاً لأختلاف الثقافات، وأصر عقلاؤنا على أن يصاغ مثل ذلك العقد».

ثم أشارت الصحيفة بوضوح إلى الجماراه ورسالة السنهدرين إلى تأثير إنكار أى فرد للأصل الإلهى للتوراة بأكملها. وأن من يفعل ذلك لا مكان له ليأتى إلى العالم، حتى ولو كان ممن يقولون بأن معظم التوراة من أصل إلهى بغض النظر عن أى استنتاج أو تفسير» . وأضافت الصحيفة أن مثل ذلك المحك يشمل الإيمان بعظمة وقداسة حاخامات التلمود الذين كانوا مثل الملائكة، على أية حال فقد سعى شتاين شالتز إلى إضفاء صفات الإنسانية والشخصية على هؤلاء الحاخامات، فوصف أحدهم بأنه قصير وبدين، وآخر بأنه بشوش وثالث بأنه غريب الأطوار.

ولا يمكننا أن نواصل نشر تلك الإقتباسات المثيرة للإشمئزاز لأنها تصل إلى حد الفحش الصريح. لقد تجرأ شتاين شالتز لدرجة إضفاء أبعاد بشرية على الرموز التوراتية، ففى كتاب بعنوان» شخصيات من الكتاب المقدس صدر عام ١٩٨٢) وصف فيه عدداً من الشخصيات الوارده بالكتاب وذكر أن زليخه شخصية حاسم وشمشون شاب مستسأر.

أما داوود فهو مغامر. وفى كتاب «النساء فى الكتاب المقدس» (الذى صدر عام ١٩٨٤) وصف شتاين نشيد بأنه متعطش للدماد.

وصار علماء الهاريديين، بحثا عن أسباب يفسرون بها الشدة غير الصائبة فى هذا الهجوم الضارى، أشاروا إلى التخمينات المستمرة فى نيويورك بأن الحاخام ليبا ڤينتشر المسن، الذى ليس عنده أولاد كان يدعو شتاين شالتز «خليفته» .

(ويعد ذلك تحركاً مميزاً وغير مسبوق، لكن تقوى شتاين شالتز الشخصية المفترضة، شعبية واسعة الذكاء الجبار، والذى يعترف به حتى منتقدوه، إنه أمر غير قابل للتصديق) .

آخرون يسعون إلى تفسير تلمود شتاين شالتز بالإنجليزية الذى يوشك أن يصدر فى الولايات المتحدة.

هل يؤثر منافسون، مدعّون، فى الحاخام شاش؟ لكن شاش نفسه ينكر وجود أى دافع خفى، وقد شرح أنه لم يكن مطلعاً أبداً على أعمال شتاين شالتز حتى لفت نظره إليها، منذ بضعة أسابيع لعلى تشوف فى أعقاب بداية الهجوم، قفز أعداء شاش الطبيعيون، وهم طوائف الحاسيدين من ليبوفتتشر و وجير، فوق دفاع شتاين شالتز.

دخل شتاين شالتز نفسه فى مفاوضات بشأن الضجة التى أثارتها إيداها رديت بالقدس وذلك فى تحرك وصف على نطاق واسع بأنه محاولة للترضية.

فى أحد المراحل زعم أن الكتابين الاثمين شخصيات من الكتاب المقدس نساء من الكتاب المقدس قد تعرضا للتبديل والتحريف عند تحريرها، وهو أمر استنكرته بحزم دور النشر المحترمة.

وفى آخر الأمر وافق على أن يلغى ويعدل أى شئ يتطلب التعديل، طبقاً لتعليمات «رجال الجيل العظام» (أى حاخامات إيدا بليت دين)، متمنياً لهم طول الحياة... متقدماً لهم بعميق الشكر لما أبدوه من عطف تجاهى».

كل فرد يُعيد نسخته، سوف يتسلم نسخة مُعدلة. (نادراً ما فعل أحد ذلك، بالطبع: أولئك الذين يبالون بالحرمان من حماية القانون فإنهم لا يرغبون فى أن يعترفوا بأنهم قد إشتروا الكتب المُحرفة أولا).

من جانبهم أعلى حاخامات إيدا أنهم راضون. لكن ظل موقف شاش كما هو. فقد أصر على أن تلك الهرطقة قد لطخت كل أعمال شتاين شالتز، بما فى ذلك كتاب التلمود الضخم. مؤكدا أنه ليس هناك توبة ولا إلغاء عانى شتاين شالتز بشدة من

آلام شخصية لكنه تراجع عن القتال موضحاً ذلك فى مقابلة معه أنه فضّل الصمت والظهور كأحمق بدلاً من إحداث قدر عظيم من غضب الرب. وأكد أنه تلك الكتب الاثمة لم تُكتب للقراء الهاريديين.

«أساساً الناس معرضون لأسلوبى، لاستخدامى للغة. ذات مرة ذكر أحدهم ليس فى بلاد العجائب أن مليئة بالرموز الجنسية، ونصح أى فرد يخضع لتحليل نفسى ألا يقرأها فى بعض الحالات، يكون بعض الناس غير المقصودين بقرأة كتبى، ربما تؤذى مشاعرهم... وأنا أقول، إذا كنت مثل هؤلاء الأشخاص، إذا كنت حساساً ومعرضاً لأن تؤذى مشاعرك، لم يكن مقصوداً إيذاؤك، لكنى أظل ستعداً للصحيح.

مبيعات شتاين شالتز تأثرت بشدة لدرجة أن مكتبات الهاريديين أوقفت إقتناء كتبه. وتباع أعماله فى سوق رحب معظمها لا يتأثر بشجب شاش.

ويقول العديد من الإسرائيلين الذين لديهم خبرة ضئيلة فى تعلم التلمود، أيضاً العديد من القرأء الناطقين بالإنجليزية، أن تلمود شتاين شالتز كشف لهم أدباً وتراثاً آخر لم يكن متاحاً لهم الإطلاع عليه.

ويواصل جامعو التلمود الأكثر تقدماً، بما فى ذلك الهاريديين، الرجوع إلى طبعة شتاين شالتز للحصول على توضيحات لغوية، نظرة تاريخية وجغرافية، ومعلومات إقتصادية وأجتماعية غير المتاحة فى أى مكان آخر.

وأصدر الحزب الدينى القومى قراراً يؤيد شتاين شالتز، «الذى اقترب بمائات الآلاف من اليهود إلى مصادر إيماننا» وأدان الحزب مدخل الهاريديين المعادى للصهيونية، الذى يتجاهل العملية التاريخية للإصلاح الوطنى الجارية الآن ويستخف، باستهزاء، بالمجتمع العلمانى».

وطلب الحزب أى فرد، فكر فى حرق أو دفن الكتاب. أن يرسل الكتاب للحزب لإعادة للحزب توظيفه.

أستمر كتاب «مختارات وتعليقات على التلمود» فى الصدور جزءاً بعد جزء، وكل جزء يظهر يتخاطفه جمهور مُقدر لهذا الإنتاج العملى الضخم والثورى لمؤسسة هاريدية.

هذا العملِ يسمياوتزار «Otzar» وضعه الحاخام جوزيف باكسباوم ونشرته ماشون أورشليم، وقد صُمم كرفيق شامل لطالب التلمود متقدم المستوى. فالطالب عند دراسته للنص من الجماراه، وراشى، والتسفوت، يمكنه الرجوع إلى Otzar سواء لتفسير النقاط الغامضة أو لجهد مفصل، ومحكم فى القضايا الرئيسية.

أورد كـتـاب الاوتزار Otzar أعـمـال العـشـرات من كـبـار المعلقين، راشـونيم «واكـرونيم»، لكنه أكبر من مجرد عملية «قص ولصق»، فقد استوعب ومزج وأعاد صياغة كتابات كل أولئك المعلقين فى فقرات طيعة وبأسلوب عبرى حديث سلس الفـهم. كـان بوكـسباوم حكيمـاً، أو محظوظاً، بدرجة كافية فى حشد الدعم النشط والمتحمس، من عميد الياشيفاه الأمريكى، الحاخام إسحق هاتنر، لمغامرته.

أخـذ هانتـر لقب رئيس مـاشـون أورشليم بعـد أنتـقـاله إلى القـدس فى أوائل السبعينيات. لكن عندما سعى ماشون ليفتح فرعاً فى ريهفوت، بالقرب من تل أبيب، نصح الحاخام شاش شباب العلماء الهاريديين بألا يلتحقوا به.

أتصل هانترا تليفونياً بـ شاش وأبلغه أنه سوف يزوره.. فرد شاش، وهو دائماً دمث الخلق، بأنه سوف يزوره فى القدس. وقد زاره بالفعل.

وبينما شاش يتخذ له مقعداً قال هانتر: «لقد أتيت لأقصى ما بقى لى من عمرى فى إسرائيل. وأنت تفسد علىّ ذلك. إذا كان لديك أى تعليقات نقدية حل كتابنا أوتزار، فلتفضل بالكتابة إلىّ وأنا سأبذل قصارى جهدى لرد». لم يستطع شاش، وهو مندهش مما يحدث، إلا أن يغمغم قائلاً: «بالطبع، إذا كان رجلاً عظيماً مثلك يعتنى شخصياً يعتنى بالأمر فإن كل شئ على ما يرام عمل آخر مثير للخلاف لمدى مؤسسة التلمود، والتى تُحجب بالإجماع خضوعاً لضغوط المتشددين، هو الموسوعة التلمودية. تصدر هذه الموسوعة بمعدل جزء كل عامين حيث يتولى جمعها وتصنيفها فريق من علماء الهاريديين بالقدس وتوزع هذه الموسوعة، بنشاط، هيئة تعليم التلمود على مستوى العالم.

وعلى خلاف كتاب أوتزار، الذى هو أساساً مساعد لمعلمى الجماراه، فرن مدخل الموسوعة أكثر طموحاً. كل باب يختار موضوعاً تلمودياً أو من الهالاخاه ويبدأ بالنصوص ذات الصلة التوارتية، لإعطاء الطالب تفسيراً شاملاً لكل الثقافة التلمودية المتعلقة بهذا الموضوع.

ويمكننا أن نقيس حجم الإفراط فى النفاق غريب الأطوار فى عالم الهاريديين وذلك من خلال توافر، الموسوعة، وأوتزار، التلمود الإنجليزى الصادر عن دار أرت سكروى، ومشناه الحاخام كيهاتى، وحتى تلمود شتاين شالتز المصنف فى القائمة السوداء، فى حجرات نوم الطلبة بينما لا تراها فى قاعات الدراسة فضلاً عن أنها غير متاحة فى مكتبه الياشيفاه.

والطلبة يلتمسون العون من تلك المراجع فى أعمالهم التمهيدية الخاصة، ولا يقتصر ذلك على الطلبة فالمحافظون من أعضاء هيئة التدريس yeshava يستخدمون أدب سام زدت سراً، خاصة شباب المحاضرين، فى اعداد المحاضرات. على الأقل ليكونوا

مستعدين لإتقاء الطلبة المسلحين بأسئلة التقطوها خلسة من هذه الأعمال أما الاستعانة الذكية بهذه الأعمال فإنها توفر للحاخام الوقت والجهد ويساعده على إعداد محاضرة أكثر عمقاً وتوثيقاً.

ويقر بعض عملاء الياشيڤاه صراحة هذا الوضع كمحاولة عملية للتوفيق بين المدخل المحافظ والمدخل المتحرر. ويقولون أن الأعمال الجديدة ليست بالضرورة سيئة أو تشوبها الأخطاء لكنها ذات تأثير عكسى على الشباب فى سنوات تكوينهم.

ويقـول أحـــد العمــلاء المحـنكين مفـسراً ذلك: سـنوات الكفاح مع الجماراه، راش، التسفوت سوف تجعل منهم علماء حقيقيين».

وينظر الحاخام شاش والمحافظون إلى التبسيط والجماهيرية كأخطار تهدد الأساليب المقدسة، منذ زمن، فى تدريس التلمود.

المتحررون ويحاول أن يبرهنوا أن راش نفسه هو أعظم من جعل التلمود مبسطاً وشعبياً: فبدون تعليقه، الذى بدأ بلا شك ثورياً فى القرن الحادى عشر، لبقى التلمود كتاباً مغلقاً للجميع مساعدا دائرة بالغة الصغر من العلماء.

ويجادل المتحررون أيضاً فى أن المؤسسة التلمودية الأصولية، عبر القرون، كان لها دائماً رجالها المتخصصون، فى إعداد الموسوعات وأختيار المواد الأدبية، وحاولوا أن يمدوا العلماء بمدخل متكامل بالمصدر. ولم يكن من الممكن تجنب أن تأتى أعمالهم أقل شمولاً، بينما يستفيد العلماء المعاصرون بالفهارس والكمبيوتر، وبحث المخطوطات المقارنة لمساعدتهم.

ويقول المتحررون: إنه لأمر محزن وساخر أن تلقى هذه الأعمال بصفة خاصة جفاءً فى أوساط الهاريديين المتشددين فى خضم «الظلامية» المعاصرة. لكن حتى

بوكسباوم، تاشر أوتزار، يقول أنه لم يكن مرتاحاً عندما أخبره عميد الياشيڤاه الكبرى في القدس بافتخار أن غالباً كل زوج الدارسين في قاعات الدرس يتعلمون أوتزار جنباً إلى جنب مع الجماراه . وقد شعر بأن ذلك كان أستخداماً زائداً عن الحد للعمل الذى جعل تعلمه سهلاً.

ويقول أنه كان سعيداً في الياشيڤاه الحاسيدية في ويليامسبرج، في نيويورك، عندما شاهد رفاً عليه نسخاً من أوتزراه، جيدة الإستعمال، متاحة الرجوع إليها، وهي موجودة في آخر قاعة الدراسة. جاءت عناويناالأجزاء وصفحاتها مندفعة بوقاحة.

وتعترف تلك الصفحات بشكرها للدعم، الذى تتلقاه ماشون أورشليم من الحكومة الإسرائيلية، وتذكر عددا من المسئولين وعنيت. الدولة حاخامات للمشروع، كل اللعنة على ستامررز المعادى للصهيونية بقسوة.

«لكننى لا أهتم ماداموا يستخدمون الكتب» هكذا يقول بكسباوم بنظرة فلسفية.

ولايخلو المتحررون، بالإضافة إلى المحافظين، من الرياء والنفاق. حيث يتجاهلون امؤسسات التعليمية غير الهاريدية رسمياً بينما ينتحلون أراء هذه المؤسسات. الاتجاه الرسمى بالتجاهل على العلماء غير الأصوليين (أو غير اليهود) وأعمالهم بل حتى على التلموديين الأكاديميين ذوى الممارسات الشخصية الأصولية. بل أصطدمت أيضاً الزعامة الهاريدية ذات القواعد السياسية أو الأيدلوچية.

وهكذا فعالم التلمود الإسرائيلى الشهير بروفسيور إفرايم أورباخ من الجامعة العبرية (١٩١٢-١٩٩١)، والذى تُعد معظم أعماله عن معتقدات التلمود وعن التسفوت، مثالاً يحتذى به، ورد اسمه في كمجرد «عالم» أو «كاتب».

من المحتمل أن تكون أستاذيته الجامعية فى حد ذاتها علامة سوداء ضده، ومع ذلك فإن تلمودى أصولى آخر من الجامعة العبرية، وهو البروفسيور يشير إسرائيل طاشيم بالاسم إلى أورباخ بأنه كان نشطاً سياسياً، وكان مرشحاً لمنصب رئيس الدولة، وهذا أيضاً، بلا شك يحسب عليه.

لم يحظ علماء آخرون بالإهتمام والذكر، من بينهم البروفسيور الداخل سول ليبرمان، بالمعهد اللاهوتى اليهودى (المحافظ) فى نيويورك، أحد علماء التلمود البارزين، والحاخام شولومو جورين، الذى شغل منصب كبير أساقفه الجيش الأسرائيلى لفترة طويلة ثم أصبح كبير حاخامات الاشكبازيز (٧٣-١٩٨٣)

وغالباً ما تجادل جورين iluy فى ياشيڤاه هيفرون، بالقدس. ما تجادل مع القيادة الهاريدية. وكان الجدال أكثر حدة فى السبعينيات عندما أعض أخ وأخت من وصمة عار» هالاخاه رهيبة وهى، عدم شرعية النسب ويأخذ الحقد الهاريدى ربما أشكالاً متطرفة مثلاً فإن الموسوعة التلمودية (الجزء ١٨)، فى مدخل من ١٣٠ صفحة عن الكهرباء فى (إضرام النار فى يوم السبت)، نقلت الموسوعة من أكثر من ١٠٠ كتاب ومقال لكنها لم تنقل شيئاً عن جورين الذى كتب بتوسع فى هذا الموضوع.

وعندما يدرك الأكاديميون، من جانبهم، الأبعاد المؤثرة لثورة التعليم الحريدية» ، فإنهم لا يملكون سوى القليل من الاحترام الكثير مما يسميه الحريديون «مؤسسة تعليمية» وهم ينظرون إلى مدخل الإفتاء التلمودى كمدخل غير كافٍ لعالم معاصر، الذى يتناول نصاً ومؤلفاً، قديماً ومبجلاً، بعقل مفتوح ونقدس، وسوف ينتقل إلى مصادر معاصرة أخرى بما فى ذلك المصادر غير اليهودية لمساعدته على تفسير مقاطع تلمودية.

وللسبب نفسه فإن الهاريديين يعـتبرون الكثير من الأعـمال العلـمية فى دراسات اليهودية وكذلك التلمود فى الجامعات وكأن لا علاقة لها بالموضوع.

حيث يبتدع الهاريديون خلفية تاريخية وأجتماعية وأقتصادية وشخصية وأدبية لأى نص دخيل حيث ينشغلون على سبيل الحصر بالمنطق الداخلى للهالاخاه. فى أحسن الأحوال فإن ذلك يُعد أهتماماً سطحياً، وفى أسوأ الأحوال فإن ذلك يفتح الطريق لقراء ثوريه لمصادر الهالاخاه، التى قد تنحدر إلى الهرطقة من المنظور الهاريدى.

لدى كل فريق من المؤسسات التعليمية تعريف مختلف لكلمة عالم» لا يوجد حوارا أو منافسة حقيقية. فالعالم لدى كل منهما يصل إلى مكانته بدون أتصال أو إدراك، وفى المجال الهام لبحث المخطوطات والنشر فإن هذين النوعين من العلماء يستعد كل منهما ضد الآخر بشكل متزايد. غالباً كل العمل فى ذلك المجال يقوم به الأن الهاريديون.

نشرت الصحافة الهاريدية، فى الشتات وفى إسرائيل، وبمعدلات ملحوظة، نصوصاً مكتشفة حديثاً لأعمال مشهورة وأخرى أقل شهرة، تنتمى معظمها لفترة القرون الوسطى. وقد علق الباحثون بغزارة على معظمها.

التمويل السخن متاح لهذا النوع من العمل وذلك من خلال التبرعات والمخ التى تقدمها الدولة فى أقطار عديدة وكذلك من مؤسسات يهودية دولية علاوة على ذلك فإن الكتب تعتمد على أكثر من مجرد مبيعات الكتبة. فالكتبب تلقى شعبية فى أوساط الجمهور المتعلم الهاريدى، كل شاب هاريدى، يود أن يكون أحد جدران منزله مُغطى بكامله بالأدب الدينى والتلمودى.

فكلما كان الكتاب أحدث وأعقد، كلما كان يشهد على أن صاحبه متعلم جيداً البروفيسور. ولايزال طاشيم خريج آخر من هيفرون، محافظاً على روابطه مع عالم الهاريديين، ويرحب بكل هذه الأعمال المخطوطة، مع أنه يصر على أنها غير مؤهله لتكون.

فلن تمنح الجامعة العبرية دجة الدكتوراه أعتماداً فقط على مخطوطات محررة ومنشورة حديثاً.

ويهزأ طاشيم، وهو المسئول عن المخطوطات التلمودية التابعة للجامعة العبرية، من طلاب الكلوليل الذين يظنون أنهم بدراستهم للمخطوطات سيصبحون باحثين، ورجال علم مرموقين.

ويسخر طاشيم من حجم المواشى والتفسيرات فى كتب الافتاء التلمودية.

التى تزين طبعات المخطوطات الهاريدية ويصفها بأنه لا حاجة لها وأنها قشور لا فائدة منها. ينظر الهاريديون لهذا النوع كذروة الدراسة التلمودية،. لكن بقدر ما أنا مهتم بها بقدر ما تشغل أرفف حجرة كاملة.

ويرفض طاشيم مادة السيرة الخاصة بالمؤلف، والتى يضمنها الباحثون الهاريديون عادة فى هذه الكتب، ويعتبرها دعاية لا علاقة لها بالتعلم وتنهار المعايير الموضوعية والمنظمة فى البحث أمام ذلك التقديس الذى يصفينه الباحثون على المؤلف القديم باعتبار أن محرره قديس.

الفصل السابع

أساليب جديدة وحديثه فى التعليم

كيف يمكن أن تحول أزدحام المرور إلى فصل لتعليم التوراة، أنه ما عنوان كبير ظهر فى صحيفة كاملة من مجلة «جويش أكشن» الأمريكية الخاصة باليهود (الأصوليين) مع رسم كاريكتورى ضخم يبين السائقين العاضبين وهم يتبادلون الانخاب- وينظرون بغضب لأى سيارة تظهر بسرعة أمامهم، بينما يتوقف تماماً الطريق السريع، وتقول الرسالة الإعلانية «سترتفع محتوياتك فى الطريق السريع مع تذوق لشرائط تعليم التوراة.

وقد أخبر القراء عن موجات لبث تعاليم التوراة عبر أثير نيويورك فى يوم الأثنين العاشرة مساءاً على موجة ١٠٥٠ أيه - أم» وتقدم تلك الشرائط موضوعات متعددة مثل الأجهاض وهو موضوع حساس فى ووجهة النظر اليهودية، وعن النزعة النباتية، وهل تنسجم مع تعاليم التوراة. قضية النساء، وهل خلقن حقاً متساويات مع الرجال وموضوع الاستحمام والأسرار الفلسفية لمياه الطهاره.

وجميع المحاضرين فى تلك الشرئط حاخامات على مستوى رفيع من التعليم.

ويظهر الهاريديون وترددواً وإزاء عملية التجديد فى أسلوب ومحتوى التعليم فدراس (الياشيفاه) المدرسة الدينية كما رأينا فى عزله دائماً داخل الاردة المحافظة وهم مترددون بطريقة فطرية حيال أى اتجاه جديد يظهر ويبدو لهم وكأنه يؤثرر على مضمون التلمود «أو الطرق التقليدية لوسائل تدريسه وتلقينه- وعملية الابتكار والتجديد فى الجوانب التكنلوجية يتم التسامح بشأنها عموماً وشملة- ونورف التعليم فى عالم الهاريديين الآن الكاسيت والتليفون- والفيديو والكمبيوتر وإستخدمت مؤخراً تدريس ونشر التوراه.

وحتى عمداء المدارس الدينية الكبار يباركون ويؤيدون وسائل التعليم الحديثه ونظريتهم فى ذلك أن نقل تعاليم التوراة عبر تلك الوسائل يعد أمراً مقبولاً؛ وفى النهاية فإن أى شخص لن يقضى حياته كلها فى المدرسة الدينية «الياشيڤاه».

وفى اعلان آخر عن التعليم باستخدام الشرائط فى صحيفة «جويش اوبزرفر» الأمريكية دعوة للقارئ إلى معايشة تجربة «الياشيڤاه» مع الحاخام «ياسشور فراند» وهو محاضر فى «الياشيڤاه ازرائيل» فى منطقة بالتيمور ويسمى ذلك مشروع نقل التوراة ويقوم الحاخام يجمع الدرس التى يلقيها فى تفسير التوراة «الأسفار الخمسة لموسى» كل يوم سبت فى المعبد- فعلى مدار السنة يستكمل شرح هذه الأسفار.

ويستمر الاعلان فى توضيح أن تلك الطريقة العملية تصلح لشرح كافة القضايا الفقهية- وتناسب الرجال المتدينين والعلمانين على حد سواء ويقدم الاعلان عرضاً عن ٤٠ شريكاً مجانياً.

وتقدم مدارس «الياشيڤاه» فى القدس ومساحاتها وفروعها فى مختلف تجمعات اليهود فى الخارج مكتبه كاسيتات بمحاضرات لنحو ٣٠٠ محاضر وتترواح الموضوعات التى تتناولها محاضرات الحاخامات أمور الحب والزواج والخطبة والأمور العقلية والفلسفية وذلك فى محاضرات لكبار الحاخامات أمثال ديفيد جو تيليب- جوذز هوبكنز- دا وزاك مليوسو فى فرنسا سجلت عدة شرائط حول نفس الموضوعات سجلها حاخامات الهاريديين الفرنسيين.

وفى إعلان آخر لمجلة «جويش اكشن» يعرض عن تقديم تعليم الياشيفاه عن طريق المكالمات التليفونية. ويقول العنوان كيف تحمى نفسك فى يوم كيبور (عيد الغفران) ففى الأيام العشر السابقة ولايتكلم لا تسمع إلى (اللشون هارا) ويعطى أرقام تليفونياً للحاخام شمراس هالسنون- أحدهما بالإنجليزية والآخر بالعبرية- وخط إذا

رغبت فى نقل الخدمة إلى المدينة التى تعيش بها.

وتقدم خدمة تليفونية مجانية عبر الخط الساخن- وتقدم صلوات الحائط الغربى للمعبد فى حالة الأشخاص المرشى وذلك تحت عنوان (خدمة صلاة على مستوى عالى) وتلك الخدمة مفتوحة على مدار أربعة وعشرين ساعة. وفى حالات الضرورة تعطى للطالبين جرعات من التفاؤل ووسائل الأمل.

والصلاة التى كانت لإسرائيل عن طريق التلغراف أصبحت الآن تنقل عن طريق الفاكس بالنسبة للمُستقبل.

وهناك جهازاً آخر كان على وشك إحداث ثورة فى عالم الهاريديين وهو جهاز الڤيديو- والذى يحظره ويحريمه زعماء الحاخامات باعتبارة اداة للشيطان- وكان الهاريديم أول من أتجه لأستخدام الڤيديو فى عملية التعليم- وكانوا يصورون كل مناسبة عامة ويرسلون بالڤيديو إلى المكتبات وإلى الأشخاص- ولكن ليس متاحاً الآن ذلك ولم يعد مصورو الڤيديو يلقون ترحيباً أو قبولاً فى المناسبات العامة للهاريديم أو فى حفلات الزواج حيث سبق للهاريديم استخدام الڤيديو فى تصوير الأفراح.

واخيراً قرر «البيت دين» «للايداه هاورنى» فى القدس ان أجهزة الڤيديو تعتبر خطآ كبيراً ومكروهاً. وقال [البيت دين] فى عام ١٩٩٠ أن الرب قد منع أى شخص من إمتلاك هذا الجهاز فى منزله أو فى أى مكان ونشرت هذه التحذيرات والتنبيهات أوساط الهاريديم ومجالسهم فى القدس وفى مدينة (بيتى بارك).

أعلنت مجموعة من الحاخامات فى [الحيرار حاسيديك] أن ثقباً كبيراً حدث فى حائط النقاء عنن طريق أختراع تلك الأسلحة المسماة بالڤيديو، وهذا السلاح دمر بالفعل بيوت اليهود وبدلا من أن يكون اداة ترفيه وثقافة كما أعتقدنا إلا أنه تحول

ليكون أكثر الأجهزة سوءاً نفس الفساد وقد دخل إلى بيوتنا عبر أستخدامه الاساس فى حفلات الزفاف ليتحول إلى أداة للشيطان- واليوم يجبرك هذا الجهاز أن تفعل كذا وغدا أفعل كذا- إلى أن يفسد اعضاء الأسرة بمشاهدة هذه الأشياء الممقوتة ومشاهدة أفلام الڤيديو الوقحة التى تباع فى المحلات. والمشكلة بالنسبة لجهاز الڤيديو ذات شقين فاولاً: ليشاهد الناس أشياء ممنوع عليهم مشاهدتهم أثناء حفلات الزفاف نفسه حيث أنهم يأخذون معهم أفلام الزفاف إلى منازلهم ويروا ما كان ممنوعاً عليهم مشاهدته مثل الرقصات الجنسية. حيث أن الهاريديم يفصلون بين النساء والرجال فى الأفراح.

وكل جانب يمثل للأحتفال بمفرده والنساء والبنات يظهران كطيئة فى شرائط الڤيديو حيث يمر الجارسونات الأولاد (وهم من غير الهاراديم) بين صفوفهم. والشئ الثانى الأكثر سوداً أن بعض الشباب البالغين يقومون باستعزة الشرائط السيئة من المحلات ليشاهدوها فى المنزل وذلك فى مجتمع يعتبر فيه الذهاب إلى دار السينما ممنوعاً - ومشاهدة التلفزيون من المحرمات.

ومن هنا جاء القرار الذى انخذه كبار رجال الدين و«أيده الهاريديم أن التعليم والتسلية عبر شرائط الڤيديو يجب أن تلغى من أجل الحفاظ على النقاء كاملاً.

وهناك الكمبيوتر الذى يعتبر جهازاً غير مشكوك فيه - والكثير من الهاراديم لديهم كمبيوتر شخصي لأغراض العمل الاحتياجات المهنية ولذلك تلعب شارئط (ديسكات) الكمبيوتر دوراً كبيراً تعليم التلمود وفى الياشيڤاه والتعليم الدينى. وبأنتشار استخدام التكنولوچيا المتقدمة فى تعليم «الهاريديم» وهو ما يطلق عليه (دايال- آه- داف) ويقابله فى الإسرائيلية [كول- هداف] أو صوت الصفحة- والتحق الآلآف وربما مئات الآلآف من اليهود عبر أنحاء العالم بهذه الخدمة- والدرس الذى يذاع إذاعته باللغات الإنجليزية والياشيفه- والعبرية (لغة اليهود الألمان)- وإذا كان هناك فراغات

بالشريط زيادة عن الدرس يذاع خلالها بث دينى والخدمة التليفونية هذه موجودة فى لندن وملبورن وواحد وعشرين مدينة فى أمريكا الشمالية.

وفى الخارج، وتقدم ليهود الشتات خدمة مجانية لفترة محددة كل شهر يتلقاها المشترك على رقمه الكودى.

وفى داخل إسرائيل فإن الخدمة المجانية والمكالمة التى تستغرق ساعة كاملة تحتسب على أنها ثلاث مكالمات محلية فقط بدلاً من عشرين مكالمة.

وشرائط التعليم بالكسيت منتشرة فى مكاتب (دايال– آه– داف) مقابل دولارين فقط للشريط ويمكن تغيير الشريط مقابل سنتات معدودة. ويقول الحاخام ميخائيل سالبى أحد محاضرى «الياشيڤاه» فى القدس والذى يعد من أكثر محاضرى (دايال– آه– داف) شعبية أن اليوم الوحيد الذى يستريح فيه هو يوم السبت حيث المكالمات ممنوعة– ويقول الحاخام أنه يتلقى مكالمات من الداخل وأحيانا من الخارج لتوضيح نقاط معينة فى الشريط اليومى. وأحيانا يكون السؤال من صحفه– أو رسالة سابقة يكون الحاخام قد سجلها منذ شهور أو سنوات مضت ولكن الطالب حدث وسمعها. وينظر الطلاب والدارسون إلى الحاخام سالبير كما لو كان مدرسهم الشخصى وذلك لدقته وبراعته ودروسه وسير الحاخام ويحيونه فى العلن بالتحية التلمودية «ليعمك السلام يدى ومعلمى».

ويرسل الحاخام دروسه وتفاسيره إلى دارسين من مختلف المستويات وهو يقرأ النص ويترجمه ويشرحه ويلوح عدة مرات خلال الصحفة ويوضحها ويقارن بين تفسيراتها المتنوعة.

وعندما يسمح الوقت أو تكون هناك ضرورة فهو بوسع المناقشة ويغوص فى شروح آخرى ويرأ القواعد المتعددة للنص- وغالباً ما يشير للدارسين ذوى المستوى الدراسى المتقدم أو الذين لديهم ووقت للقراءة إلى الكتب الخاصة بالتفاسير التى تتناول مع القضايا على مستوى أعمق كثيراً.

وأى شخص لديه خلفيه عن تعليم التلمود وقدرة على التركيز فإنه يأتى المحاضرة بفهم قوى للصحفة- وهؤلاء الذين يتابعون ملاحظات الحاخام سالبير يمكنهم أن يمضوا وقتاً آخر فى مطالعه شروح التلمود والبحث عن تطبيقاته الفقهية فى «الياشيڤاه» .

وبالنسبة للدارس الذى سبق له سماع شرح هذه الرسالة من قبل فإن مكتب [الديال- داف] يمده بطريقة للمراجعة التى تركز مرة آخرى على جزءا آخر لدراسته.

[والداف هايمونى وهو برنامج صحفة كل يوم على المستوى العالمى كان قد ظهر على يد الحاخام «مائير شابارا» عام ١٩٩٢ وهو القائد الكاريزمى للهاريديم والذى مثل حركة «أجودات إسرائيل» فى البرلمان البولندى وه الذى أسس أول ياشيا هاراوية فى بولندا ولاقت فكرة البرنامج تأييداً كبيراً من كل قادة حركة «ايودات» على الرغم من سخرية واستهزاء «ليتونيا ياشيڤاه» والآن تشجع الكلية طلاب الياشيڤاه على أعتماد (الداف- هايمونى) وأيضا استخدام شرائط «دايال- داف» فى التعليم.

وتنشر Dail - A - Daf شرائط للتملود الأورشليمى وهناك شرائط مختلفة أيضاً للمشناً [والهالاخاه) وكذلك شرائط للتوراة- ولكن يلقى التلمود البابلى الاساس الوحيد عند الهاريديين وأوجدت «العراف- هاميونى» أسلوباً عالمياً موحداً.

وبإمكان أى شخص أن يذهب إلى أى محاضرة- أويتصل [الدايال- داف) ليعرف أين توقف فى اليوم السابق.

وتنتهى الدورة كل سبع سنوات ونصف وسط احتفالات كبرى فى كل دوائر الهاريديم وتجمعاتهم بالخارج. وكتب صحيفة: نيويورك جويش عن «الإحتفال لساحة ماديسون فى ٢٦ أبريل ١٩٩٠».

وبعتبر «الداف - هاميونى» هو أكثر الطرق شيوعاً لتعليم العلمانين وإن لم تكن الطريقة الوحيدة فهناك شروح على مستوى أعمق وأكثر تخصصاً حيث هناك خطوط قليلة من نصوص التلمود التى تتم مناقشتها فى ساعة أو أثنين- وكل ذلك بوضع برنامج يشتغل به المحاضرين والطلاب على السواء فى مناقشات متعددة. وتشمل لعب الكمبيوتر شورخاً فى «الهالاخاه» وفى أسفار موسى الخمسة والفلسفة والقبالية (فلسفة سرية خاصة باحبار اليهود- والهاريديين) وفى الواقع فإن كل بند فى التوراة يُدرس ويحاضر فيه. وهناك درس للرجال وللسيدات ودروس تشمل طقوس وشعائر لما قبل الشروق والغروب والليل وطقوس خاصة بالمعبد والمدارس والمنازل- وهناك دورس لأوقات الغذاء لسماسرة فى شارع وول ستريت للمال- ومكاتب المحامين فى واشنطن ومكاتب وتجار الماس بتل أبيب وللمحاسبين بغرب لندن وهناك تعاليم خاصة برجال الكنيست الإسرائيلى.

ولعبت التكنولوچيا الحديثة أيضا دورها فى توفير الراحة للمدارسين ويسرت التدفئة المنزلية الكهربائية كثيرا فالشخص يمكن أن يُشاهد ويقرأ داخل سيارة مكيفة ويقرأ ويتعلم وفى غرفة دافئة وجيدة الرضاءة بصورة أفضل من الاسلاف الذين كانوا فى الماجئ- فا لواحد منهم إذا كان بإمكانه أن يوفر بعض الوقت من مشاعله اليومية فكان عليه أن يقطع مسافات طويلة فى الثلوج والوحل من أجل أن تلقى الدروس والتعليم فى

مكان قليل الاضاءة وهذا نتيجة ثورة العلمانين وقوتهم في أوساط الهاريديم.

والتساؤل حول ماهية التعليم من الناحية الفعلية وفى، وبالمعنى الحرفى لكلمة تعليم.. فى الإنجليزية لا من خلال المعنى غير المتبلور لكلمة..Lernen الياشيفه والتى تأخذنا وإلى المعانى الدينية والتثقيفية للكلمة.

وقد قضى عالم الاجتماع هامويل هيلمان قضى سنوات فى دراسة وملاحظة عناصر الاشتراك فى العديد من [Shiurim] فى أمريكا وإسرائيل وكتب يقول:

«لقد أدركت بالنسبة للعديد من اليهود الذين لاحظتهم أن كلمة «Lernen» تعد أكثر من مجرد الاستيعاب البسيط للمعرفه لشئ واحد والعديد من الذين شاهدتهم تعلموا لعدة سنوات ولكنهم بدوا غير قادرين على مراجعة النصوص بمفردهم أو على الأقل تذكر كثير من المضمون- وهؤلاء الذين تعلموا كثيراً يبدون سعداء فى تكرار ما درسوه. والأفضل تعليماً كما يبدو.. فى نوعية ترديد ما يعرفه كل شخص وقد شن استاذ التلمود الأمريكى الشهير وصاحب التعبيرات القاسية يعقوب نيستير فى كتابه عن اليهود الأمريكين هجوماً مدمراً ومزدرويا إزاء الظلم وسوء السمعه الواقع على دراسات التوراة عن طريق الهواة داخل المعبد والياشيفاه على حد سواء- ونتيسير الذى التحق بالحركة المحافظة ولكن اكسبته بعض أعماله تقديراً فى أوساط الهاريديم الأصوليين وهو يوافق على أن مصطلح "Levnen" فريد فى معناه ويحاول أن يكون المصطلح مسأله دينية وحدثاً مقدساً ولكن يقر، على أنه من غير الممكن الحظ من شأن المعنى الحرفى للكلمة.. بمعنى استخدام العقل لاستيعاب المعرفه.. وبهذا المعنى يزعم.

ويصف نتيسر طلابه بعد عام من الدراسة فى «الياشيڤاه» الإسرائيلى يقول عندما اسأل عما تعلموه فأنهم يذكرون اسم الرسالة أو النص وعندما اسئلهم عن النقطة الرئيسية فى الرسالة أو جزد منها فهم لا يذكرون شيئا فهم لم يتعلموا.

وينتهى نيسنر إلى أن كلمة Lernen وhearniny .. والتى نعنى التعليم.. لاتؤثر قلبهما فى الأخرى.. عند الهاريديين كثيراً. .

وانسىء الرئيس الذى يحس به المرء فى عملية..hearniny الشعور بالقدسية والراحة والاطمئنان ويصف هليمان تلك العملية.. بأن تشمله بعدم أصالة الممارسين لها. ولاشك، أن هناك كثير من الرجل والخداع فى أوساط الهارديم وفى الياشيفاه ولكن هناك أيضاً الكثير من الصدق والاخلاص والكفاءة الأكاديمية. فتتفتح وأعادة الأشياء المعروفة وتكرارها تميز جزءاً من الطريقة التقليدية فى الـ "Levnen" وحكماء الهاراديم المعورفين مثل الحاخام يوسف والذى لايرقى الشك لأقواله نظراً والذى لم تشكك فى أقواله الانجازات الأكاديمية التى قام بها نيتسير تتحق بنفس تلك الطريقة التقليدية ويقول هليمان أن بعض العلمانيين) الذين لاحظهم لسنوات شاركوا فى التعلم عن طريق (الكمبيوتر) لسنوات دون استيعاب أو فهم لمضمون النص وتعلم بعض مستخدمى الكمبيوتر الطريقة الصحيحة للتحرك دون أن تتعمق فى الغرض من أو الهدف من اللعبة– ولكنه يؤكد ان آحداً لا يستطيع أن يأخذ الحركة الصحيحة بدون فهم المغزى الفكرى.

وسجل نيتسنير بنزاهة أكاديمته تجربته الشخصية فى التعلم فى المستوى المتقدم فى القدس ووجد أن الاستمرار صعب جداً حتى رغم أن لديه خليفة عن التلمود ويريد حقا الانتظام ليتعلم ويلاحظ.

ويروى تجربته مع تلك الشرائط التى وصفت وناقشت ما كان يعتبر سراً «يادشياً» مثل أمر قرابين المعبد - وهو ما وأستطاع بصعوبة أن يفك طلسمة وبينما يتناول الشريط على نحو تقديرى فى دور التـهان فى رش الدم فى الأركان الأربع للمذبح ويقول ظلليت أنا جاهلاً إزاء القرابين التى شرحت- وما الذى يفترض أن يقوم به الكاهن بالضبط أثناء تلك العملية.

ويستمر فى وصف تجربته قائلاً لقد حاولت وسألت وتعجبت وضحكت وكان ذلك، على مايبدو فى التوقيت الخطأ - وهزج بدون أى قناعة أو قدرة على الاستمرار- ويقول وجدت نفسى مشدوداً نحو الخارج ووجدت النقاش يغالبنى.. ووجدت أيضاً أنه لامفر من خروجى من.. تلك الدائرة.

الفصل الخامس

الدخول متأخراً

وفى مواجهته ذلك فإن تعاظم وتكاثر الشباب الأصوليين الذين يعرفون بأسم البعليين [التائبين] فى صفوف الهاريديم قد يكون بمقدورهم تخفيف جدة الصراع بين الهاريديم والثقافة العلمانية. أول على الاقل تقديم شكل من أشكال التكامل بين عالم الياشيڤاه وعالم الدراسات الأكاديمية. ومعظم البعليين التائبيين دخلوا الهاريدية أثناء أو فور دراستهم الجامعية. وشرط الهاريديم، الوحيد لقبول التائبين البعليين والترحيب بهم كان هو هجر معتقداتهم وثقافتهم السابقة وان على كجماعة أن لا يبحثوا عن أى تركيب أو توليف بين التوراة والعلمانية رغم صعوبة هذا الافتراض من الناحية العملية وأنتشرت و«الياشيڤاه» بتوسع بين التائبين البعليين فى السبعينيات والثمانينيات الخاصة في القدس ولم يكن ذلك موقفاً ليبراليا تجاه أصحاب الدراسات العلمانية على نحو أكبر مما يحظى به طلاب «الياشيڤاه» التقليدية للهاريدية. وانما الهدف هو تحويل الكلاب إلى هاريديم ولم يهدفوا اطلاقاً إلى خلق كادر خاص مستقل عن الثقافة الهاريدية..

ويعتقد الهاريديم أنهم ابتلعوا التائبين البعليين دون هواده ودون تأثير على جوهر الثقافة الهاريدية وأختلط التائبين البعليين بالبيئة الهاريدية لدرجة أنه لا يمكن تميزهم من ناحية المظهر الخارجي- أما داخليا فهم كائنات مسموحة تماماً حتى مع الاستمرار فى وظائفهم الأكاديمية والمهنية- حيث ينصح هؤلاء بأن يصبحوا حاخامات ويدخل أطفالهم تيار التعليم الهاريدى يظهرون فى «الياشيڤاه» وحلقات الدراسة كاعضاءها مشين فى المجتمع الهاريدى ليس كمثل أى أحد وذلك فى المجتمع ليكرس نفسه للتعليم والثقافة وإذا كان تدفق البعليين التائبين لم يؤثر على مضمون الهاريديم

فأنهـا بالتأكـيـد اثرت فى الشكل- فى أعطاء قـوة دافـعة للتدفق القـوى للإنجليـزية والفرنسية للأدب والكتابة الهاردانية. وقوائم الكتب والنقوش الفنية فى نيويورك كثيرة ومئات من عناوينها تحتوى كل كتب التوراة الأعمال الكلاسيكية لليهودية تشمل التلمود نفسه وكتب الصلوات ونصوص شعائرية أخرى وكلها تمت ترجمتها وتم التعليق عليها تفصيلياً تماماً مثل الكتب التاريخية وكتب السيرة الذاتية وكتب الأطفال وكل هذه الكتب تم أنتاجها وطرحها بشكل شيق ومكتوبة جيداً وذات إخراج لائق وهذا الشكل الجديد من الكتابات الأدبية ليست منتقدة أو دوجماتية شديدة مثل أى كتابات فى التراث الهاريدى كتب من قبل باللغة العبرية القديمة راو العبرية أو الهاريدية قبل مائة عام.

وعلى الرغم من تصميم كتاب ومحررى تلك الكتب على أنها لا تختلف عن القديم فى المضمون فهل هم متأكدون تماماً- أن ذلك الادب الجديد/ القديم، قد كتب فى لغة مختلفة سيكون حتميا أن بمقدم أختلافات فى المضمون؟ واللغة فى النهاية أكثر من مجرد كلمات ونماذج تفكير اليهود الأمريكيين الجدد مختلفة تماماً عن تلك التى كتبت باللغة «اليادشيه» [لغة اليهود الايمان) وه نفسها على مدى القرون عولجت لتعبر نماذج ونصوص من التلمود العبرى الارمى.

وكمثال لذلك فإن تفسياًر لترنيمة السبت القبلانية تشرح خطأ واحداً كالتالى يعوزه الوضوح فى أدراكنا- ويبدو كما لو كنا نراقب حدثاً عبر الغيمه والضباب كنتيجة لذلك قلل من تقديرنا لكبر وعظه الله وأنها ولا شك كانت محادثة مخلصة لتقديم النص الأصلى، ولكنه كتب بإنجليزية القرن العشرين وبعض الكلمات والجمل المستخدمة لها مولالات الإنجليزية فى القرن العشرين فهل تمثل تلك الكلمات واللغة ما كانت تقصده قصائد القرن السادس عشر، وهلى حدث تسرب طوعاً أذكرها للمدينة

للنصوص القديمة؟

وفى الياشيڤا المدنى للهاريديين الأمريكية حيث كانت اللغة المستخدمة فى الدراسة هى الإنجليزية ومع ذلك فإن الطلاب والمدرسين كانوا يميلون لربط حديثهم وخطهم بكلمات من (اليادشية) اللغة القديمة أو فى الشكل للتعبير عن شرح وفارق قليل وضئيل فى معنى تلمودى لتوضيح ذلك الغرض.أو يقومون بترتيل الانجليزية فى التلمود الخاص فى الاغانى التى تم استنباطها من (اليبرية) لمصاحبه الاسئلة ولأجابات فى معظم نصوص التلمود.

وقد خطرت فكرة فرج اللفات فى عملية التعليم.

وفى كتاب «لهيمارش» عن تدريس الياشيڤيا فى أمريكا فإن محاضرا للياشيڤاه فى نيويورك قال لطلابه اما اشعر أن تشتير يجب أن نعطى يجب ان تعطى الكثير من بنود «الجماراه» والـ Meforshim – التقليدية ويقول أنا أعتقد أن ذلك يمكن أن يتم بدون الـ Ploiderring [مناقشة القضايا الادور التى معنى لها– والتى تعكس دائماً الجهل اكثر من المعرفة.

وبالنسبة لبعض الهاريديم فإن الطريقة التى ينطقون بها الإنجليزية فلاحظ فيها أن الصوت المرتفع قرب نهاية الكلمة تماماً كما هو الحال فى طريقة الاستنباط التلمودية وايتخدام كلمات لها مدلولات مختلفة– ولكن بالنسبة لبغض طلاب الهازادمة الآخر من فإن استخدام الترنيم التقليدى والقواعد أثناء التعليم هو استخدام رزين لنماذج التفكير والعمليات المرتبطة بالتلمود.

وعموماً فإن الكتب الحديثة التى تكتب بالانجليزية والفرنسية والعبرية المدينة فإن مثل ذلك التلحين (الترنيم بها مستحيل ويؤكد زعماء حاخامات الهاريديم ان تلك

الكتب يمكن أن تتجاوز تلك الفجوة فى الاختلاف.

ومثلما كتب أحد علماء الاجتماع فإن الناس أخترعوا اللغة ثم وجدوا أن منطقتها يفرض نفسه عليهم وقواعد اللغة الحديثة ربما تكون الأن تفرض نفسها بطريقة مناسبة لتفتح عقلية الهاريديم وبالتاكيد فإنها ستكون البعض الحديث للغة «اليادشية» فى العديد من تجمعات الهاريديم ويفترض الحاخام فانديل فيينا فى «النائب المساعد لياشيڤاه للبعليين فى القدس والتى تعتبر أكبر ياشيڤاه» يفترض أنه ليس استخدام اللغات الحديثة هو الذى يكون مناسبا للتأثير فى جوهز عملية التعليم ولكنها الحاجة غير المسبوقة لنقل التلمود للمبتدئين مع تثقيف البالغين- والحاجة غير المسبوقة التى جادت بحركة التوبة المتأخرة خلفت طرقا جديدة للاتصال داخل عملية التعليم وذلك يمكن أن يؤثر على المضمون كما يؤثر على الشكل، وفى ياشيڤيا فإن التدريبات الدينية تبأ بالنسبة لكل دارس فى اليوم الأول من تجربته فى «الياشيڤاه» وربما التجربة الأولى للأصولية أو أى شكل من اليهودية فى حياته. والحاخام فانياح الذى كان يوماً مدروساً فى نيوچيرسى مقتنع بأن مواجهته غير المتوقعة على المصدر ومع جوهر الثقافة الهاريدية هى الطريق الأفضل فتح العقل واشعال روح الباحث عن الخلاص وفى معظم حلقات الدراسة «للبعليات» التائبات كما هو الحال ففى كل مدارس البنات فى الهاريدية وحلقات السيدات فإن مثل تلك المواجهة غير متاحة. وكمبدأ دينى فإن النساء لا يتعلمن التلمود. ومن يعلم أبنته التوراة كمن يعلمها الفساد كما تقول «المشنا» فى الرسالة رقم ٣:٤» وطبق اليهود فى الماضى ذلك الخطر بشدة ومنعوا التعليم الدينى العميق لبناتهم وفى حالات قليلة استثنائية كان يتم تعليم سطحى من قصص التوراة والصلاة مع تدريس لفنون المطبخ والحياكة وكانت فترة ما بين الحروب العالمية فى القرن العشرين هى البداية الفعلية الفساد عن طريق حزب (ايورات إسرائيل٩ فى محاولة لوقف نزوح النساء الصغيرات من الأصولية- بحثا عن التعليم.

واليوم يوجد لدى كل مجموعات الهاريديم مدارس وحلقات للدراسات للنساء والبنات والبعض منها يقدم لهن منحاً للدراسة فى الخارج لان العديد من النساء «الهاريديات» يتفوقن على نظرائهم من الرجال.

وهناك الجماعات الأكثر محافظة وتشدداً مثل قيم «سفامارها سيواك» فى نيويورك «والايداه هارنى» فى القدس فإن الخطر التقليدى على التعليم الدينى للبنات لا يزال قائماً– ونصوص معنية من بينها حتى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة لا يتم تدريسها.

ويتم تكرير وتنقيح المادة من مصادرها وتترجم إلى «اللغة اليادشيه» وتدرس بذلك الشكل الملخص للبنات والسيدات الصغيرات.

وفى الغالبية لحلقات الهاريديم إلتى تنتمى إلى «أحودات» وبقية الأحزاب الأخرى فإن الخطر تم تفسيره على أنه يخضع فقط للقانون الشفوى يخضع لفكرة زن ذلك هو أن التلمود ليس التوراة وتفاسيرها وأنه ليس محلاً للأعمال الأدبية والعقلية وليس للكتب فى تطبيق الاحكام «الهالاخاه»– وهذا هو الحال أيضاً فى مدرسة أورشليم مستر اسكول التى بها ٤٠٠ طالبة فى «نيفى أورشليم».

ويقول الحاخام «ديفيد بودين» رئيس مدرسة البنات العليا فى لندن مع ذلك فإنه لو اردات واحدة أن تدرس التلمود فإن أحداً لن يمنعها هذه الليبراليه المتاحة فى معقل الهاريديم الوروبى ربما هى ان انعكاس لان التلمود المكتوب حديثا بالانجليزية وبموافقة حاخامابة له من السهل الوصول إليه– فالتراجم القديمة «للمشنا» والجماراه كانت سرية وغير حوارية. وترجمة كانت شتاين شولتز محظورة وربما يعكس أيضا مطلب البعليات التائبات غير العالى ولكن المسموح أيضاً بعدم حرمانهم من دراسته تجربة التلمود والتى تعتبر هامة جداً لحياة الهاريديين عموماً وبالنسبة للعودة للتوبة خاصة–

لأزواجهم أو أزواجهم فى المستقبل بالنسبة لغير المتزوجات. وفى مدينة القدس فإن واحدة على على الأقل من «الياشيڤيا» الأكثر تقدما القت بالفعل الخطر التقليدى وتقدم للبنات مناهج لا تختلف جوهريا عن تلك التى يتم تدريسها للرجال فى «الياشيڤيا» والبنات يتعلمن فى الواح "Chavrusa" ويتجادلون مع بعضهن ومع الحاخامات– ويحضرن محاضرات "Shiuvim" حيث يحاول السياجا "Sugya" شرحاً أكثر تعمقاً. وقيمة تشجيعهن على هجر الفن الكتابى الجديد للتلمود والأفكار التدريسية الجديدة أيضاً والعمل باللغة الارامية الاصلية من أجل تنمية قدراتهن المستقله فى مهارات تعلم الجماراه.

وحركة البعليين التائبين مع أنها تعتبر ظاهرة مهمة فى التاريخ اليهودى المعاصر فإنها لم تصل بعد لمستوى وحركة البعليين التائبين أنها تعتبر ظاهرة مهمة فى التاريخ اليهودى المعاصر فإنها لم تصل بعد لمستوى التوقعات والآمال المخاوف التى ولدتها فى المجتمع اليهودى فى مستواتها الأولى. وفى ايام عزها فى أواخر ١٩٧٠ كان يتم النظر إليها من جانب الهاريديم وبقية اليهود على السواء على أنها تغيير كبير، لحصص التناسب والتوزيع فى المجتمع، فا بالنسبة للهاراديم كانت تلك أخبار جديدة بالتأكيد تلك احبار جديدة بالتأكيد تؤيد وتركز أحساسهم الموضوعى بأن الهاريدية تلقى كل ما سبقها– وبالنسبة للآخرين فإنها كانت عامل اضطراب وتخويف والاسر التى كان يقدم أحد الابناء أو البنات بها فجاة بالتغيير ويبنى أسلوب الحياة والاحكام المتشددة للأصوليين(الاصلاء) كان يتم استيعابهم وفصلها.

وحمل رجال السياسية وجنرالات الجيش فى إسرائيل الخطأ ترك اتفاق من الطيارين الحربين الخدمة بعد رفضهم الطيران فى يوم السبت وأصرارهم على أطلاق اللحية رغم أن طولها يتعارض مع أقنعة الإكسجين التى يرتدونها. وكان الوعاظ

والخطباء الذين تحولوا إلى حركة التوبة ممنوعين من التحدث إلى المستلمين العسكريين وأوقف وزير الدفاع فى إسرائيل تدريس برامة التائبين البعليين للجنود فى الياشيڤاه البعلية. وقد بالغ ناشطى حركة الوبة فى نشاطهم علنا. ويقول مفاهيم بورش أحد أعضاء حركة [أحودات إسرائيل] فى الكينسيت أن ذلك أرتد ضدهم فى النهاية.

ويلقى الحاخام نوتاه ستيلر Shiller من «ياشيڤاه» Onr Samayoch باللوم على تقارير وسائل الاعلامية العدائية والخوف الذى لا يستند إلى عقلى من الهاريديم فى بعض قطاعات المجتمع الاسرائيلى. وكانت الحقائق فى ذلك الوقت أنه بالنسبة لكل أسرة فان شيئا غير سعيد أن يدخل أحد أطفالها شاذارا بنشيڤاه- بينما تسعد مئات الأسر الأخرى بذلك. والعديد من الشباب اليهودى الذين جاءوا من الخارج ويخدمون الأن فى الجيش الاسرائيلى يشعرون بالامتنان «لياشيڤاه» Onr Samayoch أكثر من الأخذ جبراً للدراسة فى «الياشيڤاه» التقليدية ويوافق الحاخام شايلر على أن قوة حركة التوبة قد وصلت إلى الذروة بين الشباب.

وهو يرجع السبب فى ذلك إلى التغيير داخل المجتمع الغربى. وعندما قام الحاخامات الأمريكيان المهاجران ڤينباج Weinbacu وشيالير Schiller بأفتتاح ياشيڤاه Onr Samayosh فى أوئل السبعينيات فى غرفة خلفية من ياشيڤاه القدس فإن اليهود الهيبين (الوجوديين- والمقارينيين من جبل ڤيتنام ما الذى يريدونه فالبعض منهم أستمراو والتحق فى التجربة الهاريدية- والبعض الأخر أنجرف بقوة فى التجربة. وتوسعت ياشڤيا Onr Samoych ليصل عدد طلابها الآن إلى ٥٠٠ طالب- ولها ساحات وأفرع عديدة فى نيويورك ولوس أنجلوس وتورنتو- لنيدن- جوها نسبرج- وملبورن وأنتشر الآلاف من خريجيها بين أوساط اليهود. ولكن مع ذلك فإن هيكب الدراسة فى داخل أسرائيل قد تغير كثيراً والتسجيل للبنات والأولاد على حد سواء يتناقص وأصبح النظر إلى التعليم

العالى أقل فى إسرائيل وأبناء الطبقة الوسطى فى إسرائيل فى التعليم العالى يتناقصون. ولم يعد الدارسون يتدفقون من الخارج كما كان الأمر فى البداية. ومع ذلك تقرر أعطاء الفرصة للياشيڤاه بدلاً من التغير المفاجئ ولكن استمرارها على المدى الطويل كما يقول الحاخام شاليبر أمر أكثر اجهاداً وأكثر خطورة. والبرامج التى تقوم ياشيڤاه OnSamayosh بتوزيعها لفروعها فى الخارج تجذب الأشخاص الذين فى الثلاثنيات والأربعينات وهم الجيل المخضرم من الهيبين (الموجودين) ويقول الحاخام بنهاس Pen-has مدير تعليم اليهود أن مدرسة Onr Samoych فى مدينة لوس أنجلوس قد شاخت وكبرت وتلاميذ المدرسة الآن أصبحوا أكثر ميلاً للمادية عما أعتادو أن يكونوا مشاعر اللامبالاة والأسترخاء هى السائدة فى الساحة- وعملية التمويل (الدينى) التى تأثرت فى الماضى بالواعظين الكارزميين لحركة التوبة أصبح أقل عما كان عليه منذسنوات. والظاهرة على المدى الطويل فى مجال للجدال والتفكير- والهارديم دائماً يميلون للمبالغة فى تقدير عددهم وأهميته- وأعداء الهاريديم يرون أنها قلت وراء أعضاء الهاردية موضوع قوى فى التصوف والتحول من الوقاعية لاعادة الانبعاث. وأيا كانت الاحصاءات فإن حركة التائبين البعليين أعطت الهاريديم تأكيد إلهى بصحة معتقداتهم وتمثل بالنسبة لهم تحول تاريخي بعد قرون من الياشيڤاه أصبح هناك عدد لا بأس به.

والاحصاءات تصلها مؤثرة وذات دلالة- وأحد مشروعات البحث وهو مشروع تقرير سكان نيويورك فى عام ١٩٨١ الذى اداره بأول ريتير باند وستيفن سوستين لصالح أتحاد محبى اليهود فى نيويورك ويوجد البحث أن بالمائة من يهود نيويورك تم تصنيفهم على أنهم محافظون جداً (وتم التصفيق على أساس هؤلاء الذين يرفضون التعامل بالمال فى يوم السبت)- وأقل محافظة جاءت بنيبة أقل ١٠٪ وعلى أساس الاسرة المحافظة التى ترفض أشعال الشموع فى ليلة الجمعة كتأكيد قوى للتقاليد.

والباحثين الأكاديمين لايزالوا غير متأكدين حول نسبة النائين البعليين الذين ظلوا أصحاء العقيدة (أصوليين ولكن عالم أجتماع أمريكى درس حركة التائبين البعليين لعدة سنوات يقرر أن نسبة كبيرة من البعليين الذين درسوا فى «الياشيڤاه» لفترة زمنية طويلة أستمروا داخل الهاريديم.

وفى أوساط السفارديم- وخاصة داخل اسرائيل فإن حركة البعليين والتآئبين لا تزال محتفظة بقوتها الأولى وإجتماعات البعث والحماس لا يتزال تقدم عمليات التمويل الدينى بالجملة مع عشرات من الأشخاص الذين يأتون علنا عن الحلول التى يزروها للبقاء كمحافظين فى حياتهم. والحاخام ريفين الباز هو الأكثر شعبية فى أوساط- السفاراديم- وهو أيضا صاحب «ياشيڤاه» للشباب من حركة التائبين البعليين- وخطب ومواعظ الحاخام الباز ذات طابع درامى ومليئة بالسخونة- وتصوير وأحياء تصور الجحيم وذكر العديد من المعجزات. وقال الحاخام أن الخطر بين الذين لا يتوبون فإنهم كما قال الحاخام لأحد مستمعيه ويوضعون فى قبر داخلى حتى ذقونهم فى فراء (روث) فعلى.

بينما يذكر معجزة لأحد الضباط من البعليين التائبين وهو ضابط عسكرى نجا من موت محقق عندما حال كتاب المزامير الذى يضعه فى جيب السترة بدون أختراق رصاصة لصدره.

ولأن مجتمع السفارديم أقل نسقية وطبقية فى محافظته من مجتمع الأشكيناز فإن ظاهرة التائبين لاقت توتراً أقل من الناحية الأسرية والاجتماعية. ولذا فإن عملية "wazava Biterhcev" لم تولد أنفصاماً كبيراً للعضو التائب مع بقية أفراد الأسرة- ولم يتم النظر إليهم بنفور لأتجاههم نحو الهاريدية وكان قليل من التفكير والسخرية التى تسببها عملية «شاذارا بتشيڤاه» فى السفارديم. والأسرة السفاردية غالباً ما تكون فخورة

بأحد أقاربها التائبين البعليين- ولذا يظهر تفكيره ومظهره الخارجى بسرعة. وخلال أسابيع يتم تدريب الصغير عن طريق كاهنه حيث يصبح حاخام، وفى بعض الأحيان يؤدى الانسلاج إلى تطرف شاذ وفى المحاكم الجنائية الإسرائيلية فإن عدد البعليين التائبين الذين يمرون فى قفص الأتهام يبدون خارج نسبتهم داخل المجتمع بصفة عامة. فالمجريمن يعتقدون أن القضاة تحركهم دوافع دينية- فهم يبغون فى الاعتقال بمجرد أن يبدأوا فى تربيهم لذقونهم ويرتلون المزامير. والحاخام أوفاده يوسف تم أقناعه بأن يطلب تخفيف العقوبة من رئيس الدولة لقاتل مسجون وهو واحد من أكثر عناصر العمل السرى سودآ فى السمعة فى إسرائيل- وهو علنا وا أحد من البعليين التائبين داخل السجن يقوم بقراءة التوراة كل يوم. وهو يقوم بتبرعات كبيرة لصدقات الهاريديم وأدرجت حركة التائبين البعليين فى السفارديم بقوة مع حزب شاس الدينى- وبرامج تعليم الصغار لحزب شاس تتيح منابر للوعاظ البحثيين مثل الحاخام الباز- ومدارس التنشئة المجانية لها تمد التائبين البعليين بالوسائل العلمية والجذابة لتقوية وترسيخ أطفالهم مع مكتسابتهم الجديدة فى القيم وأسلوب الحياة. وأكد سياسو حزب شاس أحقية البعليين التائبين من السفارديم فى الحصول على حصصهم المحددة من الدعم الحكومى.

وحزب شاس الدينى الذى كان قد تاسس عام ١٩٨٤- كان له منحنى ضغوط غير مستوى. وهو يقاوم اتهامات سياسية بالخيانة والتمويل غير المعروف ولكن قادته الكبار يتوقعون له صورة مشرقة فى المستقبل البعيد- وفى أنتخابات ١٩٩٢ ورغم المشاكل التى يعانى منها الحزب فإنه أستطاع الحفاظ على قصائده السته داخل الكنيست وكان نقيضه ٣٦ صوتا فقط من أجل الحصول على المقعد السابع.

وترحيب ودمج الأعضاء البعليين والبعليات فى الهاريدية ليس كافيا- فالأختيار الأصح هو عملية الزواج- وهنا يجد البعليون التائبون أن طريقهم مصضد بنوع من التميز غير الرسمى ولكنه تميز قوى- السفارديم عامة يحاولون ربط البعلين ببعضهم البعض فى الزواج- وتسرى إشاعة فى الهاريديم فإن من يتزوج أو تتزوج من بعل أو بعلية فإن شيئاً سيئاً سيحدث له كأن يصبحوا فقراء- وتحدث لهم مشاكل صحية- والأسواء من ذلك عدم التوافق والانسجام العاطفى بين الطرفين. وبعض الملاحظين وجدو هذه الفروق- إلا أن البعلى أستمر هاراديا مع ذلك- وربما إلى الخوف من جانب الهاريديم من انسلاخ من أقاربهم التائبين ورغم أن الزواج من البعلين مؤسس دنينا على اساس أنهم جاوراً من أصول (بيوت) غير بقية أو غير أصولية وعملية النكاح أو الجماع لا تحمل تحريماً دينياً ولكنها تعد وصمة عار مع ذلك. وبعض الداخلين الجدد الذين ربما يكونوا كيفوا أنفسهم مع الهاريدية كما قرروها- سوف يذعنون لذلك العجز وسيبحثون عن الزواج من شركاء لهم من نفس الطائفة. وهم غالباً يفضلون أن يفعلون ذلك حيث يجدون توافقاً أكبر من مروا بنفس التجربة ونفس عملية التحويل الدينى- ومروا أيضاً بنفس التوترات والتناقضات فى الماضى والحاضر. ولكن بعض التائبين البعليين الذين دخلوا الهاريدية بإخلاص وجدوا أنفسهم قد تحروا من الاعتراض الجماعى الصارم عليهم- وأحد المحامين الأمريكيين الذى قام بعملية تأريخ تحول إلى الأصولية وخرج منها مرة أخرى بعد خمس سنوات كتب يقول أننى تعبت من التجاهل وعدم الاحترام ضد التائبين- وتعبت من أن أكون غريباً وسط أهلى- فالأصولية غفلوا عن كل ما فعلته خلال السنوات الخمس وهم يقولون أنه شئ لطيف ولكن يسألونك عن الزواج هل تقبل لأبنتك أن تتزوج وأحد منهم؟

الجزء الخامس

بالخبز وحده

الفصـــل الاول

نقود وصدقات

يصارع يتشيل ميتشل جود ڤارب- البالغ من العمر ٣٤سنة- الموت منذ ١٥ عاماً، فهو فى معركة مستمرة مع مرض الهودكين وهو أحد أنواع السرطان الليمفاوى وكما يقول، فان ذلك هو السبب فى آن بابه مفتوح ليلاً ونهاراً لفقراء القدس.

ويقول- كما جاء فى التلمود- إن المحبة هى السبيل الفعلى لحياة ممتدة وفى سنه ١٩٩٠ ، وزع (تصدق) بثلاثة ملايين دولاد، جاء أكثر من نصفها من الأخوة «الهاريديين» ريتشمان Reichmann المقيمن فى تورنتو- بكندا.

وقال مويش Moish عن بول ريتشمان (وهو مدير أعمال هذه العائله، التى جاءت الثامن فى الترتيب الثامن بين أغنياء العالم قبل أن تفلس ١٩٩٢) لقد كنت أفعل ما أريد بما أعطاينه من نقود فتكمنت من شراء يخت وأن أسافر حول العالم، فقد كان يثق فى ثقة عمياء.

وأكدت مصادر أخرى فى الهاريدى أن الأخوة ريتشمان كانوا ينظرون إليه بنظرة خاصة.

فأثناء الركود الاقتصادى فى الغرب فى عامى ٩٠، ١٩٩١، أدخل الأخوة تخفيضاً كبيراً على المساعدات التى كانوا يقدمونها والتى وصلت فى السنوات القليلة الأخيرة إلى مئات الملايين من الدولارات وجهت معظمها إلى (المجتمع الهاريدى) هذا بينما لم تمس مخصصات يتشيل وقاله أنه ساعد سبع آلاف أسرة فى سنه ١٩٩٠، وهذا يعنى كما يقول: « أن ١٥٠ الف إنسان قد أنتفعوا من ورائى بشكل أو بآخر» وهذا سبب كاف- كما يرى- لأن يحافظ الرب على حياته أما وابين تينينباوم وهو

أيضاً أحد كبار ملوك المال اليهود الخيرية فى تورنتو، وهو نفسه ليس هاريدى، فقد حذر فى سنه ١٩٩١ أن الاعتماد المتزايد للهاريديين فى إسرائيل على المساعدات الخيرية يعد أمراً «مخيفاً».

وقد أبرز سقوط آل ريتشمان فى ١٩٩٢ مدى أهتزاز الاقتصاد الهاريدى.

وقد لاحظ المراقبون السياسيون أن هناك علاقة بين هذا بين تلهف الأحزاب الدينية للانضمام إلى الائتلاف الجديد الذى تكون مع حزب العمل بعد أنتخابات يونيو ١٩٩٢ فى إسرائيل.

فقد أنضمت حزب شاس سريعاً، والآخرون وقفوا فى تردد سببه تحالف العمل مع حركة ميرتيز العلمانية وإن تطلعوا رخاء مادى لمؤسساتهم الشعبية والتعليمية.

ومع ذلك فإن وابن تينينباوم كان يساعد والده چوزيف فى توزيع ملايين الدولارات كل عام على مدارس التلمود التابعة للـ(الهاريدى)إسرائيل، و ذلك من المؤسسة الخيرية الخاصة بالعائلة.

ويؤكد واين أنه « ما لم نجعل هذه المؤسسات تزدهر فسنفقد زخم ديننا كله».

ووفقاً لما يقوله رابى ديفيد ريفسون رئيس مدرسة القدس الجديدة، إحدى المدارس النسائية فى القدس وتضم ٤٠٠ من مختلف أنحاء العالم- فإن تينينباوم هو أكبر المتبرعين للتعليم الدينى فى إسرائيل ويهتم تينينباوم خصوصاً بمدارس تشوفا التلمودية ويعتبر أيضاً- مع الكثير من الحياد- الأب الروحى لحركة تشوفا (التوبة) وقد كتب ذات مرة أن أبناءه قد استوحوا قليلاً من أبويهم اليهود المهاجرين فى شمال أمريكا.

فقد كانت الأيام عصيبة وقتها وكان شظف العيش يجعل المواهب تبتعد، ولذلك رحل الكثيرون بعيداً عن أصولنا وتراثنا، والآن يحدث العكس، الآلاف من الشباب الذين لم يتلقوا أى تعاليم يهودية، يبحثون وينقبون ويعيدون أرتباطهم بيهوديتهم ويقول ريفسوف: «أن الإنسانية عند اليهود لا تصدق» و « اليهود يعرفون أن عليهم مساندة رفقائهم، فالأغيار يتصدقون أما إذا كانوا أثرياء جداً أو أذا كانوا يشعرون أنهم مذنبون بشدة.. أما اليهود... فهم كما يقول التلمود (متواضعون، رحماء، ومحسنون) هذه هى سماتهم وهى متأصلة فيهم، فاليهودى قد يفقد صلته بكل شئ.. ماعدا حبه للآخرين».

وقد جمع ريفسون معظم تمويل مبانى معهده والتى تكلفت عدة ملايين من الدولارات من يهود غير شرقيين، لكنه كان يدخل المتبرعين له فى سجل تاريخ المعهد، ويقول إن «معظم اليهود يعتقدون أن اليهود الآخرين لابد وأن يكونوا متدينين، لكن الآن أبعد من ذلك، فالأغيار يدرسون جيداً لمن سيعطون أموالهم أما اليهود فينفقون فى المجالات التى يعرفون أنها ستصيبهم بالأسى!» ويقول تينيباوم: «أنا مهموم بموقف الهاريديين من بقية اليهود. فهم ينظرون إليهم شذراً لأنهم ليسوا أبناء المدارس التلمودية «السوداء»، فأنا قلق بشدة بسبب مما يسمى بمسألة (من هو اليهودى؟) فقد أقتربنا مؤخراً من الإنفجار لكن الأمر سيعالج بالتأكيد. وأصدقائى فى إسرائيل قلقون على مستقبل الدولة بسبب الانقسام الدينى- العلمانى. وهو ينمو بالملائمة على الهاريديين فى هذا الاستقطاب المتنامى فيقول: «إنهم كمن يضع عصابة فوق عينه»، إلا أنه يستدرك بسرعة ويقول: «لكنى لا أريد أن أتحدث ضد أناس أحبهم». والتصور الذى يقدمه التلمود لليهود بأنهم متواضعين ورحماء ومحسنين، قد أنعكس على الاقتصاد الهاريدى وتمارس الدوائر اللوبشية الهاريدية المحترفة- نفس الدور تقريباً ولكن بطموح أكبر- فى الأروقة والزهاليز فى الكنيست الإسرائيلى، فالخيرية ليست مجرد

مظهر لحياة الهاريدى، وإنما هى النفس الذى يتنفسه، جزء من حياته. وكما يقول البروفسيور مناحم فريدمان وهو عالم اجتماع كرس حياته الأكاديمية لدراسة الهاريدية: «فأن العالم يقوم على ثلاثة أشياء، على التوراة، العبادة، والإحسان» كما يرد فى المشناه.

فالتوراة ليست للنخبة فقط، وإنما هى تطال المجتمع كله، وكذلك الإحسان أيضاً، ليس فقط مجرد نموذج تقليدى للمساعدة من الغنى للفقير فتقريباً كل فرد فى المجتمع الهاريدى فى إسرائيل يتلقى الصدقات بشكل أو بآخر ويقول فريدمان: «إن سواء فى إطار تعليم التوراة أو فى إطار المساعدات الاجتماعية، فإن كل منهما يتجاوز أى شئ آخر ما عرفه التاريخ الطويل لليهود بوضوح.

ومجتمع المتعلمين الآن لم تر إسرائيل مثله من قبل فالمتعلمون المنتظمون فى الدراسة كانوا دائما أغلبة فى المجتمع أما الباقى فكانوا يهتمون بالسعى وراء لقمة العيش.

أما فى القرون الآخيرة، فإن المتعلمين بما فيهم جماعات الهاريديين المقيمين فى المدن الآربع المقدسة (القدس، طبرية، صفد، حبرون) كان هؤلاء المتعلمين تيلقون المساعدة من مجتمعاتهم الأصلية فى ماعرف بنظام الحالوقاه (Holluka) (أى توزيع الصدقات) فإذا وجد كوليل* Kallel (المناطق التى يعيش بها اليهود فى الشتات) ولا يتلقى من الدعم الذى يكفيه فبمقتضى هذا النظام يتم إرسال مندوبين لزيادة التمويل اللازم له، والسفارديم فى فلسطين أيضاً يعيشون بنفس الطريقة مدعومين من بمجتمعاتهم الأصلية عبر الأمبراطورية العثمانية؛ كان-هذا فى الماضى... أم الآن فإن

---

* Kollel الكوليل.. المدرسة العليا المخصصة للرجال المتزوجين ليعلقوا فيها على مواصلة العلوم الدينية والتوارتية وهى مثل الياشيفاه وأن إقتصرت الياشيفاه على الطلاب غير المتزوجين .

المجتمع الهاريدى فى إسرائيل كله يعتبر Kollel واليهود الهاريديين فى الشتات يمثلون المجتمع الأم بالنسبة لهم.

وتحاول الأغلبية فى إسرائيل أن تظل (فى مرحلة التعليم) حتى بعد الزواج، وبالتعبير الاقتصادى، فإن ذلك يعنى تضاؤل التطاوع المنتج من الهاريديين.

هذا بينما تتزايد معدلات تدفق المساعدات الخيرية القادمة من الشتات والتى تمثل الأسلوب الحديث لنظام الحالاقاه القديم.

كما أن التمويل الذى تقدمه الدولة لا تتحفظ عليه المعارضة ويذهب إلى الهاريديين، كنوع من المساعدة الخيرية الحكومية ويعتبر الهاريديون بهذه الأموال لا يختلف عما تقدمه الدولة من دعم للجامعات أو الفنون والآداب.

ويرى بعض المراقبين، وبينهم هاريديين، أن هذا الهرم الضخم محكوم عليه بالإفلاس والأنهيار وقريباً تحت ضغط النقل الديموغرافى للهاريدين بالإضافة للسخط المتزايد بين غير الهاريديين بسبب أموال دافعى الضرائب التى تذهب إلى الموسسات الهاريدية .

ومع ذلك، معظم الهاريديين عندما يسألون عن توقعاتهم لآفاق اقتصادياتهم، فإنهم يتعشمون فى الرب لكى يحافظ على تدفق الدولارات لهم.

الفصـــل الثانى

الذين يساعدون أنفسهم

«عرض خاص للعميل الهاريدى» هذا هو الإعلان الضخم الذى نشرته صحيفه هاآرتز الإسرائيلية فشركة آفيز لتأجير السيارات كانت تعرض أسطولها للبيع، والإعلان يوجه العميل الهاريدى إلى سيارة صالون فرنسية الصنع ويصفها بأنها السيارة المثالية للعائلة فهى تكفى سبعة أفراد) وإذا كان عدد ٧ أماكن بالسيارة ليس كافياً تماماً بالنسبة للعائلات الهاريدية، فإن فكرة شراء سيارة جديدة نوعًا ما حتى مع التخفيض الذى تقدمه شركة آفيز، تعتبر كالحلم بالنسبة لمعظم العائلات الهاريدية.

فالضرائب على السيارات فى إسرائيل باهظة جداً، ومن يملك سيارة غالباً ما تكون قديمة ويتحشر فيها العائلة كلها ويتمنون ألا يراهم رجال الشرطة.

وكلمة (هاريدى) وكذلك (العائلة كبيرة) أصبحت ذات دلالة حقيقية سواء فى الإعلان أو فى الواقع.

وقد أصدرت مؤسسة التأمين الحكومية فى إسرائيل فى ١٩٩٠ تقريرًا عن الفقر حذرت فيه من أن ١٠ ٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر وأن الفقر منتشر بين العائلات الكبيرة أكثر من الصغيرة وقد نشرت صحيفة هامهان هاهاريدى تحت عنوان (إنهم يقصدوننا!) موضوعًا بقلم يزرائيل إيشلر رئيس التحرير قال فيه: «إن تقرير مؤسسة التأمين الوطنية لا يصنف الفقراء بناءً على الخلفية الدينية، لكن العلاقة واضحة فعدد كبير من العائلات التى تعيش تحت أو فوق خط الفقر مباشرة تنتمى للمجتمع الهاريدى.

رغم المساعدات الكبيرة التى تتدفق من الشتات .وتلك التى تخرج من الحكومة، فإن الهاريديين فقراء ويزدادون فقراً » وقد تضمن التقرير المذكور أن فى كل عائلة يحتاج الفرد إلى ٥٠٠ شيكل (٢٥٠ دولار فى ذلك الوقت) شهرياً ليتجاوز خط الفقر ويعنى ذلك أن العائلة الهاريدية التى تضم ٨ أطفال تحتاج إلى ٥٠٠٠ شيكل شهرياً، فكم عائلة هاريدية توفر لها هذا الدخل؟ حتى مع وضع قروض ومرتبات مؤسسة التأمين فى الاعتبار؟ وكم أسرة من أسرنا لديها ١٠ طفال أو أكثر؟ فلماذا لا ينادى القادة بوقف كل هذا؟

فالجميع يتكلم عن الحالة الصعبة جداً للمدارس التلمودية والمؤسسات الأخرى.

ونحن نعرف عن الكثير من المؤسسات الضخمة غير الدينية والتى تتلقى المعونات ببذخ بينما الوضع فى المدارس الهاريدية أكثر من سئ. بالتأكيد لأبد من الاستمرار فى طلب التمويل لمؤسساتنا لكان لماذا لانطالب بذلك أيضاً من أجل كل العائلات وكل الطلبة المغتربين وعائلاتهم فالكل يعيش تحت خط الفقر.

وفى الواقع فإن السياسة الهاريديين ينادون بأعلى أصواتهم بالنيابة عن تنظيماتهم، وقد أدت الاتفاقات الإئتلافية بين الأحزاب الدينية إلى زيادة المرتبات التى تخصصها الحكومة للمدارس الدينية والوعاظ والطلبة المغتربين.

وفى كل عام عند تقرير الميزانية، ينشط أعضاء اللوبى الهاريدى فى الكنيست من أجل منح أكبر قدر ممكن للمؤسسات التى يمثلونها. وعلى مستوى القاعدة أيضاً، هناك جهود كبيرة ومنسقة لزيادة حجم الموارد للمجتمع الهاريدى، فالصحف الهاريدية تنشر بعض الإعلانات عن السيارات، وكثير من الإعلانات عن محلات السوبر ماركت الرخيصة، «صالات الأفراح» منخفضة التكاليف وبازارات ملابس الأطفال، وتقوم بكل ذلك متطوعون وبدون هدف تحقيق أرباح وكل مجاورة هاريدية تتباهى على الأقل-

بمحل رخيص حيث تباع السلع أرخص بكثير من المحلات العادية وتذكرة الدخول «كارت رسمى» يشهد أن هذه العائلة لديها ٤ أطفال أو أكثر، وبعض الحالات تطلب دليلاً على وجود حاجة اقتصادية حقيقية.

وفى هذه الأماكن لا توجد أضواء خافته أو تكييف هواء أو موسيقى هادئه ولا توجد ماكينات للقهوة والفطائر، كذلك لا توجد لوحات إعلانية مزخرفة، وإنما مجرد حوائط عارية وفوف معدنية مكتظة بالمواد الغذائية، وأدوات النظافة والفواكه والخضروات، فى عبوات ذات حجم أقتصادى وتحمل خاتم الحاخامات الهاريديين ويتسابق معظم المصانع فى إمداد هذه المنافذ بالمواد المطلوبة حيث يتناسب معدل دورة البيع عكسياً مع مستوى الرفاهية للمتعاملين معها.

وفى بعض الأسواق الهاريدية الرخيصة هناك أوقات مختلفه لكل من الرجال والنساء، كما لا تطلب هذا المحلات إثباتا بعدد الأطفال أو حجم العائلة، وهذه المحلات تتبع الحاسيديين وهى سبعة على مستوى الدولة، ويقول أحد مديرى هذه المحلات أن «من حق كل عائلة كبيرة فقيرة أو غنية أن تشترى ما تريد، لذلك لا يأتى محتاج ويشعر بالإحراج» كما أن هذه المحلات مفتوحة لغير الهاريديين.

وقد دخلت هذه المحلات الرخيصة مجال الملابس والأثاثات وأخذت مقار ثابتة، مع وجود اختلاف واحد وهو أنها نبع بسعر التكلفة مضافًا إليه النفقات ويبقى الاستثمار الأساسى هو «الهبة والصدقة» ويبقى المحل نفسه بدون أرباح.

وتنطبق نفس القاعدة على قاعات الولائم الهاريدية حيث تقام حفلات الزفاف وولائم الختان، وهناك يتم الحجز بجزء من القيمة، ويقول حاييم ايزاك كوهين مدير تجمع ساد اجورا الحاسدى بالقدس أن قائمة الانتظار محجوزة لعدة شهور قادمة لكن

الوسيلة لأهم لتوفير النقود هى النقود نفسها وذلك عن طريق «g'mach»* حيث يمكن أن تعترض المئات وربما الآلاف بدون فائدة. ومن النادر أن تجد أهل بيت هاريدى يكون الزوج فيه (يتعلم) ولا يلتجئ لهذه النوعية من التمويل فى مناسبة ما وعدة عائلات تقوم بالاقتراض أكثر من مرة ومن g'mach بدون النية فى السداد نصت التوارة مراراً وتكراراً على تحريم الفائدة (أخذها أو دفعها) «سفر الخروج ٢٢/ سفر اللاويين ٢٥/ سفر التثنيه ٢٣» .

وقد تضمن التلمود الطريقة التى يمكن بها التحايل بذكاء على هذا الخطر وذلك لتسهيل عمليات التجارة.

وتقدم فروع البنك الإسرائيلى سندات تجارية تعرف بأسم هيثرسكا Heteriska، وهى موقعة من حاخام وتهدف لتسهيل المعاملات الممالية العادية، وتعتبر وسيلة سهلة للتعامل بين أى دائن ومدين.

لكن تتميز المساعدات المقدمة من g'machim بأنها بدون فوائد ويرتبط السداد بالدولار الأمريكى أو الفرنك السويسرى لتجنب مخاطر التضخم.

والقائمون بالنواحى الإدارية متطوعون لذلك لا توجد نفقات إدارية لأنه لا توجد مكاتب أصلاً! ومن ثم فإن النفقات غير المباشرة هى فقط ديون معدومة لم تدفع من قبل.

وعلى حد تعبير أحد الأساتذة فى مدرسة تلمودية هاريدية فإن من يوقع على السندات من هؤلاء يفعل ذلك بكبرياء ولذا تجدهم يعيشون على الاستدانة بصفة دائمة.

---

* g'mach.. الجاماتش.. وتعنى جمعية أو مؤسسة للإقراض المالى بدون فوائد...

ويقول هذا الأستاذ: «دعونا نأخذ يومًا فى حياة أحدهم كمثال.. (إننى أحتاج الف دولار كقرض، فإتصلت بزميلوحكيت له مسألتى) وسألنى على الوقت الذى أحتاجة، فقلت فى مصر مدة ممكنه، فأجابنى ممكن لمدة يوم واحد وحصلت على القرض لكنى لم استطع سداده فعرضت على زوج أختى أن يقرضنى المبلغ فقال أنه يوافق ولكن حتى التاسعة والربع من مساء نفس اليوم!. والنكته هنا هى أن هناك مبلغ واحد فقط هو ١٠٠٠ دولار ويدور فى دورة مستمرة فيما بيننا.

وقد ظهرت إعلانات فى الصحف الهاريدية تعرض تبنى المولود الذى يفقد عائلته مقابل مبلغ مالى، وهذه العروض معدة للأسر التى فقدت عائلها وليس بين أفرادها من هو فى سن العمل (ويساعد الهاريديون بعضهم بعضا بالبيع والشراء فيما بينهم وهى ظاهرة منتشرة بينهم فى الشتات إلا أنها أكثر انتشاراً فى إسرائيل حيث الضرائب وأرتفاع الأسعار خصوصاً على الملابس (وسبب النظام الصارم للضرائب، فإن المواد الصنعة فى إسرائيل ذاتها تباع فى تل أبيب بضعف السعر الذى تباع به فى بريطانيا) وعندما يسافر الهاريديون للخارج فإن العديد منهم يحضرون معهم نوعيات فخمة من الملابس التى اشتروها من تجار جملة أو محلات تجزئة تابعة أيضاً للهاريديين فى الشتات (فى الخارج) ويقول الزوجات أنهما يزوران عائلتهما فى أوروبا فى كل صيف ويجمعان مصاريف الرحلة من الأرباح التى تعود عليهما من حصيلة بيع بعض المعاطف والفساتين بعد عودتهما وتقول الزوجة أن المشتريين يحددون نوعية البضاعة المطلوبة قبل السفر لذلك فإن عنصر المخاطرة غير موجود.

والأمور تسير على مايرام لأن الهاريديين- رجالاً ونسآءا- يهتمون أكثر بالمظهر لذلك يرتدون ملابس أغلى مما يرتديه الآخرون فى حياتهم اليومية.

فالملابس الحقيقية والتى شيرت والسراويل الفضفاضة، مرفوضه عند للرجال ومحظورة تماماً على النساء. وغير مسموح لهن على الإطلاق بارتداء البنطلونات حتى الواسعة منها (الباجى)، طبقا لتفسير نص التوراة الذى يقول: «لا يكن متاع رجل على امرأة ولايلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب.. سفر التثنية وترتدى النساء الفساتين بشكل لا تفعل مثله باقى النساء حتى فى ملابس العمل يختلفن عن الأخريات وكذلك بقية الملابس فى الصيف والخريف. والفتيات غير المتزوجات بالذات يولين أهتماماً كبيراً للملابس وينفقن عليها الكثير.

وبإضافة إلى الانخفاض فى الأسعار عند البيع، والقروض الميسرة، تتميز مجتمعات الهاريديين بنظم دعم أخرى عديدة منها مثلا أن نجد فى نشرات مطبوعة بالعبرية والإنجليزية أن هناك إمكانية لاستئجار بعض المعدات مجاناً وهى :

- ميكرفونات (للخطب والموسيقى فى الاحتفالات العائلية).
- أطباق السبت (لحفظ حرارة الأطعمة يوم السبت حيث يحرم الطهى).
- أحجار ياقوت (من أجل حمل صحى وولادة سهلة) وهى قائمه شعبية توضع حول العنق.
- طعام Arbes وهى عبارة عن حمص يؤكل كتقليد فى احتفال الأسرة بأول ليلة جمعة بعد ولادة الطفل الذكر.
- أغطية خاصة للوسائد التى يوضع الطفل عليها بعد الولادة.
- المزوزاه (Mezuzos) وهى حلية صغيرة توضع داخل علبه من الخشب أو المعدن وتعلق على الباب.

- (سفر تواره) Sefer Torah وهى عبارة عن نص من التوراة منقوش بالريشة ويستخدم فى التعبير وتتكلف الواحدة الجديدة منها أكثر من ٢٠ ألف دولار.
- الموائد والمقاعد (لاستخدام الأسر فى مختلف المناسبات السعيدة والحزينة).
- أسرة وحضانات للأطفال، وروعى أيضاً إضافة أنواع على النمط البريطانى لخدمة مهاجرى بريطانيا دول الكومنولت.
- وجبات مجمدة (تقدم فى حالات المرض ولكبار السن والحالات الخاصة).
- أشرطة تسجيل (تتضمن موضوعات التوراة).
- فساتين الزفاف وملابس الأمهات.
- أدوية الأطفال والأغذية الخاصة بهم (وتصرف الأدوية بناءً على أوامر الطبيب فقط).
- قواطع متحركة (تستخدم لفصل الرجال عن النساء فى الاحتفالات العائلية والمناسبات العامة).

وتضم كل قائمة الأسم والعنوان ورقم الهاتف الخاص بالأسرة التى تقدم هذه الخدمات.

وهذه المساعدات متاحة لكل الأفراد سواء كانوا من الهاريديين أم لا، و هذا من الناحية الشكلية فقط أما عملياً فإن معظم المتلقين لها فضلاً عن جميع المتطوعين والمساهمين من الهاريديين والسبب كما تقول السيدة سيرى بروهن هو «أن اليهود غير الشرقيين (غير أصوليين) لا يدركون مفهوم الـ g'mach وهذا ليس عدلاً- ليس فيما يتعلق باليهود فى الشتات، أصوليين أو غير أصوليين لأنهم يساعدون بعضهم بدرجة

عالية- لكن فى إسرائيل فإن مفهوم الثقافة الاجتماعية والتقاليد اليهودية لا تحظى باهتمام فى غير مجتمعات الهاريديين وهى ظاهرة سجلها علماء الاجتماع ويتاسس لها القادة فى إسرائيل.

وربما كان المواطن الإسرائيلى الواقع تحت ضغوط الأعباء الاقتصادية والواجبات العسكرية، وربما ليس لديه إلا وقت قليل للأعمال الإنسانية أو التطوعية.

وتحت النشرات الدعائية حول «المساعدات»، الأفراد سواء كانوا من المقيمين منذ فترة طويلة أو ممن وصلوا حديثًا، أن يبادروا بالتطوع لتقديم الخدمات أو التبرعات العينية، أو تقديم أموال (تسمى العُشْر) للمساعدة فى تمويل هذه البرامج والخدمات وتقول هذه النشرات: «إذا كنت تعرف أحداً محتاج فلا تتردد فى الاتصال بنا، نحن هنا لنساعدك. وشعارنا هو: (عندما تستطيع... يجب أن تعطى، وعندما تحتاج... يجب أن تطلب) وهذا هو العطاء المتبادل».

وتتعرض العديد من هذه المساعدات والمبيعات للهجوم على أساس أنها منح عائلية خاصة ترتبط برحيل بعض الأقارب وتكون غالباً من الميراث الذى كان يملكه المتوفى.

ومعظمها يظل فى نطاق محلى ضيق، وأحيانا تخرج من الإطار المحلى إلى نطاق أوسع وربما تصل إلى مشروعات على المستوى الوطنى وعلى سبيل المثال فمنذ بضعة سنوات استغل شاب هاريدى من القدس يسمى يورى لوبوليانسكى فكرة التمويل بقروض لا ترد فى مجال المعدات الطبية وأنشاء متجراً للكراسى المتحركة والعكازات وأجهزة قياس ضغط الدم وغيرها.

واليوم فإن مؤسسة «Yad Sarah» (حيث أطلق اسم والدته عليها) أصبحت واسعة الانتشار على المستوى الوطنى وتنفق ملايين الدولارات على مختلف المعدات

الطبية فى كل المدن الرئيسية، كما أنها تتلقى دعماً جزئياً من الحكومة للمساعدة فى خدمة المواطنين.

وقد اتجه لوبوليانسكى بالتالى إلى السياسة، وهو الآن نائب لعمدة القدس ممثلاً لحزب ديجل هاتواره وهناك فكرة هاريدية مبتكرة أخرى للمساعدة الذاتية وهى مؤسسة (الخلاص) التى أقيمت فى بروكلين، فى نيويورك، وهى لخدمات الأسعاف والطوارئ وتعتمد على المتطوعين وكثيرون فى نيويورك يتقدمون للانضمام لهذا المشروع وعادة ما يصل الفريق الخاص بها إلى مسرح الحدث قبل وصول سيارات الإسعاف النظامية بوقت طويل.

وقد تلقى مؤخراً مئات من الهاريديين فى نيويورك ولندن وأخيراً فى عدة مدن إسرائيلية دورات متقدمة فى المساعدات الأولية بهدف الانضمام إلى مؤسسة (الخلاص) ونشغل الصحة وخيراً كبيراً من اهمتام الهاريديين كما يتنبون مجال الطب بشغف وتركيز.

ورغم أن العلاج التقليدى والسحر والتعاويذ لاتزال تستخدم حتى الآن.

فمثلاً أحد الهاريديين من القدس يعيش على تربية الحمام الذى يوضع على سرة من يعاونو «اليرقان» فتموت الطيور ويتحسن المريض فى الحال وهناك دلائل قوية على جدوى هذه الطريقة- إلا أن الطب الشعبى لا يحل أبداً عند الهاريديين محل العلاج العلمى الأفضل والأكثر تقدماً والمتاح على نحو أيسر.

وتواظب الصحافة الهاريدية على نقل أحدث ما ظهر فى مجال االطب وتفرد مساحات أكبر بكثير بالمقارنة بالصحف الأخرى لقضايا الصحة ويخصص الأخبار والحاخامات ساعات طويلة لتوعية الأفراد بمشكلاتهم الصحية.

ويوفر الوعاظ أيضاً الأموال للمرضى سواء بالاتصالات الشخصية أو من خلال المنظمات التطوعية.

ويقول مايكل جود فارب إن أكثر من نصف الصدقات التى يوزعها تذهب إلى عائلات تحتاج فى الغالب إلى نفقات طبية.

فغالبا ما يحتاج المريض أن يسافر للخارج فى حالة العمليات الجراحية المعقدة وتصل تكاليف الرحلة بالإضافة لمصاريف العلاج إلى أكثر من ١٠٠ ألف دولار.

وحتى النسبة للعائلات الثرية فإن هذا المبلغ يمثل مشكلة كبيرة وأحيانًا تكون لدى المستشفيات الإسرائيلية القدرة على أداء الخدمة العلاجية المطلوبة لكن الحاخام ينصح المريض بالعلاج فى الخارج، وفى هذه الحالات فإن السلطات الصحية الإسرائيلية ترفض تغطية أى جزء من النفقات لكن فى حالات أخرى كثيرة كما يقول جود ڤارب فإن الأطباء المحليين هم أنفسهم الذين ينصحون بالعلاج فى الخارج.

وبعض العمليات مثل زرع القلب لا تجرى فى إسرائيل لذلك فإن جزءاً من تكاليف العملية يقع على عاتق المريض وأسرته ويقول ڤارب: «بالنسبة لى فإن توصية السلطات الصحية والكهنوتية هما الأساس، لذلك يجب أن أرى الملف الكامل الخاص بالمريض والخطاب الموجه من الطبيب المعالج إلى أو المستشفى الذى سيعالج المريض بالخارج».

ويتمتع جود ڤارب باتصالات طبية مع وكالات السفريات الهاريدية والتى ترتب السفريات للمرضى.

ولكنه لا يستطيع مع ذلك أن يقدم أكثر من ٥ أو ١٠ آلاف دولار للحالة الواحدة.

ولا يوجد العديد مثل جود ڤارب، لذلك نجد أن الصحف الهاريدية ولوحات الإعلانات فى المعابد فى إسرائيل وخارجها تضم كشوف بالحالات الحرجة موقعة من قيادات الحاخامات وتحدد كيفية تقديم المعونات والتبرعات إليهم ويعتبر توقيع الحاخام شهادة بصدق المعلومات المذكورة.

الفصـل الثـالث

النصف الآخـر

أحيانا تخبرنا لوحة الإعلانات قصة عائلية هاريدية،- لايذكر أسمها- تعرضت لظروف صعبة نتيجة لموت مفاجئ لأحد أفرادها أو إفلاس تجارى.

ومرة أخرى أستجاب المجتمع لحاخامات معروفين وضعوا توقيعهم كدليل على الصدق. ومن المعتاد أن يدق جرس الباب عدة مرات في صباح الأحد في منزل هاريدى متوسط المتسوى فى نيويورك أو لوس أنجلوس أو جوها نسبرج أو ملبورن، حيث يقف فى كل مرة خارج الباب ميشولاخ (زبون) Meshulach ملتحى ويتوقع أن يستقبله أهل المنزل بحفاوة أوعلى الأقل بأدب وأحترام فيدعونه للدخول وربما يقدمون له الشراب ومبلغاً غير قليل من المال.

وقد عانت تلك الحرفة من تقلبات الاقتصاد العالمى وهى تمر بحالة كساد من أواخر الثمانينيات.

ومن هذا الوقت أصبح أمرً عادياً أن يتجول رب الأسرة الهاريدى فى إسرائيل حول العالم ستجدياً فى كل مرة يبلغ فيها ابن أو أبنه سن الزواج.

وقد أدى هذا إلى سخط وتذمر فى أوساط الحاخامات وقيادات المدارس التلمودية (الياشيفاه) ويرجع ذلك إلى هذا الاحتكاك الحتمى الذى يحدث بين هؤلاء الذين يسعون لخدمة أنفسهم وبين من ترسلهم المؤسسات التعليمية.

والخط الفاصل بينهما ليس واضحاً كما يبدر لأن مؤسسات المشيولاخيه أحياناً تأخذ ٥٠أو ٦٠ أو حتى ٧٠٪ مما يأخذه الأفراد لأنفسهم، وهذا معروف تماماً للتطوعين والمتلقين أيضاً.

وفى مساء الأحد، يكون رب العائلة قد تلقى دعوة وضغط عليه بإلحاح ليحضر عشاء سنوى فى المدرسة التلمودية أو لأى سبب آخر فى مجتمعه أو فى إسرائيل ونادراً ما يخرج بدون تبرع مكون من ٣ أرقام، ولو ظل فى البيت مساء الأحد أو منتصف الأسبوع فإنهم يتصلون به تليفونياً تم عن طريق حاخام معروف لن يقنع بأقل من ١٠٠ دولار وينتظر المزيد.

وكل هذا يأتى على رأس قائمة تضم رسوم المدرسة التلمودية للأطفال وواجبات عضوية المعبد، وقد يتجاوز هذا نسبة ١٠ ٪ من الدخل والمقررة من قبل نظام الحالاقاه لتخصص لأعمال الصدقة والإحسان وتتحدد مكانة الرجل الذى فى المجتمع الهاريدى بأعماله الإنسانية أكثر من ثروته، ما يشكل ضغوطاً اجتماعية تكون أحياناً عاملاً مساعداً فى التواسع الزائد فى العطاء والانخفاض وربما الانهيار فى الثروة الشخصية.

وتمتزج التقلبات فى مجال الأعمال مع حقيقة أن عدداً كبيراً من الهاريديين فى الشتات يختار تكوين ثروته من خلال مجالين تجاريين سريعى التغير وهما الماس والعقارات. وهما من أكثر المجالات تأثيراً بالتغيرات فى المناخ الاقتصادى كله فعندما ينشط الاقتصاد ويزدهر فإن تجارة الماس والمجوهرات سرعان ما تزدهر وكذلك أسعار العقارات التجارية والسكنية- تكون أول ما ترتفع أسعارها.

وعندما يحل الكساد، محليا أو دولياً، فإن أول الضحايا هى تجارة الماس- لأن الناس حنيئذ يكون لديهم القليل لينفقوه على الأحجار الكريمة سواء كهدايا أو استثمار- وسوق العقارات وتجارة الماس حرفه تقليدية يهودية منذ أن استقر اليهود الأسبان فى أمستردام فى القرن السادس عشر.

واليوم فإن التقديرات المعتدلة تشير إلى أن أكثر من ٧٠٪ من المتعاملين والوسطاء فى المراكز التجارية الرئيسية فى العالم (لندن/ لوس أنجلوس/ نيويورك/ تل أبيب) هم

من اليهود وشهرة اليهود فى مجال العقارات أكثر من مجرد تطور فى تاريخ الشتات ففى أوروبا الشرقية كان أمتلاك اليهود للأراضى نادراً بل كان فى معض المناطق أحياناً محرم من قبل الكنيسة أو السلطات المدنية.

وشهرة الهاريديين فى هذا المجال فى أوروبا وأمريكا الشمالية تعكس إلى حد كبير فجوة الثراء بين قطاعات كبيرة من اليهود الغربيين والشرقيين والذين من بينهم معظم الهاريديين والذين وصلت عائلاتهم فى منتصف القرن الماضى إلى تلك المناطق.

ويعتبر عائلة ريتشمان مثالاً على ذلك، فهذه العائلة التى اعتبرت فى عام ١٩٨٩- وفقاً للإيكونوميست- أكبر مالكة للأسهم والأوراق المالية فى العالم، قد وصلت إلى كندا فى الخمسينيات قادمة من طنجة فى المغرب بعد أن فر الأب من ڤينيا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة.

وطبقاً للصنداى تايمز فإن أكبر مالك للعقارات فى عام ١٩٩٠ هو سيزمونديربيرجر وهو حاسيدى لا يحب الشهرة. وقد وضعته الصنداى تايمز فى ترتيب الخامس والعشرين بين أغنى الأشخاص فى بريطانيا وجاء المطرب المشهور بول مكارتنى مباشرة.

وهاريدى آخر من بارونات الممتلكان السكنية وضع فى قائمة الصنداى تايمز وهو ينزيون فريشواتر والذى وصل أبوه كلاجئ بولندى فى بريطانيا قبل نشوب الحرب الثاية بثلاثة أيام.

وقد بدأ عمله كتاجر منسوجات ثم أتجه للعمل بالعقارات وفى أوئل السبعينيات أصبح صاحب أكبر ملكية أراضى فى لندن.

وهكذا كان مجال العقارات هو النموذج الأمثل لتحقيق ثراء سريع فى السبعينيات والثمانينيات.

ولم تكن كل حالات التضخم فى الثروة مصحوبة بسمعة أخلاقية موازية لها، إذا يشير الناس إلى أولئك المدانين فى جرائم أقتصادية من اليهود، ويعانى كثير من اليهود من وره الاتهامات التى توجه لهم بشأن الأمور المالية.

من المؤكد أن هناك كثيراً من رجال الأعمال اليهود ونسبة عالية منهم من الهاريديين، وبعضهم لا يخرج عن حدود الأمانة بينما يتجاوزها البعض دونما لم وفى تأنيب الضمير.

ولكن لا توجد إحصائيات تدل على أن اليهود يفعلون أكثر مما يفعل الآخرون فى مجال الأعمال على مستوى العالم ولا يوجد كذلك ما يثبت أن الهاريديين أسوأ- أو أفضل- من الآخرين. (يلاحظ أن العديد ممن أدينوا فى فضائح تجارية داخلية فى نيويورك ولندن خلال ٨٩- ١٩٩٠ كانوا يهودا، وإن لم يكونوا هاريديين) ويرى بعض- من دارسى حياة الهاريديين أن مؤسساتهم لا تحظى بإحترام على نطاق واسع.

أما رجال الأعمال الهاريديين، فى تعاملاتهم مع الآخرين سواء كانوا يهوداً أو غير يهود، يرون أن الوضع هكذا يعتبر عادلاً. ويقول أحد المصادر فى مجال البنوك أنه بينما يستهزئ بعض الهاريديين بالقانون بلا خجل، فإن معظمهم ليسوا أكثر جشعاً من باقى التجار، لكن نقص التعليم وشعورهم بالاغتراب عن المجتمع المحيط بهم يجعل التهرب الضريبى منتشر بينهم ويزيد جهلهم من إحتمالات الإيقاع بهم.

ومعظم الهاريديون على كل المستويات يعلنون افتخارهم بالسمعة الطيبة والإسم العالمى الذى حققته عائلة ريتشمان .

وقد كتبت صحيفة اكونتنى التى يصدرها معهد شارترد Chartered للمحاسبة فى إنجلترا وويلز أنهم من أصحاب أعمال النموذجيين مثلما هم ممتازين فى أخلاقياتهم.

وأكثر من ذلك، إن الأخوة الثلاثة بول، ألبرت، رالف (ولهم أخ رابع يعيش فى إسرائيل وليس شريكا لهم فى شركتهم أولمبيا أنديورك) هؤلاء الأخوة عاشوا فى ضواحى تورنتو حياة متقشفة.

كان أحد الصيادين يهدد بأن يقيم دعوى ضد أسس التفرقة الدينية إذا ما مُنع من ذلك. وتساءل: «لماذا يجب عليه أن يضع ركيزة السلم على الحشائش؟ أليس بامكانه أن يجعلها تستند إلى الأشجار؟ سأخبرك إنهم يقومون بجولة هنا.

عموماً، بالرغم من أن روح الصيف هى الانطلاق ويبدو أنها تشمل كل فرد فى Catskills ، فإن اليهود وغير اليهود يتساوون فى ذلك.

فى أمسيات أيام الأحد، وبعد انتهاء السبت يعج منحدر الهاريديين الضخم بجماهير مبتهجة من صانعى الأجازات والسكان المحليين.

الحسيديون فى ملابسهم البيكشيس الحريرية يتسابقون مع شباب أسود، وشقراوات يرتدين سراويل قصيرة ويلعبون على موائد مشتركة، ويميلون معاً ويتدافعون على مضمار سباق الخيل، ويصطفون أمام الآيس كريم والكعك.

مثل هذه الأماكن، المخصصة للبهجة والتسلية، بالمدينة محظور دخولها على الهاريديين المحترمين، بل إن البعض منهم لايسمح لأطفاله المراهين بارتياد محلات البيتزا.

فى الجبال، تكون القيود أقل تشدداً. العديد من الزيجات التى نشأت فى المدينة بنظرة فإبتسامة ثم تبادل التعارف بخجل فى مقهى (وود بورش)، أو فى جو مرح

وانطلاق حيث تبدى إعجابها به بثبات وصراحة.

بالطبع، ليس كل الهاريديين يلتزمون بالقواعد والمعايير التى يضعها حاخاماتهم وزعماؤهم الروحيين.

الكثيرون من أمثال باروخ بارك الحريدى وزوجته، بمجرد زواجهم فإن المنظور الـ Shidduch لم يعد يمس، وهم متواجدون على موائد القمار وعجلات الدوليت بمدينة Atlantic City فى مساء السبت، أو يتريضان سوياً على شاطئ فلوريدا.

إن الصراع مع الميول الشريرة، كما يحددها الحاخامات، هو صراع مستمر طوال الحياة.

أما بالنسبة للشباب فى معسكراتهم الصيفية، فإن الرياضة جزء رئيسى من البرنامج.

وينطلق أفراد المعسكر بين ملاعب البيسبول بجرون ويقذفون الكرة ويتأرجحون بحيوية وأنطلاق، أو يلعبون الكرة الطائرة مثلما يفعل الشباب الأمريكى».

وحتى الفتيات، فى معسكراتهن المنفصلة عن الشباب، بملابسهن المحتشمة ليمارسن لعبة الكرة الطائرة المنشطة.

هناك إختلافات دقيقة لكن يمكن تمييزها، بين قطاعات الهاريديين المختلفة، العديد منهم يديرون معسكراتهم بأنفسهم.

الأولاد الحريديون، لآباء غير حسديين، سوف يرتدون الملابس الرياضية الملائمة.

الحريديون العاديون، مثل بوبوفرز، لن يرتدوا الشورتات والتى شيرت، لكنهم سيلعبون وهم يرتدون ملابسهم الطويلة.

أما الجيررز الأكثر تشدداً يلعبون وهم مرتدون معاطفهم السوداء الطويلة فيما يبدو أنه لا ينقص من تعصبهم وحماستهم.

ستامررز، المغالون فى محافظتهم، والمجموعات المتحالفة الذين من أصل بلغارى، وهم فقط الذين يتجنبون الرياضة بمجرد أن تصل الفتيات إلى سن الثانية عشر والأولاد إلى سن الثلاثين، وهى السن، التى يراها الهالاخاه، بداية البلوغ.

المفارقة، أن المنافسة الرياضية بإسرائيل تلقى عبوساً فى أوساط الهاريديين، وقد ربط الحاخام شاش ، فى خطبة ألقاها عام ١٩٨٩ ، بين الرياضة والانتحار. وضرب أمثلة لمستمعيه بأولئك الرياضيين الذى يطلقون النار على أنفسهم لأنهم خسروا المباراة. ويتساءل: «ما المتعة التى من الممكن أن يحصل عليها الرياضيون من المباراة نفسها؟» بعد كل ذلك، مجرد انتصار يعطيهم الرضا والسعادة. وفى سبيل ذلك الإشباع هم مستعدون أن يسحقوا ويقتلوا وإن لم يحققوا هدفهم فلا متعة لديهم فى هذه الحياة على الإطلاق. من ذلك يمكننا أن نرى إلى أى حد يجب أن نتأى بأنفسنا مستندين بقوة إلى الثقة فى حكمتنا العظيمة.

لكن هذه النصائح لا تلقى آذاناً صاغية بقدر ما يهتم الحريديون الأمريكيون. الرياضة مثل كل الجوانب المفسدة فى الروح الأمريكيه التى أخترقت العالم المحمى للهاريديين.

حتى فى إسرائيل، وبالرغم من ذلك، انطلقت أنواع جديدة فى السنوات الأخيرة مع أفتتاح منتزهات مائية (بالطبع هناك فصل بين الجنسين) خاصة للهاريديين. وقد حظى ذلك بدعم قيادة الحاخامات.

وتخصص إسرائيل شواطئ للرجال وأخرى للنساء فى العديد من منتجعاتها

الساحلية، وذلك ليستخدمها الحريديون. السباحة ورياضات الماء تحظى بترحيب حاخامات الهاريديين الإسرائيليين أكثر مما يرحبون بالتنس أو كرة السلة.

ربما يعتبر المرح تحت الماء مجرد أمتداد ميل مغناطيس الذى يُعد نشاطاً صحياً وروحياً وفيزيقياً.

والذى يمارسه كثير من الهاريديين، خاصة الحسيديين، يومياً أو على الأقل أسبوعياً.

وبعض الـ Mikves تقدم حمامات تركية ويقضى أفكيندوس ساعات فى التدليك وحمامات البخار والأسترخا.

والسباحة أيضاً تتم فقط عندما يكون أحد الجنسين غير موجود، حيث أنه من غير الممكن حدوث أى اختلاط بين الجنسين الأمر الذى يمنعه الحاخامات بشدة خصوصاً بين من هم فى سن العاشرة وما فوقها من طلبة المدارس التلمودية وطلبة المدارس الثانوية.

فيمكن للفتيات (أو الأولاد) التجول فى ملاعب الكرة أو التنس لكن لا يمكن دخول حمام السباحة فى الأوقات المخصصة للجنس الآخر وأى تدل علامة على الشذوذ الجنسى تواجه باستبعاد القائمة بها من قبل لجنة الأمن الداخلى أو أى من الإداريين، وهذه الحوادث العرضية نادرة جداً بين الهاريديين فالعلاقات الجنسية تعتبر خطيئة كبيرة فى نظام الحالاقاه.

وأدى النجاح الذى حققته مستعمرات الدور الواحد عبر السنين إلى أقتناع الزعماء الهاريديين الأمريكيين بالخروج من المدن المزدحمة كبديل جيد لمجتمعاتهم.

والاتجاه نحو الضواحى لا يعنى بالضرورة إضعاف الروابط المجتمعية والثقافية إذا

ما تحركت مجموعة مع بعضها وحملت معها مؤسساتها الدينية والتعليمية إلى الموقع الجديد.

كما يقدم الانتقال إلى الضواحى حلاً لمشكلات المساكن فى الأحياء الهاريدية التقليدية.

ففى وليا مزبيرج ببروكلين فالسمبرج وهى منطقة غير جذابة تقع على النهر فى الجانب الشرقى من مدينة مانهماشن ينمو الإعمار السكانى للهاريديين وإن كانت هناك بعض الشكوى من التمييز فى المعاملة.

وكان الستامررز من بين الأوائل الذين دخلوا الحلبه منذ ٢٥ سنه، حيث أقاموا Colony (بيتا للمغتربين) فى مدينة مونرو، على مسافة ساعة تقريباً بالسيارة من المدينة ومجموعات أخرى من الهاريديين أختارت مدينة مونسى وهى أيضاً مكان ريفى للمبيت فيه يقع فى شمال نيويورك وهو يرأس قسماً صغيراً ولكنه متماسك، كون قريته الموحدة الخاصة به (فى الميدان الجديد) فى ضواحى مدينة مونسى، وآميد Amid ، يحكم أرض الزراعة والغابة هذه المجموعات هى التى خلقت تقريباً التجسيد العملى للشتتل اليهودى الأوروبى ولكن المستقر فى ضاحية أمريكية.

[شتتل Shtetl وتضم هذه الشتلات منافذ للتسوق ومحطات الوقود، والطرق السريعة كجزء من المشهد الكامل للمدينة الريفية الجميلة. وفى المنزل تجد ربة المنزل وهى تقرأ (تعالى وأنظر) وهى مجموعة اشعار يديشية من قصص الكتاب المقدس.

والمجتمعات الهاريدية الريفية تتسع بسرعة أكثر وأكثر والجيران المحليين، اليهود والأغيار، لا يستقبلون دائماً بالعائلات الهاريدية الكبيرة الصاخبة بالأحضان، كما أن هناك اشتباكات تحدث بشكل دورى كنتيجة لاصطدامهم بالقيم الخاصة بهؤلاء الجيران.

الفصل الرابع
مكانة المرأة

إن مشكلة الإسكان فى «مجتمع الدارسين» باسرائيل لا مثيل لها لأن العديد من الهاريديين يتعلمون ولا يعلمون. وعن هذه الأزمة يقول «حاييم إسحق كوهين»، المدير التنفيذى لـ Sadagora الهاريدية، «الأزمة ليست بعيدة عنا إنها الآن.. الناس لا يجدون مكاناً يقيمون فيه» والعثور على مسكن أمر شاق على المواطن الإسرائيلى العادى. فالإيجارات مرتفعة ومرهقه جداً مما يدفع المواطنين إلى شراء منازلهم فيلجأون إلى الاقراض والرهن ليسددوا ثمن هذه المنازل. ومن ناحية أخرى تراجع بناء المساكن بينما إزداد الطلب عليها، فارتفعت بالتالى أسعارها إلى أرقام فلكية، خاصةً عند مقارنتها بالمرتبات المنخفضة وضرائب الدخل المرتفعة السائدة فى إسرائيل.

وقد ساعد موجات الهجرة الجماعية السوفيتية، خلال عامى ٩٠ – ١٩٩١، على زيادة الوضع بؤساً وقغوطاً. عما كانت عليه، مع ملاحظة أن المواطن الإسرائيلى العادى لايعول سبعة أو ثمانية أطفال، ومسئول عن تزويجهم، كما هو الحال عند الهاريديين، مما يعنى أن قدر الجميع أن يعيش الأزمة. (وإن كانوا جميعاً يأملون أن يكون لديهم عدد كبير من الأطفال).

حتى ربيع ١٩٩٢، عندما إنهارت أوليمبيا بورك كان صندوق ريتشمان قد ساعد كل حديثى الزواج من الهاريديين. ويشترط الصندوق أن يكون العريس مسجلاً فى الكوليل. ويقدم الصندوق نحو ١٢ ألف دولار فى صورة رهن بالإضافة إلى قرض ميسر قدره ٣ آلاف دولار لتغطية تكاليف الأثاثات الضرورية للمنزل. ويسدد القرض بدون فوائد على عشر سنوات ولا تكفى هذه المبالغ لشراء شقة.

يقول الصحفى «متشا أودينهيمر» من القدس: «ومن المعتاد أن يتأقلم الازواج وأبنائهما على العيشة فى حجرتين وصالة، ولكن المتاعب الحقيقية تبدأ عندما يصل واحد من هؤلاء الأطفال إلى سن الزواج حيث تكاليف الزواج فى كثير من مجتمعات الهاريدية تصل اليوم إلى ٤٠ ألف دولار. وهو المبلغ الذى يغطى تكاليف الزفاف «وتأثيث الشقة» هنا يبرز السؤال: من أين يأتى أب، أمضى معظم حياته يدرس فى الياشيفاه أو الكوليل، بهذا المبلغ من المال كل عام أو عامين حتى يزوج أولاده.

كتبت صحيفة حاموديا الهاريدية فى عام ١٩٩٠ تلفت الأنظار إلى الظاهرة المفزعة المنتشرة بين شباب الهاريديين وهى سقوطهم صرعى بسبب الأزمات القلبية التى ترجعها الصحيفة إلى أعباء الزواج المادية المرتفعة.

وتتسأل الصحيفة: «ماذا يحدث لنا؟! الرجال فى ربيع حياتهم يسقطون تحت «عبء» تزويج أبنائهم.. إنها لتضحيات باهظة على «مذبح» الزواج. فالرجال يحتضرون من الجهد الذى يبذلونه حتى لا يزحف المشيب على بناتهم ويصبحن عانسات.

تمس مشكلة الإسكان جوهر حياة الهاريديين.. وهو شكل الزواج. والسكن مع الأسرة حلاً على المدى البعيد، ولا حتى على المدى المتوسط، فالقوانين تتعامل بتشدد مع موضوع العلاقة بين الجنسين. فلا يمكن للزوجة وحماها أن يسكنا نفس الحجرة بمفرديهما. وبسبب الضغوط الواقعية الأخرى، مثل مساحة الشقة، فإنه من الصعب أن يأتى أقارب فرد من الأسرة للإقامة معه.

وليس الحل هو تأخير الزواج بالطبع، وهو ما حدث فى مجتمعات أخرى تواجه نفس المشكلات الإقتصادية، لأن الزواج حق وواجب فى المجتمع الهاريدى.

ويهدف التعليم عند الهاريديين بأن يسمو بالإنسان فوق أندفاع الرغبة الجنسية لدى من لم يتزوج بعد. ويتعطش المجتمع الهاريدى إلى زواج الشباب مبكراً كلما أمكن. إن المرأة الهاريدية التى تبلغ الثانية والعشرين دون زواج فإنها تعتبر حتماً «على الرف» وتهامس الناس متساءلين: «ما الأمر؟ وما هو الخطأ فيها؟».

لكن الزواج المبكر يثير مشكلة الإسكان لأنه يعنى قصر الفترة بين نشوء جيلين ويدخل الأبناء الجدد إلى سوق الإسكان بأسرع مما هو فى قطاعات أخرى بالمجتمع.

هنا عامل آخر يلعب دوراً فى مشكلة الإسكان وهو إصرار الهاريديين على العيش فى مدنهم أو ضواحيهم مما يرفع أسعار الشقق فى هذه الأماكن. فالشقة فى مدينه بنى باراك الهاريدية تتكلف أكثر مما يتكلف مسكن مشابه فى أى من المدن التابعة الأخرى المحيطة بتل أبيب. وكذلك فإن شقة، فى أحد الضواحى المقصورة على الهاريديين بشمال القدس ويسعى زعماء الهاريديين فى إسرائيل إلى مواجهة هذا الجانب من المشكلة بالبدء فى كل مشروعات الإسكان الخاصة بالهاريديين، فى المدن والقرى، وينصح، الهاريديون، أتباعهم بالإقامة فى هذه المساكن.

(نشأت إحدى هذه المدن الهاريدية إمانويل فى الضفة الغربية المحتلة، فى حين تُبنى أخرى بيتنار فى جنوب القدس مباشرة. لكن بصفة عامة فإن الهاريديين يرفضون أن ينتهزوا فرص الإسكان المدعومة التى قدمتها حكومة الليكود للمستوطنين فى الأراضى المحتلة.)

يقف وراء تلك المحاولات بتوزيع السكان واصدار والتشريعات الإجتماعى لمواجهة ضغوط السوق الحاخام سيمانشابونيم التر، وهو حاخام حاسيدى (١٨٨٧ - ١٩٩٢) وقد أجبر شباب الحاريديين، الرافضين للسكن بعيداً عن بنى باراك والقدس، على السكن فى أشدود على الساحل، وفى هاتزار بالجليل وفى أرار بمرتفعات جودين المجدبة

وكانت. هذه المناطق نادراً ما ترى شخصاً هاريدياً حتى بدأ العمل بها فجاء العمال ومديرو المشروع والبلدوزرات وخلاطات الأسمنت.. ثم جاءت العائلات والأطفال وأخيراً تم بناء «الكنيس» اليهودى والياشيفاه.. لتستكمل بذلك مقومات مجتمعات الهاريديين المعزولة والمطبوعة بطابعهم الخاص فى الحياة.

واتبعت طوائف Belter الحسيدى، Breslevers, Vishnitzaer وآخرون وبعض مجموعات الميتناجديين هذا الاسلوب بنواء مدنهم [(كريات) Krayot] ذات التجمعات السكنية فى المناطق النامية حيث يمكن للعائلات الشابه أن تجد المساكن بأسعار معقولة نسبياً بمساعدة القروض الحكومية الميسرة ووضع، الحاخام التر، خطة العمل الطائفية بالتحريم الواضح الجلى، على حديثى الزواج شراء المساكن فى القدس أو بنى باراك، خلال السنوات الخمس الأولى من زواجهم.

وتولى هذا الزعيم المبدع، مهام منصبه عام ١٩٧٧، وعمره يناهز الثمانين عاماً، ونجح فى ضغط الإستهلاك لسلع أخرى. فعلى سبيل المثال. أعلن التر، قبل سوكوت (Sukkot) بفترة قصيرة، أنه يمكن للمجتمع أن يكتفى بواحدة من المجموعات الأربعة (الموالح، أفرع النخيل، أفرع الريحان، أفرع الصفصاف: وهى التى تستخدم فى الاحتفالات الدينية، وهى تلك التى أوردها العهد القديم فى سفر الاويين «وتاخذوت لأنفسكم فى اليوم الأول ثمر اشجار بهجة وسعف النخل واغصان اشجار غبياء وصفصاف الوادى وتزحون امام الرب الهكم سبعه أيام»: يدفع كل حاسيدى أسعاراً باهظة وقد انخفضت الأسعار على الفور بعد أن كانت قد وصلت إلى ١٠٠ دولار لتلك المجموعات).

وتنص تعليمات الحاخام التر على وضع حد أقصى لعدد الضيوف فى حفلات الزفاف أو الاحتفال بوصول الأطفال لسن الرشد، بل وتحدد تلك التعليمات أنواع

الطعام التى تُقدم للمدعوين. وهناك قواعد تحكم حتى أنواع الأوانى الخزفية التى قد يستخدمها الحسيديون فى المطابخ والحمامات.

لكن كل ذلك ماهو إلا محاولات علاج منفصله نادراً ما تحمى المجتمع الهاريدى، بينما الضغوط الاقتصادية والديموغرافية تزداد باستمرار. بالإضافة إلى أن تلك الإجتهادات لم تلتقت إلى تهديد خطر لجوهر الفكرة الإجتماعية للزواج نتيجة الظروف الاقتصادية للهاريديين ألا وهو التناقض الحاديين نمط الحياة لكل من الزوج والزوجة.

لم يعد فى استطاعة الشابات الهاريديات، وهن المسئولات عن إعادة أطفالهن بصفة رئيسية، مواصلة العمل فى سلك التدريس مثلما كن يفعلن منذ عقد أو عقدين مضيا. هناك الأن عدد كبير من الفتيات يتخرجن من الحلقات الدراسية لتدريب المدرسين الهاريدين، ولايوجد بالمقابل وظائف تدريسية كافية لشغلها فى المدارس الهاريدية. نتيجة لذلك فإن النساء الهاريديات يتجهن للحلقات الدراسية الخاصة بمجالات الكومبيوتر والرسم والحياكة وأعمال المكتبات. لكن لا يمكن أن تتوافر لكل الخريجات وظائف فى شركات أو مؤسسات هاريدية. ومن ثم فإن كثيرات منهن ينتهى بهن المطاف فى أماكن عمل غير هاريدية.

ويتوقع علماء الإجتماع أمثال مناحم فريدمان أن يؤدى أرتفاع مستوى تعليم الزوجة، بالإضافة إلى خبرتها اليومية فى العالم الخارجى،إلى تمزيق روابط الأسرة الهاريدية. إن معدلات الطلاق بين الهاريديين فى إزدياد مستمر (وإن كانت لاتزال أقل من مثيلتها فى المجتمعات الأخرى) ويشير فريدمان إلى أن هذا الأرتفاع معدلات الطلاق يعكس الضغوط والتحديات التى يتعرض لها الزواج الهاريدى. ويلاحظ أن «معظم حالات الطلاق فى المجتمعات الهاريدية تبدأ من النساء». يواجه الأزواج مشكلة

بطالة مشابهة وخانقة. فقليل من الطلاب فى الكوليل يستطيعون أن يتحول إلى محاضرين فى الناشيفاه أو حاخامات، أو حتى مدرسين فى الياشيفاه. الصغرى ولا يوجد فى هذه الوظائف ما يكفى لأعدادالكثير من الخريجين. وعلى أية حال فليس كل رجال الكوليل (Kollel) مؤهلين لشغلها. فضلاً عن ذلك فإن الأزواج ليس لهم حرية الأختيار لدراسة الكومبيوتر أو الرسم: فإنهم لو فعلوا لكان عليهم أن يلتحقوا بخدمة الجيش (التحدى القانونى الصارم) لكن من الناحية العملية فإن بعض رجال الكوليل يعملون بعض الوقت بصورة غير رسمية فيما يُسمى «الاقتصاد الفرعى غير الرسمى» والذى يزدهر فى أوساط المجتمع الهاريدى.

فى عدد من العائلات، بينما تتقدم الزوجة فى عملها بمركز كومبيوتر أو وكالة إعلان فإن الزوج يظل قانعاً كعضو عادى مُجند فى الكوليل، يتلقى أجراً زهيداً ويحدوه أمل متواضع فى الترقية إلى وظيفة فى التدريس أو الحاخامية.

فضلاً عن التباين الحاد بين الزوجين من حيث الاشباع الوظيفى واكتساب النفوذ، فإن الوجود المزدوج للزوجة، كأمراة عاملة محترفة فى العالم غير الهاريدى، وكإمراة بالمجتمع الهاريدى، يؤثر سلباً على حياتها فى المجالين.

فى العمل.. نجدها سعيدة.. تمزح مع الآخرين (رجال غير هاريديين) فى اتصالها الحر معهم فتقول النكت وتضحك وتناديهم بأسمائهم الأولى وتستخدم اللغة العامية بمفرادتها الجديدة. أما فى المنزل فهى محتشمة منكفئة على نفسها. ولو زارهم أحداً من أصدقاء زوجها فى المنزل فإنها تحييه سريعاً بعيون تتجنب النظر إليه ثم تنسحب إلى المطبخ.

هذه هى الحالة فى بيوت الهاريديين وأقل منها بين الميتناجديين. لكن الفجوة بأقل عند الهاريديين.

ولا يرد بتفكير الحسيدين أن يلتقى الزوجان مساْء فى لقاء عائلى، أما بين الميتناجديين فإن ذلك نادر جداً.

وفى مجتمعات الشتات، نجد القواعد فى كلا الجانبين ليست جامدة تماماً كما هو الحال فى المجموعات المماثلة فى إسرائيل. لكن الفجوة بين إسرائيل ومجتمع الشتات تقل أيضاً. بينما ينبعث تأثير الحاخامات المتشددين فى بنى باراك خلال العالم الهاريدى .

الزوج الهاريدى فى «الكوليل» عكس زوجته العامله، لديه القليل من الأسباب للإتصال اليومى مع العالم غير الهاريدى وهو غير لبق فى المناسبات التى يحضرها عندما يتعذر عليه تجنبها. ويجب عليه أن يتجنب محادثة أمنية الصندوق فى البنك أو السكرتيرة فى العيادة الطبية... وبالقطع لايود أن يسمعه أحد وهو يتحادث بلا كلفة معها.. لذلك فإن معظم البنوك الإسرائيلية تحاول ألا تضع شابة فى وظيفة أمينة صندوق بفروعها الموجودة فى أحياء. الهاريديين الكوليل الزوجة من مكتبها، كيف يتقاسمان خبرتهما اليومية؟ هل التناقض فى حياة الزوجة يبعدها عن زوجها وعن القيم المشتركة بينهما؟.

ويجب على هذا السؤال حاخام مجتمع الحاسدين بمدينة أراد، وهى مدينة تقع جنوبى إسرائيل، قائلاً: «نعم».

وقد أصدر هذا الحاخام مرسوماً يُحرِّم على النساء العمل فى المؤسسات والشركات غير الهاريدية لكن أراد مدينة كبيرة وغير هاريدية مما يعنى أن النساء، طبقاً لهذا المرسوم، عليهن أن السفر بعيداً ليجدن عملاً أو قد لا يجدن عملاً (أو لا يعيشن فى أراد) ولو طبقت هذه الوثيقة فى مجتمع الهاريديين لانهار البناء الإقتصادى لمجتمع الدارسين كله.

يؤكد معظم الحاخامات الهاريديين أنه من المقبو، نظرياً، أن تخلق تلك التبانيات إجهاداً أو ضغوطاً زوجتة لكن على الأقل لاتوجد دلائل مادية على ذلك. ويقولون أن البناء، لاينفرن من أزواجهن ولايشعرن بأن هناك تناقص فى حياتهن.

ويقول الحاخام دافيد رفيسون، عميد «نيف أورشليم» مندهش أن ذلك لايحدث. ولو حدث فإننى سأعرف به وأعتقد أن ذلك ضريبة بدفعها الناس مقابل مستوى التعليم الذى تلقوه» .

إن كثيراً من بواعت الفخر بنجاح المجتمع يعود إلى نظام التعليم. البنات متشربات منذ السن المبكرة بالاعتقاد بأن تعليم التوراة هو أسمى هدف للرجال، وأن مهمتهن فى الحياة هى العمل على تحقيقه وذلك بمساعدة أزواجهن وأبنائهن أن يهيوا أنفسهم لهذه الغابة وقد تعلمن أن التعليم يقوم على الرضا بالنفس والفضيله والتكامل وإذا لم يصبح زوج إحداهن محاضراً فى الياشيفاه فإن ذلك لايعنى أنهفاشل سواء فى نظر الرب أو فى عينى زوجته.

البنات أيضاً متشربات، لمشاعر ومفاهيم معادية تجاه غير الهاريديين فإنهم أقل قيمة من الناحية الدينية، عن الهاريديين فالإحسان إلى رجل البريد أو الكهربائى أمر طيب إلا إذا كان يرتدى قلنسوه وملتحياً فإن ذلك ممنوع الجلوس أمام رجل غير هاريدى بالأتوبيس أمر مقبول بينما الجلوس أقام رجل هاريدى فأمر واجب الإجتناب مثل هذه المحادثات المتحررة مع غير الهاريديين فى العمل لاتتصادم مع القيود التى تعيش فى ظلها المرأة الهاريدية فى بيئتها الإجتماعية.

وهناك عنصر هام يفسر لنا هذه التناقضات وهو نظرة الهاريديين للآخرين، وهى تتشابه مع نظرة اليهود إلى غير اليهود فعلى سبيل المثال تقع الهالاشاه غير اليهود فى مرتبة أقل من اليهود.

فالمرأة المتزوجة، مثلاً، لاتتهم بالزنا، فى تقديرات الهالاشاه المتشددة، إذا مارست الجنس مع رجل غير يهودى. ويطبق الهاريديون معايير مزدوجة مشابهة وذلك مع اليهود غير الهاريديين الذين قد يجدون ذلك أمراً مشوشاً بينما لايراه الهاريديون كذلك.

وتشرح إمرأة هاريدية ذلك بقولها: «أستطيع أن أتحدث إليك بحرية تامة لأنك لست مثلنا بالطبع، فإن النظرية ليست دائماً قابلة للتطبيق العملى لا بالنسبة لغير اليهود ولا لغير الهاريديين.

نجح اسحق باشيفر سنجر فى روايته المعروفة قبل مذبحة اليهود فى أوروبا فى أن يصور الاضطراب الداخلى لدى نساء الهاريديين اللائى لم تستطعن أن تعشن فى ظل هذه القواعد، وفشلن فى أن يخضعن عواطفهن ومشاعرهن للقالب الإجتماعى المطلوب. كما تشهد مجتمعات الهاريديين أيضاً أولئك الذين فشلوا فى أن يستمروا ويتواصلوا مع تلك المعايير المزدوجة ويقعون فى غرام شخص من منزلة أدنى .

وبالرغم من ذلك إلا أن واسعى الإطلاع لشؤن المجتمع يقولون أن معظم حالات الخيانة الزوجية داخل المجتمع تقع بين أطراف هاريدية أكثر مما هى بين هاريدى وغير هاريدى. وغالباً ما يحدث استهجان ذلك فى كل لحظه ولكن بصوت هامس .

بينما لايوجد هاريدى واحد من واسعى الاطلاع لديه الاستعداد أن يعترف علناً بالتشويش وعدم التناسق الذى يسود نظام زواج الهاريديين، كتهديد للمجتمع، إلا أن الكثير من المفكرين والمتحدثين يتكلمون بحرية عن الضغوط الاقتصادية، وخاصة أزمة الاسكان، بتعبيرات صريحة، ويتنبأ البعض بأن ينشأ مدخل عقائدى جديد أكثر واقعيه خاص بالخدمة العسكرية فهناك هاريديون كثيرون مجبرون أن ينكروا فى ترك الكوليل لكسب العيش. ويقول الحاخام يوسف باكسبوم رئيس دارنشر ماتشان أورشليم:

«أود ألا يحدث ذلك فى حياة الحاخام شاس لكن ذلك وشيك الوقوع. لقد وصلنا إلى المرحلة التى يتطلع فيها الجيل الثالث من أبناء التوراه إلى تزويج أبنائهم. ولاتوجد أموال متبقية لدى العائلات فضلاً عن أن الكساد فى أمريكا قلل من حجم المساعدات عن المستوى المعتاد .

ويحلل باكسوم الموضوع وفق اعتبارات سياسية أيضاً ويقول: «هناك العديد جداً منا... الدولة لن تسمح بالاعفاء من الخدمة العسكرية للأبد ومن المحمل أن تتغير الديموغرافيا السياسية بقدوم فريد من اليهود السوفيته فالأحزاب الهاريدية لالكنها أن تفرض إرادتها للنهاية».

ويتنبأ باكسباوم بصيغة من الترتيبات للشباب الهاريدى الذين يرغبون فى ترك الياشيفاه: «إنهم سيؤدون خدمتهم العسكرية فى وحدات هاريدية لمدى أقل من ثلاث سنوات [وهى المدة القانونية] ثم ينطلقون للعمل .

ويلاحظ باكسباوم أن بعضاً من الحاخامات الهاريديين يرون المستقبل بطريقة مشابهة لكنهم يرفضون الجهر بآرائهم .

ويتفق الحاخام ريفسون فى أن ذلك هو المستقبل المرتقب لكنه يعتقد أن هذا الاتجاه يمكن ادراكه وملاحظته بالفعل، ويقول: «منذ خمس سنوات كان اصدقائى يرسلون كل أطفالهم إلى الكوليل كقضية مفروغ منها. أما الآن فإنهم يختارون مَنْ مِنَ الأولاد يجب أن يبقى فى التعليم بينما يترك الآخرون الكوليل فى آخر الأمر ليشقوا طريقهم فى مكان آخر يتجه الشباب إلى وظائف الخدمات مع ازدياد القابلية للعمل .

على سبيل المثال فإن المخطوطات الدينية «Safruss» تصبح أكثر شعبية بينما مخزون Sifreitarah* (وهى أوراق التوراه التى أنقذت من الإباده) تتناقص وترتفع أسعار الكتابات الحديثة .

الحاخام ريفسون هو نفسه كشاف مواهب بين رجال الكوليل الإسرائيليين لشغل وظائف فى مدارس يهودية بالخارج لكن نظرة ريفسون، ذلك الميل الأولى والذى يزعم فيه أنه يتناقص وهو يرحب بذلك، لايرجع إلى الضرورات الاقتصادية وحدها. ويقول:

«الناس مضغوطة بالقطع لإعتبارات مادية تدفعها للتفكير فى ترك المناطق المغلق لمجتمع الدارسين» .

لكن البعض بدأ يدرك تدريجياً، كما يعتقد ريفسون، أن الإلتحاق غير المنظم بالكوليل هو فى الواقع أكبر مشكلة هاريدية. إنه يخلق شخاصاً فاشلين من بين هؤلاء الذين يلتحقون بالكوليل دون تنظيم فهؤلاء الرجال مقدر لهم أن يظلوا طوال حياتهم حاخامات تلموديين فاشلين. وكل شخص يعرف أنهم فاشلين فيما عدا زوجاتهم أنهم أنفسهم يعرفون ذلك، والعديد منهم يرفضون الاعتراف بالحقيقة. وهم يعودون إلى منازلهم مساءً ويحسون لاصرارة الهزيمه .

يمكن اعتبار ريفسون، وباكسباوم هاريديين متحررين. وهى يبنيان توقعاتهما على أساس التحليل للظروف الموضوعية .

أما يوس بيلين، من حزب العمل، كما رأين، فيصل إلى نفس التنبؤ لكى بمصطلحات أكثر حدة فيقول: «بنموهم الطبيعى سيكون هناك انفجار قريب المجتمع الإسرائيلى لن يتحمل مراوناتهم الكبيرة وغير المنتهية من أداء الخدمة العسكرية. لكن

* Sifreitarah تعنى لفائف الشريعه وهى مخطوط لاسفارموس الخمسه يكتب باليد ويحفظ فى تابوب العهد فى المعبد اليهودى...

الحركات الدينية أثبتت أنهم لايتأثرون سريعاً بالتحليل المادى الرشيد ويبدو أن الجماعات الأصولية بصفة خاصة لديها قدرة على الاحتمال تستطيع أن تتحدى بها القوى السياسية والاقتصادية .

ربما يكون من الخطورة أن نتكهن بأن الأصوليين الهاريديين اليهود سوف يتصارعون مع نمط حياتهم لأنه لايوفر لهم مصادر الحياة الكافية لكن المصارد، بعد كل ذلك، تأتى من الرب «الذى يهب الحياة وسوف يمنح مقومات الحياة كما يقول التلمود .

ومشاعر الهاريدين ليست متعاطفة بالقطع مع التنبؤات المتزنة للحاخامين ريفسون وباكسباوم ولا مع تحذير بيلين الخافت .

الهاريديون داخل إسرائيل وفى الشتات يدى ، أن مهمتهم مقدسة يرون مجتمع الدراسين يتمتع بحماية وقدسيه ويتسع نفوذه على نطاق واسع وليس متوقعاً منهم أن يتخلوا عن أى من منجزات الماضى، حتى يدعموا المستقبل...

الجزء السادس

شبح الانشقاق

الفصل الأول

من هو اليهودى

إنقسم القب اليهودى إلى فريقين أثناء العقود الثلاثة الأخيرة حول مسألة. من هو اليهودى؟ هذا هو التساؤل الشائع بين زعماء الأصولية فى العصر القديم والحديث على السواء. والا تعترف الأقلية اليهودية بالأغلبية بالأقليه ويماثل هذا الوضع الإنشقاق بين اليهودية والمسيحيه فى القرن التالى لميلاد السيد المسيح. ويقول الحاخام الدكتور نورمان لأم رئيس جامعة «ياشيفياه» بالولايات المتحدة إن الإنقسام العقائدى الآن أقوى من ذى قبل ويلقى بعض«الأصوليين» المعاصرين مثل الدكتور لأم بجزء من اللوم على المذهب القديم فلو كان المذهب الأصولى الحديث أقوى من المذهب القديم لما وصل هذا الانشقاق لهذه الدرجة. وقد يكون هناك حواراً ووئاماً بين الأوصولية والإصلاح. إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل بسبب تعصب من يؤمنون بالمذهب القديم.

إلا أن كل من الأصوليين العصريين والمتعصبين يتنمون حركات الاصلاح ويلقون على كاهلها بالمسؤولية الأولى لهذا الإخفاق الذريع. ويقولون إن «الإصلاح» فى السنوات الأخيرة وسع من نطاق المواجهة فى الحــرب على الأصولية: من اليهودية إلى العبودية. ولم يعد الصراع الآن متعلقاً بالعقائد أو الطقرس أو حتى علم اللاهوت. فمثل هذه الخلافات، رغم من مرارتها أمكن احتوائها داخل الدين الواحد إنما يدور. الصراع الآن حول مفهوم الإنتساب إلى الدين اليهودى. فى العصر الحديث، مع تزايد الحراك بين الأديان المختلفة، فمثلاً تزوج أكثر من نصف اليهود الأمريكيين من غير اليهوديات ولذا يفرض هذا السؤال نفسه «من هو الهودى؟» نفسه ويرى كل من الأصولى وغير الأصولى أن تلك إشكالية خطيرة!

إن الشروط الاصلاحية (والمحافظة) للتحول إلى اليهودية غير معترف بها من قبل الأصولى بل ويعتبرونها موضوعاً هزلياً ويقول الحاخام موشى سيرر رئيس «أجودات إسرائيل» فى أمريكا أن تلتحق بنادى رياضى بالمدينة أصعب من أن تصبح واحداً من أبناء الشعب اليهودى. من خلال التحول الإصلاحى حيث ينظر إلى التشريعات الإصلاحية الحديثة فى الديانة اليهودية كبدعة ويقول: «إن السلوك الفردى غير المسئول فى التاريخ اليهودى المعاصر بحسب كلمات دكتور لام هى التى أدت إلى القواعد الإصلاحية المتعلقة بالزواج والطلاق وهى أتجاهات هرطقة دخلية تسمح بدخول غير اليهود بين العناصر اليهودية وستؤدى فى يوماً ما إلى الفاء الشخصية اليهودية الأصلية بالكامل».

وتبدو تحذيرات الأصولية من الأنشقاق وظهور «شعبين» فى نظر معظم اليهود الأخرين على أنها هرطقهوفعالاة فى التعصب فهناك الكثير الذى يربط اليهود ومن الصعب الإقتناع بإنقسام الشعب اليهودى إلا أن للأصوليين رأيا أخر، فهم يفسرون إن ذلك الأنقسام لن يبلغ شكلاً مأساوياً يصل إلى شكل الإعلان الرسمى. وستحدث العملية تدريجياً بمنع حاخامات الأصولية الزواج بين اليهود الأصوليين واليهود غير الأصوليين وفى خلال وقت قصير نسبياً وسيصبح هناك مجموعتين منفصلتين نتيجة الزواج فقط. وسيأتى الانقسام العقائدى الرسمى كخطوة أخيرة ويظن الأصوليين إنه لاتزال هناك فرصة أخيرة لتفادى هذا «السيناريو» ذلك بجذب دوله إسرائيل إلى جانيبهم فلا يستطيع الأصولية التغلب على حركة الإصلاح داخل أمريكا نفسها لقلة عددهم نسبياً ولكن فى داخل إسرائيل نفسها فإن الحركات الإصلاحية والمحافظة الجديدة تعانى ضعفاً، حيث المذهب الرئيسى فى الزواج والطلاق التى يقع فى نطاق السيطرة الكاملة للحاخامات الأصوليين وهم يعتقدون أنه مع هزيمة حركة الإصلاح داخل إسرائيل نفسها ومع مرور الوقت وزيادة عددهم يمكن التغلب على حركة

الإصلاح داخل أمريكا نفسها فى معركه تحديد المعنى الحقيقى لليهوديه. وإذ لم يتمكنو تجنب هذا الإنشقاق وسيكون فبإمكانهم أن يحملوا دوله إسرائيل ستكون إلى جانبهم، على أقل تقدير، إن الصراعات الأخيره فى إسرائيل قد قام بها الجانبان بهدف التأثير على الوضع الدينى لليهود فى كل مكان. فى عامى ١٩٨٨-١٩٨٩ ويعدوا غدت الهاريدية الأقوى سياسياً أكثر من أى وقت مضى، فى إسرائيل وطالبوا الحكومة أن تعترف فقط بالتحول الأصولى مما وتر الروابط بين إسرائيل ويهود «الدياسبورا» حتى وصلت إلى نقطة حرجة وهدد ممثلى اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الزعماء الإسرائيليين «بالقول لو رضختم إلى الهاريديم سندير لكم ظهورنا وتتحطم «مركزية إسرائيل» فى الحياة اليهودية حجر الأساس للصهيونية.»

وأثمرت هذه التهديدات وعانت الأصولية من هزيمة قاسية ولكن لايزال الصراع عرضة للانفجار مرة أخرى حيث لم يغير كلا الجانبين من موقعة الأساس. وكانت الأزمة التالية قضية السيدة البريطانيه الشابه، بولا كوهين التى تحولت على يد كبير الحاخامات فى إسرائيل، وهى تواجه الجهود المبذوله من قبل الهاريديم لتجريدها هى وأولادها من ديانتها، ويضع صراع «السيدة» الماثل أمام القضاء البريطانى الأصولية والمذهب الإصلاحى ووجهاً لوجه.

لقد أطلقت إسرائيل على نفسها فى مستهل نشأتها عام ١٩٤٨ «دوله الشعب اليهودى» وأصدرت «قانون العودة» الذى يمنح الجنسية الإسرائيلية تلقائياً لأى يهودى يصل إلى إسرائيل ولم تستطيع إسرائيل الهروب من الضرورة الخرقاء، والمشحونة بالتعقيدات الدنية والفلسفية والعنصرية فى تقرير من هو اليهودى فى إطار المنظومة التشريعية: وهل هناك معيار تشريعى لذلك؟ أى انسان يدعى أنه يهودى سوف تعترف به الدلة اليهودية رسمياً.

ومن سخريات القدر، أن كثير من أعضاء الكنيسيت المشاركين فى إتخاذ القرار كانوا من المسلمين والمسيحيين الدروز وتظهر تلك المفارقه بعد كل إقتراح بخصوص تلك المشكلة حيث يصوت هؤلاء مع الجانب الخاسر وتقف جماعة الضغط المعادية للأصولية وتضم ممثلين من المحافظين وحركة الإصلاح الأمريكية، فى وجه الأصوليين وغالباً ما يشير ذلك إلى الإصلاح بأن الجماعات الأصولية ذات نفوذ سياسى متفاوت ويمثلون نقطة التوارث بين اليسار واليمين.

لم تكن الحيل الحزبية السياسية هى التى حددت فقط نتائج هذا النزاع البرلمانى خلال هذه السنوات الطويلة، فلقد كان الأباء الؤسسون لإسرائيل متضاربين فى أفكارهم فيما يتعلق «بمن هو اليهودى؟» ويتذكر القائد الأصولى د. ذوارتس وارهافتيج أن دافيد ين جوريون قائد الدوله الأسبق، وأول رئيس وزراء، إعتراف سراً أثناء إحدى الأزمات بتخوفه على هوية إسرائيل اليهودية على المدى البعيد. لقد تمرد بن جوريون على الأصوليين فى حياته الشخصية ويقول وارها فتيج أن بن جوريون كان أقل اقتناعاً، بما يتقارب الرفض، الأصولية كحارس للتراث القومى للدولة اليهودية الحديثة.

أما مناحم بيجين الذى قاد المعارضة اليمينية منذ عام ١٩٤٨ إلى أن وصل إلى السلطه عام ١٩٧٧ ، ظل يدعم ويؤيد الأصولية فى أطروحاتها حول تعريف اليهودية، رغم من أنه لم يكن أصولياً على الاطلاق. إلا أن تلك القضية تمثل له نوعاً من الكبرياء القومى والذى تجسد حسب اعتيقاده فى الفهم التقليدى للشرائع.

وقد إصطدم بن جوربون مع هذه المسألة عام ١٩٥٨ ، عندما واجهه وزير داخلية «والمنتمى إلى اليسار، والذى أصدر تعليماته لموظفية بتسجيل أى فرد يعترف بأنه يهودى (سواء بالدين أو بالوطن) وقد أدى ذلك إلى أزمة حكومية كبيرة فقد خرج الأصوليين فى مظاهرة احتجاجاً حل ذلك فوفق هذا المدعم يصبح اليهودى هو الذى

ينتمى إلى أم يهودية أو الذى تحول إلى اليهودية، وأدرك بن جوربون الأهمية التاريخية لتلك القضية وقرر استشارة خمسين من حكماء اليهود داخل إسرائيل ومن اليهود الشتات ويمثلون جميع إتجاهات الفكر اليهودى وجه إليهم سؤالاً محدداً وهو كيف تستطيع دوله إسرائيل أن تسجل الاطفال لأب يهودى ولأم غير يهودية ويريد الألوان تسجيل المولود «يهودياً» كيهودى ووصل على سؤال بن جوربون، سته وأربعين رداً ووافق منهم ثمانية وثلاثون على تسجيل الأطفال كيهود وأقترح خمسة تسجيل الأطفال بالديانتين، كما اقترح ثلاثة فقط أن يسجل الطفل طبقاً لرغبه الوالدين وقد تلاشت آراء «الحكماء» بعد أن مكنت الانتخابات الجديدة بن جوريون أن ينصب ووزيراً للداخلية ينتمى إلى الحزب القومى الدينى وأبطل الوزير على الفور جميع إجراءات وقد سلفه إستمر هذا الحزب فى الوزارة لخمسة وعشرين عاماً.

وجاء والتغيير التالى فى تلك القصة البطولية فى أوائل الستينيات على يد الأخ دانيال روفزين (أوزوالد) وهو يهودى بولندى وراهباً كرملياً هاجر إلى إسرائيل وعاش فى الدير الكهنوتى على جبل الكرمل. وقد طلب من المحكمة العليا أن يسجل كيهودى وأحداً أنه كان دائماً يعتبر نفسه واحداً من اليهود وقد لاقى الأخ مانيال تعاطفاً كبيراً. وأستطاع أثناء المحرقة الجماعية لليهود أن ينقذ الكثير منهم مضحياً بنفسه وأشادت

المحكمة بشاجعته وإخلاصه ولكنها حكمت بأغلبية الأصوات، [أربعه لواحد فقط]، وقالت: لايمكن الاعتراف بشخص تحول المسيحية فى الدولة اليهودية. كيهودى مرة أخرى يعنى ذلك الحكم حرمان روفسين من أن يصبح مواطناً إسرائيلياً ويطبق عليه نظام «إعادة التأهيل» الذى يتم خلال خمسه سنوات لجميع المواطنين من غير اليهود. ولكنه طالب بأن يصبح مواطناً إسرائيلياً من منطلق «قانون العودة».

ومن منطلق هذا الحكم زادت الفجوة بين القانو الدنيوى للدولة والقانون اليهودى «القديم» حيث أن فى الأخير سيظل روفسين الذى ولد يهودياً سيبقى على دينه إلى الأبد وأى إجراء يقوم به من تلقاء نفسه حتى ولو كان ذلك تحوله إلى راهب مسيحى، لن يغير الديانه الأولى التى ولد عليها.

ومن خلال هذه الفجوة إستطاع الكولونيل بنيامين شاليت بعد عشرة سنوات أن يقم الدعوى من أجل أولاده أورطن وجاليا ويطلب من المحكمة العليا أن تسجليهما يهوداً، ووطنيين ودون تحديد على الرغم من أن والدتهما لم تكن يهوديه وقد وافقت المحكمة العليا بأغلبية الأصوات [خمسة إلى أربعة] بقبول هذا الطلب. وبعد أن أصبحت جولدا مائير رئيسه للوزراء انفجرت الأزمة. وطالبت الأحزاب الأصولية بسد تلك الفجوة عن طريق التشريعات اللازمة. وإستجابت جولد مائير والحكومة بسرعة وعدل «قانون العودة» عرف اليهودى بانه الإنسان المولود عن أم يهودية أو الذى تحول إلى اليهودية بشرط إلا يكون عضواً فى «نظام دينى آخر».

وكانت هناك خلافات كثيرة فى الكنيسيت حول معن ومفهوم «التحول» وإذا ما كان ذلك يعنى التغيير إلى الأصولية أو ‹إن ذلك يتضمن كذلك التحول إلى المبدأ الإصلاحى أو المحافظ. وكان وزير العدل عضواً فى حزب العمل واوضح أن ذلك لا يعنى «التحول» الذى يحدث ليهود الشتات على يد حاخامات من غير الأصوليين، فإذا

جاء الفرد مهاجراً إلى إسرائيل ولديه شهادة بالتحول صادرة عن مجمع إصلاحى أو محافظ فلا يمكن أن نسجيله يهودياً. وعندما إقترح غير أصولى الغاء هذا الشرط اعترض المجلس التشريعى وذكر الأصولى أن عملية «التحول» فى الأصل هى «عملية أصولية» وبالتالى لا يستطيع أحد أن يضم غير الأصوليين فيها وعندما إقترحوا إضافة كلمة «وفق الهالاخاه [الهالاشاه] الأصولية.

وإمتنع المجلس التشريعى عن إقرار هذا الأقتراح أو ذاك. واستمر هذا التعديل على هذا النحو الغامض والمبهم وإن ظل هذا الأمر، موضوعاً للنقاش فى أحيان كثيرة داخل الكنيسيت وفى المحاكم..

الفصل الثانى

من هو الحاخام

إنتقلت بؤرة الجدل فى إسرائيل، من التساؤل العريض لتعريف معنى اليهوديه، إلى قضية قضية التحول من دين لآخر، وخلق ذلك إرتباطاً مباشراً- بين سياسة إسرائيل الداخلية والقناعات الدينية ليهود الشتات وهم من التابعين للمذاهب الاصلاحية والمحافظة وغيرهم من اليهود غير المقيمين فى إسرائيل، وقد إنتاب هؤلاء شعور بالخطر لأن الكنيسيت تشرع قانوناً جديداً ضدهم. ولم تعد القضية غامضة أو فلسفية كما كانت تبدو ولكثير من «يهود الشتات» وخاصة عندما تعلقت القضية براهب يهودى أو إسرائيلى يريد أن يكون لأولاده هويتين مختلفيتن الأولى «يهودية» والأخرى «بلا ديانه»، وإستمد الأخ دانيال، والكولونيل شاليت، المساندة الفكرية من يهود الشتات المتحرريين، إلا أن ذلك لايعد نموذجاً يمكن الإحتذاء به.

وأصبحت سوزان ميلر (شوسانا)، التى بطلة لقضية «غير أصولية» بعدما وافقت المحكمة العليا والتى نظرت دعواها فى القدس فى ديسمبر ١٩٨٦، على تسجيلها فى إسرائيل كيهودية.

وكانت قائدة لجوقه «الشراتيل» من كلورادو وسبرنج كانت قد تحولت إلى اليهوديه عن طريق حاخام إصلاحى وقررت إن تجرب العيش فى دوله يهوديه وعوملت معامله سيئه من قبل مسئوولى وزاره الداخلية وكانت الوزارة فى ذلك الوقت بيد حزب اليهود الشرقيين «شاس».

كانت المشكلة آنذاك لا تنحصر فى إشكالية «من هو اليهودى؟» ولكن تدور حول مسألة «التحول الشرعى» إلى اليهودية على يد الحاخام. ومن هو الحاخام المؤهل

شرعياً لتحويل عبر المسيحى إلى اليهودية من وجهه النظر غير أصولية ثم يثور للسؤال التالى: من هو اليهودى إذا كان الحاخام لا يعتبر شرعياً فما القول فى من يتبعوه سواء كانوا محوليين إلى اليهوديه أو كانوا يهوداً أصلاً ويفصل الجميع العيش والعبادة فى ظل رعايته الروحية وإذا لم تعترف الدولة اليهودية بتحويل طائفه دينية يهودية معينة سواء على المذهب الإصلاحى أو المحافظ بالمثل فإنها لا تعترف بالمثل بأى يهودى يرتبط بهذه الطوائف الدينية.

وتعنى الكلمة العبودية «راف»، الدالة على الحاخام، «السيد»، وفى الكتب والمخطوطات اليهودية القديمة لا تستخدم هذه الكلمة للدلالة على رجل دين تابع للمذاهب الإصلاحية أو المحافظة ولكن يستخدمون الكلمة الأنجليزية (رابى) لتشير أنه ليس من الحاخامات الموثوق بهم. وحتى ما ينشره اليهود المتزمتون باللغة الإنجليزية فإنهم يضعون علامة إستفهام؟ أمام كلمة حاخام (رابى) عندما يكون تابعاً للمذاهب الإصلاحى أو المحافظة وتعنى تلك الإشارة نفس المعنى السابق، وإذا كانت «الحاخام» إمرأة يضيفون علامة التعجب! ووافق الأصولية على أن السؤال قد سلك إتجاهاً آخراً» من هو الحاخام؟. حيث يتطلب التحول إلى اليهودية حاخاماً مؤهلاً، ويعتبر الحاخام غير الأصولية وفق للتعريف والمفهوم الأصولى «غير المؤهل» إلا أنهم يصرون على أن ذلك لا يمكن أن يطعن فى «يهودية» أى شخص أيا كانت الطائفة الدينية التى ينتمى اليها، على أن يكون مولوداً يهودياً من أم يهوديه أو تحول إلى اليهودية على يد حاخام أصولى.

كما جادل الأصولية أيضاً بأن معدل الهجرة اليهودية منخفض من الغرب إلى إسرائيل، وأن عدد المهاجرين من غير الأصولين المحولين كان ضئيلاً وفى الغالب كان هؤلاء على إستعداد «لإعادة التحول» إلى اليهودية فى إسرائيل نفسها لولا تفجر

أشكالية المذاهب الإصلاحية والمحافظة وكان ذلك أمراً غير منطقى، فكلا الجانبان يعرفان أن هناك كثيراً من الحالات العاالجلة وليست مجرد تحويل مهاجر إلى اليهودية بين حين وآخر. وإذا حكمت المؤسسات التشريعية والقضائية فى الدولة اليهودية ضد صلاحية المذهب الإصلاحى أوالمحافظ فى عملية التحول إلى اليهودية فإن تلك ستكون ضربة قوية ضد الحركات غير الأصولية فى أمريكا.

فى معركة إسرائيل التى ولم تكن المعركة إسرائيلية على الإطلاق حيث يضعوا رجال الدين فى نيويورك بلا هوادة على الأصولية فى إسرائيل والجماعات الأصولية الهاريدية ولم تكن تلك المعركة أساساً حول موضوع استقامة الشعب اليهودى فإن تلك الأستقامة لم تكن مهدده فقط فى إسرائيل ولكن فى أمريكا بصفة رئيسية.

ففى أى عام كان هناك أكثر من عشرة آلاف حالة «تحول» إلى اليهودية من خلال الولايات المتحدة الأمريكية ومع هذا العدد تزايد أعداد الزيجات بين اليهود والأغيار الأخرى وبالتالى فإن الهدف الرئيسى للتحول يزداد هو الآخر بانتظام. والغالبية العظمى لهذه المتحولين تتم على يد حاخامات إصلاحيين أو محافظين.

ويتطلب للمذهب الأصولى يتطلب للتحول ثلاثة شروط يجريها (بيت دين) تلك الشروط هى الإنغماس فى الحمام المقدس وختان الذكور وقبول الوصايا العشر أما الحاخامات غير الأصوليين فإنهم يختلفون فى الشروط المطلوبة من الشخص الذى يطلب التحول إلى اليهودية فالبعض يصرون على الإنغماس فى الحمام المقدس على الختان والآخرين يفضلون ذلك لكنهم لا يصرونعليه وآخرين يتناسون أحد أو بعضض هذه الشروط لكن الجميع يطلبون من البعض الدراسة والالتزام المخلص تجاه اليهودية إلا أن المدى والجدية والزمن اللازم لهذه المتطلبات تختلف من حاخام لآخر وفى بعض الأحيان تكون قصيرة جداً ومجرد إجراءات تختلف من حاخام لآخر وفى بعض الأحيان

تكون قصيرة جداً ومجرد إجراءات شكلية.

أما بالنسبة للأصوليين فإن المتطلبات الضرورية اللازمة للتحول تؤدى إلى إستحالة قيام الحاخامات غير الأصوليين بهذه الإجراءات حتب لو التزاموا بجميع الشروط بإخلاص تام لأن الحاخامات غير أصولى سيتصرفون وفق سلوكهم الشخصى ولذلك فهم لا يمثلون قدوة مقبولة فى نظر الحاخامات الأصوليين ولا يمكن قبول شهادتهم بالنسبة للإجراءات الدينية المتبعه فى عملية التحول إلى اليهودية كما إن تلك الإجراءات لا يمكن أن تتم من خلال حاخامات لا يؤمنون إيماناً حقيقياً بالوصايا العشرة لأن هذه الوصايا بالنسبة للأصولى لا تعنى مجرد حفظ هذه الوصايا ولكن الالتزام بها فى جميع السلوكيات اليومية فإذا قام الحاخام بقيادة سيادته أو إضاءة المنزل يوم السبت، فإن ذلك يعنى على الفور عدم التزامه بهذه الوصاى. قال روفن بى بولكا وهو حاخام أصولى من أوتاوا بكندا» من غير المنطقى أن يطلب حاخامات الإصلاح من المهتدين على أيديهم والمتحولين إلى اليهودية أن يكونوا أكثر قداسة منهم بمعيار الأصوليين إن التحول على يد حاخامات الإصلاح نوع من العبث هذا الذى تحول لم يتغير فيه أى شئ عما قبل.

ولا يعتبر ذلك مبالغة أو تفسيراً متطرفاً لأحد الحاخامات لأن الأصوليين فى جميع أنحاء العالم سواء كانوا ينتمون إلى الأتجاه الحديث أو القديم يتبنون نفس رأى لاخاص الحاخام «بى بولكا» ولا يعتبرون من أهتدى على يد حاخام غير أصولى من اليهود ولذلك فهم لا يعترفون بهم ولا يسمحون لهم بالزواج فى معابدهم إلا إذا أعادوا هذه الإجراءات على يد حاخام أصولى.

إن عملية الأهتداء أو التحول إلى اليهودية أكبر مشكلة تواجه اليهود من بين الثالثه المشكلات الرئيسية الثلاث وقد تنبأ الحاخام أرفنج جرين برج من نيويورك وهو

الجناح للأصوليين الليبرالى الحديث أنه بحلول عام ٢٠٠ سيكون هناك ٣٦٠,٠٠٠ مشكلة لأشخاص تحولوا إلى اليهودية حيث أن تحولهم لن يعترف به وكذلك سيكون هنناك ٢٠٠,٠٠٠ شخص يعتبرون أنفسهم من اليهود لمجرد أرتباطاتهم العائلية إلا أنهم لا يعتبرون كذلك من وجهة نظر الأصوليين بالإضافة إلى ذلك سيكون هناك ٢٠٠,٠٠٠ آخرين يواجهون مشكلة شرعية تحولهم وسيؤثر ذلك بالتالى على زواجهم.

وكما نعرف فإن الأصوليين يعتبرون الإنسان يهودياً طبقاً لوالدته وليس والده إلا أن الحركة الإصلاحية التى قادها الحاخام الكسندر شندلر رئيس مجلس التجمع الأمريكى العبرى حيث غير هذا الإجراء عام ١٩٩٨٣ من منطلق المساواه بين الجنسين حيث أعلن «إن الإبن من أم أو أب يهودى يعتبر يهودياً ويعتد بذلك اليهودى بصفة رسمية»

أدى هذا القرار إلى ثورة أصولية عارمة إلا أن شندلر بعد سنوات من إتخاذه لهذا القرار أعلن أنه غير نادم عليه على الإطلاق حيث قال: «نحن لدينا خمسين ألف طفل من أبوين مختلفى الديانه وفى معظم الأحيان يكون الأب يهودياً وعشرات الآلاف من هؤلاء فى مدارسنا وفى معسكراتنا الصيفية ويجب أن إلا نشعرهم بأنهم مضطهدون ومن وجهة النظر الأصولية هناك حل بسيط لتلك المشكلة وهو «التحول» إلا أنه يقول إن ذلك ليس له أى أرتباط بهذه الحقيقة فهناك أسبابا أجتماعية قهرية لهذه الأرتباطات بين الزوجين إننا لا نشجع هذه الزيجات ولكنها إذا حدثت فإننا نرحب بهم فى مجتمعنا الدينى إذا حدث هذا الزواج فعلاً بين طرف يهودى وآخر من الأغيار فليس أمامنا من خيار سوى أن نقبلهم بين صفوفنا بدلاً من الحزن والنحيب ولطم الخدود.

أما بالنسبة للأصوليين فإن هذا الزواج بين طرف يهودى وآخر من الآغيار يعتبر كارثة بكل المقاييس كأنها حالة وفاة فإذا وقعت فى أسرة أصولية فإن الأبوين والإخوة والأقارب يمزقون ملابسهم ويجلسون على مقاعد منخفضة فى حاله حداد ويتقبلون العزاء من الأقارب والأصدقاء. حتى الأسر التى لا تميل إلى إعلان الحداد علانية بالاسلوب التقليدى المتبع فإن المتزوجين من الأغيار يحرمون من ميراث آبائهم وأجدادهم ويقول متحدث باسم الأصولية إن هذه الظروف الاجتماعية القهرية التى يشير إليها شندلر هى نوع المقامرة وهم يتهمون زعماء الإصلاح بقبولهم لنسب الأب اليهودى حتى يزيدوا من عدد المنضمين اليهم ويقول الحاخام شيرر «هذه أكثر الجرائم شراً» ذلك هو الزعيم الهاريدى الأمريكى، وقريب الشبه بهتلر بالنسبة لهم ويضيفف بأن ذلك يدمر على الشعب اليهودى ولم تقتنع الحركة المحافظة بالأسباب التى ساقها شندلر مثل «الاجتماعية القهرية» رفضت هذا المبدأ على الإطلاق وعلى الرغم من ذلك ففى بحث أجرى عام ١٩٩١ أتضح أن الزواج المختلط بين اليهود المحافظين أزداد بنفس درجة اليهود الإصلاحيون بينما الحركتين «الإصلاحية» و «المحافظة» يطلبان من إسرائيل بأن تعترف بالتحول إلى اليهودية الذين يقومون به إلا أنه هناك فجوة كبيرة بينهما من حيث نسب اليهودى إلى أمه أو أبيه.

أما هذا النوع من الزواج بين اليهود الأغيار فلا تعتبر مشكلة أصولية لأنها محرمة تحريماً مطلقاً لكن مثل هذا النوع من الزيجات هو السبب المباشر لمشكلة التحول إلى اليهودية والتى لا يعترف بها الأصوليين بالأسلوب الذى تتم به فإذا لم تحول الأم إلى اليهودية ينتمى الأولاد إلى الأب ويعتبرون يهوداً على الرغم من تعارض ذلك مع المبدأ الأصولى.

وقام عالم الأجتماع تشارلز سيلبرمان بدراسة واسعة وأدان رفض الأصولى للزواج المختلط حيث أنه أحد الأسباب الرئيسية للإنشقاق بين اليهود «إن إجابة الأصوليين واضحة ولاتقبل التوفيق ويجب حرمان اليهودى وشريكة من الأغيار من عضوية المعبد اليهودى على حد سواء وقد ذهب الأصولى إلى أبعد من هذا حيث أن أحد زعما طالب بشطب هؤلاء من المناصب القيادية فى الحياة العامة وهو يعنى هؤلاء الذين يتزوجون من الأغيار.

وقام إسرائيل سنجر المدير الساخر التهمكى «للمؤتمر اليهودى العالمى» بإتباع نفس المبدأ حيث أقترح أثناء حديث له من سنيويورك» خلال عدة سنوات سيصبح جميع رؤساء الفيدراليات اليهودية فى هذه الدولة المنشقين «كان سنجر حاخاما أصولياً ويعتلى منصباً وظيفياً كبيراً كيهودى أمريكى، إن المناصب الوظيفية فى المنظمات اليهودية تعنى «الوضوح العرقى» وذلك يتناسب مع الأجيال الصاعدة من اليهود المثقفين المتدينين الذين يعتلون مناصب تنفيذيه عليا ويعملون فى جميع السجلات فى المجتمع إلا أن زعماء أغلب المنظمات اليهودية الخيرية تبتعد عما يسميه يسنجر «البيروقراطيه اليهودية المتعفنه» حيث أصبح عدد الأصولية بها ضئيلاً جداً وتتزايد نسبه الغير أصوليين والمحولين إلى اليهودية واليهود المنتمين للأب دون الأم بصفة مستمرة.

أما المشكلة الثالثة التى تواجههم بعد مشكلة التحول إلى اليهودية ومسكة الأنتماء إلى الأب بدلاً من الأم، هذه المشكلة على الرغم من خطورتها استطاعوا أن التغلب عليها، وهى الآولاد غير المشرعيين فى نظر القانون اليهودى ناتج إرتكاب الزنا مع سيدة متزوجة أو من خلال سفاح الأقارب أما الزنا خارج نطاق الزوجية من أب أو أم غير متزوجين أو إذا زنا الأب المتزوج فإن ذلك لا يؤدى فى نظرهم إلى ابن غير

شرعى. عندما يطلق على الطفل لقب أبن الزنا فإنه لا يستطيع أن يتزوج على الاطلاق من أى يهودى أ يهودية ولكن أبن أو أبنه السفاح تستطيع أن تتزوج من آخر غير شرعى أو من المحولين إلى اليهودية.

أما إذا زنت الزوجة الأصولية فى مذهب الإصلاح الأصولى فإن ذلك يعتبر فى نظرهم زواج ثانى ويعتبر الأبن الناتج عن ذلك الزنا ابن سرعى وذلك لأن اليهود فى مبدأ الإصلاح لا يحصلون على طلاق عند إنتهاء زواجهم الأول ولكنهم يكتفون بطلاق مدنى وفى نظر الأصولى ذلك الطلاق المدنى لا قيمة له دون أن الحصول على موافقة بالطلاق دينياً ويكتب على ورق برشمان عن طريق ريشه طائر دون تلك الإجراءات يعتبر ذلك الطلاق باطلاً ويكون الزواج الثانى زنا وكل الأطفال الناتجين عن ذلك الزواج غير شرعيين.

قدم الحاخام الأمريكى موشى فنستين حلاً لهذه المشكلة المعقدة لقد وأفنى بأن الأصولية اصلاً لا يعترفون بالزواج الذى يتم على يد رجال الدين التابعين لمبدأ الإصلاح لذلك فإن هؤلاء لا يحتاجون أصلاً إلى الطلاق حيث أزواجهم من الأصل غير معترف به وعلى ذلك فإن زواجهم الثانى لا يعتبر زنا كان ذلك التفسير ملائماً جداً.

للأصوليين وتشريعاتهم لقد عبر هذا المخرج عن تفكيرهم المتعاطف مع هؤلاء المتورطين فى هذا المأزق الصعب وكان لديهم استعداداً فى إتباع مسالك ملتوية لمساعدة هؤلاء فى محنتهم. ويوضح ذلك يوضح التناقض بين التعصب الشديد الذى يظهرونه وعدم التعصب فى آن واحد. ويطلق الحاخام چوناثان ساكس البريطانى على ذلك التصرف بأنه «الضمنيه» المالزمة للفكر الأصولى. فالاتجاه الرئيسى هو رفض أى

فكر يشير إلى أن الاتجاه اليهودى الإصلاحى يستطيع أن يؤثر على الحقائق غير القابلة للتغيير فى الأصولية.حيث أن الزواج لم يكن موجوداً من حيث المبدأ حيث أن مراسم الزواج تمت بطريقة غير أصولية فإن الزواج نفسه يصبح باطلاً وجميع هذه السنوات من المعاشرة الزوجية لا تغير شيئاً من موقفهم الدينى القانونى إن هؤلاء لم يكونا زوج وزوجه فى نظر الله لذلك فقد غضروا لهم خطيئة الزنا وجميع ما أسفرت عنه من نتائج.

إلا أن هذا الحكم أكثر الأحكام إساءة للحركة الإصلاحية فمن أكل الاعتراف بشرعية الأطفال الناتجين عن الزواج الثانى أقروا بعدم شرعية الصرح الدينى الإصلاحى باكمله الذى قام بإتمام كل من الزواج الأول والثانى ويوضح القس بولكا «إن الكثير من الأصوليينلايرضون عن ذلك المأزق وإنها لعملية إكراه لإثبات عدم شرعية جميع الزيجات التى قام بها رجال الدين فى الحركة الإصلاحية اليهودية.

كان بولكا أول من كتب عن موضوع الانشقاق فى اليهودية فى كتابه «الطوفان القادم» عام ١٩٨٥ تحت العنوان الفرعى «تصدع الإصلاح الأصولى ومستقبل الشعب اليهودى».

وقد أعتبره الجميع بما فى ذلك الأصوليين أنفسهم مثيراً الرعب وفى دراسة ثاقبة لحالة اليهود مع نهاية هذا القرن يقول چوناثان ساكس «إن هؤلاء الذين يحذرون من الأصوليين المعاصر ويرفعون شعاراً بأن ذلك (قضية سياسيه ودينية حول اشكاليه من هو اليهودى إنما يملكون الرغبة لتقسيم الشعب اليهودى إلى قسمين فى المستقبل القريب» ويكتب ساكس السطور التالية.

بين اليهود أدت إلى الكثير من نقض العهود داخل الشعب حيث أنقسموا بين الهيلنيين!!، والقنائيين، والسامريين، والفريسيين، وبين اليهود والمسيحيين، وبين

والقرائين واليهودية الحاخامية* إن الوحدة بلا شك مبدأ يهودى رئيسى ولكنها غير ضرورية وملحة والسؤال المركزى الذى يفرض نفسه الأن هل سيؤدى الانقسام بين الأصوليين وغير أصوليين إلى أنشاق كبير وهل لا يمكن أن تجنب تراحيديا التفكك»

لؤمن الحاخام رابى الزعيم الأمريكى الأصولى بأنه خلال خمسة وعشرين عاماً سنلتهى الأمر لوجود شعبين من اليهود.

* القراءوون نشأوا في القرن الثامن عشر وهم لا يؤمنون بالتلمود أو القانون الشفهي ويعتبرون أن الإنجيل المكتوب أساس جميع الأديان هناك حوالي ٢٠,٠٠٠ من هؤلاء في إسرائيل اليوم و ١٠,٠٠٠ في الولايات المتحدة وقليل منهم من أوروبا.

الفصل الثالث

لمـــــاذا أنـــــا

«لماذا يكرهوننى ؟ ماذا فعلت لهم؟ أنا يهودى، أنا يهودى» استمر كوبى يضرب الحائط براسه ويصرخ بجنون بهذه الكلمات.

«كوبى كوهين»، طفل صغير، مرح، يبلغ من العمر ثمان سنوا. بدأ يصاب بالكآبة منذ عدة شهور لكنه أنفجر بهذه الصورة عام ١٩٩٠ من منزله، فى نيو كاسل، بشمال إنجلترا وتعجب والديه بولا ويوسى بشده لهذا الإنفجار المفاجئ أما شقيقته ليام والبالغة من العمر خمسه أعوام فقد أخذت تراقبه فى صمت رهيب.

قالت بولا بحزن «نعم نحن أخرجناهم من المدرسة ولكننا لم نستسلم بعد ووصلت معركة بولا كوهين إلى أعلى محكمة فى بريطانيا «محكمة اللوردات» لتحكم فى تلك القضية التى تسببت فى معاناه هذه الأسرة. وكانت من نتائج الانشقاق اليهودى المتزايد بصورة مخيفة. عند تحرير هذا الكتاب. وبدت القضية «كأزمة يهودية» على المستوى العالمى أدت إلى مزيد من التتصدع والانشقاق. وأظهرت أن كلا الجانبين، يقف فى وجه الآخر ولا يريد أحدهما أن اليتنازل عن موقفة. كانت حركة الإصلاح الأمريكية تحتضن عائلة كوهين معنوياً وماليص. أما الجانب الأصولى فقد أخذ يعدد الفروق بين الجانبين من حيث الحق المطلق لحاخامات الأصولية فى تحديد وتعريف من يكون اليهودى؟.

ولدت بولا كوهين باسم بولا ويلسون فى نيو كاسل عام ١٩٤٥. وقالت أن جدها لوالدتها كان يهودياً وكان يتحدث وكان يتحدث لها وهى طفلة عن اليهود وإسرائيل. وكان أول إتصال فعلى لها، مع إسرائيل وشعبها عام ١٩٧٨. حينما عملت

فى مزرعة جماعية يهوديه لمده شهر كجزء من برنامج رحله أوروبيه طويله، وبعد عام عادت إلى كيوبيتر «حأون» على شاطئ بحيره «جاليلى». وقالت «شدنى فى ذلك الوقت يوس كوهين الذى كان يدير أسطولاً للصيد على هذه البحيرة وإن لم يتعرفا على بعضيهما بالقدر الكافى.

تعلمت العبودية فى كيوبيتز «يولبان»، (داخل مدرسة لتعليم الكبار)، ثم أعلنت رغبتها للتحول إلى اليهودية قالت: «أريد أن أصبح مثل الجميع فانت لا تستطيع أن تحيا حقاً فى إسرائيل دون أن تكون يهودياً وكان رئيس الحاخامات الاشكانزى «شولومو جورين»، قد جهز مدرستين، فى أحد كيبوتزات «الأصولية» للتحول إلى اليهودية، حيث يتسطيع هؤلاء الأشخاص، أمثال بولا أن يعيشوا ويدرسوا اليهودية لعدة أشهر فى بيئة دينية مريحة. فإذا ظهرت أمارات الصدق والجدية فى الدراسة تتم عملية التحول فى إحدى «بيوت الدين» فى تل أبيب. أما فى انجلترا، كان رئيس المعابد اليهودية المتحدة متشدداً جداً تجاه عملية التحول لذلك كانت تستغرق العملية أربع أو خمس سنوات على أقل تقدير وكان المعبد اليهودى «أصولياً» وكان يترأسه رئيس الحاخامات وهو بمثابة الكيان اليهودى الدينى الرئيسى فى بريطانيا. كان الحاخام جورين يعمل رئيساً فى الجيش الإسرائيلى ويعتبر أصولياً ليبرالياً، وذكر أن رئيس حاخامات لندن قد طلب منه التشدد فى عملية التحول إلى اليهودية حتى لا يزحف «يهود الشتات» إلى إسرائيل للحصول على عملية تحول سريعة وسهلة. ولهذا السبب أضطر أن يضيف عبارة لكثير من الشهادات الممنوحة للمتحولين تلك العبارة هى «لاتسرى هذه الشهادة خارج إسرائيل» ولم يكن الهدف من تلك العبارة أن يصبح المتحول يهودياً داخل إسرائيل وعلى دين آخر بخارجها لأن ذلك ليس من الفطنه فى شئ دائما لاعاقة المتحول إذا أراد أن يحنث بالعهد ولايعيش داخل إسرائيل كما تعهد بذلك فى الطلب المقدم منه فى بادئ الأمر. ويوضح كوهين ذلك قائلاً «أنها مجرد

إجراءات إدارية. وفى بعض الأحيان يضطر إلى جمع جوازات سفر هؤلاء لعدة سنوات لتحقيق نفس الغاية.

وقد إستمد الحاخام كهين هذا الشرط من «التراث الدينى الفلسطينى» القديم الوارد والتلمود المقدسى وكان أكثر ترحيباً بالمحولين إلى ايهودية من التلمود البابلى الذى يدين هذا التحول ويقول «أنها شئ سئ لإسرائيل وكأنها جروح متقيمة على جلد إسرائيل وهو تعبير مناقض تماماً للوصية التوراثية «بأن أحيوا الغرباء».

أستطاع جورين أن يفسر هذا التلمود «الفلسطينى» منطلقاً منظور صهيونى قوى: بأن «العيش فى إسرائيل الحديثه حد ذاته بمثابه تصريح «لا شعورى» مؤكد بالإنتماء إلى اليهودية بينما المتحول الذى يعيش خارج إسرائيل يحتاج أن يؤكد انتماؤه الدينى فى كل لحظة ولذا فمن الذى يريد التحول إلى اليهودية ويبقى فى إسرائيل، يقبل على نحو أيسر كثيراً، لأن إعترافه باليهودية يصبح باعثاً لثقة أكثر.

وكان هذا الشرط غير مستساغ ومقبول فى الدوائر الدينية فى العالم.

قال جورين «لقد قالبت بولا كوهين ثلاثه مرات مره قبل أن تبدأ برنامج التحول ومره عند نهايته ومره أخرى لأمنحها الشهاده. واصررت كما فعلت مع كثيرين من قبلها بأن تقسم على التواره بأن تبقى فى إسرائيل، وأقسمت، وسألتها إذا كان لديها صديقاً، على اكن أهدف إلى رفض من له صديق، على العكس كنت فى بعض الأحيان أجعل الصديق أيضاً يلتحق بالبرنامج وقسم نفس القسم بالبقاء فى إسرائيل، ويدل (هذا الإتجاه على تحرر جورين، بينما يرفض فإن الحاخامات الأصوليين الآخرين الشخص إذا كان له أرتباطات عاطفية من غير اليهود.

ويقول جورين أنه كان يبعث مندوبا للتأكد بأن المتقدم «يطلب للتحول» بإمكانه أن يأكل الطعام اليهودى ولن يعمل فى أيام السبت، حيث كان يعرف جيداً أن المتحولين عن طريق الكيوبيتزات ليسوا على استعداد تام للحياة بالاسلوب الأصولى، «ولو أنها إعترفت أن لديها صديق فى السلك الدينى لأوقفت عملية التحويل على الفور.

هذا الصديق «يوسى كوهين» القس لو أن ذلك المعبد بالقدس، لطلب منه أن يخدم فيه شهراً على الأقل، من كل عام لتقديم القرابين والبخور على المذبح والقيام بطقوس الحج وكآن سيحرم من الزواج بمطلقة أو عاهرة أو متحولة إلى اليهودية، ولأن للحاخام جورين أو أى حاخام أصولى آخر لايزال مخطوراً عليه الإقدام على ذلك.

ليس كل من يطلق على اسم عائلته «كوهين» يعتبر قساً يهودياً فعلاً ولا يطلق على كل قس يهودى لقب «كوهين» فإنها مجرد عادات تتوارثها العائلات فكثير من العائلات اليهودية من غير الأصوليين يتفاخرون بأنهم ينتمون إلى عائلة أرون الدينية أما اليوم مع غياب هذا المعبد هناك قوانين تحدد من هو القس خادم المعبد عن غيره حتى عند الأصوليين أنفسهم، منهم أول من يقرأون التوراة (من بين سبعة من هؤلاء يطلبون فى أيام السبت وثلاثة فى منتصف الأسبوع) ويمنعون من البقاء فى نفس المكان مع أى إنسان ميت كما يمنعون من التجول عند القبور كما يطبق عليهم جميع قيود الزواج حيث لايستطيع أن يتزوج من مطلقه فى إسرائيل. والمعبد اليهودى المتحد فى بريطانيا يطبق جميع هذه القواعد.

وليس لهذا الشخص أى أختيار فإنه إذا ولد بهذه الصفة حتى لو لم يؤمن بها أو لا يريدها فأنها تبقى معه بقية حياته ويلتزم بجميع شروطها.

قالت بولا أنها لم تخبر الحاخام كورين بان يوسى كوهين كان صديقها لأنه لم يكن كذلك فى هذا الوقت فلم تخرج معه إلا بعد أن حدث التحول لها فى يونيو ١٩٨١ لقد أنغمست فى الحمام المقدس فى تل أبيب وثلاثة حاخامات يشاهدون ذلك من أعلى وعندما خرجت أعلنوا «مرحبًا بك وسط الشعب اليهودى» وقالت «أنسى تلك اللحظة لا أستطيع أن ولن يستيع أحد أن يأخذها منى على الاطلاق».

فى سبتمبر عندما ذهبت إلى القدس لتتسلم شهادتها من جورين كانت حاملاً ولم تخبر رئيس الحاخامات بذلك وفى خلال أيام ذهبت مع يوسى إلى نيو كاسل حيث تزوجا فى «المعبد الإصلاحى» كان والدى يوسى يريدان زواجًا يهوديًا وكذلك هى كانت تريد نفس الزواج وقالت «كنا نعرف أن أى معبد أصولى لن يوافق على زواج يهودية متحولة إلى «قس» يهودى ينتمى إلى طائفة كوهين أما الأن فقد ادركت أنه بززواجنا فى معبد إصلاحى يهودى ساءت المشكلة أكثر، سوءاً مما كنا نتصور، ولم ندرك مدى كراهية الأصوليين والإصلاحيين لبعضهم البعض على هذه النحو البشع. ويضيف يوسى «كنا نظن أن اليهود هم اليهود.. » الآن رجعا إلى حآون، يوسى يعمل (بالصيد) وعادت وبولا التى أُسميت (نعومى) طبقًا لشهادة تحولها، عادت إلى مرعى الأبقار فى الكيوبيز.

وبعد ست سنوات أخرى قررا أن يتركا هذه الحياة فى «المزرعة اليهودية المشتركة» فى إسرائيل ويعودان إلى نيو كاسل فى انجلترا مرة أخرى ويقول جورين لقد كذبت على مرتين عندما أخفت صداقتها لأحد اليهود (الكوهين) (القسس) وعندما ذهبت إلى إسرائيل على الرغم من تعهداتها لنا.

وردت بولا على ذلك الأتهام قائلة «من الظلم الأدعاء باننا ذهبنا إلى خارج لقد عاشت الأسرة فى إسرائيل حوالى عشر سنوات بعد التحول إلى اليهودية وأى انسان

يحب أن يغير محل إقامته اثناء حياته كما قالت إنها تعرف الكثيرين ممن تحولوا إلى الهودية ويعيشون بالخارج على الرغم من عبارة الحاخام كورين بأن هذا التحول «لايسرى خارج إسرائيل» ولكنهم لا يلفتون الانظار إليهم ويبقون فى صمت بخصوص هذا الشرط.

كانا بولا ويوسى يفضلان الصمت أيضاً وأن يمتزجا فى الحياة فى المجتمع اليهودى الصغير، فى نيو كاسل ولكن عند وصولهم كانت المشكلة قد أثيرت ذهبت السيدة ويلسون والدة بولا إلى مدرسة «الملك داڤيد» وهى المدرسة اليهودية الصباحية الوحيدة فى تلك البلدة، لتسجيل الطفلة ليام للإلتحاق بالحضانة وقالت لها مدرسة أصولية إن أبنتك متحولة إلى يهودية على يد جورين ومتزجة من كوهين وهنا أسرعت إلى حاخام نيو كاسل ويدعى «موشى باديىل».

وفى أول يوم سبت ذهب يوسى وبولا إلى المعبد وتقابلا مع الحاخام باديىل. سألهم على الفور ع شهادة تحويل بولا عندما نظر إليها أشار إلى الجملة الشرطية ولكن بولا جادلته بأن تلك الجملة كانت مجرد وسيلة لم لمنع المتحولين من مغادرة إسرائيل وأنهما بقيا هناك فعلاً لعدة سنوات بعد التحول إلا أنه أصر على إرسال الوثيقة إلى رجال الدين اليهودى فى لندن قائلاً أنه مجرد سمكة صغيرة فى بحر مترامى الأطراف وبعد أن استقر الأطفال فى الدراسة وتناسى الجميع هذه الإجراءات البيروقراطية السقيمة وصل رد رجال الدين فى لندن بأن هذا التحول أصبح لأغياً وعليهم أن يخرجا طفلتيهما من المدرسة.

واندفع الأبوان إلى لندن حيث قابلا ديان اسحق بوجر الحاخام اليهودى المشهور برجاحة العقل فى هذه الدوله وسأله يوسى «ماذا نقول لأطفالنا؟» فأجابه ببسلطه شديدة «أخبرهم بالحقيقة بأنهم يهود فى إسرائيل فقط وليس هنا فى إنجلترا.

وشرح ديان بانه يستطيع أن يعيد تحويل بولا إلى اليهودية إلا أن ذلك يستلزم طلاقها من كوهين أولاً حيث أن زواجها منه يصبح باطلاً فى الدين اليهودى لأنه من (الكهوهين) «ولن يكون هذا الطلاق صورياً لأننا سنعين مخبرين لمراقبتكم.» وأجابه يوس «إنكم لا تعترفون أساساً بزواجنا فلماذا يقف هذا الزواج الباطل أذن فى طريق اعادة تحويلها إلى اليهودية.

وتدخل المحامون ولكن بعد أنتشار الموضوع فى الصحف اليهودية والانجليزية ولم يغير تدخلهم فى الأمر شيئاً ورد رئيس الحاخامات لورد چاكوبو فيتز على المحاميين جولد كورن ودافيز مثياس بالقول: «يجب أن تقدروا أنه فى الحالات المماثلة المشروطة فإن «البيت دين» رفض أن يعترف بالتحول فى هذه الدولة إلا إنه فى بعض الحالات الأخرى أمكن معالجة الأمر وذلك غير ممكن بالنسبة لهذه القضية حيث أنها متزوجة من (كوهين) وذلك ممنوع على اليهودى المتحول وهو يجعل إمكانية إعادة تحويلها إلى اليهودية مرة أخرى من الأمور المتسحيلة.

وقالت بولا للحاخام دايان بانها ستحدث ضجة كبيرة بكل ما لديها من قوة. إلا أنه أجابها «أفعلى كل ما تريدين وسأساعدك ولكن ليس هنا فى إنجلترا) يجب أن تكون هذه الضجة هناك فى إسرائيل.

كان لكراهية بوجر و(بيت دين) لندن للحاخام كورين دوراً رئيسياً فى تفجير هذه المشكلة إلا أن رجال الدين فى انجلترا وكذلك رئيس الحاخامات فى إسرائيل (وكان جورين قد أحيل إلى التقاعد) لم يتمكنوا من تغيير هذا الوضع أو الغاء هذا الشرط وعندما تفاقمت المشكلة، أبطل الحاخام جورين تحولها إلى اليهودية حتى فى إسرائيل نفسها وكتب فى عريضة دعوى إلى المحكمة البريطانية بأن تحول بولا إلى اليهودية أصبح باطلاً.

إلا أن جورين يقول بأنه كان متعاطفاً مع الطفلين اللذين أضيرا بلا ذنب اقترفاه من قبل الحاخامات فى إنجلترا وقال أنه حاول إقناع رئيس «المجتمع اليهودى» فى نيو كاسل بأن يترك الطفلين فى المدرسة اليهودية (جدير بالذكر أن من بين كل خمسين طفل فى هذه المدرسة هناك أثنى عشر طفلاً من غير اليهود ولم يكن مسموحاً لهم بحضور الفصول الخاصة بالدراسات اليهوديه وكان ذلك فى نظرهم إمعاناً فى الاساءه لهم.) اقترح جورين بأن الطفلين غير اليهود لأن والدتهما غير يهودية ويمكن أن ينشآن فى بيئه يهودية بالمدرسة حتى يستطيعا أن يتحولا إلى اليهودية عند بلوغ سن (الثالثة عشر للولد والثانية عشر للبنت).

إلا أن بولا تتهم جميع الحاخامات الأصولية بالتسبب فى كل تلك المعاناة وتقول أن الحاخامات البريطانيين يتهمون جورين ويدعون بإنه هو السبب فى إلقاء طفليها إلى خارج المدرسة ونبذها شخصياً من المجتمع اليهودى وبدأت عائلة كوهين فى ١٩٩١ حضور الطقوس الدينية فى معابد الإصلاح اليهودية فى نيو كاسل. وذهب كل من كوبى وليام إلى مدرسة «نظامية» كما التحقا بالفصول اليهودية التابعة لحركة الإصلاح وقالت بولا «هؤلا ء الإصلاحيون هم قومى اليهود، لقد وقفوا بجانبى وهم اليهود الحقيقيون فى نظرى.

إلا أن أصدقاء كوبى لازالوا من الأصوليين وهو لا مازال لا يفهم سبب خروجه من المدرسة أو عدم حضوره معهم فى معابد الأصولية. ويقول كورين أنه يستطيع أن يتحول إلى الأصولية عندما يصل سن البلوغ إلا أن بولا تقول بمراره «لا أستطيع أن أضمن مشاعره عندما يصل إلى هذه السن لأن شخصيته تعرضت للإهتزات تماماً.

الفصل الرابع

لماذا الآن

لماذا أصبحت المشكله الأصولية فى تعريف اليهودى حرجه الآن بعدد قرنين كاملين من نشأة «الحركة الإصلاحيه». يوضح جوناثان ساكس ذلك الأمر بالقول: «إن السبب الرئيسى هو الاصرار اللامتوقع لكل من الأصولى وحركة والاصلاح»، وتنشأ هذه المشكلة عندما يرغب يهودى منتهيى إلى الحركه الاصلاحيه الزواج من الأصوليين.

(كان يمكن أن يضيف إلى ذلك أن المشكله تفاقمت كذلك عندما كان يرغب يهودى من حركة الاصلاح الهجره إلى إسرائيل) وللأسف ينظر الجانبان، كل للآخر نظره تشاؤميه، فالأصوليين سينظرون إلى المذهب الاصلاحى بأنه عارض ويجب أن يختفى سريعاً والاصلاح سينظرون إلى الأصوليين بأنهم أمام التيار الجامح للعصر الحديث فى طريقهم إلى الاختفاء، وأدرك الطرفين مؤخراً أن الطرف الآخر قد نجا ولم يتلاش*.

ويقترح اللورد چاكوبو ڤيتس، سلف ساكس، بأن الإصلاح الكلاسيكى كان يتجنب المواجهة فى مشكلة «وحدة الشعب اليهودى» ويعطى مثالاً شخصياً لذلك، فيقول إن والده، الراهب الراحل، كان حاخاماً فى برلين، على رأس تنظيم شامل يضم المعابد الأصولية، والإصلاحية والليبرالية إلا أن (بيت دين) وجميع الأمور المتعلقة بها كانوا تحت سيطرة الأرثوذكس كان أبى رئيساً (للبيت دين) بحيث كانت أمور الزواج والطلاق والتحول تتم تحت سيطرة الإدارة الأصولية *.

* ساكس : شعب واحد (سيذكر فيما بعد)

كان ساكس صوت أصولى معاصر له صدى واسع المدى، وكان دراساً مجداً ومؤرخاً وعالم اجتماع وهو ينادى فى كتابه بأن يقوم الأصوليين بالعمل على منع الكارثة وشيكه الوقوع والتى ستفضى إلى أنقسام الشعب اليهودى.

كما يقول «نورمان لامن» جامعة يشيڤا إنه لا يستطيع أن يقبل بهذا الإنشقاق، إلا أن جميع الجهود التى بذلت للتقريب بينهما باءت بالفشل، ومن اسباب الفشل، المعارضة الأصولية الشرسة التى لا تقدم على أى تنازلات إطلاقاً، بالإضافة إلى المقاومة العنيفة من الطرفين بما يحول دون إدراك أن الجانب الآخر حقيقة واقعة ولم يتلاش. وفى بعض اللقاءات مع بعض الشخصيات الهامه من الطرفين، يستطيع المرء أن يدرك أن كليهما يتجاهل وجود الطرف الآخر.

ولسخرية القدر، بدأت منذ فترة محاولات لتضيق الفجوة بين الإتجاهين. فلم تعد الحركة الإصلاحية ترفض البعد القومى لليهودية، بل على العكس تؤيد الصهيونية التى رفضتها فى بادئ الأمر، وأصبحت اللغة العبرية مستخدمة فى الطقوس الدينية الخاصة بالإصلاح أكثر من ذى قبل.

إلا أن الفجوة، تزايدت فى بعض النواحى الأخرى فقد أجرى الإصلاحيون إنتخابات عام١٩٩٠ للسماح بالرجال والنساء الشواذ جنسياً بالإنضمام إلى صفوف الحاخامات معلنين ضرورة منح الحاخامات الفرصة لبلوغ هذا الموقع المقدس، بغض النظر عن سلوكهم الجنسى، وهنا أعلن الحاخام ستوبلر، من الاتحاد الأصولى بأن ذلك يعتبر «عملاً مشيناً على نحو شديد»، وقال حاخام إصلاحى من سان فرانسيسكو قال بأن النساء قوبلن كبيرة مضاده عند بدء قبولهن فى صفوفو حاخامات الإصلاح أما الآن فاجميع يرحب بوجودهم وكذلك فإن الحاخامات من «الشواذ جنسياً»، رجالاً أو نساءاً، سوف يلقون الترحيب يوماً ما. ولازال للأصوليين يرفضون فكرة أن وجود

السيدات ضمن صفوف رجال الدين اليهودى، رغماً من عدم وجود وجه للمقارنه بين السيدات والشواذ جنسياً.

أما بالنسبة لموضوع اليهودية نفسها فقد زادت الفجوة كثيراً عما قبل بين الجانبين. قال سيدنى كوستل رئيس رابطه الأصوليين فى ذلك الوقت «ولا يجب أن ننتظر حتى عام ٢٠٠ حتى نصلح هذه الفجوات. ولا يوجد الآن أى مجتمع يهودى متجانس حيث يتستطيع أى فرد أن يتزوج طبقاً لرغبته. الآن هناك مجموعتان منفصلتان فى المجتمع اليهودى المجموعة الأولى يهودية باعتراف الجميع الجميع أما المجموعة الثانية فهى غير يهودية فى نظر الأرثوذكس ولكنها يهودية فى نظر الحركات المضاده للتواره وأصبح هذا الوضوح لايحتمل وسوف يزداد سوأ إذا ما أصرت الحركات المضاده للتواره على السير فى طريقها الذى أختارته.*

وتبلورت لدى الزعيم الأصولى كويستل فكرة تقدم بها علماء إجتماع يهود، ترى أن الزيجات المختلطة والتحول الجماعى لغير الأصوليةو تدعم الأستمرارية اليهودية على المدى البعيد، فما هى مجرد الهرطقه وفساد وجنوح، ويشير علماء الاجتماع. بأن المتحولين أكثر نشاطا ويتمسكون بالهودية أكثر من اليهود الآخرين كما يؤكد العلماء بأن هذا التحول يتضمن ما يقرب ربع الزيجات المختلطة وحتى هذه الزيجات إذا تمت بدون تحول فأنها تمد الشعب اليهودى بدماء جديدة بما يعوض التناقص الطبيعى. أما من وجهة نظر الأصوليين فأنهم يعتقدون بأن الاتجاه غير الأصولى سيتلاشى تدريجياً.

وتعتمد الكثير من تلك التصورات بالطبع على تعريف وحيد لمفاهيم رئيسيه مثل. الاستمرارية اليهودية، الهوية، الإلتزام، الاستيعاب الخ، ويعترف أفضل علماء الاجتماع اليهود بأنهم متأثرون باعتبارات ذاتية، رغماً عن أنفسهم وكتب الاستاذ ستيفان إم

* سيدنى كويستل – فى كتاب الحركة اليهودية شتاء ٩/١٩٨٨

كوهين «إن فهم ماضى وحاضر ومسستقبل اليهودية الأمريكية ليس مجرد جدال حول الحقائق، وحتى إذا وافق المراقبون على دليل معين فأنهم يختلفون حول معناه وإذا إتفقوا على المعنى قد يختلفوا على أسلوب تطبيقه» ويحذر كوهين دون التحيز لأى جانب فيقول «إن الاعتقاد بالستيعاب المفرط بين الغير أصولية هى أداه مؤثرة فى صراع الأصوليين مع القيادات المحافظة والاصلاحية.

ويزعم الاستاذ كوهين فى تحليله النهائى، «إن أهم نقطة تستحق التفكير وتؤثر على المستقبل هى الاهتمام بيهودية الأطفال، ناتج الزواج المختلط* إن الحكم لم يصدر بعد فى هذا الشأن* ويقول إن المنظور الاجتماعى فيما يتعلق بهذا الأمر ليس عرضة للخطأ بلاشك، أما المفهوم الأصولية فهو أن هؤلاء الاطفال غير يهود إذا لم تكن الأم يهوديه وأى معايير أجتماعية أو أى تحول إصلاحى لن يغير من مالحكم اليهودى الأصولى.

وتواصل الحركات «المضاده للتواره» حسب تعبيركويستيل طريقها. فى أمريكا عبر الحاخام الإصلاحى فى الذكرى المئوية للمؤتمر المركزى لحاخامات الاصلاح الأمريكان، فى سنه ١٩٨٩، شندلر عن رغبته للمناداه بالمقاومة العنيفة لانتقاد الأصوليين لقرار امكانيه أنتماء الاطفال إلى والدهم وأعلن «لم يدخل أجدادنا حركة اليهودية الاصلاحية لنتاجر بها من أجل تقليد تافه للأصولية وطلب من زملاءه الحاخامات الكف عن النظر إلى الأصولية برومانسية حيث أنها السبب فى سيادة القمع المبتذل والتراث البالى والفساد الأخلاقى. وهذا هو الخطر ما فى إسرائيل اليوم اليس كذلك؟ .

---

* ستيفان أم كوهين وتشارلز أس. ليبمان، قيمة الحياة اليهودية الأمريكية .
* وجهتى نظر (نيويورك اللجنة اليهودية الأمريكية ١٩٨٧ ص ٢٧.

الفصل الخامس

خطوط جديدة للمواجهة

فى عام ١٩٨٩ ظهر خطر جديد فى اسرائيل، أصبح الأصوليين أكثر قوة بعد نتخابات الكنيست عام ١٩٨٨ ولذلك حاولوا أن يعكسوا قوتهم باصدار تشريع، نستخدم ضد الحكم فى قضية سوزان ميلر الذى صدر عام ١٩٨٦. وكان فى ذلك الوقت وزير الداخلية الحاخام هو اسحاق بريز الذى إقتراح تسجيل السيدة ميلر وجميع المهاجرين المحولين «كيهود محولين». بالنسبة للقضاء سيكون ذلك أمراً مناسباً حيث يسمح بالاستجابه لطلبات هؤلاء والاعتراف بهم طبقاً «لقانون العودة» ولكنه سيكون التشريع بمثابة تحذير للدولة فإذا أراد هؤلاء المهاجرين المحولين الزواج فلن يسجل الحاخام الا هؤلاء المحولين إلى الأصوليه.

ادينت هذه الفكرة بشكل واضح لأنها دعوة لمزيد من التعصب. إن التوراة نفسها تمنع، مراراً وتكراراً الاساءه للمحولين. «بأن وتحث على ذلك بالقول»: [فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء فى مصر]. ولم توافق المحكمة العليا على أسلوب بيريز وزمرته والقاضى بتسجيل السيدة ميلر كيهودية وبدلاً من تنفيذ هذا الحكم قدم إستقالته وهدد حزبه شاس بمسانده عمل رئيس الوزراء شامير على أدخال تشريع جديد خلال ستين يوماً يجعل كل تحويل، من مناطق ما البحار لايسرى الابموافقه رئيس الحاخامات فى إسرائيل ذلك وأثار ذلك «تحذيراً» عاماً بعث به أحدى وعشرون منظمة يهودية أمريكية يعلنون فيها أن قرار شامير يهدد وحدة الشعب اليهودى. والنتيجة لذلك هى حرمان هؤلاء من حقوقهم الروحيه، وخاصة المرتبطين بالحركة الإصلاحية المحافظة وإن تلك الخطوة تمثل إساءة واضحة لليهود فى جميع أنحاء العالم وتنبأوا بأن ذلك سيقضى إلى انقسام شاسع بين يهود الشتات فى العالم وبين الدولة اليهودية.

ونتيجة للجهود المكثفة للحركات غير الأصولية رفض الكنيسيت قرار شامير فى يوليو ١٩٨٧ بأغلبية ستين صوتاً ضد سته وخمسين صوتاً وقد رفض عدد من أعضاء حزب الليكود التابع لشامير تأييد رئيس الوزراء وأعلن بعض السياسة أن شامير نفسه أن قد لعب دوراً فى هذا القرار. فقد ذكر حزب شاس أن رصيد حزب الليكود قد قفز عالياً عالية إلا أن شامير أجابهم بأنه قد فعل كل ما بوسعه.

رسمت خطوط المعركة بوضوح كامل وازدادات صلابة الزعماء الأمريكيون اليهود بعد ظهور نتائج انتخابات عام ١٩٨٨. طالب أحزاب الأصوليين والحزب القومى الدينى بتعديل قانون العودة بإضافة «تعريف اليهودى» بأنه الفرد من أم يهودية أو المحول إلى اليهودية وقادت حركة لوبا فيتش حملة معادية لهذا التعديل وكثفت من إتصالاتها بأعضاء الكنيسيت وقامت بحمله دعائية ضخمة فى الصحافة، نظراً الارتباط أن حزبى العمل والليكود فى ائتلاف حكومى. وخشى زعماء اليهود الأمريكيون من هذا الوضع أعتبروا أن قانون العودة يجب أن يصاحبه إحراز مكاسب سياسيه لهم وأرسل الكونجرس اليهودى الأمريكى ببرقيه عاجلة إلى شامير وبيريز بعد الانتخابات بيومين، وبعد أسبوعين فقط توصل شامير والأصوليين إلى أتفاق وطار وفد مكون من أكبر زعماء اليهود إلى القدس فى مهمة رسميه طارئه لمنع كارثة عدم اعتراف الدولة اليهودية بملايين اليهود فى جميع أنحاء العالم وأعلن الاتحاد اليهودى الفيدرالى فى بوسطن واطلانتا وبتزبرج رسمياً بأنهم سيعيدون النظر فى المخصصات الماليه لإسرائيل إذا أدخل هذا التعديل على القانون وأعلنت أطلنطا بصراحه كامله «لن نرسل هذه المخصصات المالية لإسرائيل إلا إذا توصلوا إلى مرضى لمشكلة قانون العودة.

وايتضح من هذه الحملة مدى قوة البنية التنظيمية والمؤسسية لليهود فى أمريكا ويشكل الاتحاد الفيدرالى اليهودى فى كل مدينة الاتحاد قلب التجمعات اليهودية

بحملات مكثفة لجمع التبرعات التى تصل إلى ملايين الدولارات من أجل إسرائيل كذلك من أجل الخدمات فى مناطق التجمعات اليهودية. تنميتها ثقافياً واجتماعياً إلا أن اعتماد إسرائيل على يهود أمريكا أعمق من مجرد جمع الأموال. ويصل دعم حكومة الولايات المتحدة للدولة اليهودية فى إسرائيل إلى ثلاثة ملايين دولار سنوياً، فى صورة معونات عسكرية وإقتصادية مباشرة ويشير الطرفان دائماً إلى القيم والمصالح المشتركة بين البلدين إلا أنه لايمكن تجاهل التأثير اليهودى السياسى من خلال الجماعات السياسية اليهودية فى تعضيد هذه العلاقة. ويترأس منظمو ومنستو ومنفذو هذه العمليات الإتحادات الفيدرالية اليهودية فى كل مدينة ويترأسون أيضاً المنظمات القومية اليهودية مثل المجلس الفيدرالى اليهودى والإتحاد اليهودى للاغاثة وكلا الطرفان لهما مصلحة مشتركة حيث يستمد اليهود فى أمريكا تأثيرهم ونفوذهم من إسرائيل نفسها وإرتباطهم بها. ويقوى الارتباط بالمسائل الدبلوماسية بين الدولتين من الارتباط بين القدس وأمريكا وذلك يعزز بدوره هذه العلاقة على نحو أقوى وتتجه أصابع الاتهام فى الدوائر الأصولية دائماً إلى هؤلاء المؤثرين والمحركين ويستمرون أن لهؤلاء مصالح خاص وراء عدم تعديل قانون العودة حيث أن أسرهم الخاصة بها زيجات مختلطة كثير بين اليهود وغير اليهود كما أن لها كذلك أعداداً كبيرة من المحولين، وتدعم وهذه النقطة الأخيرة تؤيدها الإحصائيات وتبين أحصائية أجريت عام ١٩٩٠ فرد على الأقل داخل كل أسرة يهودية متزوج من غير اليهود.

إلا أن الأدعاء الأصولى بأن إشكاليه «تعريف اليهودى» يلقى معارضة الزعماء غير الأصوليين انما هو مخص ادعاء خاطئ تماماً لأن الملايين من اليهود الأمريكيين من غير هؤلاء الزعماء أو المحولين يكنون حباً واحتراماً دفيناً لإسرائيل من الناحية الدينية والنفسية، وقاموا بثورة عندما أحسوا بأن إسرائيل على وشك تشريع قانون يشكك فى درجة إيمانهم. وفشلت المفاوضات بين حزبى الليكود والأصوليين وكون

الليكود مع العمل «ائتلاف الوحدة الوطنية» وأصبح خطاب شامير إلى مجلس حكماء التوراة والتابع لأجودات إسرائيل والذى جاء فيه أن حكومته سوف تعدل قانون العودة، خطاباً عديم القيمة ولم يناقش شامير علانية، على الاطلاق بإن الإقدام على هذا الإجراء انما جاء نتيجة للضغوط الأمريكية والتى مورست على الائتلاف الحكومى بهذا الشأن هذا إلا أنه اعترف لبعض المقربين إنه لم يكن ينوى على الاطلاق تعديل هذا القانون وانها كانت جزءاً من لعبة سياسية. «إلا أن أحداً لم يصدق ذلك القول اشامير» كما ذكر أحد زعماء الأصوليين بعد ذلك بعده شهور.

أما فى معسكر الأصوليين فقد شعروا بالحباط الشديد لهذه الهزيمة المنكرة، وتعلموا الدرس جيداً إن إسرائيل لا تستطيع أن ترضخ لمطالب الأصوليين فى هذه القضية مهما كانت ضغوط الاحزاب الأصولية فى الكنيسيت، وبمعنى آخر فإن يهود الشتات الأصوليين فى جميع أنحاء العالم لا يستطيعون التغلب على الحركات غير الأصولية. مهما حاولت الأصولية بوسائل التبشير ونشر التعاليم الدينية عن عدم صحه الحركات الأصولية سواء كانت اصلاحيه أو محافظة إلا أنهم فشلوا فى ذلك.

لقد أصبح المبدأ «اللوبا فيتشى» معزولاً بصوره كبيره سواء فى أمريكا أو إسرائيل الأصواليين «أن اللوبا فيتش اختارت الطريق الخطأ لقد ارادت أن تحرك اليهود فى معاقلهم وتوقظهم لبتحمل مسؤوليتهم المقدسه إلا أنها فشلت لأنها لم تخير الاسلوب الصحيح كما أوضح رئيس مجلس الحاخامات الأمريكى الأصوليين الحديث بأن رد الفعل المضاد للأصولية قد ازداد عمقاً فى قلوب اليهود الأمريكيين كما أن ديجل هاتوره» والذى يترأسه الحاخام شاس لم يكن متعاطفتاً على الاطلاق مع مسألة تعريف من هو اليهودى؟ ذلك بسبب عداءءه الشديد للوبا فيتش ديب وبسبب تعاليمه المضاده للصهيونية ووجدت المنظمات الأصولية أن دخلها الخيرى من المساهمين غير الأصوليين قد إنخفض بصورة واضحه وكانت أكبر ضربه موجهه من زعماء المسكر

الذى يرفض التعديل فى قانون العوده أغلقت فى وجوهم كثير من أبواب الامداد المال والمعنوى اضطروا أخيراً أن يعدلوا عن رأيهم وحفظ هذا التعديل داخل الملفات إلى أجلغير مسمى ويقول استوبلر «لقد تقهقرنا إلا إن ذلك لا يعتبر هزيمة لأن الهدف الرئيسى للازال باقياً»، إنه يشير إلى الحرب التى تشنها الحركات الغير أصولية لتعريف من هو اليهودى انما تنبع من احساسهم الداخلى بالذنب وبالخوف منهم يرون اننا نحن الأصوليين قد استطعنا أن نقيم علاقات طيبة مع أمريكا وأننا نعمل أفضل بكثير منهم كلما عملنا فلابد أنهم، سيشعرون بخيبة أمل أكبر وأعمق أنظروا إلى الحقائق، نحن الآن لدينا أولاد فى الياشيڤا المدارس الدينية والذين يبلغون احد عشر عاما وهم أقدر على استيعاب الكتب على نحو أفضل من خريجيهم من المعاهد اللاهوتية التابعة لهم.

إن اقتناعهم غير متردد نصراً للأصوليين مما جعل رئيس الوزراء شامير يجرى محاولة فى عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠ للتفاوض حول قبول المتحولين من الطوائف الرئيسية اليهودية الثلاث حيث قال الحاخام شيرر «نحن الآن نحاول أن نضع نهاية لهذه الأزمه وأنا فخور بذل لو أننا لم نضع حداً لها لكانت توقفت على أى حال، إن قوة الحق ستوقفها».

وقام بتنفيذ الفكرة الرئيسية الباكيم روبنستين سكرتير مجلس الوزراء الإسرائيلى ومن معاونى شامير المقربين، وقد تفاوض سراً لمدة أشهر مع ممثلى لثلاثة طوائف اليهودية فى أمريكا الممثلين فى جامعة ياشيڤاه (الأصوليه الحديثة)، ومع الكهنوت الثيولوچى اليهودى (المحافظون) وكلية الاتحاد العبرى (الاصلاح) وقد رتب لعملية ترتيب «جهة موحدة» تضم الثلاثة أتجاهات تقوم بمقابلة الأفراد الذين يرغبون فى التحول ثم يحولوهم إلى (بيت دين) محدد يعمل فى نيويورك تحت رئاسة الحاخام الإسرائيلى الأعلى وسيتم إعداد هؤلاء لعميلة التحول على يد الحاخامات التابعين لهم سواء

أصوليين، أو محافظين واصلاحيين على أن تتم هذ العملية بالاسلوب الارثوذكسى وستضم الجهة الموحدة ممثلين عن الثلاثة إتجاهات.و«البيت دين» سيضم الحاخامات الأصوليين أو أى حاخام يوافق عليه الحاخام الإسرائيلى الأعلى وعندما ينظر روبنستين إلى فشله السابق يقول أن المتفاوضين استطاعوا التوصل إلى اتفاق بالنسبة لثلاثة مبادئ رئيسية وهى: أن تتم هذه التحولات بالطريقة الأصولية، إنه لا يوجد أى فرصة لوجود (بيت دين) مشترك، وضرره وجود حوار ثلاثى متصل فى هذه العملية.

واعترض الحاخامات الأصولى على الجبهة المتحدة التى تضم ممثلين عن الطوائف الثلاثة إلا أنهم تقبلوا هذا الوضع. واعترض بعض مفاوضى الاصلاح على دور الحاخام الإسرائيلى الأعلى حيث أن حركتهم كانت ضد احتكار الحاخاميه وقصرها على اسرائيل فقط إلا أنهم وافقوا على «بيت دين» يمثل حاخامات أمريكا اليهود.

اتضح فيما بعد إن هذه الحاخامات لم تصل إلى حل على الاطلاق. وعندما تسربت الأنباء بأن روبنستين يحرز تقدماً قام مجموعة من الحاخامات الأصوليين ورجال الدين فى ورجال الدين فى ياشيڤاه بإصدار بيان موحد يوضح استيائهم العميق من محاولات بعض الدوائر.

الأصولية فى الإتحاد مع طوائف الإصلاح والمحافظة خاصة بالنسبة لعمليات التحول اليهودية. «لا نستطيع أن نعترف بهؤلاء الذين عارضوا الأصوليه ولا نستطيع أن نعتمد عليهم فى عملية أصولية من الدرجة الأولى، وإن ذلك الإجراء يعرض وحده الدولة الإسرائيلية لخطر الداهم».

وحرر الحاخام اهارون سولوڤتشيك أحد الشخصيات الهامة فى جامعة يشيڤيا، خطاباً يدين فيه التأييد الارثوذكسى للجهة الموحدة كنوع من النفاق إن من خلال

ذلك ستضار اليهودية إلى أبعد الحدود فمن خلال هذه الجهة الموحدة سيستطيع اليهود الجهلاء أن يقدموا على الطلاق على يد حاخامات الحركات الإصلاحية أو المحافظة عندما يعلمون أن زعماء الأصوليين يؤيدون هذه الجهة المشتركة التى سوف تقوم بعملية تحويلهم عندما يرغبون فى ذلك حيث أنها ستجعل ما يقومون به شرعياً على الرغم من إختلافه مع المبادئ الأصولية.

أضطر رئيسى الحاخامات فى إسرائيل على الرغم من أن تعاونهم كان ضرورياً لنجاح هذه المهمة، اضطر إلى العدول عن موقفهم وأنهى هذا الموقف المفاوضات.

وأعلن الحاخام مورد شاى الياهو الحاخام الأعلى للسفارديم، معارضته الشديدة لأى اقتراح من هذه النوع وأى مشاركة من الإصلاح أو التحفظ مهما كانت والحاخام لامن رئيس جامعة ياشيفاه الذى اهتز موقفه الشخصى من أثر الهجوم ضده من داخل الجامعة نفسها قال «إن العمل الذى يفخر به شيرير بهذه الصورة هو أكثر الأعمال تخريباً قام به خلال الخمسة وأربعين عاما التى قضاها فى منصبه» وهو يؤمن بأنه لو نجحت هذه التسوية لكانت أحدثت تغييراً تراجيدياً فلن يحتاج أى شخص حاصل على الطلاق من حاخامات الاصلاح إلى اللجو إلى الاسلوب الأصولى ولن سيتطعوا أن يوقفوا المهازل التى ستحدث حينئذ لم يوافق الأصوليين على إعطاء صفه الشرعية للطائفتين غير الأصوليين. من وجهة نظر الأصوليين لا يوجد أى سخرية فى ذلك إن كلمة الطائفة تسمية خاطئة لأنها بذلك تعترف بالتعددية فى اليهودية ويوضح رئيس الحاخامات البريطانى د. چوناثان ساكس «هذه التسمية فى حد ذاتها مع عدم المبالاه بالدين والقيم الدينية والأصوليه نفسها لا تستطيع أن تتصالح مع هذا الإتجاه.. حيث أنها لا تعتبر نفسها طائفة بين الطوائف الأخرى إن الأصولية فى الإيمان الحقيقى ليس فقط لليهود الأصوليين ولكن لليهود اجمعين وكان ذلك الوضع الثيولوچى التجريبى قبل التحرر وظهور الاصلاح حيث لم يكن هناك أى طوائف

أخرى. كان هناك فقط اليهود والمرتدين هذا الوضع غير قابل للتغيير فى الثيولوجيا الأصولية حيث أن التطورات التاريخية والحديثه والتطورات الإجتماعية تصر على أن يهود الاصلاح هم يهود إلا أن يهودية الاصلاح ليست هى اليهودية ليس ذلك تناقضاً ولكنه حقيقه واقعه لأن التقاليد بنيت على اساس الشعب اليهودى ملتف حول الأصولية لذلك فإن الأصولية ليست هى المشكله الرئيسية ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى وجود الاتجاهات الأخر غير الأصولية.

وقبل أن يصبح ساكس رئيساً للحاخامات فى سبتمبر عام ١٩٩١ نادى بفتح الحوار قائلاً بأن الأصولية ترحب بالنقاش والجدال وهى متسعه بالقدر الكافى بحيث تستطيع أن تستوعب ذلك بصدر رحب طالما كان ذلك فى حدود الايمان إلا أن معظم حاخامات الأصوليين يعتبرون هذا الإجراء خطراً من الناحية الثيولوجية ليس لديهم أى اهتمام بمناقشة يهوديه الاصلاح أو فى توسيع المفهوم الأصوليين ليشمل الاتجاهات الأخرى أما الأصوليين البريطانيون فهم واثقون من قدرتهم فى خوض مثل هذه المناقشات التى يقترحها ساكس .

بينما حاخامات الأصوليين يقتلون جهود روبنستين للتسوية والتصالح بالنسبة لعملية التحول كان الأصوليين فى إسرائيل يحددون جبهتهم الجديدة فى الحرب التى لاتنتهى حول تحديد «من هو اليهودى» وقد تحدد موقفهم بقرارين قدما فى يوليو عام ١٩٨٩ لمحكمة العدل العليا. أولهما يمثل هزيمه ساحقه للأصوليين بالنسبة لقانون العودة والآخر يمثل انتصاراً رائعاً لهم وهزيمة منكره للإصلاحين والمحافظين خاصة بالنسبة لموضوعات الزواج فى الحالة الأولى قاضى كثير من المهاجرين المحولين وزارة الداخلية على ضوء الحكم فى قضية سوزان ميلر حيث طالبوا بتسجيلهم يهوداً طبقاً لقانون العودة (عادت ميلر نفسها إلى الولايات المتحدة دون الحصول على بطاقتها الشخصية). القضية الأخرى اثارها الاتحاد العالمى لليهودية التقدمية (الاصلاحية)

واثنين من الحاخامات ضد وزاره الاديان ومجلس الحاخامات مطالبين باعطاء الصلاحية لحاخامين من الاصلاح لاتمام الزيجات فى القضية الأولى كان رئيس المحكمة القاضى ميرشامجار حيث حكم بأن قانون العودة جاءت فيه كلمة «محول» لذلك فإذا وصل أى مهاجر ومعه شهادة تحول من أى تنظيم دينى يهودى فهذا كان وليس من سلطه وزير الداخلية السؤال عن نوع هذا التحويل سواء كان أصولياً أو غيره .

إلا أن نائب رئيس القضاه مناحم إيلون أصدر حكماً مضاداً. كان إيلون أصولياً واستاذاً سابقاً للتلمود فى جامعة القدس العبرية كانت هناك عادة غير معلنه ولكنها مطبيقه فى إسرائيل وهى إن على الأقل عضو واحد من قضاه المحكمة العليا يكون أصولياً.

قال إيلون أن عملية التحول يجب أن تكون أصولية حيث أن قانون العوده قد استخدم التعريف الأصولى لمعنى اليهودية وأن يكون مولوداً من أم يهوديه أو محولاً وحيث أن المولود من أم يهوديه مفهوماً أصولياً فإن التحول بالتبعيه يكون هو الآخر أصولياً.

«إن دولة إسرائيل هى دولة لجميع الشعب اليهودى اشخاصاً ومجتمعات وطوائف ومجموعات سواء كانوا داخل إسرائيل أو خارجها فى كل انحاء الأرض... إن لذلك أهمية كبرى من أجل البقاء إن عملية الاندماج للشعب اليهودى يجب أن تتم باسلوب يلاءم الجميع وفى هذه الأمور الحيوية يجب أن نتبنى مبدأ تقبله الأمه جميعها».

أما فى القضية الأخرى فقد أصد ايلون الحكم ووافق القضاة الأربعه عليه على الرغم من أن احدهم وافق رغما عن أنفه استعرض إيلون القوانين والاجراءات التى ترجع إلى عهد الإنتداب البريطانى حيث أوضح أن الزيجات اليهودية كان يجب

اتمامها طبقاً لشريعه التوراه وكان وزير الاديان له السلطة على بعض الحاخامات فى الاشراف وتسجيل الزيجات اليهودية (وبعض الزيجات المسلمه والمسيحية والدرزيه) كان الوزير يستشير مجلس الحاخامات ولم يعتبره أحداً مخطئاً فى ذلك الاجراء.

القضية الرئسية هى تعريف قانون التوراه وقد اعترض الدفاع الاصلاحى حيث أن ذلك الميثاق يختلف عند الأصوليين أو الاصلاح أو المحافظين هنا لم يستطيع ايلون أن يخفى سخريته حيث قال فلنأ خذ مثالا عن مشكله زواج الكاهن (كوهين) من سيده مطلقه فإن الأصوليين يمنعون ذلك بينما الاصلاح يقبلها وهنا اقول أن هذا المنع كان طبقاً للتوراه (اللاويين-٢١-١٤) وأظن أن الأصولية لم تكن موجودة فى ذلك الوقت.

واستمر ايلون فى قوله بإن مندوب مجلس الحاخامات قد أجرى مقابلة مع الحاخامين الاصلاحيين ووجد أنهما ينتميان إلى الاصلاح ولايعرفان شيئاً عن الأصولية فى النواحى الخاصة بالزواج وعلى ذلك فإن مجلس الحاخامات الأصوليين حكم بعدم صلاحيتهم ورفض الوزير طلبهم فى اتمام الزواج ووافق اثنان من القضاه على منطق ايلون خاصه اصراره بأن تشريع التوراه هو الكيان الأصولى، والقاضى شامجر رئيس القضاه وافق كذلك واضاف قائلاً «يبدو لى أن هذه القضيه خاصه بالتشريعات».

والقاضى الخامس شولومو ليفين وافق بأن المحكمه ليس لديها أى أساس قانونى للاعتراض على قرار الوزير إلا أنه لم يكن مقتنعاً بالجدال الأخير لايلون حيث قال أنه من غير المنطقى أن يرفض طلبهما لمجرد انهما ينتميان للحركة الإصلاحية فعلى الرغم من كل شئ هذه الحركة لديها عدد كبير من المؤيدين خارج إسرائيل وعدد لابأس به داخل إسرائيل نفسها فالحركة فى إسرائيل أكثر تقليديه فى النواحى الثيولوجية عنها فى أمريكا ومن حيث المبدأ من الخطاء أن نمنع الشباب المقبل على الزواج من إختيار

الحاخام الذين يفضله هذا الرأى المتعاطف من كان مواساة لحاخامى الاصلاح وكان بمثابةتشجيع كبير للحركات غير الأصولية. فى المره القادمة، والتأكيد ستكون هناك مرات أخرى كثيرة سيكونون أكثر حرصاً فى إختيار حاخامات الاصلاح ويؤكدون معرفتهم التامه لجميعز نصوص التواره مثل حاخامات الأصوليين.

وأعلن وزير الداخلية آرى ديرى بعد أعلان المحكمه لحكمها بعده ساعات بانه سوف يحترم ويتعامل مع كل منهما لم يفعل مثل الحاخام بريز عام ١٩٨٦ حيث لم يزعن لقرار المحكمة بخصوصى قانون العوده وسعى لالغاء الحكم عن طريق ادخال تشريعات جديدة.

ولذلك لم تعد لأزمه يهود الشتات مفهوم سياسى واقعى .

وفجأه انتهت مشكلة قانون العوده التى استمرت عشرين عاماً لكن الحرب لم تنته انسحب ديرى من هذه الجبهة الرافضه بسرعه واعاد تشكيل الخطوط الدفاعيه الأصولية حيث عضدها يقرار المحكمة العليا الذى صدر فى نفس اليوم عن حق اتمام اجراءات الزواج وأعلن على الفور أن جميع المهاجرين المحولين سيتم تسجيلهم كيهود وسوف تتضمن بطاقاتهم الشخصية كلمة «يهودى» كما حكمت المحكمة إلا أن جميع البطاقات الشخصية للمواطنين المولودين فى إسرائيل وهؤلاء المهاجرين المولودين أصلاً بالديانه اليهوديه وكذلك المحولين وذلك يعنى أن البيانات المكتوبه فى البطاقة الشخصية بالنسبة للجنسية والحاله الشخصية ليست دليلاً على صحتها وذلك يعنى أن موثقى الزواج وكلهم حاخامات أصولى يجب أن يقوموا بتحرياتهم الخاصة عن كل عروسين يتقدمان بطلب للزواج ولايجب الالتقات إلى البيانات المذكوره على البطاقات الشخصية.

فطالما الأصوليين فقط هم المسيطرون على عملية الزواج فإنهم ما زالوا هم الذين

يحددون من هو اليهودى من وجهة نظر إسرائيل والحاخامات الآن بعد أن ايدت المحكمة العليا احتكارهم فهم لازالوا مستمرين فى منع المحولين غير الأصوليين أو أطفال النساء المتحولات أو الاشخاص غير الأصوليين من الناحية الشرعية من اتمام زواجهم فى إسرائيل.

لقد حول الحاخام ديرى قرار المحكمة إلى نصر وكتبت الجريده الأصولية ياتد نعمان بالخط العريض «اسلوب ديرى فى المطاوعه جعل الحركه الاصلاحية تدور حول نفسها فى أمريكا إمتدح الحاخام شيرير الوزير حيث أنه اتخذ الخطوه الصائبة فى الاتجاه الصحيح إلا أن حركة ديرى أنتقدت بعنف خارج الأوساط الأصولية فقد كتبت صحيفه إسرائيللية رائده «هاريتز» بأن ديرى قد سبب تحدياً خطير لدوله إسرائيل ويجب أن يدان ويجرد من خداعه وجاءت أكبر ضربه له من الحزب الدينى الوطنى كأصوليين صهيونيين فإن الهزيمه على قانون العوده تعتبر ضربه ضد اعتقاداتهم السياسية الدينية حيث قالوا فى جريده هاتزوف يبدو أن قوم شاس وكهنتهم لايرون أهمية دولة إسرائيل والقداسه التى تستمدها من التاريخ اليهودى بالنسبه لهؤلاء إسرائيل مجرد موطن ثانى ولايهمهم البيانات المكتوبه على بطاقاتهم الشخصية ولكن كل ما يهمهم هو ما يظهر فى سجلات الزواج والطلاق .

كان المقصود بذلك النقد اللازع إلا أن ديرى وحلفاءه الأصوليين اعتبروه تأييداً لهم فهم يوافقون تماماً مع هذا الرأى أنهم يحاربون من أجل قداسة دولة إسرائيل وبالنسبه لانتصار الأصوليين على الاصلاح والتحفظ فإن إسرائيل هى الأداه وليست الهدف لقد أثارهم الحاخام ديرى عندما أعلن رسمياً الشئ الذى كان واضحاً لمده أربعين عاما «إن دوله اليهود ليست دولة يهودية» .

الفصل السادس

السلام في زمن الأصوليين

قرر وزير الداخلية ديرى أن يتخلى عن معركة قانون العوده ويبدأ معركة جديدة خاصة بالزواج.. وفي غضون بضعة أشهر من معركته الجديدة بدأ المئات، بل الآلاف من اليهود الذهاب إلى إسرائيل، وجاءت نسبة كبيرة من الهجرة اليهودية من «الاتحاد السوفييتى» سابقاً حيث وقد إلى إسرائيل حوالى نصف مليون مهاجر بنهاية ١٩٩٢ ومن المتوقع أن يزحف إلى إسرائيل نصف مليون آخر مع نهاية هذا القرن بشرط إزدهار الإقتصاد الإسرائيلى ليستوعب هذا الزحف البشرى الضخم لقد عاش القادمون من الاتحاد السوفيتى لسبعين عاماً تحت سيطرة الحكم الشيوعى وفى إنفصال تام عن بقية اليهود. لذلك فإن ملامح الشخصى اليهودية بين هؤلاء باهته بينما ترتفع بينهم نسبة الزيجات المختلفة وكثير من الأسر المهاجرة التى تصل إلى إسرائيل مختلطة حيث تتضمن يهوداً ومن غير اليهود.

أما المهاجرين المشكوك فيهم فيصتفوا إلى قسمين حوالى ١٠: ١٢٪ من غير اليهود ولا يدعون ذلك ولذلك لا تسجلهم وزارة الداخلية. ونسبة أخرى صغيره من هؤلاء تصل إلى بضع الآلاف طبقاً لتقديرات بعض المصادر المطلعة ليسوا من اليهود ولكنهم دخلوا إلى إسرائيل بصفتهم يهوداً بعد أن سجلوا أنفسهم فى القنصلية الإسرائيلية فى الاتحاد السوفييتى ولذلك تم تسجيلهم كيهود فور وصولهم إلى إسرائيل.

لو أن وزير الداخلية التابع لحزب شاس طلب التحقق من صحة «يهوديه» كل من هذه الحالات المشكوك فيها لكانت سياسة إسرائيل إنحرفت مرة أخرى إلى السؤال القديم «من هو اليهودى؟» وإنتشر ذلك مرة أخرى بين يهود الشتات. وبفصل قرار «ديرى» رغم من تأجيله «لمشكلة الحالة الشخصية» للفرد إلى أن يقدم على الزواج.

وبذلك تعطلت الهجرة الجماعية من الإتحاد السوفييتى إلى اسرائيل لفترة ولكن أجلت الوقت المناسب.

لكن هذه المشاكل قد تنفجر فى أى لحظة ويتوقع المراقبون مثل هذا الإنفجار «إن الأزمة على وشك أن تحدث» هذا ما قاله الحاخام ايتان إيزمان مدير مكتب رئيس الحاخامات. إن حالة مهاجر واحد يتم فحصها والتحقق منهما ونرفض أن نزوجة من يهودية، سيشعل فتيل الأزمة.

ويمنع القانون على الإسرائيلى، من الكهان أو المطلقون، الزواج لذلك يضطرون إلى السفر فى مكان أخر و بعد الزواج رسميا فى ظل تشريع قانونى آخر، فإن القانون الإسرائيلى يعترف بهذا الزواج. إلا أن معظم المهاجرين السوڤييت الذين يحاولون الاستقرار فى حياتهم الجديدة لا يستطيعون أن يدفعوا نفقات رحلة إلى أمريكا الجنوبية أو حتى قبرص، ويزيد عدد حالات غير المتزوجين كثيراً عن الحالات القليلة التى استطاعات الإقتران بإسرائيليين إلا أن هذا الخطر سيؤدى بمرور الزمن إلى حلولو تدريجية عملية تضاف إلى نجاح الأصولية فى إسرائيل ففى خلال خمسة عشر أو عشرين عاماً ستمكن استيعاب المهاجرون السوفييت فى المجتمع الإسرائيلى دون إنفجار الأزمة الرئيسية المتعلقه «بمن هو اليهودى؟» وسيكون انتصاراً ساحقاً.

الجهود التى تبذلها الحركات الإصلاحية والمحافظة لزعزعة الأصولية فى إسرائيل. وسيظهر إن الأصولية قادرة على تحدى للمشكلات القومية ويثبت إن الأصولية تحارب أساساً الحركات الاصلاحية والمحافظة اليهودية حيث أنها تستطيع أن تحتضن حتى السوڤييت إلا أنها تلفظ الحركات الاصلاح والمحافظة تماماً.

لو أن ذلك المفهوم موجود أصلاً فهو نتيجة لتأجيل ديرى لقضية الحالة الشخصية التى تمكن الحاخامات من التعامل مع كل حالة على حدة. إن المهاجرين المتحولين يمرون ببرنامج لاعادة تحويلهم يشرف عليه حاخامات فى المدن المختلفة وتشرف الرئاسة الحاخامية فى القدس على هذه البرامج وعلى (البيت دين) المسئول عن ذلك وأتاح هذا الاتجاه فى بحث كل حالة على حده جيد الحاخامات التساهل إزاء المتطلبات الأصولية خاصة قبول الوصايا العشر فى عملية التحولويطلب جميع الاحاخامات الأصوليين التزاماً مخلصاً من المتحول للوصول إلى الدرجة المطلوبة من الإيمان إلا أن بعض من يقومون بتدريبهم على ذلك يتساهلون لدرجة كبيرة وهناك حالات كثيرة اثبتت هذا التراخى.

بالإضافة إلى ذلك هناك درجة معينة من المرونة بالنسبة لموضوع اليهودية فى الحالات التى يكون الشخص قد اندمج تماماً فى المجتمع اليهودى خلال فترة طويلة وهذه الحالة تطبق خاصة فى إسرائيل حيث المجتمع اليهودى بالكامل، ولم يتبع الحاخامات فى إسرائيل هذا الخط باسلوب خاص لكنهم يؤكدن إستخدامه بصفة عامة* .

حتى هذا الاتجاه الأصولى التحررى المبنى على دراسة كل حالة على لا يمكن أن يعطى ضماناً لنجاح عملية التحول خاصة بالنسبة للمهاجريين السوفييت ويقو الحاخام ايزمان «نحن لا نستطيع أن نجعلهم يهوداً إذا لم يكونوا جادين فى هذا إن الأصوليه لا تمنحنا الوسيلة لذلك.

---

* هذا التعاطف أدى أن يقوم ٦٥٠٠٠ من المهاجرين السوفييت بعملية الختان بين عام ١٩٩٠ - ١٩٩٢ على الرغم من عدو ضروره ذلك فى القانون الإسرائيلى إلا آنه منشر بين المواطنين اليهود والمهاجرين السوفييت وهى جزء من تحولهم إلى اليهودية ولكنها عملية مؤلمة حيث أنها تتم فى العادة بعد ثمانى أيام من الميلاد حتى لا يتألم الطفل. فى عملية الختان عن طريق أشعة الليزر حتى تتم العملية بدون آلام.

لا نستطيع أن نكذب على أنفسنا ويعكس هذا التشاؤم الخوف من أن هؤلاء المهاجرين عبارة عن قنبلة موقوته من المتوقع أن تنفجر فى أى لحظة بدلاً من أن يبطل مفعولهما. وفى مقابل كل مهاجر غير يهودى يريد فعلاً أن يتحول هنناك فرد آخر.

يتناسى هذه القضية بالكامل. ويوقع البعض على طلبات للتحول ويعتقدون ان المطلوب منهم هو مجرد التوقيع على هذا الطلب وعندما يدركون عكس ذلك ينسحبون تماماً مثل قرار قانون العودة.

قرر حزب شاس عام ١٩٩٢ الانضمام إلى حكومة أسحق رابين وكان وذلك خطوة ردمكاليه لها آثار كبيرة على مستقبل إسرائيل ودور الأصولية بها بعد خمسة عشر عاما من مؤزارة الجناح الأصولى اليمينى وقاد الحاخام أوفاديا يوسف الأصولية إلى طريق التحالف من أجل السلام مع اليسار.

وقد ثبت أن هذا التحالف كان سبباً لمشاكل كثيرة وجد شاس نفسه فى صراعات ضارية مع حليف رابين الآخر اليسارى الليبرالى العلمانى «ميريتز» وزعيمته السيدة شولا ميت الونى الذى عينها رابين وزيرة للتعليم وأصرت على تدريس موضوع الخلق ونظرية النشوء فى المدارس الحكومية غير الأصولية وعندما هاجمها شاس اقترحت عدم ذكر اسم الله فى الصلاة على الاموات، وبالنسبة لحزب شاس كان ذلك تدنيساً للمقدسات وبالنسبة لحزب العمل وآخرين من حزبها كان استفزازاً حقيراً.

على الرغم من كل تلك الاحتكاكات انضم الحزب الأصولى الكبير إلى معسكر السلام من وجهة نظر الحاخام يوسف كان ذلك ثمرة طبيعية لاتجاهه للسلام «إن إستعمار احتلال الأراضى بقوة السلاح، فى هذا العصر وتحدى المجتمع الدولى يعتبر خطيئة لقد حكم عام ١٩٨٩ بانه لو استطاعنا أن نعيد هذه المقطاعات الت قمنا باحتلاله إلى أصحابها لتجنبنا الحرب وإراقه الدماء ونحن نحب أن نفعل ذلك من

منطلق «مبدأ أنقاذ الحياة البشرية» لقد أعلن يوسف عن تقديره هذا فى مؤتمر عقد فى القدس حيث شاركه فى رأيه وزير الدفاع الاسبق فى حكومه الوحدة الوطنية «اسحق رابين» ، وأعلن إن قانون انقاذ الحياة اشار يوسف من أكثر المحرمات ولا يسبقه وسفاح القربى والوثنية إن حق الحياة على أرض إسرائيل لها أهمية خاصة من الناحية الدينية وفى أحد فقرات التلمود «هؤلاء الذين يعيشون على أرض إسرائيل لهم إله وهؤلاء الذين يعيشون خارجها ليس لهم إله لذلك فقد أمعن الإسرائيلون فى طرد جميع الوثنين من أرض إسرائيل ولم يبيعوا أى شبر من الأرض لهم وقال الحاخام يوسف إن ذلك لاى ينطبق على المسلمين لأنهم من غير الوشنيون (وكان يعنى أن ذلك المبدأ يطبق على المسيحيين إلا أنه فى العصر الحديث لا يجرؤ اليهود على التصريح بذلك) وحتى إذا جادل بأن هذا القانون يجب أن يطبق على المسلمين المعاصر بين الا أنه يشير بأن تطبق ذلك سيؤدى إلى كارثة حتمية حيث يقول «إن هذا الجيل المخطئ لا يستطيع أن يعتمد على المعجزات لا نستطيع أن نتحمل مخاطر الحرب فإن خطاطانا ستؤدى حتماً إلى هزيمتنا يجب أن نعيد هذه الأراضى حتى نتجنب ويلات الحرب... إلى أن ينظر الرب علينا من عليائه ويقبلنا معه ويقبل توبتنا وعندما نصل إلى هذا الحد من الطهارة سوفى عيد إلينا جميع هذه المقاطعات وأكثر منها كما هو وارد فى سفر التثنية [١١ :٢٤] يطر الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. وأكد الحاخام يوسف إن تحليله كان افتراضياً ولم يكن اسرائيل والعرب على استعداد لإجراء أى مفاوضات وبعد ثلاثة سنوات بعد أن اصبح رابين رئيساً للحكومة اصبح تأييد يوسف السياسى لا غنى عنه فى التأثير على هذه المفاوضات وبالإضافة إلى حسابات الكنيسيت الهامة فأنها أمدت رابين المساندة الدينية والشرعية الت كان يحتاج إليها للتفكير فى التنازل عن المناطق المحتلة فلو أن جميع زعماء الأصوليين أختلفوا معه فى سياسته السلمية مستغلين بذلك التوراه وتعاليمه فمن

الصعب عليه أن ينفذ هذه السياسة حتى لو حصل على موافقة أغلبية البرلمان فكل زعيم صهيونى منذ هرتزل، وكل رئيس وزراء إسرائيلى منذ عهد «بن جوريون» كانوا يسعون إلى الحصول على مساندة جزء من الأصولية. واستطاع هيرزل أن ينتصر على الصهيونية الأصولية والأصولية كانت تعارضه اليوم أصبحت الصهيونية الأصولية تميل إلى جانب الاتجاهات المشيحاتيه اليمنية الحديثه ذات الاقامه السياسية بينما يميل شاس الأصولى إلى اليسار رغم معارضتهم العلمانية للمبدأ اليهودى، والحاخام شاتس بنفسه على الرغم من عداءه الشديد لحزب العمل الا دائماً يؤيد مبدأ «الأرض مقابل السلام».

توفيا بلوستين مسؤول فى الحكومة من حزب الليكود كان قد خدم أثناء حكم شامير حيث كان الوسيط بين كل من ساش ورئيس الوزراء يأكد أن موقف الأصوليين اقرب إلى حزب العمل عن حزب الليكود.

وفى المعسكر الأصولى الصهيونى شن الحاخامات هجوماً قاسياً.

بعد أن عرض يوسف إرجاع الأرض فى عام ١٩٨٩ وكتب إليه الحاخام شول يسراردى رئيس الحزب القومى الدين خطاباً مفتوحاً متحدياً فيه مفهومه الأستراتيچى واستنتاجاته الأصوليه «ما قولك فى كل تلك المستوطنات الت يقمنا ببنائها؟ هل فكرت ما الذى يحدث لليهود من سكان المستوطنان تحت حكم العرب؟ وهل حكتك تؤكد لك أن العرب لن يطالبوا بجميع الأراضى».

كان الأصوليين تحت قيادة شاس، على حافه قيادة إسرائيل إلى السلام والمصالحه الأقليمية. هؤلاء الذين كانو ا يسيئون إلى معاملتهم ويحطون من قدرهم وخاصة المعارضة اعتبروا أن عملية السلام مراوغة غير لائقة ومتناقضة مع نفسها واعتبروا أن اهتمام الأصوليين الأول هو الحصول على المساعدات المالية من الحكومة...

أى حكومة وقال ديدى زوكر أن غياب المشيحاينه فى الرؤبه السياسية للأصوليين «الهارديين» تعنى أن أقدامهم مغروسة فى الواقعية وأنهم أصبحوا براجماتيين ويريدون إتفاقا مع الفلسطينيين وتعتبر التعاليم الأصولية الحقيقية دولة إسرائيل شيئاً هامشياً أو عابراً. أما بالنسبة لى كسياسى يسعى إلى التحالفات السياسية لا أستطيع أن اترجم ذلك ألا أن كل منهم «برجماتى».

ويقول البروفسير افيشاى مارجاليت، وهو من حكماء اليسار اكلبار أنه يشعر بانه قريب جداً إلى الأصوليين وأنه يرى دولة إسرائيل كتجمع يضم يهود الشتات وعلى هؤلاء أن يحددوا أسلوب حياتهم الخاصة بأقل تدخل ممكن من الدولة وذلك يجب أن يطبيق فى «ميه شريم» مثلما يحدث فى أى مجتمع إصلاحى آخر إن يعتمد المفهوم الأصولى اساساً على بناء مجتمع خاص بهم مبنى على دراسة التواره.

هذا المجتمع الذين يريدون بناءه هو «مجتمع الدارستى» ولا يستمد نجاحه من الحياة الإسرائيلية أو من يهود الشتات وكان لمشاركة شاس فى تحالف مع حزب العمل من أجل السلام قد عجلبغلبة تيار الهاريديين وغدا لهم دور رئيسى فى صنع السياسية الوطنية لإسرائيل.

وكما رأينا فإن النمو والتقدم الداخلى مع الحاجات الاقتصادية الموضوعية تضطر «مجتمع الدارسين» للإلتحاق بالتوجيهات الاقتصادية السائدة فإذا تحقق السلام فعلاً فإن قضية الخدمة العسكرية وسيصبح ذلك الخلاف الكبير بين الأصوليه والمجتمع الإسرائيلى أقل حدة، وتخفض أعداد الجيش العامل ويقل التجنيد الاجبارى مع تخفيض حجم الجيش، وفى الحقيقة أدت عملية السلام مع مصر مع الزيادة الكبيرة فى عدد السكان إلى تساهل الجيش إزاء اللوائح الخاصة بالتجنيد، ويسمح الأصولى المتزوجون يسمح لهم بالإنضمام إلى الجيش لفترة محدودة وفى سن أقل عما كان من

ذى قبل.

وتأثر الأصوليين كذلك بالاتجاهات فى إسرائيل وازدادات قوتهم نتيجة لنموهم وأصبح لهم دوراً فعالاً فى الحياة اليهودية .

أصبحوا يضعون برامجهم الخاصة بهم ويتبعون السياسات التى تتلاءم مصالحهم الخاصة. مع تقلد الحاخامات الأمريكيون أو المولودين فى إسرائيل للمناصب القيادية الدينية بدلاً من هذا الجيل القديم الذى تربى قبل «المحرقه» فى أوروبا الشرقية وأصبحت الاتجاهات السائدة مألوفة للأصوليين أنفسهم وللمجتمع ككل.

ويحاول الزعماء الشباب الحرص على الشكليات مثل أبائهم بشأن الحفاظ على تقاليد «دير هيم» كان الحنين إلى الوطن والدقه فى جميع التفاصيل من أهم اسباب نجاح الهاريديين ما بعد المحرقه اليهودية إلا أن إنفتاح أوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية أضعف هذه الروح. ويستطيع أى شخص الآن أن يزور هذه الأماكن ويبكى بحرية عن ذلك العالم الذى دمر إلا أن الزائر الغربى لتلك الأماكن القديمة فى بولندا أو أوكرانيا حتى لو كان دارساً ممتعمقاً فى الأدب الاسطورى الأصولى لا يشعر أن تلك الحياة جنة بسيطة مطلقة كانت تلك الأماكن جامدة وبدائية إلا أنها هذبت الحضارة الدينية والثقافية والاجتماعية المتطورة.

وقد حفز هذا الإدراك اللاواعى التقاليد الأصوليه المتماسكه فى أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية إذا نظرنا إلى ذلك بالمعاييرة السياسية أو الاقتصادية فإن تلك النظرة بهدف تهدته وتحقيق حدة الانفصال الأصولى عن المجتمع اليهودى ككل ولكن هل يتطلب ذلك تطويراً لهذا الاتجاه الدينى بحيث لا يستمر فى انفصاله عن باق الاتجاهات اليهودية مما يهدد بوقوع الأزمة الكبرى والانشقاق الشامل.

ويصر الكثيرون بأن ضغوط وإغراءات الحياة الغربية الحديثة قد تقلل من حدة الأصوليه ذلك الاتجاه الذى كان متوقعاً له أن يندثر وثبت عكس ذلك إن صحف الهاريديين برهنت على أن محاولة طرد الهاريديين وعزلهم كانت مفارقة.. تلك المفارقة التى ربما تكون بذاتها خطأ فى العالم المعاصر.

★★★★

تم بحمد الله

مصطلحات وردت بالكتاب

مصطلحات وردت بالكتاب

ZERAIM	«زراعيم» البذور والإنتاج الزراعى .
Breachot	صلوات وبركات .
Pe'ah	ترك زوايا الحقل دون حصاد للفقراء وأغراض الاحسان (للمسكين والغريب). (سفر اللاويين ١٩ :٩) .
D'mai	ما ينتجه الفلاحين، ينقسم إلى مشور .
Kilayim	تحريم زراعة صنفين معاً. ولايجتمع جنسين من الهاريديم معاً. (سفر اللاويين (١٩–١٩) .
Shiviit	تعطيل زراعة الأرض لسنه من أجل الرب. وزراعتها ست سنوات متواصلة. وما يعرف ذلك باسم تسبيت الأرض. (سفر اللاويين (٢٥ : ١–٧) .
Terumot	العشور للكهنة قدس الأقداس، (سفر العدد ١٨ : ٨–٢٠) .
Massrot	العشور للاويين والفقراء. (سفر العدد ١٨ : ٢١–٢٤).
Massar Sheni	عشر ليؤكل فى القدس (سفر التثنيه ١٢ : ٦–١٨) .
Halah	أول العجين يعطى للرب. (سفر العدد ١٥ : ١٧–٢١).
Orlah	لايؤكل من ثمار الأشجار الصغيرة. حينما تثمر لأول (سفر اللاويين(١٩ :٢٣) مرة.

Dikurim	أولى الثمار، يجب أن تذهب إلى المعبد. (سفر التثنيه ٢٦ : ١-١١).
MOED	الأعياد والأيام المباركة.
Sabbat	«السبت» القواعد المتعلقه بطقوس يوم السبت.
Eracrin	القيود المفروضة على الحركة أيام السبت.
Pesachin	قواعد عيد الفصح[1] والتضحية.
Shekalim	الشقلات[2] للمعبد وخدمات المعبد الأخرى (سفر الخروج ٢١: ١١-١٦).
yoma	قواعد وخدمات المعبد فى يوم عيد الغفران.
Sukkab	قواعد بعيد «خيمة الإجتماع[3]».
Betzah	القواعد المختلفه المتعلقه بمختلف الأعياد والاحتفالات اليهودية.
Rosh Hashanah	روش هاشاناه: عيد رأس السنه اليهودية.
Tarrit	أيام الصوم.

١- عيد الفصح: عيد خبز الفطير وموسم الحج ويضحى فيه يحمل أوشاه أوشاه أوحدى ماعز ويسمى عيد القمح أى الفرج... ويعنى العبور إلى الربيع من الشتاء.

٢ - الشقلات وزن عبرى يعادل ١٣٠ قمحة من الذهب و٢٢٤ من الفضه و٢٤٠ من النحاس.

٣- خيمة الإجتماع: خيمه أو خباء خارج مساكن القبيلة يكشف فيها الاله عن وجوده ويبلغ إرادته لمن يطلبه .

Megillah	القواعد المتعلقه بعيد التنصيب (البوريم)[٤] .
Moed Kattan	القواعد المتعلقه بالأيام التى تسبق الاحتفال بعيد الفصح وخيمة الإجتماع.
Higigah	إحتفالات الحج والأضاحى.
NASHIM	«ناشيم» النساء.
yeuamot	تتعلق بالزواج بزوجه الأخ بعد موته وفقدان الأزواج.
tetulsot	فى قواعد الملكية فى الزواج.
Nedarim	عن النذر والعهد (سفر العدد ٣٠ : ٢٧).
Nazir	عن عهد العفة (والاعراض عن الخمر) (سفر العدد ٦:١-٢١).
Sotah	فى الزنا والفحش..(سفر العدد ٥:١١-٣١).
Gittln	حول قواعد الطلاق (سفر التثنيه ٢٤:١).
Kiddushin	عن عقد الزواج، والزواج المحظور.
NEZIKIN	«نزيقين» الأضرار.
Baua Kama	حول الأضرار والأخطاء الجاثمه (سفر الخروج ٢١-٢)، وعن السرقة.

٤ - البوريم: محتفل به فى ١٤ مارس وهو اليوم الذى أنقذت فيه استير اليهودية، يهود فارس من المذبحه ويسرف اليهود فى هذا اليوم فى الشراب ويسميه العرب عيد المسخره.

Baua Mestia	عن خسارة الثروة وقوانين العمل.
Baua Batra	عن قواعد الشراكة والتأصير والبيع والإقراص والجيران والمواريث.
Sanherdin	«محاكم» لنظر القضايا الدينية والأخلاقية الكبرى. وتختص أيضاً بالنظر فى مبادئ الإيمان.
Makot	حول «عقوبه الجلد» (سفر التثنيه ٢٤: ١-٣).
Shvout	عن «اليمين أو القسم» (سفر الخروج ٢٢:١٠، سفر اللاويين ٥:٤، سفر العدد ٣٠:١-٤).
Avodahzarah	عن الوثنيه والشرك (سفر الخروج ٢٠:٢-٥، سفر التثنيه ١٢:٢-٣).
Horayot	كيف يمكن تقويم القرارات الخاطة التى يتخذها المحاكم.
Eduyot	أحكام متنوعة ومختلفة.
Auot	المقولات الأخلاقية.
KODASHIM	(المقدسات) و (والتضحيات).
Zeuahim	التضحية بالحيوانات.
Menachat	عن تقديم الطعام (سفر اللاويين ٢,٦).
Hullin	حول ذبح الكوشير، وقواعد اعداد الطعام. (سفر الخروج ٢٢:٣٠، ٢٣:١٩).

Bechorot	عن المولود الأولى للحيوانات.
Archin	فى الهبات المقدمة للمعبد.
Tonurah	الحيوانات كقربان كبديل للأضحية (سفر اللاويين ٥:١٥,١٦).
Kritot	التفكير عن الخطية.
Meilah	حول سوء إستخدام الأشياء المقدسة.
Tamid	الخدمة اليومية فى المعبد.
Klnnim	التضحية بالطيور (سفر اللاويين ١:١٤-١٤، ١٢:٦-٨).
TOHOROT	«طهاروت» (الطهاره).
KELIM	كيف تصبح الأوانى نجسه (سفر اللاويين ١١:٢٤-٤٧).
Oholot	النجاسة بسبب الجيفه (سفر العدد ١٩:١٤-٢٢).
Negaim	عن الاصابه بالطاعون (سفر اللاويين ١٣).
Parah	الأبقار الحمراء التى يكون من جمع رمادها نجساً (سفر العدد ١٩:١-١٣).
Tohorot	عن طقس الطهارة.
Mrkvaot	الحمامات لطقس الطهارة.

Niddah	المرأة الحائض (سفر اللاويين ١٥ :١٩-٣٠).
Machchirin	كيف تصبح الأشياء نجسه (سفر اللاويين ١١ :٣٤-٣٨).
Zavin	النجاسه نتيجه ارتكاب الاثم الجنسى والاصابه بالزهرى.
Tevul Tom	قواعد طقس التغطيس.
Tadayim	نقل النجاسه من خلال اليدين.
Uktsin	نقل النجاسه من خلال أجزاء النباتات والمغروسات.

الفهرس

الصفحة

الصفحة